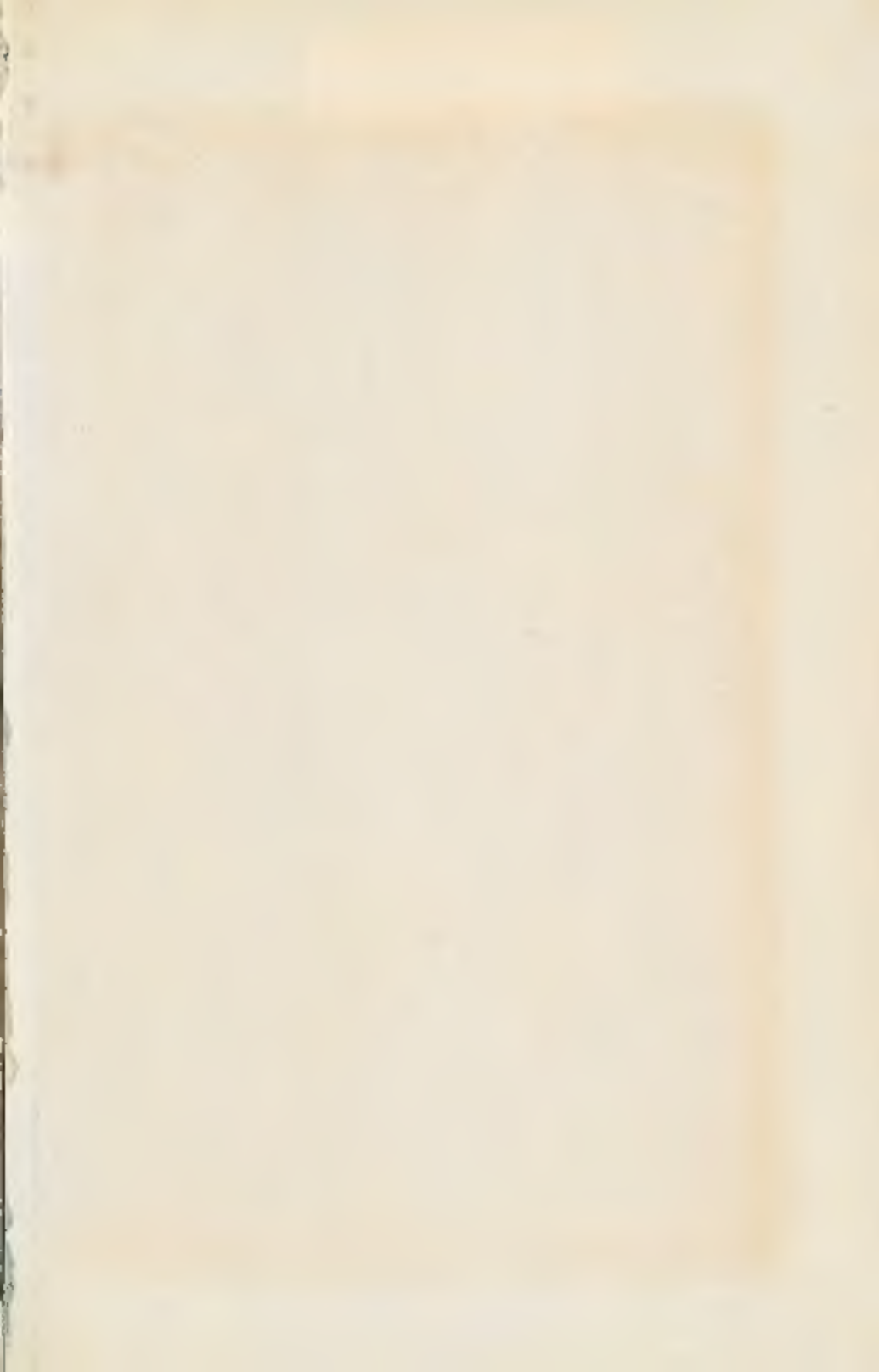


32101 058347376



نهضة الشعوب

الإسلامية



محمد حبيب أحمد

Handwritten text, likely a signature or name, in a cursive script. The text is written in dark ink on a light-colored background. The signature appears to be "John Smith" or similar, with a large, stylized initial "J".

نهضة الشَّعْبِ الإسلاميَّة

في العصر الحديث

زهير مقيس

محمد حنين أحمد

أستاذ التاريخ الإسلامي بالأهر

~~(Arab)~~

DS 36

. 8

x A 35

(RECAP)

حقوق الطبع محفوظة

١٩٥٣ - ١٩٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة الكتاب

في العالم الإسلامي اليوم نهضة ، بل نهضات ، في كافة نواحي الحياة . ونظراً لاتساع رقعة هذا العالم ، من المحيط الهادئ شرقاً إلى المحيط الأطلنطي غرباً ، فمن المسلم به أن يكون التعارف والألفة محدودين بين كثير من هذه الأقطار عامة والثانية منها خاصة ، اللهم إلا تلك العلاقات الرسمية التي تتركز في التمثيل السياسي والقضلي ، وبعض الصلات الشخصية أو التجارية بين بعض جماعات انفتحت أهدافها أو أفراد تقاربت مشاربها . على أننا نرى ، من مستلزمات النهضة الحديثة في هذا المحيط الإسلامي ، أن يتقارب أهله وأن يتراحوا . ولا سبيل لهذا التقارب والتراحم ، طالما كان كل فريق يحمل الكثير من شئون الفريق الآخر : شؤنه السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والعمرانية . كما نرى لزوماً على كل قادر في هذه الأقطار أن يساهم في هذا الواجب الإسلامي على قدر طاقته ، وفي حدود اختصاصه .

ونلبية لهذا النداء ، بل قياماً بهذا الواجب ، ووفاء بدين للإسلام ، في عنقنا ، نقدم بهذا الكتاب ، الذي لا يعدو أن يكون محاولة بدائية لتحقيق الغرض الذي نشده ، وأصابة الهدف الذي نرى إليه .

ونحن إذ نتحدث عن نهضة الشعوب الإسلامية في العصر الحديث من الناحية التاريخية ، لا نستطيع أن ندعي أننا سنوقى البحث حقه ، فكثير من مستندات البحث لا يزال في دور التبلور ، كما أن كثيراً من الحقائق التاريخية لا تزال تشوبها الدعاية ، فضلاً عن أن المبتسر من هذه الحقائق لا يزال قليلاً لا يفتنى .

وأيا كانت الحال ، فهذه محاولة قصدنا فيها إلى أمرين :

أما الأمر الأول فهو محاولة تعريف أطراف العالم الإسلامي بعضها ببعض ، أو بعبارة أقرب إلى الواقع ، تبصير قرائتنا العرب عامة ، والمصريين خاصة ، بشئ من أحوال العالم الإسلامي في العصر الذي نعيش فيه ، وهو واجب مقدس يمتشى جنباً إلى جنب مع المركز الرفيع الذي تبوأته مصر في العصر الحديث بين أقطار العالم الإسلامي عامة ، والعالم العربي خاصة .

أما الأمر الثاني ، فهو رجائنا أن يكون هذا الكتاب فاتحة لاهتمام الكتاب والعلماء بهذه الناحية من الدراسات ، فنحن في مسيس الحاجة إلى المزيد من المعرفة بشئون هذا العالم الجديد .

نحن في مسيس الحاجة إلى تعرف أحواله جميعاً :

أحواله السياسية : وكيف تسنى لبعض أبحاثه أن يتخلص من رتبة الاستعمار الأوروبي ، وكيف أن بعضه الآخر لا يزال يكافح كفاح الحر الأبى في سبيل بلوغ هذه الغاية .

وأحواله الاقتصادية : وما كانت عليه قبل هذه الحرب من استيلاء المستعمر الأجنبي على خيرات البلاد ، مهما تعارض هذا الاستيلاء مع مقتضيات القواعد الاقتصادية ، وكيف أن كثيراً من أنحاء هذا العالم أصبح يدير اقتصادياته بنفسه ، وعلى أيدي أبنائه ، ولخير المجتمع الجديد الذي يعيشون فيه . وفي ضوء هذا الترح قد يستطيع كل قطر إسلامي أن يرسم لنفسه سياسة رشيدة مع غيره من الأقطار الإسلامية ، على غرار السياسة التي بسستها في الاقتصاد سياسة الدولة الأكثر رعاية .

وأحواله الاجتماعية : وما كانت عليه من انحلال في عهد الاستعمار ،

ومن ههنا مثالية بعد الاستقلال . وكذلك تعرف الخطوات التي اتخذها كل قطر في مكافحة الفقر والجمل والمرص ، الأعداء الثلاثة التي كانت خليعة الاستعمار . وهذه الدراسات يفتى للأقطار الإسلامية المتحفة في هذا المصير أن تتدح خطوات من سبقتها ، وأن تعطي بأخطاء الغير ، فتقوم على نفسها مؤونة التجربة القاسية .

وأحواله العمرانية ومدى تقدم الذي أحضر به هذه الأقطار رسم سياسة وطنية للإشياء والتنمية ، سلا من لسياسة الاستعمارية التي كانت قائمة على الإفكار وتدمير

ولسا يدعى أما يستطيع أن يساهم بغير أو كثير في هذه المحوث التي لا تدح في اختصاصنا ، إنما أردنا على قدر طاقتنا أن نسه إلى الآفاق الواسعة التي يجب أن يساهم بها أبناء العالم الإسلامي من أعضاء إلى أقصاء

أما نحن وفي هذا الكتاب فسفصر الكلام على الناحية التاريخية ، بما يلائمها من حديث عن لناحية السياسية ، تاركي المحوث النسبة لرجل المر .

ورب معترض يقول ، إن المسلمين ولعرب عالمون بقصدهم وللسوا حاجه إلى من شرحها لهم . والواقع أن الأمر لا يصح على هذا الوجه . لا بالنسبة لقلة حشده من المسلمين ولعرب أم الأغلبية الكبرى من عرب هذا الوطن ، هو يتيمها إلا ما عليه الأسس الخطابي في الدفاع عن قضايا الإسلام وله به ذلك الأسس الذي يسبح في إثارة أحاديث في حالات خاصة ولغيره بحدوده

في حين أن قضايا الإسلام ونعروية بحاجة إلى رسمها على أسس منى هادى . نعيد عن الدعاية والتهيج ، حديث حير ونقى

وإلى رد تقدم كتاب هذا إلى من تعودوا أن يقرأوا إلى أنبار
وأقرر أنني أخرجت هذا الكتاب في مجلته هذا أساهيا ، وأن سكتاب
لا يعدو أن يكون محاولة منه أن تعرض فيها لموضوعات كتب وفيها
سكتيرون فأحسن منهم من أحسن ، وسكن عرضها جملة ، وأساهيا
تاريخي ، عمل لا يزال في المهد .

وكم يسرني أن يسعدني هذا سكتاب منقذ الرأي ، فإن الحقيقة كانت
ولا تزال وليدة سحت والمناقشة .

في كست قد أحسنت ، هناك فصل انه يؤريه من يشاء ، وإن كست
قد قصرت ، فالكامل بقه وحده .

محمد حبيب أحمد .

القاهرة في ديسمبر سنة ١٩٥٢

شُكْرٌ وَتَقْدِيرٌ

من انعمت نعمه الله ، الإله رب العالمين لدويته ، وأنا يد أسم
أصول ، هذا الكتاب إلى دار أسيل للطباعة ، لا أرى خيراً من أن
توافر الشكر وعظيم التقدير لكل من انعمت بأرائهم في هذا الموضوع ،
سواء أكان ذلك عن طريق المحادثات والمناقشات ، أم عن طريق قراءة
الكتب والمجلات التي عالجت الموضوعات التي نحن بصدد ها .

وكم تمت أن أورد في هذه الصفحة أسماء أولئك الذين كانوا عير
عون لي في هذا الميدان ، ولكن ما حيلني وهم من الكثرة بحيث أحشى
أن أذكر البعض وأن أعطل البعض الآخر ، فأبني بذلك إلى من كل
مهما على أن أعترف بعقله

في حضراتهم جميعا ، من ذكرت أسماءهم في ثناء صفحات لكتاب
ومن هاتئ أن أذكر إلى حضراتهم جميعا أقدم وحر شكري
وعظيم تقديري .

والحمد لله أولاً وأخيراً

المؤلف

مقدمة

العالم الاسلامي قلب وجناحان

قبل ان يحدث عن انعام الاسلامي من ناحيته التاريخية ، يرى المرء عذرا ان يعرض للعالم الجغرافية لهذا العالم ، حتى يستطيع لفهمه ، فانه احديب عن ناحية تاريخية ، بالتطبيق على انعام الجغرافية

وبدهى ان هذا العلم ، المتراعى الاطراف ، لا يمكن ان تجمع وحده جغرافية ، ولذلك رأينا ان نقسمه إلى مجموعتين ثلاث : قلب وجناحان

اما القلب فسألف من مجموعة الدول التي انطمنها حتى الآن ، جميعها الدول العربية ، وهي مصر واسودان ، في العرب من هذا القلب ، وفي شمال الشرق من هارة أفريقيا ، وسورية ، ولبنان ، والأردن وفلسطين في سماء هذا القلب ، وهي الدول التي تكون بها ، أفن لها ، التركي ، ولاية الشام ، وفي النصف الجنوبي من هذا القلب - ولنا الدولة العربية السعودية وعمكة بين ، أما الجزء شرقي من القلب فيكون من لعراق في لبنان ، وأما ذات الخليج بهارسي في الجنوب

اما الجناح الشرقي فيكون من دول ، إيران ثم أفغانستان ، ثم كسان (وكانت إلى عهد قريب جزءا من شبه الجزيرة الهنديه - ألح درة في قاح الإمبراطورية البريطانية) ثم إندونيسيا وتقع هذه الدول جميعا في النصف الجنوبي من هارة آسيا ، وتمتد من حدود العراق إلى المحيط الهادي .

أما اجتاح العرب قبائل من ليبيا ، وتونس ، والجزائر ، ومراكش
فأقسامها الثلاثة : الدوي ، والخاص للعبادة الإنسانية ، وكلاهما يشرف
على البحر الأبيض المتوسط والمغرب الكبير ، أو المنطحة احصاصة
للاستعمار الفرنسي ، الواقعة على المحيط الأطلنطي .

وبذلك تمتد الدول الإسلامية . الغرب والجنابان . من المحيط
لهادى شرقا إلى المحيط الأطلنطي غربا ، وتشمل نصف الجنون من
قارة آسيا ، والنصف التمان من قارة أفريقية .

وتشرف دولة الأفريقية ، ونصر دولة الآسيوية على لبحر الأبيض
المتوسط ، ويبلغ دورا خطيرا في سياسته كما يشرف معظم دونه
الآسيوية على امحمد المهدى في الجنوب . وقد لعب كثير من دونه
دور خطيرا في الراح لتاريخي بين روسيا واخترنا حتى هاية الحرب
العالمية الأولى ويبلغ اليوم دور أنند حظوة في الماسة الخوية
لصانته من المهدى . لشبوعه التي تعمل روسيا دائرة على نشرها ،
وهدى . ابعقه اطيح الى ، عم حمايتها اجلوا وأمريكا

على أ العامل اجعرا في لم كن - في عديونا - ساعدت الوحيد
على هذا التقسيم .

وبن عب ينضم مجموعة من الدول كانت في يوم من الأيام جزءا
من الاستعمار به من الدول العلية العمانية ، وقد أوجده دعوى
وهو فيه هي الدعوة للعروبة ، ما أسجته من عنة في السلاح من حرم
بها ، لعبه على علم بها من وحده من والمادة
مادة سبيل فهم صنعه كبره جميعه مدين عن في سلاح
مدم مكن بح صدي بمعد أمر به خشب و من بها مادة
معدلات لأن سود دوره حكومة لعم به مادة كها وشى بعضه

الفكر التي وفدت على هذا الجزء من العالم من مصدرين أو هي العقيدة
التركية في داتها ، وثانيهما اتجاه النظر إلى أيدضة التي عمت أوروبا في نصف
الثاني من القرن التاسع عشر .

ويتكلم أهل هذه البلاد — على كره أسم — اللغة العربية . إلا أن
اللهجة الكلامية تختلف بين قطر و آخر احتلاها بعدد قليل أو كثير
من اللغة العربية الصحيحة ، كما أن الآداب المكتوبة ، والمصطلحات
العلمية والأدبية والمكتنية تختلف بين قطر وآخر . ولعل هذه ظاهرة
الأخيرة من تحولات الاستعمار ، وما فيه من هذه الدول من أمسيات
تعاق كالتي في بعض أنحاء بلاد بريطانيا وفي بعض الأجزاء
في وقت كانت دماغه الثقافية بين احتلالها ومساو وعنده في
المستعمرات — على أشدها .

على أن ينظام هذه الدول في جامعة الدول العربية ، مصاف إلى
ساسة سادات ثماق فيها ، سكنى لها في استقلال عربي وحده ثقافية
وفنه ، كما سيكعمل لها المزيد من الانسجام السياسي وقومي

أما الجناح العربي فيستغنى بمجوسه من دول إسلامية في ما يحب
الإسلامي ، كما يشاء في استهدافها الاستعمار من مجموعته من دول
الأوربية التي تقام على تساحل الأوربي من البحر الأبيض المتوسط
وقد استهدفت لسيا للاستعمار الإيطالي ، واستهدفت تونس والجزيرة
للاستعمار الفرنسي ، واستهدفت مراكش للاستعمار من دولتينهما فرنسا
وأسبانيا .

وبإد جمع الدين الإسلامي بين هذه المجموعة ومنه العظام
الإسلامي ، وبالاستطیع ، إلا محوريين ، أن يقول بأن اللغة
العربية تعتبر جامعا شاعلا بين الجناح العربي ولقلب ، صحيح أن اللغة

لعرسة دحيت في هذه السلاسل مع انموحات الإسلامية وصحيح أن
دراسات لعرسة إردم في هذه السلاسل بين وقت وآخر فأخرج لنا
جامع لريتونة عماد مريسي ، في نلمه وادين ، وصحيح أن دراست
لعرية لم سكن أهل شأنا من الف والمغرب الأقصى وبلاد الأندلس ،
أيام أن كانت بها دولة إسلامية .

ولكن الأمر الذي لاس في ذلك هو أن اللغة العربية التي يتكلمها
سكان هذه الأقاليم قد طبع عليها موجه الاستمرار فاعادت بينها وبين
اللغة العربية التي يتكلمونها في مصغة ، العرب ، اللهم إلا في الذات المعينة
بالدراسات الأدبية والعربية و . رجعت إلى حب تاريخ لبعده
أنفسا أن العرب ، إبان انموحات ، نشروا لغتهم بين أهل السلاسل التي
صحوها . أما سكان الأقاليم المشرقة على الصحراء الكبرى ، فطوا شكلمون
لدهم بادية ، ومحفطون نصب لغتهم الصحراوية الأمازيغية ، على الرغم
من اعتناقهم الإسلام ، وحسن بلا كثير منهم في الجهاد في سبيل الله .
وفي بين هؤلاء هؤلاء ، قوم يكلمون لغة وسطا بين العربية
والأمازيغية ، فلهذا عليها في مرأكس اسم اللغة البدرجه ، بمعنى ندرجه ،
وحي لغة يحدث بها سواد السكان في المناطق الواقعة من الساحل المشرق
على البحر الأبيض وادي من مشرق على الصحراء الكبرى وخاصة
الندلس ولقرى التي تحتصها حد الأندلس

على أننا نسن في هذا الجناح في العصر الحاضر بهبه عربية مباركة ،
ورعه حدية في الأندلس ، العرب ، والإسماع في جامعه الدول العربية
أما الجناح الشرقي ، فيه قصة قائمة بذاتها .

صحيح أن هذه الجناح يتسجم مع بعضه البعض — لا أن يتسجم مع
بعضه شعوب إسلامية في أوحده أدبية إسلامية — إلا أن رونه

لا تجمعها جامعة لغوية ، ولا جامعة قومية . وإن جمعتها جامعة الاستعمار
في التخلص من المستعمر الأجنبي

في إيران ، يرى شعبا يتكلم اللغة الفارسية ، وقد ألزم الثقافة الفارسية
وتحسرها ، وهو شعب لم يستهدف إستهدافا مباشرا مساويا الاستعمار
الأجنبي ، وإن قضى أجيالا في مهبط العاصفة بين العود الروسي من الشمال
حيث تشترك الحدود بين روسيا ، وبين العود البريطاني من الجنوب
والشرق من الجنوب حيث كانت بريطانيا تسيطر على مقاليد
السياسة والإستعمار في محيط الهند ، ومن الشرق حيث كان الأجانب
يستعمرون أفغانستان وحدودها مشتركة مع إيران

أما أفغانستان ، فشعبها يحكم اللغة الأفغانية ، وهي وإن إحتوت على
كثير من معادلات اللغة الفارسية التي رحلت عنها في حجب بحسبة والمعادلات
متعددة ، إلا أن الأفغان يعرفون لغتهم ولا يسمونها بديلا . أما كيانه
السياسي فيستحق في أنه شعب متكامل ، إستهدف للاستعمار من طرفي مره
ولم يكن له ثمرة أن من عاراه هوجا ، أخرجت المستعمرين من أرضه
وهو لا يرضى إستقلاله الحديث سبلا مره كانت صفه هذا السبيل

في كسبها دونه حديثه جيد في تحيد الدول المستقلة . كانت
في عهد فرنسا حرة من مستعمره من ثم المستعمرات الفرنسية وهي
الهند . وقد كادح من خسارتهم ومنهم من أقيمت كاثولوا الاستعمار
الفرنسي . كعالمات عبد مصر مهجرين في العراق ، عار عافين عن
معالجهم الاستقلال حتى استقروا أن يبعوا استقلالهم من البريطانيين
إتراء . وسيل حروح الإتحيد من أحد ، رهاها المستعمر فرصة سببته
لتحقيق أمله المشهود في إنشاء دولة فائقة مدتها . يكون عالمية سكانها
من المسلمين ، ويكون دين الدولة الرسمي هو الإسلام . فكانت دولة

الباكستان وهي دولة ذات شأن في المحيط الإسلامي العام ، وحسب
قراؤها أول دولة ألزمت الإسلام في الدين والدولة معا .

إلا أن ذلك لا يمنع من تقرير أن دولة الباكستان لا تجمعها مدول
القلب ، بل لا تجمعها غيرهما المسلمات جامعة اللغة وهي دولة إسلامية
ولكنها نسب دولة إسلامية عربية ، وفي سبيل تكميل هذا الوصف ،
نذكر في هذه الدولة جهود في صياح اللغة العربية معصيا لحال الكلام بها
على أننا لن نستطيع التعميم عن البقية الإسلامية التي أدت
إلى حق الباكستان دون أن نعرض لتاريخ الهند نفسها ، فقد أفرحت
كل جهود الإسلام التي جعلت دولة الباكستان على أيدي وحدة
الفكر الإسلامي ما عهد أيام ، كما استحسنوا بالجدية الهندية .
ويخشعون للإسلام برضاه

أما أندونيسيا ، ذات الشهرة التي ذات شعوب الإسلام فقامت فيها
دولة إسلامية عامية ، التي لم يزل الإسلام في أيدي المسلمين
وهي تسعى أن تصبح مملكتها إسلامية أيدي الهولنديين ، بعد أن
كانت تحت حكمها أوغندا ، وذلك في وقت في تلك الظروف في
الجوهر سر في مملكة إسلامية ، حيث شهد هذا مملكة
أي حربه وهي ختمت مع هذه الإسلام في الإسلام ، ولكن تحت
سنة في لغة وثقافة ، وإن كانت تتفق مع الهند ، القرينة
في شيء من أحواله وبعض من اللغة .

عند هذا لا بد من أن نذكر أنه في من صفحات
هذا الكتاب .

وقيل أن يحدث عن بعض هذه الدول الإسلامية في نوى
أن تعرض لأربع الدول العربية خلال النصف الثاني من القرن
تاسع عشر . فهو مفتاح سراسة تفصيلية لشؤون هذه الدول . إذ كان
لكثير منها جزءا لا يتجزأ من أملاك الدولة . بينما كانت السلطة
الوحيه الممثلة من الاستبداد تشمل تمام بلادها من أمسها
إلى أمصاها



الباب الأول

الفصل الأول

الدولة العثمانية : بين الشرق والغرب

أهل الغرب لعنرون ، والعالم لإسلامي — من المحيط الهادئ شرقا إلى المحيط الأطلنطي غربا — في حالة يرثى لها ، فقد شطت السياسة الاستعمارية أعما نشوب ، وبدأ الأورسون يرسحون أقدامهم فيما أحلوه من النفاق في العالم الإسلامي ، كما بدأوا يتصاممون فيما بينهم على إقرار الحال الجديدة — حال استعما — مسيحية الأوربيين بدول إسلام في لغاريين الأفريقية و لآسيوية

وقبل أن نكلم عن هذه الدول الإسلامية ندر الاستعما ، يحسن بنا أن نعلم من حال الدولة العثمانية قبل الإسلام لتأصل وذلك الحين سمعنا أنهم لها ، حتى استطعنا أن نرجع الكثير من أحداث حال الإسلام في أسبابها الأصيلة ، ثم نمت نصله قرية أو بعدة إلى حال الدولة العثمانية في ذلك الحين .

الدولة العثمانية و سياسة الأوربيين

خرج لأتراك العثمانيون من أواسط آسيا ، ثم انجسوا نحو العرب رحلا أو هاجمهم ثم لم يلبثوا أن تسسوا لأصمهم دولة أوربية كان

مكتبة الملكة
الملك

محدد ذكر اسمها مصدر' فزع في فلوب الدول الأوربية . واستضع
 النعمانيون . في فرد وجيرة . أن يكونوا سادة المصن وأصحب لعمود
 الأول في المصن بشرى من القارة الأوربية . وعرف هذا المصن بالعصر
 دهني من ربحان عين وذلك حوالي سنة ١٦٠٠ م .

ثم تألت عليهم الدول الأوربية . واحتضمت طلبة المسيحيين على
 الوهوف في وجه اليار الإسلامي الجارف . فقصت المعاهدات .
 وتصاهرت القوى ، على أن تحول دون فتوحات جديدة

وكان من سوء حظ الدولة العثمانية أن ظهرت هذه الحركة الأوربية
 في وقت كان سلاطين آل عثمان قد انغمسوا في البرق و مسجودا لم يستد
 به كل فاتح مظفر من نعيم ، فوفقت الفتوحات الإسلامية ، وفتح النعمانيون
 ما تعرفوا به من فتوحات

وتقد ساس النعمانيون ملكهم احدهم في ثوباً ملباه لم يكن لثوبه
 في حانة من الاستمرار قاموا في يوم من الأيام جهاداً كثر
 من لمة ثقاتهم ولعنهم أو ديبهم في أملاكهم جده ، وإثنا رحل في
 الله بعض من ثروته على مسيحية ، أو رغبوا في الإسلام فتدبر
 بعض من ، ولم تأتساره الحق من من المسيحية . وكان من فرط بساطه
 من جانب الدولة في ثوباً مستصفاً كثير من ثوبه هو ، فعمدوا
 صاحب الدولة ليعده من حجت كنههم على سلاطه يدعون

وفيما كان حاكم الدولة يدور في عهده على هذا الجمع ، اندلعه
 حرب طبع شرده في يوم واحد من أحداث جسمه ، وودع
 شوار الفرنسيون مطالبهم بغير ممانعة "وودع" خربه ،
 ولاحقه ، واندوه

في الشرق ؟ أم إلى إنجلترا ، وهي أن ملكته حققت الروسية في البحر الأسود ، وفست على نفوذ روسيا في الشرق الأدنى ؟ أم إلى فرنسا ، وهي أن ملكته رجحت كفتها السياسية في حوض البحر الأبيض ؟

وحللاً لهذه المشكلة . اعقت الآراء على أن تظل تركيا
ملكاً لها من أورده ، بما في ذلك وعاري أبوسه وور
وندر ديل . على شرطه أن تظل ضعيفة بعيدة عن محور السياسة الأوروبية
كي لا يكون لها صعب فيها يجرى في أوردها من أحداث .

ثم كانت ثورة محمد علي على السلطان ، وبحاولته الوصول إلى الأستانة
ووقوف الدول الأوروبية في وجهه ، مما فيها صفة في سيا . وذلك صاع
مها بهذا الموقع المسار أن يرحل من يد سلطان اضعيف إلى يد محمد
على القوى .

إنك هي لسياسة التي جرت عنها أوردها في معاملة . فترجى
البريطاني . . وقد من أرجل مريضاً صعباً حتى أوائل القرن العشرين .
عندما تعلق نفوذ إنجلترا وفرنسا في اسلار الإسلامية . وهذا في الجو
الأوربي شبح المنافسة بين فرنسا من ناحية ، وبريطانيا وفرنسا من ناحية
الأخرى . فارت تركيا — أو حسن لها — أن تدخل على جبهة
ومرافها من الإصلاح ما تستطيع معه أن تقمى مع تيار المادية الحديثة
وها وجدده الألمان فرصة ساحرة للتدخل في شئون اندونه تدخلها إلى ردهم
عند قيام الحرب الأوروبية الأولى — أن تخلص عمارها إلى جانب
ألمانيا . فكان ذلك من نتائج الخطيرة على لعالم الإسلامي ما سذكره
في جبهه

الدولة العثمانية والشرق الإسلامي

انتهجت أقطار السلطان سليم الأول نحو الشرق ، وسرعان ما دلت له الشام ومصر ، وامتد نفوذ الدولة لتشمل الجزيرة العربية والعراق ، ومن أشرف الأفرنج للدولة بعد أحمد بن محمد ، ثم جاء أمراء سحر من الأكراد . وحدثت صارت الدولة لعثمانية مملكة لم يدم بمجموعة من الدول الإسلامية لعنت بها حوادث الأيام بعد سقوط الدولة لعثمانية في تعداد على أيدي الغزاة ، ففتحت أبوابها مستقلة تستعمل العنصر الجديد الذي حسنه وآياها وحدة الدين . وذلك يعطى كثير من المؤرخين سهولة إظهار استوحاش العثمانية في غير نقاره الأوربية

آل هذا الملك الشاسع إلى الدولة ، ثم آلت إليها الخلافة الإسلامية ، وكان السلاطين مصر بأكملها في سبيله الملك وحسن الإدارة ، كما كانت الدولة موفقة في كل موحاتها . وحدث لنس الإسلام نوياً قشياً ، وبدأ لعالم يخشى سولة هذه الدولة الفتية ، التي تكسح الدول عمالاً ، جنونا ، وشرفا ، وسربا .

وحدث ساعد على توطيد سلطان العثماني في آسيا وأفريقية عاملان

عمل روحاني وحراري

أما من الناحية الروحانية ، فبعض السلاطين سليم الأول قد آت إليه الخلافة الإسلامية بعد فتح مصر . وحدث أن العالم الإسلامي بالطاعة روحه للدولة الفتية ، واعر ، تسحب الخلافة إلى دولة موفقة في موحاتها الأوربية .

وقد عملت أخلافة أجيالاً في يد العثمانيين ، قوية شكية . بحرمة من المسلمين ، مرهونة من المسيحية . إلى أن دبت لصعف في جسم الدولة ،

كانت الخلافة تكأه يتيك عليها السلطان ، كلب أعورده الحيلة تهديد الدول الأوروبية بحرب دينية يشها على أوروبا وبشرك بها عامة المسلمين . وإلى هذه الوضعية رجع الفضل في بقاء الدولة مرهونة الجانب خلال القرن التاسع عشر .

وقد ساعد على توطيد سلطنة الخليفة الروحية ما كان به من سلطنة رسمية على كثير من فجاج العالم الإسلامي . فلقد كان عرب آسيا بأفله ... من البحر الأسود شمالا حتى بحر العرب جنوبا ... حاصعا للسلطان أما الشرق الأفريقي فقد عاوت سلطنة الدولة عنه ، فبين كانت مصر ومصر تونس حاصعتين للسلطان تمام كانت تونس والأجزاء حاصعتين له سبيا أما المغرب الأقصى فقد حافظ على استقلاله خلال رويته الفصح المركي ، أو تصاره أصبح ، ثم نعه إليه نظام الدولة مشر تحت إلى غيره من الأقطار .

وكانت الاستعانة في كل ذلك محمد ناصر الدين في مشايق الأديان ومعارها ، إليها فتح عبادة ورموه في كل صيف ، فقدموا للسلطان فروض البضاعة ، ويقدمون رجال أناس ماهايا ، ويحضرون صلاة الجمعة وحده السلام ، إلى عدد من مظاهر في كل الباب لعلى يفيها . سؤكده للأوربيين أن عدم الإخلاص ما من ينصر السلطان . وينطوي تحت لوائه

بين خبيثة لغتي ومسمى الهد

يتناول الأساء عباس محمود العقاد هذا الموضوع في كتابه الجديد . العائد الأعظم محمد علي فتح ، فيقول

والمسألة التي تصامت إلى جانبها كل مسألة من مسائل العالم الإسلامي

في حساب مسلمي الهند هي مسألة الخلافة الإسلامية . وكانت يومئذ في آل عثمان بالقسطنطينية .

فقد كان أمراء الهند أنفسهم يتصورون تلك الخلافة في الشدة ، ويضطرون إليها طرئاً إلى إخمالة لبابه من عز الإسلام ودونته الدينية . ومد عهد الإحلال البريطاني ، بوجه الأظار إلى سلطان آل عثمان وكان في طلبه المتوجّهين إليه سلطان منسور عن معرفة من سلطة حيدر آباد . وبه كتب إلى الخليفة يدعه حقيقة الخطر على الدار الآسيوية ، ويشدّه أن الخطر نابع من عها لا يحده في حوزة القسطنطينية ولم يكن في وسع الخليفة أن يحده بالعون الذي أراحه . فكتب إلى ناسيون يطلب هذا العون ، وجاءه الجواب منه بالنظر المدد في جنس جوار يضرب الدولة لبريطانية في مقتب ، وبغنى الطرفين في الحد من شاكلها

ولم ير أمراء الهند - فضلاً عن سواهم - أي خطر في الخلافة في القسطنطينية حتى التواهب بحكم خفاء السلطان عبد الحميد فسعى سلطان حيدر آباد إلى لوج من إحدى دوائه وولف في أسباب هذا لوج أنه روح سياسي ، مهم به السلطان إلى رعايته المسلمين في الهند على الألف . ولم يعمد به الإمامة على العالم الإسلامي بأمره

وم يتفق مسلمي الهند ما يصفه مكانه "لجنة" بهم في أنهم مسلمين الذين حكمهم الدولة العثمانية فتمردوا على حكمهم وعنت في نفوسهم دفعة لوططه على إزلال حكمهم بملوك سياسيين ، وحرحت في رأى الأكراد من أحكام ديارها ، بل كل مسلمو الهند يرون عصم على دولة الخلافة كلها شئت به أمكن من - حها - خارجها - ويسمون الثورات عليها أحداثاً إلى سائر الأساطير وعودة الدول الأجنبية بالشاوي وعودة الكاذبة .

مساوى الحكم العثماني

استجبت استعمرات الأسويه والأفريقية في جسم الدولة، وحسب
 نفسها جزءاً لا يتجزأ من، ودرجت مصرها ومصر الإسلام بحسب الدولة
 العناية. وكانت تكن لها من الاحترام والفاء ما لم يسبق له مثيل في
 تاريخ الفتح والاستعمار. ولكن الدولة كانت تعاني هذه العواطف بخاصة
 بفنائها كانت الولاية على مصر من الأقطار الإسلامية سلعة تناع واشترى
 في لياب العالي. وكان السلطان لا يكاد يذكر أن له دولة شاسعة الأضراف
 هي حصه الوحيد صد لعارات الأوربية المسيحية، إلا عندما يحدث
 عند أقاله وال ليحل عله جر عى أن مساوى هذه السياسة يظهر
 إبان عظمة الدولة، وذلك لسببين.

الأول أن الدولة كانت في ذاتها مرهونة اجناس، وقد جرت اعاده
 أن تحجب القوة العادية كثيراً من العيوب التي لا تلبث أن تظهر
 أبان الضعف.

ولثاني أن حقيقة الولاية عثمانين - في عصر أسولة الدهي - كانوا من
 الرجال امبريين، ولم تظهر الولاية الضعاف إلا عندما دب الضعف إلى
 جسم الدولة.

أما وقد قلت الأمام للدولة طهر الحين، واهضت الدولة إلى الدفاع
 عن كيانها بأداء ثورات السعاب، وما جرد بتأييدها من الجيوش المسيحية
 وطرق الصناد إلى ملاصق لسلطان الضعف. واهضت رجال الداب
 العالي إلى قصاص مدرهم خاصة على حساب سلطان المداعي، وصدرت
 مباحث أسولة تناع في الأسواى الخاصة ببيع السلع المسعرة، فقد لست
 الدولة حماية أن شاع وراء اسحر ملكا يحدد بكل سلطان قوى أن
 يعتز به، فما نالك بسلطان ضعيف

وقد ارتضى العالم الإسلام هذه الأوضاع ولعل السبب الأكبر في ذلك أن حجاجاً كثيراً كان قد أسدل على الشرق فلم يستطع أن يسمع بما يجري في أوروبا من حركات فكرية ، أو نهضات قومية . ولقد صدق من قال : ان الحجة لقروية أتت جاءت إلى مصر فخرجت هذه البلاد من طالبات القرون الوسطى إلى أصواء لعصر الحديث .

وثمة سبب آخر لا يقل في نظري عن السبب الذي سببنا تعللنا برصوح العلم الإسلامى لهذا الوضع . ذلك أن الدولة العثمانية كانت دمر الإسلام لما بقي غير سمير . ذلك تعلق العالم الإسلامى بأهداف الدولة العثمانية وكانت روح العصر تقضى على العلم الإسلامى أن يسمع هذه السياسة لأن قديم أية نوبة فكرية أو سياسية في أية أمة من أوجيه كانت مصر خرجت على معالم الإسلام كما كان يفهمها رجل تلك العصور .

ولم يشع للعالم الإسلامى فرصة لتفكير الحداثة الإصلاح إلا بعد أن شنت المسيرة في الأستانة ، وجرع فيها كل عهد ما شاء رعمه . هذه المسيرة أب سنوها في منه حاد لدولة ، يقويه للروح لقائمة في الأستانة

ركيا امتناه وحرب الاتحاد والترقي

كان الأحرار من الأتراك المشهورين في أنحاء أوروبا مد إيطاليا . دستور لعين سنة ١٨٧٧ على يد السلطان عبد الحميد ، يرفعون حال بلادهم لتعنه وهي تن تحت حكم جبار متعبد ، شديد على أهل البلاد . ولكنه غير قادر على - ره الأخطار على أرض المص . ولشد ما رادت لام نفوسهم عندما رأوا انهضاع محل مالدولة ، ونصيب روح الأمة . وكانت باريس وجيف مركزاً لهم ، ومنها أخذوا يشئون الدعوة لتحرير

ملادام ، وانتشالها من وسطه الخراب . وكان اعتقادهم راسخاً في أن
اصحاب رجال الجيش لهم صروري لاجاج حركتهم ، فأحدوا بثقون الدعوه
مرايين رجال الجيش على يد بعض ضابطه ، وألغوا من بينهم جميعه
تركيا الفتاة .

وفي اوائل سنة ١٩٠٨ ، قامت ثورة العمال الجدي ، إذ كانت اجود
الضمانية ملاد لعرب إذ ذلك مقمودة لنأخر دوابها . وكان الألبانيون
حائقين على الحكومة لأعمالها الاستبدادية في حين أن المسلمين في جميع
أحوا الدولة كانوا عاصين لندرج اندون الأوروبية في كريت ومقدونيا
لذلك أسر عت جميعه تركيا الفتاة دمل من كرها العام إلى ساويناك
مقدونيا . وها تألفت لجنة ونسبه من أنصارها سمع ، جميعه الانحاز .
وكان معظم أعضاء من حل الجيش ، وكان أشهرهم أبو بكر وداري
بث ، اللذين بوليا سر الدعوه من في مقدونيا والنسايه وماواشي
شهر بوابه سنة ١٩٠٨ حتى كان رعاء الأمان والجره الأكر من الجيش
في صفهم

وفي أواخر بويه ، طعت اجمعيه غير شوره استطاعت برهم
الاستيطان عند اخمد على إعلان الدستور . وإجراء الاتحادات لمحسن بياني
ومسالك عدة إصلاحات مهابه . نظام الجاسوسية الذي كانت تقوم
عنه حكومه عند بيد . وكذا بثره . زيادة على الصحف والمطويات ،
وتم ذكر هذه شوره في بعض النواحي من سر . ولا تحسن إذ لم
تشن فيها إلا بعض أنصار بشام أرجحي تقديم

وود فوس بك - هذه شوره لعمركم باسم الحركه في جميع أنحاء
الدولة . وشبهه في جده رومسور و مسجونين و في طريق وبعث
والنفس في الأكر من و ثورات كنهه كانوا مفسدين عرجين لاصحابهم من

حكومه لمرء الجائرة . وساد الوهم جميع العناصر لم يفرق بينها حسن ولا دين ، ونسب أنصار لمرء الجديد ، مام بالحكومة . وأحدوا بمصون على إصلاح حال بلادهم ، ووقع شأب بين الدول

وكاد لبسلا أن تحطوي ظل هـ لظام خطوب موقفه لولا أن اكتسبتها بعض المتابع من الخارج والداخل .

وقد تصعب الدول لأوروبيه الى الحركة الجديدة تقطع المدعور قتالمت ، وعلى رأسها الروسيا واعسا — على الحكومة الجديدة خلفت ها من المتابع مالا تصعب حكومة حديثه لكوي . تغلب عليه

أما في الداخل ، فقد أثارت العناصر النافذة على الحكم الجديد لثورات الداخلية في معظم أنحاء الدولة ، وزاد الأمر تعاقبا أن لجيش نفسه (وهو الجيش التي ظهر الإصلاح الجديد من به صفوفها) عاد فظهرت فيه موجة رجعية .

وقيل ان يقضى على الحكومة الجديدة عام كامل . دعمتها ثورة في لاسنة ، اشترك فيها رجال الجيش ، فحاصروا البرلمان واره الخريه ، وطلبوا إسماعيل الوزارة ورئيس مجلس النواب .

وفي أثناء الشعب الذي وقع ، قتل وزير الحفاية وجرح وزير الخريه ، وفر كثير من رعاها . الحركة ليجو بأرواحيم . ولكن هذه الحركة لم تعمر إلا أحد عشر يوما فقط ، تمكن فيها رجال الحكومة من القضاء عليها .

ولما كان من المعروف أن للسلطان عبد الحميد يد في هذه الحركة ، فقد جعلوه في ٢٧ اريل سنة ١٩٠٩ . وأجسوا على العرش أخاه محمد الخامس سلطانا دسوروبيا ناصر المهنة

امتداد الحركة الفكرية إلى أملاك الدولة

وقد كان لهذه الثورة من الأثر في العالم الإسلامي عامة ، شأن حظير .
إذ نهت الثورة في ذاتها أدهان المتكبرين في مصر وغيرها وتعتبر هذه
الحوادث مقدمة للهبة الفكرية في العالم الإسلامي

على أنه مما يؤسف له أن هذه الثورة ، التي نهت أدهان العالم الإسلامي ،
لم تستخدم الفكرة الإسلامية من الناحية السياسية بمقدار ما كان يحق
على يديها

ذلك أن رحل حرب الاتحاد والترقي لم يوفوا في حكم السلا . فلم
تحاولوا أن يشرخوا مبادئ الديمقراطية ، مبادئ الحرية والإحسان
والمساواة بين جميع الأجناس الخاصة لحكمهم ، بل كانوا أتركا قبل كل
شيء ، فأساءوا إلى العناصر الأخرى . وساءوا في سبيل المنفعة العاجلة
قصية كبرى هي قصية الإمبراطورية العثمانية . مما كان يد منها من استهوان
للشعوب المكوبة لها ، كما تساءوا قصية الإسلام ، مما كان يد منها من تراحم
ونفاق بين لقوة الإسلامية الحاكمة والشعوب الإسلامية المحكومة .
ولا عبرة بما يقال ده عا عنهم ، من أنهم قربوا رعايا المسلمين ، فاهم
إن كانوا قد قربوا بعض مهم ، هذه قربة تحت تأثير العوامل الشخصية .
ولم تكن فكرة الإمبراطورية تحركهم في ذلك ، لاني قليل ولا في كثير

الجمعية الماسونية

ويجدر بنا أن نشير إلى أن مبادئ حزب الاتحاد والترقي كانت في
إيمان هتة هي نعبها مبادئ الجمعية الماسونية ، وأن كثيرا من أعضاء
الحزب المتزعمين لسماسة العلماء كانوا أعضاء في هذه الجمعية . كما كانت
الأمانة في عهد السلطان عبد الحميد ، تعج بالمخالف الماسونية ، على الرغم

من الجهود التي كان لسلطان يسدها في اصطهاد هذه المخافل . وصيد
المنسبين إليها

ويعرى نجاح الحرب في ثلث مبادئه ، وسم سياسته ، إلى سرية التي
تسكنف الماسونية في جلساتها ، وإلى إيجاز التي يسمي كل من يتنسب
إلى هذه الجمعية عند انتسابه ، إذ يسم على ألا يوح بما يدور في داخل
المخافل ولو كان ناقصا .

ومثل ما انتشرت المخافل الماسونية في الأستانة في ذلك الحين ، انتشرت
حسوسية الباب العالي ، وكانت الحرب عذرا بين اعرافيين ، ولكن العمة
كانت للماسونية .

وكانت الجمعية ماسونية حلقه الاتصال بين الأساقفة وملكاتها العربية
على الأقل . ذلك أن مصر والشام كانت قد أحدثت في إنشاء المخافل
الماسونية ، وتعارف الإخوان فيهما إخوان لهم في الأستانة ، وعملوا
جميعا من المبادئ الماسونية الحرة ، والآباء ، والمشاركة فارتفع
سلك الخواجر بين الحركة الماسونية برية في الأستانة ، والماسونية العربية
في مصر والشام .

ومن أمثلة المبالغة في التحق الماسوني في الأستانة ما قصه عينا صديق
عاصر هذه الأحداث ، من أن أحد المخافل في الأستانة كانوا يدخلون إليه
من باب حانوت لهدال رقيق الحال ، لا يشبه في أن له علاقة بالماسونية ،
وكانت الجلسات تعقد في حجرة داخلية من حانوت البديل تحب حمايته
ورقابة الطريق من حانوته .

الفصل الثاني

تركيا الحديثة

انتهت الحرب الأوربية الأولى بانتصار الحلفاء (دول الحرب ومهما
أمريكا) واهرمت دول الشرق (ألمانيا و النمسا و تركيا) وعقد صلح فرساي
ومن بعده معاهدة سيفر وفيها مرقّت أوصال الدولة العثمانية شر ممزق .
فأخذت اليونان ترافيا وجروا بحر الأرجيل . وتناقلت إيطاليا واليونان
إلى ساحل تركيا في آسيا فاحتلت اليونان أزمير ، وتألقت لجنة دولية
للإشراف على القسطنطينية والمصاييق ، وفرضت رقابة للحلفاء على ماله
الدولة وبذلك استحالَت الدولة العلية إلى سدة صغيرة متعادلة ، تحت
حماية الدول ورعاها

وكان السلطان لا يمي في ذلك الوقت إلا عرشه . وحيل إليه أن حيز
وسيلة تمخض له العرش هي إرضاء الحلفاء . ولا سيما الإنجليز

لم يرو ذلك في نظر نطل التاريخ ، تركي الحديث مصطفى كان . وهو
صابط بالجيش انضم إلى جمعية الاتحاد والترقي سنة ١٩٠٦ (وعمره إذ
ذلك ستة وعشرون عامًا) ويعرف على رعاها أمثال أبور وباري وحاج
وضعت ، غير أنه كان يراهم رجال أقوال لا رجس أفعال ، ولما رفعت
الجمعية لواء الثورة سنة ١٩٠٨ لم يشتر فيها إلا ما يرقه ما احدث لها من
الاعداء . ولكن أبور وبحث . وقصص الرعاها لاتحاديون على مقابيد
الحكم ، فقام مصطفى كان بتمهيد سياستها عدا . لاسيما ندحن الألمان في
أخص شئون الأتراك .

وما دارت اندائره على الألمان والألمان . واعتبرهم لاء لعصا الحلفاء .

فيهم ، حرج مصطفى كمال إلى الأناضول ، وأثار أهلها على حكومة السلطان والحلفاء . وعندئذ أرسل إليه يستدعيه إلى الأستانة ، فأرّق مصطفى كمال إليه يدعوه ليتولى معه إقناذ بلاده .

واجتمعت كتلة الوطنيين الأناضول على الدود عن كيان بلادهم ضد سياسة الإدلال التي رسمها الحلفاء .

وفي ٢٤ يونيو سنة ١٩٢٣ . اضطّر الحلفاء . بأزاء ما بين لهم من حماسة الأتراك وطوائهم . إلى إعادة النظر في معاهدة سمر التي عقدها معهم السلطان . واجتمع مؤتمر لوران ، وأسمر عن معاهدة لوران ، وبها استبعاد الأتراك الأستانة وكل ما كانوا يملكون في الأناضول ، وتراقيا الشرقية بما فيها أدرنة . وجمعت عنهم العرافة أحرية . وذلك الدول عن امتيازاتها في تركيا .

وقد كان صهور مصطفى كمال على مسرح السياسة التركية وصلاحي عهدين . عهد كانت دولته حصة فيه تخرص على نقد . أملاكها الإسلامية في أفريقية وآسيا ، معبرة بهذا التراث شرقي . وعهد اتحت فيه الدولة إلى المدينة الأوربية وثقافة العربيه . وضرت المؤلفات التي تعالج الوسائل التي يمكن بها إصلاح تركيا وتحديد سياسها

ومن بين هذه المؤلفات كتب مصطفى كمال ، الذي وضعه بكتاب الكبير . فليل آرم . ويصير الكتاب عن آراء مصطفى كمال في كل بواحي الحياة . فهو يصف العقيدة الأوربية بأنها ارتقائية ، وأنها تنفق مع حاجات الحياة الحديثة . وتؤدي إلى سعادة الناس ، وإبها باهضت رحا ندين ونعائهم الجمعه . وأن بيان ما تقدمت إلا لا تهجها أو سائق العقيدة لأوربية . أم تحميمه الآسيه ، فهي جمعه جميعه . لا تعمل لهذه لدنيا من الدمار الأخيرة . لهذا أدعيت لرجاء الدين . وم تحاول أن تعرف

كبه الخفاف في الحياة الدنيا . حيث لم تفسد الدون الآسيوية يد ما من الفقر
والنعاسة . وهذه لعقلية هي السبب المباشر في سوء النظام والفقر وانتعاشه
وعادت بقييحه كنعده الروجات . والعقبة الأساسية هي التي جعلت
الأثر في يعقدون أنهم عبد السطان — ضل الله في الأرض .

وخل الله في الأرض م يمنح عبده إلا فقر والجوع وانعاص
لأملات واستجداء العرب

ويعول المؤلف أن ركنا لا يمكن إصلاحها سفل أجراء من الخصارة
لعربية من سفل الخصارة عربية مأكلها . وإصلاحها من الخصارة
الآسيوية . من التحارب التي تجريب في العاصي للتوفيق بين الخصارة
قد أسفرت عن العشل

فلا عرو ن يقود الأثر . ورائد هم بث الفسحة . ما يعلل شامل
بالعلاء سلطه ثم إنشاء جمهورية ثم إلغاء الخلافة ووضع صفة تركيا
الحديثة بالدون الاسلامي التي كانت تدور للسبستان مولا . والوحي .
وقد أخرج الحقيقة من الأساسه وم يعص لإلحاحيه فلا من بعض أهل
لرحيله وبعد يومين أحق به أمراء آل عثمان وميراتهم وعلفت لتكاي
وأخرج من فيها سمعوا لأفسهم وبلادهم ، بدلا من أن يعيشوا فيها
عيالا على غيرهم

وأدحت المدينة عربية فوجدوا اللباس الكي . واستبدلوه بفسحة
الطربوش .

وألغوا حجاب المرأة . ومحوها ما لرجل من حرية في المنزل وفي
الصرب وفي العمل ، وصار من حق الالتحاق بمجالس البلدية . واستحب
من أدانة في مجلس ندى الأستانة . وعين من قاصيتان في أنقرة .
ووقعت مقبولة (شقيقة مصطفى كمال) إلى جانب أخيها تعاضده في كل أعماله

واستدلت التشريعات القديمة بشرعات جديدة فاقنص قانون
المدنى السويسرى ، و قانون تجارى الألمانى . والقانون الجنائى الإصلى .
وتعير نظام الأسره لتركىة إذ حرم تعدد الزوجات .
واستدلت الحروف اللابيه بالحروف العربيه فى الكتابه ، وترجم
فى ن من اللغة العربيه إلى اللغة التركىة وكتب ماكتاتبة الجديده .
وشجعت الزراعة برشاء المقامات ، وشجعت الصناعه بتاساع سياسه
احايه الحركيه ، وسنت قوانين تفيد الاجابات فى تجاراتهم فى تركىا ،
و قصر بعض المهن كالمحاماة والطب على الأتراك

وهذه هى العقيدة الحديثه فى جمهوريه تركىة من وجهة النظر
الحكوميه . إلا أن حقيقة شعور القوم قد تختلف عن ذلك فى قليل
أو كثير فقد حدثنا كثيرون من رادرو مصر من الأتراك أن العقيدة
الإسلاميه راسخه فى نفوسهم . ثم نستطع المظاهر الحديثه أن نقضى عليها .

الجمهوريه التركيه والخلافة

نشر المرحوم الأستاذ حسن شريف . فى سنة ١٩٣٩ فى اعدد
الخاص الذى أصدره دار اعلال عن : لعرب والإسلام ، مبالا
بعتوان : تركى المسله ، ومصطفى كمال ، والإسلام ، وقد بحث فى هذا
امعان موضوع الخلافه من وجهه انظر لكتابيه قال رحمه الله
كان للخلافه لإسلامه حصرا ومعناها ، يوم كان الخليفه يحكم
المسلمين فى جميع نطاق الأرض ، ويدفع عنهم كل اعتداء . ويوم كان
مسلمون فى جميع نطاق الأرض يدينون للحسمه بالطاعة والولاء .
ويهرعون إلى نصره بعضهم تحت لوائه كلما برأتهم مارتة ، وحقهم بلاء .
ثم تفرقت وحدة الأمة الإسلاميه . وعرفت هذه الأمة شعوبا لمصفا

مستقل وبعضها الآخر يحكم بالأكجى . فقدت الخلافة حظها ومعناها .
وتم يبق منها إلا لقب احتفظ به سلاطين تركيا آل عثمان .

ولقد أساء الخلفاء بعد يونس حمل نو . الخلافة الإسلامية . فسقطت
عبيد الخلفاء من أعين المسلمين وأباحت مغزلتهم . وبانت الخلافة سلطه
صوريه مؤونه لا تكسب صاحبها حفا على المسلمين . ولا تعرض على
المسلمين واجبا محرم . اللهم إلا رعاها يدي يعله حكام المساجدين صلاح
أجمعه . فيعت عليه المصون بقولهم آمين

وقد أورد مصطفى كان أن أوروبا المسيحية لم يكفها ما صار إليه
سائر الخلافة من الاحتلال . وما أصاب مقام الخليفة من الضعف
والوهس . وأنها صلت رى في ذلك اللب أبوهم معاصمنا تحدث إلى
ركيا قلوب المسلمين ويحبها عظمتهم وأما ما فنت لهذا تسبب تكيده
للدولة العثمانية وترهقها بالذبح من الحرب وسقط خوف الدسائس
السياسة رجاء أن يحورها من الوجود .

أدرك مصطفى كان ذلك . ورأى الدليل عنه في سلسلة الحروب
العثمانية التي لم يقطع أوروبا عن شهادها على تركها . وه في الحرب
الصليبية التي أعلنتها عليها دول الشرق بمعاونه دول أوروبا الكبرى
سنة ١٩١٢ ثم رآه في احتلال الخلفاء عديده تقصده طيبيه والبراعين
عنف انتصارهم في الحرب الكبرى وفي تحريرهم ليونان عن احتلال
الأتاتورك . الذي م يقده من أنديهم إلا نور الكمايين عليهم في
معركة سقارب .

ولقد أيقن مصطفى كان أن بقاء كرمه لخلافة في تركيا سيظل يحرق
عليها نفة أوروبا في المستقبل . كما جرها في الماضي . وأنه سيصل من ثم
مصد متاعب عده لدولة المصططه المسوكة . متاعب لا حد لها ولا نهاية

ثم فكر في قيمة لخلافته نفسها وهي على حالها الراهنة وهل نستفيد
 منها تركي شئاً وهل بعض ما تعارفه بسببها ، قد يجد لها فائدة ، ولم نر
 فيها فائدة .

✕ وجد أن المسلمين اليوم ، وإن كانوا على دين واحد ، شعوب مختلفة
 الأجاس والأصول ولغات واللهجات ، بعضها مستقل كأيران
 وأفغانستان ، لا يعترف بالخلافة إلا انغلويين . وبعضها يحكم بالآجسي
 بسائر هذا الآجسي في سياسته مهما كانت موجه ضد الخلافة والإسلام
 والمسلمين ، كما هو الحال في الهند وطرالس وبواس والجزائر ومراكش
 وبلاد السعد . ثم استذكر الماضي بقریب . فرأى أن كرسى لخلافته
 لم يجمع حول تركيا قلوب المسلمين كما كان مضروباً ، بل رأى أنه لم يدفع
 عنها اعتداء مسلمي الهند ومصر والشام وأخبر يوم حاربوها في
 صفوف الخلفاء . وطولوا يحاربونها من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩١٨ حتى
 كادوا يفصون عليها لولا أن لفتت بها المعادير

وم يجب عن باله ما يذهب إليه الكثيرون من أن المسلمين لو تركوا
 لأنفسهم لبقوا على ولائهم للخلافة . ولما ماضوا أعداءها عيباً . ولا
 مسوها سوء . ومن أن مجرد قيام الخلافة في تركيا يكسب هذه الدول
 هيبة في نظر لعالم الذي يفتخرها فائدة شعوب الإسلام . وتستطيع أن
 تصح هذه الصيغة لصحة في كفتها عندما يقام لحكومتها ورن بين
 الحكومات . كما تستطيع أن تنشئ حكام الجامعة الإسلامية التي يترعها
 الخليفة كلها جيداً وتنفذت الأمور . نعم لم يجب عن باله شيء من
 كل ذلك . ولكن ما قيمة تلك الاعتبارات انهمية أمام الحقائق العينية
 والواقع المشاهد ؟

والذي نستطيع الأهم الإسلامية أن نعبد به تركيا ، مدام المستقل

من تلك الأهم لا يمتري بالخلافة القائمة فيها ولا يقرها ؟ وما دام عبر المستغل منها معونا على أمره ، يسير شعارتها فلما أرادته الأجنى المستعمر على أن يسر ؟ وما الذي استطاعت الخلافة العثمانية وهي في أوج عزها وتكال قوتها أن تصمد به الأمة الإسلامية ، حتى يظف منها ليوم أن نحمل الإسلام والمسيح ، وهي تكاد لا تهوى على حماية نفسها إلا بالاجتهاد ؟

ولو أن الخطب وهب عند حد انقضاء الإلهاده والاستعداد شال على مصطفى كمال ، ولأنبي على ذلك أهكل العظمى الباقى من الخلافة ، ولكن الرجل ذكر أن هذه الخلافة ، فضلا عن كونها مصدر مباحث تركية ومبعث حقد أوربا عليها ، قد صيغت الزوره التركيه بصوره سباسة إسلاميه عامه أنشأها فوميتي ، ورجت في مبادئها لاعمى هدف فيها ولا مآرب وورع شالها وجودها على أنوام لا يشاطروها خبا ومصائبها .

وذكر أنه بينما كان يحاكي مبادئ الأنابول في سبل إنقاذ الوطن من أيدي العدو والمغير ، وضعت قواته لسلطنه والحداده ، كان الحلقه الساس وحيد الدين ساهص هذه الجهاد وبدر ومائل إحصاه ، ويحكم على القائمين به بإعدام ، ويهوى سكان عن مؤررتهم ، ويحتفى بالإخيه وسلمهم عاصمه ملكه ، ويمكن منه في احتلال البلاد

و كما أن لا نجاح للحكم الجمهورى ابدى أقامه في كماله عنى نهضت السلطة العثمانية ولا إداره أم شر الدساتين والمؤامرات ، وتفرع مشروعات لإصلاح والمومس بالدولة عتيبه وأيقن به ما دام على عرش الخلافة أمير من آل عثمان ، وخطر على جمهوريه هتم وأخذ منه واجب ولقد رأى عتيبه بو ذر الفرقه والافهم سبيل إلى وحدة الأمة واتجره ، عما عمن أن بعض كبار الرعما من زملائه في انجود مشان رؤوف ك والمكتود عدنان ، يحفون بالخليفه عبد المجيد ويؤكدون له ولاهم .

ورأى أن عصره الجديد قد أصبح مسرحاً للذرائع والمكاند والمؤامرات
وملقى لأعداء الحركة الكالة والحكم الجمهورى من أروى وأكر د فق
نسيم مصطفى كمال عندما جمع ثورتهم عليه ، ورجال سياحين بعدتهم
سعادات العهد الجديد والا-وا بالعصر ميسون فيه سعادات العهد القديم
وأمرأه وورراء سباهين وباشاوات وأماء وياوران وريشفايين
وأعوات وحجاب لا عيش هم إلا فى ظل السلطنة ، وقد عصمت بهم
الريح لى همت من تهمه . وأدعاء الدين ومشايخ الطرق بصوفيه
وهداوش وسكان سكانا وغيرهم من الطيفيات بنى جعلت شعارها طول
الحي وكر نعماتهم وقصصه انبروحات وجعلت تجارتها التفتيش والشعائر
وعبادات والإفتاء على غير علم ، والوساطة بين الله ولبس

إزاء كل تلك الاعتبارات التى تعدد مستعجل الأمام وأمن الجمهوريه
وسلامة الدولة ومشروعات الإصلاح ، لم يجد مصطفى كمال بدا من العمل
لخلافة فائدها . معاً من أعلى من أحسن إلى على ((إياه فى اليوم الذى
ذكر الأمم المسنة حاجتها إلى الانصواء تحت لواء واحد هو لواء الجماعة
الإسلاميه ، وتستطيع أن يوحد مصالحها وعيائها وجيودها وقيادتها .
وتقف صفها واحد مرصاً أمام أعداء الإسلام ولظالمين فيه ، فى ذلك
ليوم فقط ، يجوز لنا أن نمسك فى إعادة لخلافه الإسلاميه ، وعدده
سبع ميسون حليفه لرسول الله كما كان الحفء الراشدون يتحدون))

رأى المعفور الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى

كتبه لنا فى صيف سنة ١٩٣٨

لما لا شبهة فيه أن إقامة خليفة لمسلمين يعد واجبا دينيا ، وهذا قدر
مفق عليه . وإن كان هناك خلافات بعد مبنى فى أمور تفصيلية

وهذا ما عرّف الحبيبة عبد المجيد ، وأخرج من تركيا ، اخضع
المسلمون في ذلك ، ورأى بعضهم أنه لم يعر ، بإخراجه من تركيا ، وحبست
قصة إدارة ذلك ، فقرر علماء الأثر أنه خرج عن الخلافة لعجزه عن إدارة
شئون المسلمين . وعقد مؤتمر الخلافة في مصر . وكان جلاله الملك فؤاد
رحمة الله عليه يرغب إيدادك في الخلافة . وقد عرض عليه المرحوم
سعد زعزلوع ، ناشأ أن يبايعه إيدادك . ولكنه رفض ذلك لاعتبارات
وحيية .

ويجب أن يعلم أن مسألة الخلافة إسلامية محضة ، لا فصل للمسلمون
أن يتدخل فيها أجنبي عن دينهم . سواء أكان التدخل إيجابيا أم سلبيا .
كما يجب أن يفهم أن الحبيبة حاكم مدني على أساس قانون الإسلام
طاعته واجبة ، ومحالته معصية . وهذا هو الوضوح الذي يجعل المسألة
دعوة رعاية سفة ، لأن سدة الحبيبة ليس سدة با روحيا محض ، بل هو
سلطان زمني وروحي .

ولا شبهة في أن الوضوح السياسي الآن للبلاد الإسلامية يجعل مركز
الحبيبة ، فيما إيدادك يحدده واحد للبلاد الإسلامية ، وصفا نيب عن
قواعد الإسلام الحرفية ، فمسألة سبونه التي يتصورها لسطاء
وعلماء الأثر لا يجب عليهم هذه الحقيقة . وهم في عني أن يسهوا
إليها . لأن القواعد التي يدرسونها يكني فهمها لإدراك كل ما يحيط بالمسألة
من مشاكل .

وعما هو يدعي عند المسلمين من الخلافة لا تورث ، وقصة كتب
العثمانيين لعب الخلافة من مصر قصة لا يعرفها الإسلام ، وقد نسجت على
قواعد الجهل لا قواعد العلم . ولا يستطيع أحد أن يدعي ملك لعب
الخلافة ، ولا أن يملك أحدا هذا اللقب . فالخلافة سلطة تمنحها الأمة

الإسلامة لمن تريد ، والذي يملك منها هم قادة الإسلام وورثاؤه وصحاب الكلمة والعمود الذين تدعمهم غيرهم ويفتدى بهم . ولا طريق في الحقيقة إلا هذا الطريق . وهو ما يسمى نبيمة . وهناك طريق آخر هو أن يعبد بالخلافة لمن بعده . وهذا الطريق لا يتم إلا برضا الأمة . ولو أن الأمة رفضت هذا العهد . لما كان هذا العهد قيمة

على هذا الأساس يجب التمسك به . والأورنى لا يدرك هذه الحقيقة جيداً كما أن حمور غير المتعديين من المسلمين لا يفهمها جيداً

ومن هذا يكتر الخلط حول هذه المسألة وعلى الرغم من كلمات تسمع هنا وهناك بشأن عارء الخلافة ، فإن المؤولين في الأذهان لم يظهر رأيهم حتى الآن . ومن الواضح أنهم يفهمون جيداً أن الأمر أمر المسلمين جميعهم . لا أمر الأمة المصرية وحدها .

لكنى لا أظن أن هذه الموضوعات التي سسدت عليها السار ، لأنه موضوع جوهري حيوى . فالمسلمون على عدد بلادهم وحكوماتهم ومداهم أصبحوا يشعرون بوجوب عقد صلات بينهم . وبوجوب وجود جهة توحد جهودهم في التلمية والثقة وفهم دينهم على وجه الصحيح . سواء أكانت هذه الجهة التي توحد جهودهم خلافة تكون حقيقة دينية في بعض بلاد الإسلام . أو تكون رمزاً للحقيقة في بعض بلاد الأخرى ، أم كانت هذه الجهة محسباً إسلامياً عالياً تمثل فيه بلاد الإسلامية تمثيلاً صادفاً يختص بأسحت في أدواء المسلمين وعلاجها

والفصل في هذه من حق المسلمين جميعهم ، لا من حق بلد واحد أو أمة واحدة .

الهند والحلافة

بعد الحرب العالمية الأولى

يقول الأساد عباس محمود المعاد في كتابه الجديد ، انفاذ الأعظم محمد على جناح :

« كانت لحرب العالمية الأولى ووقع ما وقع من الاصطدام بين تركيا و بريطانيا العظمى في مصر و العراق مباشرة ، وفي الأقطار الأخرى من طريق الدعوة أو تحريض الإمارات الوطنية بحريه العرب ، طموحاً إلى إقامة دولة عربية واحدة تضم إليها الأمم العربية التي كانت خاضعة لسلطان بني عثمان .

وعند ساسه الإخير إلى تحويل الأمر على مسعى الهند ، ناره فهو هم أن حنة على تركيا إى حمة على حماة تركيا لغناه الدين اعصوا سلطان الخيفة وجعلوا الخلافة العوي في أيديهم وبراؤوا من العصية الإسلامية تميراً عنها للعصية الطورانية ، فدفعوا العرب ثلاث دفعات إلى حياة العصية العربية زعماء أمير من سلالة بيت الرسول و ناره يهودون الأمم على مسعى احمد بتوكيد اليهود هم أن بريطانيا تعتمد على تسير دولة الخلافة ولن تسمح بتسليمها في معاهدات الصلح بين الصامعين فيها

وبما انعقدت معاهدات الصلح ، حلت آثار مسلمي هدى وعود الدولة البريطانية ، وأبغوا أنهم حذعوا وسيبوا إلى معونتها في عدم دولة الخلافة وتمريض مشائها وأعلن زعماء المسلمين أن مسألة الحكمه بريطانيا في الهند سياسة قد انعقدت أواها ووجب فصلها ، لأن هذه الحكومة قد خلت عهودها لمسلمين وللمهميين في لشئون ادبية وخطيبية وانتهز عاصي الفرصه فجعل مسألة الخلافة من المسائل الأولى في برنامج المؤتمر وراح مع الأخور محمد على وشوكت على يهوديون بحاء الهند شهيدين الحرب

على الحكومة معتنين الاتحاد من جميع الملوك على حريتها وروصن
التعاون معها .

ويدل على مدى انقلب لدى رهم نفوس المسلمين في احد من جراء
سياسة البريطانية مع الدولة لعناية أن تكونا من مسلمي الحدود حجرو
الارهم وهدوا إلى بلاد الأتباع ليعيشوا في ظل حكومتها الإسلامية وأن
مولانا محمد علي قند في ترك و فلسطين ومصر ليجمع كله نثر والعرب
على استئناف الخلافة . والاعمال على تأسيس دولة اتحادية . ضم إليها
طلاب الإستقلال في غير سبادة لقوم من الأقوام على قوم آخرين
ويين اشد نعى مراجعها ناشورة والمقدمة الدينية . . . وانفاؤه
الإيجابية مارة أخرى . لا تعطى كان يدمى الخلافة وسى حاتم الحنف .
الغريب من القسطنطينية .

وينحدث الأستاذ عقاد عن أثر إلغاء الخلافة في بحريات الأمور
السياسية في احد عامة وفي الدين الإسلامي خاصة . ويعدد ك موقف
القائد الأعظم محمد علي جناح من مسألة الخلافة ويقول
« كان جناح من مبدأ الأمر يؤمن بصياح الجيود التي بيد في احد
تأيد الخلافة العثمانية »

فما عذرت جيود المسلمين نحو د إلى الداخل . كان أصبح الرعاء لتوجيه
ذلك اجبه درعيم يحصر جيوده في بلاده . ولا يسر نفوذها لمن يتحدون
مسألة الخلافة وسيله لتناورات انسياسة . ولم يكن تصاعر حرب المؤتمر
ورعاء المسلمين على نصر خلافة الإسلامية إلا مبادرة من مبادرات التي
لا سيما طمع جناح . ولا تدخل في عكبره ولا في سعوره .

وكان اجتمع الحواطر على استقلال المسلمين بدولتهم في احد نتيجة
طبيعية لقنوطهم من عمن شيء باجمع في الخلافة العثمانية بعد أن على عمادها
وستحل ذلك واصحا عند الحديث عن دولة الباكستان

الجمهورية التركية وشرق الإسلامى

يقول الأستاذ محمد رفعت ، فى كتابه « التيارات السياسية فى حوض البحر الأبيض المتوسط » :

ثم انتقلت تركيا إلى لشرق ، وكانت علاقاتها مرصية ، بدون التى استعملت عنها ، كبلاد العرب والعراق ومصر (وباسمبول التى كانت قد انقطعت علاقاتها الروحية بها) كأيران والأفغان . ولم سؤها أن ينقص عنها الشام ولبان وفلسطين وشرق الأردن تحت انهداب بختار وروسيا فقد جاهدوا جميعا كما جاهد السكاليون . وكانوا لأجل استقلال بلادهم والتخلص من ربة الحكم الأجنبى . وبعد أن كانت هذه الدول بحرية ولايات أو أمارات أو ممالك فعيرة متعالة متأسرة لا يؤبه لها كثيرا . أصبحت فى مدى حمة عنبر غاما . فحصل بهساتها الثقافية الاقتصادية دولا منسية محترمة مرموقة الجاهت تؤمن باستقلالها لسياسى والاقتصادى . وتحسب الدول الكبرى حسابها .

وبعد ذلك ألم الحنين بتركيا إلى لشرق ، وعادت بها الذاكرة إلى ساس مكانتها فى قلوب المسلمين ، وأحست فى قرارة نفسها بأن الشرق هو صحرة الأمان التى يجب أن تنود بها تركيا إذا اكتمر الجوى العرب ولعت بوارق الحرب حول المطمعة الخطيرة فى المصايف التى تسيطر عليها . وسكن كريات الترك وكرامتهم أتا عليهم أن يعترفوا بالحقيقة كلها ، ففردوا أن يكون اتحادهم شرقيا صرفا ، لا اسلاميا ولا عربيا . فوقفت علاقاتها مع إيران الجديدة ، وجعلت تسمى بالصلح بين ايران والعراق وأفغانستان وأخيرا تم تأليف ميثاق سعد آباد فى سنة ١٩٣٧ بين تركيا وإيران والأفغان . وكان الأمل مفعوداً باشتراك مصر والدولة العربية السعودية فى الميثاق .

على أن ميشافى سعد آياتم يكتب له أن يكون ذا أثر فعال في مستقبل الأيام فقد أعار الخلقاء في الحرب العالمية الثانية ، على إيران وحاولوا أن يتحدوها طويلاً إلى روسيا ، ثم تنحرك تركيا وبقاء لهذا الميثاق ، بل أثرت الحجة التي أحدثت نفسها حلال هذه الحرب وعندما قام رشيد على الكيلاني دورته في بغداد فاضطر الميثاق ووصى العرش إلى العراق . نظرت تركيا إلى الحوادث وكثرت لا تعنيها في قليل أو كثير .

وبعض الأسرار مخدوم على سلوك تركيا بعد الحرب العالمية الثانية فيقول

« ولكن ما كادت تنتهي الحرب لعالمية لثانية ونظروا بواحد البراع بين تركيا وروسيا ، حتى عاد حين تركيا إلى الجامعة الإسلامية ، وبدأت تنحسر على الجاه والعمود الديني الذي كان لها في الماضي وبفصله استطاعت وهي حبيدك الدولة الضعيفة المتحاذلة ، أن ترعج روسيا وسائر الدول الأوروبية المسيحية . وهم يكون جاهها وتأثيرها ليوم ، وقد تعددت قواها ، لو أن معها أصوات مئات الملايين من المسلمين الباهمين في كل مكان ، والذين كانوا يديرون لتركيا بالخلافة .. »

الباب الثاني

سهم ج

الفصل الأول

التقضية الفكرية في العالم الإسلامي

فل أن معرض للحديث عن النهضة الفكرية في العالم الإسلامي يحسن
سأن معرض لبعض الأمور التي تقتضي دعامة للبحث .

حظ كثير من بين العامة الإسلامي والعلماء العرب ، ولهم في ذلك عدد
العالم الإسلامي ولقد الفوهات الإسلامية التي هم بها العرب والدين
الإسلامي دعامة لهم ان وقد رل بلان عربي والمسلمون يؤدون الصلاة
بالله العربية مهما كانت لغتهم الأصلية . ولذلك اعتمد كثير من على ارساط
الإسلام بالعروبة هذا الارساط الوسيط بأعوار العروبة في الإسلام أو
عروا الإسلام بالعروبة . ولم يعرفوا «بهما» على أن الأمر يحتاج إلى ما
العروبة

جرح العرب من قبل الجزيرة العربية إلى ما حولها فالحسن سهم
«الإسلام» فلما فتح الأمصار أحدها كثير منهم وطما جديد هم
وأصبحت على مر الأيام بلادهم ووطنهم الدائم أما من البلاد الأصليين
عد دحل في دين الله منهم من دحل . وكاوا يتصمون إلى العرب لهاحسن
ويدخلون في خدمتهم . ويشجعون معهم انهم ارا يشوكتهم . واحتفاء في
جاءهم وقد طلق عليهم العرب اسم «الموالي»

ومما قل في سياسة العرب أراد المولى من أعضاء وأرءاء بن عبد
وخر أو لماسة أو أخرى ، ثم لا شك فيه أن قصة الولاء في صدر
الإسلام كارت من الناحية الاجتماعية — فيه حقائق تعبر الحكمة
بأنهم أراد شعباً لمحكوم على أساس يحلف عن يعرفه لعصر الحديث من
قصة الأسير الذي يقترن برفع المستعمر من مستوى المحكومين
وهو من مصلحة المستعمر الأوربي الأنفس على غيره من الأجانب
والألوان والأقوام والشعوب .

في ضوء هذه العلاقة بين احكام والمحكوم في صدر الإسلام . وعملاً
 بكتاب الله وسنة رسوله في تحديد العلاقة بين العرب للناخبين ، الشعوب
 التي أسلمت لهم واعتنق أهلها الإسلام . سأب العرب مدكاً جديداً هو أنه
أن ليس لعرب على عجمي فصل إلا بالتبوي ، وسادت مساواة بين
 المسلمين مهما اختلفت جنسائهما ، فانضم جميع في وحدة - ثنية - هوامبا
القرآن وسنة .

ولما كان القرآن قد دل على عرق ، وكذلك كانت أحداث الرسول
 كلها باللغة العربية ، فقد حرص على غير العرب أن يدرسوا اللغة العربية
 توصلوا إلى فهم دينهم .

وكانت الدواوين في الأمصار المفتوحة في صدر الدولة الأموية
يكتب باللغة المحلية - الرومية في الشام ، و*العراقية في العراق* ، و*القبظية*
في مصر — فلما كانت خلافة عبد الملك بن مروان ، نقلت هذه الدواوين
إلى اللغة العربية ، وكان ذلك تأكيداً لسياسة العرب الأمصار .

وبذلك نرى أن اللغة العربية كانت منذ فجر الإسلام اللغة السائدة
 في الأفقار المفتوحة ، من العراق شرقاً إلى مصر غرباً ، ومن جبال طوروس
 شمالاً إلى المحيط الهندي جنوباً . وهذه هي الدول التي اصططح على تسميتها

باصول العربية . وإن كانت في الواقع - هي اصول التي تكلم اللغة العربية وهي التي انتظمتها في العصر الحديث جامعة الدول العربية .

وإطلاق هذه التسمية على الاقطار التي تكلم العربية لا يستتبع أن يكون الإسلام هو الدين الوحيد في تلك الاقطار أو بعضه . فأنا نرى في لبنان (مثلا) بلدا يكلم أهله العربية عن سكرة أسهم ولكنهم ليسوا جميعا من المسلمين . فإذا اعربناه سدا عربيا وفقا لهذه لقاعدة . فبنا لا نستطيع ان نعتبره إسلاميا بكل ما في لسانه من معنى .

وإذا طبقنا هذه القاعدة في شمال الأفريقي . استطعنا أن نقول أن أقطار هذه المنطقة أقطار إسلامية حكم أن لغالبية ساحقة من السكان مسلمة . ولا يستطيع أن سمها عربية خالصة ، لأن اللغة العربية ليست لغة سائدة في هذه المنطقة بأملها . بل إنما لا تعدو الحقيقة إذا قررنا أن اللغة العربية لا يكلمها أغلبية السكان . فهناك إلى جوارها لغة وطنه ودينه هي اللغة العربية . وإلى جانبها لغة تعتبر وسطا بين العربية والعربية هي اللغة لدارجة .

• •

على أن أمر العربية في طننا ليس مجرد اللغة التي يكلمها سكان . فقد يذهب بعض المتطرفين إلى القول بأن القطر لا يكون عربيا إلا إذا كان أهله من العرب لا من يتكلمون العربية .

وإذا حاولنا تطبيق هذه لقاعدة . وجب أن نرجع إلى أصول الشعوب التي يتكون منها كل قطر ، فإذا استطعنا ارجاعها إلى أصول عربية كان البلد عربيا ، وإلا فلا .

ولا سبيل إلى القول بأن العرب هاجروا من أروهم فاحتلوا بلدا

كالعراق أو مصر فاجلوا سكانه الأصليين عن بلادهم ، وأخرجوهم منها كتهمة
وأقاموا مكانهم . وجاءهم وبائهم . وتنازلوا ونجسوا شعباً عربياً خالصاً .
فليسبت هذه جنسية لأهله .

وإنما ترى أن العرب كانت لهم في أجاهلية ، مارتان على حدود قفرة من
مدولس لفارسية ولرومية . أقاموا فيها عرباً خالصاً لم يتزوجوا من
الفرس أو الروم ولم يزوجوا . وجاء الإسلام وأحفظ العرب الفاتحين
دخل الأمم المفتوحة ، واهتموا بفرصة الزواج من الأجانب . ولم يكن
ذلك قصراً على الدهماء . ومتوسطي الحال بل بعداه إلى أرقى لبيات
العربية وهم الخلفاء . وبذلك نشأ جيل جديد يحفظ في جسده وليكنه عرق
في لونه . ويمرور له من أحب هؤلاء أجيالاً كانت دور أسلافها وتماخر
بحسب بلاه أئمتهم وأجددهم في سبيل الإسلام ، ثم رادوا على ذلك
فتدخروا بأصوهم بعامة . واعتزوا أنفسهم عرباً من هؤلاء . من لا يزال
يماخر بأنه ينتمى إليه ، إلى التي عليه الصلاة والسلام أو إلى أصول
حماينة . ومنهم من سماه عروبة أصبه حسب .

فهل لنا أن نعثر من هذه الأقطار عربية ؟ الواقع أنه من فيس تحميل
الشيء ما لا يحتمل أن تسمى هذه الأقطار ، لهذا السبب وحده . أقطار
عربية

وهناك رأى ثالث يقول بأن لعامة الجغرافيين له أكبر الأثر في تحديد عروبة منهم
معنى ، لعروبه ، فالأقطار العربية في نظر أصحاب هذه النظرية ، هي التي
تتكون منها الجزيرة العربية ، ولا يدخل في هذا نطاق ساحل شام ولا
سواد العراق . إنما يدخل فيه منطقتان صحراويتان هما يقابا أمار في أنماذره
ولعسانة ، ويخرج أصحاب هذه النظرية ، من دوائر العروبة ، مصر
وما وراءها عرباً (ليبيا وتونس والجزائر ومراكش) ويعتبرونها دولاً
أفريقية ، لا علاقة لها بالعروبة .

وفي تقديرنا أن العروبة لا تقاس بمقاس واحد من هذه المقاييس ^{صحيح}
ولا تقاس بمقدار واحد من كل من هذه المقاييس كلها بل أنها نتيجة لمزيج
من عوامل الجغرافية واللغوية والوراثية مع تقدير لمدى تمتص
عطر . خلال حقب التاريخ نصفه الحديث في ركاب الحركة العربية
استعداد هذا لعطر نلست في العصر الحديث في ركاب الحركة العربية
عنها وما لها .

هنا أختل واحد من هذه المقاييس احتلت مئة سنة العطر في لعروبة
فنا يرى في فلسطين وما يحذرون من أصل عرب . واخرين اختلف
تسويهم ما بين عربية أسيوية وبين مصرية قديمة . ولم تسطع أحقاب
الرمس أن توفي بين العريقين . وراى هذا العرفه أن العرب يدينون
بالإسلام . ويدين غيرهم باليهودية . وبذلك تقارب العادات والتقاليد
فأنقسم هذا العطر . لصغير في مساحته إلى عريقين متباينين عرب ويهود
وتقارب المصالح والأمان والأهداف بين العريقين أصبحت عروبة
أو وطنية . فتباد العريقان . وطلت هوة تناسل تنسج حتى صارت إلى ما هي
عليه في العصر الحديث من مشكلة استعصى حلها .

وفي لبنان اعتر المسيحيون في وقت من الأوقات بنسبهم إلى نقايا
القبليين ، فتقارب مصالحهم ومصالح العرب المسلمين ، ولكن اهوة بين
عريقين لم تكن من العنق بحث نظير بالأمان الوطنية لقومية . ثم
جاءت الموجة العربية الحديثة فشمط للعريقين . فأصبح لبنان بدأ يبالغ
في الإعتزاز بعروبه . في حين أنه في الواقع لم تلعب فيه العروبة الأصلية
والكها لا تسود . وتسود فيه العروبة العاطفية . متأثرة بوحده المصالح
والأهداف .

الإسلام

الدولة الإسلامية المثالية هي تلك الدولة التي تنوام فيها الشروط الآتية :

أولاً أن تكون العالبة الكبرى من سكانها من المسلمين وأن لا تمتنع فيها الأقلية غير الإسلامية . إن وجدت إلا عما نصت عليه الشريعة الإسلامية من الحقوق ، مقابل الامتثال لهدد الأقلية ثانياً أن يكون الدين الرسمي للدولة هو الإسلام ، ينص عليه في دستورها ، ويبايع رئيس الدولة على أساسه ثالثاً أن تكون التشريعات السائدة في الدولة مطابقة كل المطابقة لقواعد الشريعة الإسلامية في كافة جوانبها رابعاً أن يكون عمال الدولة ، على مكره أميهم ، ممثلين صادقين للروح الإسلامية صامداً لا يسمح لهم من لقانون في ذاته وقوانين على تنفيذه هذه هي المواعيد التي تقوم عليها الدولة الإسلامية المثالية ولنا أن نتساءل أين نحن من مصر وحدها بل في العالم الإسلامي بأكمله ، من هذه الدولة المثالية ؟

بل نوحى على نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه . فأسس على مبادئه روحه إسلامية صالحة ثم جاء من بعده الخلفاء الراشدون فسبحوا نهجه في سياسة الأمة الإسلامية ، ثم لت دوفة خلفاء راشرين . وحدثت من بعدهم الدولة الأموية فبرزت هذه الحدود ما استطاعت . ولكن عليها على أمرها أمور مفسدة . منها العنصرية أميرية ، ومنها حب الخلفاء نوريث الملك لأنهم وأحد البيعة هم في حكامهم . فترخ عرش الخلفاء ما بين حقيقة يرى صلاح دينه خير من صلاح دينه ، وآخر يرى

شيت دعائم هذا الملك الديوى له ولأولاده من بعده وبعد أساليب الحكم عن الروح المثالية للإسلام

ثم اتسعت الفتوحات الإسلامية ، وعين خلفاء اولاية على الأقاليم . فكانوا يصبون في تعيين الأكفاء مرة ويحفظون مرة ، فابتليت الأمصار بولاية لا يذم من حرد الدولة الإسلامية المثالية ، فاحتلت مقادير الأمور

ثم جاءت الدولة العباسية . فتبته متحمسة للمثالية الإسلامية في عصرها الزاهر . ولكنها لم تلبث أن لعب بها يد الأقدار فتوالى على عرش الخلافة خلفاء آثر الكثير منهم عرس الدنيا على ثواب الآخرة ، فاحتلت الموارد ، وتطرق الفساد إلى الإدارة الإسلامية فاحتلت بالانقسام الذى يسمونه فى التاريخ الإسلامى بالبرعات الاستقلالية .

ظهرت الدويلات ، ونافس بعضها بعضاً . وبارل بعضها بعضاً ، ودبت الشجاعة بين دول إسلامية فى جوهرها . فغارب المسلمون بعضهم بعضاً . ثم ظهرت خلافة إسلامية جديدة ، سافس الخلافة الإسلامية القائمة سكان العباسيين يحكمون فى آسيا ، والفاطميون يحكمون فى أفريقيا ، وصار ولاء الدويلات للحليفة محل مفاصله ، ومزايدة ومتافسة . بين خليفة العباسيين وخليفة الفاطميين . وبذلك اتسعت اهوة بين المثالية والواقعية فى الإسلام .

وما زال أمر الدولة الإسلامية فى مهب الريح حتى طهر الأتراك العثمانيون ، وفشت عليهم الجريرة العربية ولشها الأفريقى . وساسوا أمور هذا العالم الإسلامى على مبع أن اتفق مع الدين الإسلامى فى مظهره فقد كان بعيداً عنه فى مظهره .

ثم قامت بهمة الأوربية الحديثة ، وجاء في كتبها لاستعمار الأوربي
لأهص للشرق الإسلامي ابراكه . فولى الأمر في دول الإسلامية
أقوام لا يأهون للإسلام ، لا بل يباصوه بعهده . وتحدل المسلمون
و استعدوا للاستعمار الأوربي المسيحي . وحس هم افس المدييه
عربية والأحد . سألت الحكمة الأوربي ، وإذا بالعالم ، للإسلامي بأكله
يصنع مستخدماً لهواعد وقوانين تبعده عن أمثاليه الإسلامية بعد السماء
عن الأرض . وصبر من بين أسماء المسلمين ثوم يحسمون للتشريع العربي
المسيحي . ولا يأهون للتشريع الإسلامي . لا يفضيلاً لتشريع على آخر .
حل علماً بتشريع وجهلاً بآخر .

وظلت الحال على هذا إلى أن اسعرت السياسة الاستعمارية عما كانت
نظن من عزم أكيد على أماء القومية الإسلامية . والمثالية الإسلامية
التي كانت سباً في عزو أوربا في القرون العشرة من شرق وعرب .

وعندئذ نه الوعي القومي الإسلامي عند المسلمين . بعد أن اشتدت
عليهم وطأة المستعمرين . وراحوا يصكرون في الخلاص ناهيه من دن
واستعمار . لا من ناحية السياسية لحس . بل من ناحيتين الدينية
والاقتصادية كذلك .

وتمشت الأمانى لسياسة مع الأمان الدينية والاقتصادية جنباً إلى
جنب . وكافح المسلمون عن كيافهم و طرفوا أبواب المؤتمرات السياسية
والمنظمات الدولية يطالبون بحقوقهم المعصوبة .

وفي خلال ذلك ، ظهرت في العالم الإسلامي بهمة دينيه منطقي أن
المسلمين ما اعدوا إلى الهوة لتي اعدوا اليها إلا باستعادهم عن تعاليم
دينهم وأن في هذا الدين من لم ايا ما يكمن لأصغاه لعبة على كل عائق .
وتدليل كل صعب وقهر كل مجالده .

الشرق والغرب

في مصطلح التاريخ

ظهر الإسلام في الجزيرة العربية ، ثم امتدت الفتوحات الإسلامية وشملت كثير من الأقطار يقع بعضها في شرق الجزيرة العربية ، وبعضها الآخر في غربها . وقد اصطلح المسلمون على تسمية البلاد الواقعة في شرق الجزيرة بالشرق ، فسمت هذه البلاد من دار الخلافة أم نصيب . أما البلاد الواقعة في غربها ، أي في النصف الأفريقي ، فقد تعارفوا على تسميتها بالمغرب ، وسموه إلى قسطنطينية . ومغرب قسطنطينية وكان المغرب يشمل لبلاد التي على مصر على شاطئ البحر الأبيض المتوسط وهي ليبيا ، تونس ، و الجزائر ، أما مراکش فقد أسموها بالمغرب لأقصى نظرا لموقعها في أقصى الغرب من الساحل الأفريقي الذي فتحه المسلمون .

ثما في نظر لكتاب المؤرخين و الجغرافيين ، فإن الشرق يمدى من ليبيا (التي كانت تعتبر في نظر المؤرخين العرب من بلاد العرب) ويمد حتى يصل إلى حدود آسيا شرقية امتدحه على المحيط الهندي . وقد قسموه إلى أقسام ثلاثة أدنى ، وأوسط ، وأقصى . فليبيا ومصر وجزيرة العرب والشام تعتبر كلها في نظرهم شرقا أدنى ؛ واندلس وإيران وأفغانستان والمهند تعتبر شرقا أوسط ، ثم يطلق اسم الشرق لأقصى على ما بعد ذلك شرقا فشمل الهند والصين وجزر الهند والصين واليابان .

ولأمر ما . حدث في أواخر الحرب لعالمية الثانية سنة ١٩٣٩ أن قسموا الشرق إلى قسمين اثنين أوسط وأقصى . وقد سمع عن الشرق

الأدنى . وجعلوا الشرق الأوسط يقتدى . حيث كان الشرق الأدنى يقتدى . وينتهى به أن حيث يقتدى . شرق الأقصى فشمس لما كنت . والهد وما بعدهما إلى اليابان . ولما بعد هذا سمى في تسمية تعيلا ، اللهم إلا أن يكون لصر ورات الحرية عند اخفاء . (دول الديمقراطية) قد اقتضت أن يكون هم في الشرق فبدلا من فبدلا ثلاث قسموا الشرق عسكرا هذا التقسيم ثم عنت هذه التسمية .

وقد يكون من محسن الصدفة أن الأقطار التي أطلق عليها اسم الشرق الأوسط كلها أقطار عربية ، وما عدا إيران . وأن الشرق الأقصى أصبح تضم البلاد التي لا تتكلم اللغة العربية .

أما ما كان يسمى لغرب المغرب والمغرب الأقصى ، فقد أطلق عليه الأورسون اسم لشمال الأفريقي . وهو لا يشمل . نصيحة حال ، مصر ولو أنها تقع على الساحل شمال هذه العارذ شأنها شأن بقية الدول التي يسمونها بالشمال الأفريقي .

أما ملكة ليبيا فهي مازجة ، في معبرهم ، بين الشمال الأفريقي والشرق الأوسط .



ولا يفتونا . في هذا المقام ، أن نذكر أن نقطة الحدثة في البلاد التي استهدمت في الماضي للاستعمار الأوربي قد أوجت أن تتكثرت الدول الشرقية وأن تفتح فيها نهجا عاما أطلق عليه اسم «سياسة الشرقية» ولكن هذه التسمية قد تجاوزت المعنى الجغرافي لها فصارت سياسة لشرقية تشمل الشمال الأفريقي على الرغم من أنه ليس من بلاد الشرق والسبب في هذا التجاوز في التعبير أن هذا الشمال الأفريقي تجمعه «الشرق

وخاصة الشرق الأوسط ، وحده المدين واللعنة ، كما أن الأهداف مشتركة بين الشمال الأفريقي والشرق ، تلك الأهداف التي تلخص في مقاومته المستعمر الأوربي والخلع من يده

أما تركيا ، فهي في نظر سياسته لأوربية دولة شرقية ، تحكم موقعها الجغرافي بالنسبة للقارة الأوربية . وهي في نظر الدول الشرقية اليوم دولة لا هي بالشرقية ولا بالعرية فهي لا تعتبر دولة شرقية في نظر الدول لشرقية لأنها رسمت لها سياسة لا يمكن أن يقاب لها شرقية ولا تعتبر دولة عربية لأنها ممتزجة مع دول العرب عام الانسجام في سياستها فقد اشتركت في يوم من الأيام في ميثاق سعد اباد وهو ميثاق شرقي . ثم عادت مشتركة مع دول العرب في حلف الأطلنطي وهو حلف عربي ، وأصبحت تدور في فلك الدول الأوربية بصفة ، أو بعبارة أخرى ، في فلك الدول الديمقراطية

ومما يحدد الحديث عن الشرق والغرب ، بأنه يحدد ما أن تشير إلى ما يسميه هذا المصطلح في تقاربه الأوربية نفسها

في حوض البحر الأبيض . عندما ظهرت المسيحية ، كانت الدولة الرومانية قد سادت من حياض خمسة قرون كانت خلالها سيده البحر الأبيض المتوسط غير متنازع ، وكان الرومان ساءه الشعوب التي سكن هذا الحوض ، فلما ظهرت الدعوة المسيحية عما تطوى عليه من مساواة بين الناس ، اعتبرها أباطرة الرومان دعوة مهددة لكيانهم ، إذ أنها تقوم على المساواة بين الناس ، وهو مالا يرضاه الرجل الروماني العادي بله الامبراطور .

لذلك انبرت الدولة الرومانية لمحاربة المسيحية حربا لا هوادة فيها ولكن عجلة الرمن دارت . واعترف الامبراطور قسطنطين بالمسيحية في

سنة ٣٢٤ م . وبعد ذلك نست سنوات أسس الامبراطور مدينة
انسططينية ، مكان بزنطة القديمة ، وجعلها عاصمة ملكه يستطيع منها أن
يدوم مكافحه لتقدم الفارسي في آسيا ، ولأن بعد عادت القسطنطينية

ومنذ ذلك الحين أصبحت الدولة الرومانية إلى قسمين عربية
وشرقية . ففي الغرب سادت امعة والثقافة اللاتينية وتكررت السلطات
في روما . وفي الشرق سادت اللغة والشعيرة اليونانية وتكررت السلطات
في انسططينية

وما انهارت الدولة الرومانية القديمة على يد (اذوكر) رغم
التيه من في سنة ٤٧٦ م ، عرلت الدولة شرقية ، وطست في عهدها حتى
كانت أيام الامبراطور جوستينيان (٥٢٧ - ٥٦٥) فاعتزم أن يعيد
للدولة وحدتها ، فقام فائده بيساروس ، خلال السنين الاثني عشرة
٥٣٣ ، ثم عرجه به إلى جبهة صفته فاجتبا ثمة من حووب إيطاليا
واحتل نابلي وروما ، وعادت إيطاليا إلى حظيرة الدولة الرومانية الشرقية .
أما أوروبا نفسها ، فقد عرفت التقسمة إلى شرق وغرب ، وكان
لمؤرخون الأوربيون يطلقون لفظ الشرق على كل ما وقع شرقي الخط ١٥
من خطوط القبول الذي يفصح ألمانيا الحالية نصفين ، كما يطلقون لفظ
لغرب على كل ما وقع غرب هذا الخط .

ثم جاءت انصوار الحدة ، فاجتمعت أوروبا إلى معسكرات ثلاث ،
لأسباب اجتماعية وعسكرية . ذلك أن المادى الديمقراطية تركزت في
الدول الواقعة على المحيط الاطنتلى . وتركت المادى الشيوعية في
روسيا في شرقي لقارة ، وفيما بين الديمقراطية في لغرب ، والشيوعية
في الشرق . ظهرت المادى الاشتراكية في ألمانيا . ومنها انتشرت إلى
إيطاليا ، فانقسمت بذلك القارة إلى معسكرات ثلاث شرق وأوسط

معرفة ، فكان الشرق يسمي ، وساوايون بقي تدور في ملكها ، ويشمن
البحر دولتي ألمانيا وإيطاليا وكان يسمى بحور روم - رلين ، و حرب
وشمل فرنسا وبلجيكا وهو نداء والجرير ايريطانية .

وبما يجدد بنا ملاحظته أن آسيا ، وهي من الدول الواقعة على
المحيط الاطلنطي ، وكان المطلق يقصص أن تكون من دول الغرب ، احدثت
الاشراكية شعار لها ، فكانت بذلك أقرب إلى بحور روم - رلين منها
إلى دول الغرب .

ولما انتهت الحرب الأوروبية الثانية ، سهرام ألمانيا وإيطاليا أن
تكتسب بحور روم - رلين ، عادت أوروبا إلى الانقسام إلى معسكرين اثنين
بمصلهما خط الطول ١٥ شرقاً ، صحت ألمانيا الشرقية بدور في ذلك
الشيوعية ، وتدور آسيا الغربية في تلك الديموقراطية وادارت إيطاليا
إلى المعسكر الديموقراطي أما آسيا فلا تزال على ما كانت عليه من
الاشراكية ، الحرب المستط على معاديرها هو الحرب الاشتراكية المسمى
بالمالايخ

الفصل الثاني

دعاة الإصلاح

بينما كانت الدول الإسلامية في العصر الحديث ترى الواحد بأساليب العرب في التشريع والإدارة ، إذ بها ميقن من سباتها على صوء جديد من المعرفة يؤكد أن في التشريع الإسلامي ، وأساليب الإدارة الإسلامية ، عناء عن ذلك العرق ، فخلت أبدي جده به المستعمر ون طهرت هذه البقعة في لشرق لإسلامي على أبدي مجموعته من كبار رجال الفكر المسلمين المخلصين .

يقول الأستاذ أحمد أمين في مقدمة كتابه ، عماء الإصلاح في العصر الحديث .

بدأت أوربه سيقصص منذ حروب الصليبية وشي . ها حصاه جديدة ، مؤسسه على العلم والخبره . وتقدم في مصاعه . ويدهون عليها امدل من اكتشفها أمريكا وعياها . وحتج وتنفق في انصم الحربه على اساليب جديده . ونسى . الأساطيل بصحمه . حتى إذا شعرت بقوتها هجمت على شرق آلالها وأستحتبها واحتراعاتها . فتساقطت أقطارها في يدها . وكانت برا دحت فخر صططت عليه بكل قوتها . واستعده مصطلحها . وأجرب فيه الأمور على هوها . فكان من حرا . هذه الصعطان أحد وعي الشرق يستعطف . وطموحه ثوبت . وكان من طبعه هه أن يتقدم تصوف رعماء للإصلاح . يشعرون ، لآلام شعوبهم أكثر مما تشعر ، ويدركون الأخطار المحيطة بهم أكثر مما يدرك . ويهكرون ، لتفكير لعميق

فترد رسيه

في أساليب الاداء ووصف الدواء . وكل مصلح ينظر إلى المرض من زاويته ،
ويدعو إلى مداوانه حسب خطته . فكان من ذلك مصلحون محلحون
ودعوا إلى الإصلاح في أنظارهم على حسب شهيم وثقافتهم ومراجعتهم
وكل قد أبلى بلاء حسناً ولا في من العناء ما لا يخدمه إلا أووالعزم ،
فهم من شرد . ومهم من قتل ، ومهم من رمى بالحجارة لعصى .
فمن نادى بالمساواة في العدل بين أربعة من غير نظر إلى جسودهم
فهم بمعارضة المصلح . ومن نادى بتنظيم الجيش على الأساليب الحديثة
انهم بالتفريخ والحروب على التقايد . ومن نادى بتأسيس مجلس شورى
انهم بمعارضة السلطان والخص على ثوره والعت با نظام ، ومن نادى
بإصلاح العقيدة والرجوع إلى أصل الدين انهم بالانحاد . وهكذا .
وهم على هذا صارون ومجاهدون . أحوا مدام في الإصلاح أكثر
ما أحوا الحياة . ولم يمسوا بالمداد بحسبهم في سبيل تحقيق فكرتهم ،
وصلت آراؤهم لعمل عملي في حياتهم وبعد موتهم حتى تحقق إصلاحهم
وبعدت أفكارهم . ونفدتم الشرق على أيديهم خطوات تستحق
الإعجاب .

وكم كنا نود أن نترجم لهم في إسهاب . أحياء لسيرتهم ، ووفاء لحقهم
عليها في النهضة التي تكثف لعالم الإسلامى اليوم ، ولكنا سبسطر إلى
الايجاز في الحديث عنهم .

ذلك أن أستاذنا أحمد أمين قد ترجم لهم في إسهاب ، ووفاهم حقهم
تماماً بيق مع زيادة لتزيد ، وكتابه دعاء الإصلاح في عصر الحديث ،
مرجع أصيل في هذا الباب .

كما أن صديقنا الدكتور محمد حاصي قد أرحح للبحركة الوهاية
وفاهها حقها في كتابه « لمحات الحديث في جريدة العرب » .

أما في هذا الكتاب فتقتصر على التدرج لروحي نشاط هؤلاء
العلماء في إيقاظ العالم الإسلامي من سباته ، دون أن نعرض لسياسة
بالتفصيل .

١ - محمد بن عبد الوهاب ^{الرحمن}

كان محمد بن عبد الوهاب أول من فكر في عيوب المجتمع الإسلامي
الذي عاش فيه (القرن الثامن عشر الميلادي) إذ كان يرى أن ضعف
المسلمين وتجاهلهم لا سمح الله إلا خروج المسلمين من عبوديتهم عن تعاليم دينهم
القديم ، وأهم ، بعد أن كانوا يعبدون الله الواحد افعال عبادة مباشرة
صاروا يتقربون إليه بالأولياء ، وأهم مو بأصحاب لسلطان في الدنيا
أكثر مما يؤمنون بالله عز وجل وأنه ، لا يصح آخر الإسلام إلا بما
صلح به أوله .

وكان يرى أن الحياة السخيفة التي تزدى فيها المسجون لا نجاه منها إلا
تصريح لبدع وخرافات .

يقول الأستاذ أحمد أمين :

« من ينظر محمد بن عبد الوهاب إلى المدنية الحديثة ومواقف المسلمين منها
وهم ينهجون في إصلاحه إلى الحياة المادية كما فعل معاصروه محمد علي ، وإماما
انتهج إلى العقيدة وحدها والروح وحدها ، وعدم أن العقيدة والروح
هما الأساس ومن القلب ، إن صلاحا صلاح كل شيء . وأن عبادة فسد كل
شيء . وطبعي أن يكون هذا هو الفرق بين رئيس الدين في نجد ، ورئيس
الحكم في مصر . . . »

لقد بدأ محمد بن عبد الوهاب يدعو بدعوته في ابن ورفيقه قومه ،

ثم أخذ يرسل الدعوة لأمراء الحجاز وأنحاء في الأقطار الأخرى ، حاثا
 هم على إستماع القسم في مكافحة البسود . وازججوع إلى الإسلام
 لصحيح .

وقد اقترت دعوة محمد بن عبد الوهاب بكلامه ، دعوة مادية بسدها
 وتشدد أروها . ذلك أنه عرّض دعوته على محمد بن سعود أمير نجد فقبلها
 وبهذا على بشر الدعوة في كافة أنحاء الجزيرة العربية ، باللسان عند من
 يقبلها ، وبالسيف عند من لم يقبلها .

على أن الدعوة الوهابية ، خارج اجريده العربية ، لم تخط بما قدر
 لها من نجاح ، ولم تستع بصيب السمعة . وفي ذلك يتّون الاستعداد
 أحد أسباب

إن الدعوة لمي أحكت صدها . وتعلق لناس مبدولة العناية ،
 وبينهم الشهد أن تطل بلادها وحده لا يفصل عنها جره ، جعلت عامة
 المسلمين في أقطار العالم الإسلامي يهرحون هريمة الوهابية (على يد محمد
 على الذي كلفه السلطان بمحاربتها) ولم يعمموا جوهر دعوتها . وشيـ آخر
 كال كبير الأثر في تغير عامة المسلمين من هذه الحركة . وهو أنها حيث
 اسولت على الله تعدت تعاميا بالقوة . ولم تنظر حتى يؤمن الناس
 دعوتها . وما دحوا مكة هدموا كثير من نقاب الأثرية . ولما رحبوا
 لمدينة رفعوا بعض الخى والرثة التي كانت على قدر رسول . هذه كلها
 أدت عصب كثير من الناس وجرحت عواطفهم . فمنهم من حزن على
 ضياع معالم التارخ . ومنهم من حزن على الحق الإسلامي . ومنهم من
 حزن لأن مصره رسول صلى الله عليه وسلم وخاتمها مضى للعاصمية
 الإسلامية وفوه أوله . وهكذا احتضمت الأسباب واشتركا في عصب .

وقد انتشرت الدعوة الوهابية خارج الجزيرة العربية وفي ذلك يقول
للكور محمد ماضي في كتابه ، اهتمام أحدثه في الجزيرة العربية

من أسبيل السعديين على الخصال ودحوهم مكة ومدنيه في أوائل
قرن لثالث عشر الهجري أعطى الفرصة لآثر الخجاج من مختلف البلاد
الإسلامية ليتعرفوا أمهات الوهاب ، ويلتقوا بدعاه ويضافوهم فيما
يدعون إليه ، وكان من نتائج هذا أن أعلى بعض الخجاج المبادئ
نوهه وتقصوا لها ، ثم جنوها معهم وبعوا إليها في الأبحر
رجوعهم إليها ، فأنشئت هذه المبادئ الإصلاحية في السودان في
أفريقيه ، وإلى الهند وسومطره في آسيا ، وكان هدف دعوتها في كل مكان
تحسينه هو محاربة الفساد والقضاء على البدع والخرافات وتصحيح العقيدة
الدينيه ، ثم محاولة إقامة حكمه صالحه على أسس دينيه لتسيير الأحكام
وأقامه الحدود ، فقامت الثورات على يد الدعاة الوهابيين ضد الأوضاع
لسائدة في البلاد التي غزتها الدعوة ، وظهرت بهتات الإصلاح الديني
السياسي والاجتماعي ، وأما ما حدث في جزيرة العرب يحدث مثله في
السودان والهند وسومطره ولكن في صورة مصفوفة

٥

أما في السودان فقد كان داعيه الوهاب هو الشيخ عثمان د بوعديو
أحد أفراد قبيله بعلولا ، وهي من قبائل ارتعاه السودانية ، وأنه بعد
التقائه بالوهابيين في موسم الحج ، وبعد اعتناقه للمبادئ الوهابية ، عاد
إلى بلاده وأخذ يحارب البدع الشائعة بين عشيرته ، ويشرع بعالم الدين
تصحيحه ، ويدفع مبادئه إلى عدد الوهاب فاستضافه أولاً أن يجمع
فيمنه في وحدة متماسكة مرسطة على طائفتين ، بعد أن كانت مقسمة
إلى عدة وحدات ضعيفة متحاربة ، وبعد ذلك ابتدأ حروبه في سنة

١٨٠٢ حد فباتل الخابسة الوثنية ، وقضى على تمسكة جبر على بحرى
هر ليجر ، ودأت سنة ١٨٠٤ حتى أهام تمسكة سوكونو فى السودان
على أساس من ادعوه الوهابية ، ومست روقها على جميع الاقطار
الواقعة بين تمسكتو وبحيرة شارة ، وبعت بمحضة على استعمالها بحور
حتى استطاع الاستيلاء على الأورنى عصبه من مكان هام من استقلاله ووحده .
وهو دعوت مساحة هذه المملكة أربعين ألف كيلو متر مربع وبلغ
عدد سكانها عشرة ملايين وهؤلاء . وأن كانوا قد فقدوا استقلالهم
وعصمهم على أمرهم المستعمر الأورنى بما به من قوة وعده ، فهم قد كسوا
الإسلام ولا راوا يتحولون بمفاسده ويتهمكوا بمادته إلى ما شاء الله

كذلك عرت الدعوة الوهابية بعض أهماطع الهندية بواسطة أحد
الحجاج المنزلة ، وهو سيد أحمد ، وكان هذا الرجل من أمراء الهند ،
وذهب إلى الحج لأداء فريضة الحج بعد أن اعتنق الإسلام سنة ١٨١٦
فدعا إلى الوهابية في مكة ، افتتح لصحة ما يدعون إليه ، وأصبح من
دعاة المذهب بين تمسكة الإيسر وسطرت عليهم العقيدة ، ولما عارسة
١٨٢٠ إلى وطه في الهند بجهة سمر ، وجد ميدانا صالحة لدعوه بين
سكان المنطقة من اهود المسلمين الذين احتلظت بمفاسدهم وتعاليدهم
الدينية ناسكث من عقائد الهندوس وعوائدهم ... وبعد مرحلة من
الجهل استطاع هؤلاء المسمون الوهابيون أن يقيموا دولة إسلامية على
أساس من المبادئ الوهابية بجهة السجاط تحت حكم اداعمة سيد أحمد ،
وبدأت هذه الدعوة طويلا حتى قضى عليها الاستعمار البريطانى فى العقد
الرابع من القرن التاسع عشر .

ولكن الدعوة الوهابية ظلت قائمة هناك على يد حلفاء سيد أحمد من

عده ولم يستطع مستعمرون أن ألواها . ولا يزال انكثرون من أهل هذه المدايق يدعون بالإسلام على المذهب الوهدي . وإن كانوا قد انقسموا إلى عدة فرق متأثرين بالسنة الهندية ، وأكثر الفرق الهدية الهندية عددا . وأهمها أنا الآن ، هي فرقة القارازي .

هذا ما كتبه الدكتور محمد ماضي ورجع فيه إلى كتاب Al-Islam غير أن الأستاذ كاتول سميت ، وهو من أمديين ناشون نسابريجة الإسلامية في الهند ، ذهب في كتابه ، الإسلام الحديث في الهند ، إلى أن الدعوة الوهديه لم تلق النجاح الكافي في الهند ، لأن عامة معنى هذا المذهب كانوا من عامة الناس ، ولما كانت الصفات الإسلامية المتفقه تمثل ميلا آخر ، ذهب إلى إصلاح لشئون الإسلامية . ولكن على غير عرر الحركة الوهديه ويعرر الأستاذ سميت أن النجاح الذي لقيه الدعوة الوهديه كانت تسببه أسباب اجتماعيه وسياسيه أهمها أن البريطانيين كانوا قد بدأوا يسودون الآلات الصناعيه من بلادهم ويشئون مصانع الآليه وذلك كثرت الأيدي المنعزلة في لبحجاب ، فوجد هؤلاء أمتهطون ، أو المهذون بالتمطل ، الفرصة ساعة الانضمام إلى هذه الدعوة الجديدة لعل فيها نفعاء على مبادئهم ، مما من الحاجة السياسيه فقد كانت الدعوة تهدف إلى أن يكون الدين الإسلامى مقياس نعام في لئمة الإسلامية وهو ما لا رضى به البريطانيون مستعمرون ، فنهجت الدعوة الوهديه إلى محاربة البريطانيين بالعداء . فكان ذلك حجر الزاوية في ثورة ١٨٥٧

* *

وقد وصلت الدعوة الوهائية إلى سوء مظهر ، وفي ذلك يقول الدكتور

محمد ماضي :

وقى سومطرة انداث بدعوة الوهابية سنة ١٨٠٣ على يد أحد
الحجاج من أهل الجزيرة ، وكان هذا من الخلق في نفس السنة بعد أن
التقى الوهابيون واقع نصيحة ما يدعون إليه ، وما عاد إلى وطنه ابتداء
لدعوته ثم تطورت الحركة إلى حروب طاحنة بين المسلمين الوهابيين
الذين أصبحوا قوة كبيرة في سومطرة ، وبين غير المسلمين من السكان
الأصليين ، حتى رأت حكومة الاستعمار الهولندية سنة ١٨٣٦ أن تهاض
هذه الحركة القوية بحايطة على كيانها وعمومها هناك واشترت امساوشت
والحروب من المستعمرين الهولنديين ، وبين لسومطريين الوهابيين ،
ما لا يقل من مئة عشر عاما ، ثم انتهت بتعب قوى الاستعمار على القائمين
بالحركة الوهابية .

كذلك حركة السنوسية التي انتشرت في الجزائر في أواسط القرن
لتاسع عشر ، ثم غرب صراطها بعد ذلك وانتشرت في شمالي إفريقيا ،
ثم مدت روافدها نحو الجنوب ، فمكنت في السودان ، هذه الحركة
السنوسية أن تهاض للاستعمار في كل مكان حيث فيه . ولاقى كانت
ولا تزال مدسة قوية وتهديد للشعب السنوسى ، قد تأثرت بالدعوة
لوهابية في سنها . فاستند على السنوسى ، مؤسس الحركة السنوسية ،
كان في مكة يقرب من وقت استيلاء الوهابيين عليها ، فهاشهم وتنبذ
على عثمانهم وتأثر بدهم ، ثم عاد إلى الجزائر وابتدأ حركته لإصلاحية
على صوء العالم الإصلاح الدينية للإسلامة التي أعزم لها في الجزيرة
لعربية محمد بن عبد الوهاب .

٢ . محمد على الكبير

اختلف الناس في تقدير محمد على من ناحية الإسلامية . هناك البعض أنه كان رجلاً طموحاً لا هم له إلا أن يصل إلى قمة العظمة الدنيوية من حيث وجده . ولو كان ذلك على حساب الدولة العثمانية دولة الخلافة . كما قالوا أن انحطاطه الإسلامية لم تمكن من قبه . ويستدلون على ذلك بحربه للأرهابيين ، تلك الحرب التي جاور فيها الحدود التي رسمت له من أنساب العلى . وفي رأينا أن من فادى بذلك لم يفهموا عمداً عديداً كما يجب أن يفهم

أما الفريق الآخر ، يرى أنه كان من رغبة الإصلاح وأعلام الإسلام . وفي مقدمة أمور جبر الدين وفوا محمداً عديداً حقه على التاريخ الأستاذ شفيق عزال ، يقول في كتابه « محمد على الكبير » وهو حلقه من سلسلة « أعلام الإسلام » ،

« اختلفت المشكلات التي واجهت أعلام الإسلام ، سواء كانوا من رجال الفكر أو من رجال العمل ، باختلاف عصورهم وبيئاتهم ، باختلاف أزماتهم وأماكنهم ، كما اختلفت المشكلات أيضاً باختلافها في الخطورة أو في التعقيد ، في كونها إسلامية عمومية أو إسلامية خصوصية . وكانت المشكلة التي واجهها محمد على من أعظم ما واجه أي عد من هؤلاء الأعلام ، نصيبه من السلب في أمور خطيره . عني أي القواعد يفهم مجتمعاً ؟ أعلى القواعد يفهمه . أم على القواعد التي يشهد تقدم المجتمع العربي وقوة باعدها ؟ وبأي مقياس يقيس عمه الاختيار بين الأمرين ؟ أمجرد المنفعة البحتة ؟ أم ملاحظة نفع أو بعد عن التمهيد الإسلامي الجديد أو القديم ؟ بما بعد أن الخلافة بين ، والحرام بين ، قاعدة عمليه جيدة ، ولكنها لا تحل كل تغير بين أنواع الخلافة — كما أن المشكلة

طلب منه أن يثبت في تحديد خطته نحو مكان أهل ابدمة في مجتمعه هذا
وفي تحديد علاقته بالمعاهدين وأحيرا كان لابد من أن يصل إلى التمسك
في آخر الأمر بأي مكان يشمل في العلم العربي؟

وليس بحثنا من أجل ما وصلنا إليه . وسنت ما وراءه فيه بلا من
إن نمحدا عننا بدأ وعاشر وانتهى عنينا مينا . وأن مهمته كما حددتها
من أول الأمر إلى حرة كانت إحياء لقوة العثمانيين في ثوب جديد
وهو في موقفه هذا شمه كل الشبه صلاح يدين وأمثاله من الأعلام الذين
حاولوا أن يحسروا في أو عده من الأقسام أو اعلم أني تكون مينا
د . الإسلام . وسكنه يختلف عنه وعندهم في أمر مهم ثم قاموا بالإحياء
أو حاربه لحرص غير عرصه . كان عرصهم مواصلة الجهاد ضد دار
الحرب . أما هو فقد نال ثلاث عده فكرة دار الحرب عده . ويرى إلى
أن يجد مكانا لعامة العربى الخفى في الدنيا الجديدة التي حينها الانقلاب
الاقتصادى فوصل بين أجرائها . وصيرها وحده حقيقه ، على الرغم
من المناهضات القومية .

لقد مرت علاقات محمد بنى بالحكومة المركزية في العالم العربي في
أدوار متباينة ، ولا هب الآن بيان تلك الأدوار ، ولكن يهنا الآن
أن نقول أن بيان أدوارها لا يصعب شئت بما دعنا إليه من سعيه
المواصل لأن بنى بديه القوة العربية — ولم يهتم في دورها من دور
حياته بما يجب أن يكون عليه مركزه الرسمي . تكون سلطان الدولة أو
وصيا أو في أو وكيلًا ؟ لا لم يهتم إلا شئ واحد ، يستطيع أن يقوم
بعملة أو لا يستطيع ، وم يصاب إلى شئ واحد . أن يمكن من تحف
عرشه دون اهتمام بالألعاب والمظاهر

والنصرى أن يسأل . وعاشر مصر في تفكيره وعيانيته ؟ والجواب

على ذلك أن قدرها في عينه عظيم عظم المشروع كله ، هي القلب من الجسم
الحى الذى يروم أن يرى . وأناؤها أعواء في البناء الكبير ، بآلت
من حبه ونالوا من حبه القدر الأثير . وواصل لعمل آناه الليل وأطراف
سهار في نفهم حاجياتها ونسبه نداء تاريخها ومقتضيات موفعها ، ولكنه
رفص أن يحدد منها عالما صعبا صيقا بحدود الآفاق صعب الآمال ، أو
أن يكون معول الهدم في العالم الغنى حتى ولو كان الهدم اسمه الاستقلال
والبائع له اسمه تعصية القومية . وكان حير من بعد أن انضمام الوحدة
الغنية معناه تشب هونها وأجرائها ، ووقوع الأجراء جرداً جرداً في
حكم الدول العريضة ، وكان التعصب بكل أشكائه أكره الأشياء البه

وهو حدد محمد على ميدان عمله بالعالم الثانى . ولم يلق نظره إلى
ما وراء ذلك العالم من دور الإسلام إلا في حدود العاطفة ، وما يقتضيه
وقوع الحرمين في نطاق حكمه من تسير أداة قرصة الحج ودرار الخير
على قراء المسلس . وأمره في هذا أمر أعلام الإسلام كلهم منذ لقرن
الأول قريشاً ، ملوا الواقع وعملوا في حدوده ، ومن يدري ما كان
يحدث لو امتد الزمن محمد على لتحقيق إحياء العالم الثانى على الوجه الذى
حسره ؟ إننا نستطيع أن نوق على الأقل بأن ذلك تعقل المتوحد

ولدهس إلى تآلى إلا الكرامة . كان لابد لها عندئذ من تدبير الوسائل لخدمه
الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومعارها . لا على أساس وحده
ذلك (فقد أصبح مستحلاً) ولكن على الأساس الذى أنجاد الأستاذ
لشيخ محمد عبده في إجماله وأن يكون سلطانهم جميعاً القرآن ، ووجهة
وحدتهم الدين ، وكل دى ملت على ملكه ، يسمى بجهد الحفظ الآخر
ما استطاع ، من حياه بحياه ، وبقاءه بقاءه ، هذا قول الحق فيما داع عن
مشروعات إحياء الخلافة وما يتصل بها .

أما الحديث في وسائل إحياء العالم الثانى فهو في حيز آخر ، حيز

انتجهم السارر الواضح المعالم . إنها اصطناع قوة الحديد ولحم والمال ، يتحد منها مايشئ . به قاعده الارمكار (كما سمع في هذه الأيام) في مصر وما يتصل بها من المناطق المسكنة أو نزارمه لحياتها أو المناطق المجاورة . ومن هذه القاعده يكون التأثير فيما ليس تحت يده من أراضي العالم العثماني ، كما يكون التأثير في خطط الحكمه النظاميه المركزيه نحو الإصلاح والتقدم ، نحو العلم والاستقلال نحو الما ، همه والمشاركه في حوادث بعام وحركاته والاحد والعط والتمسار . ويبيح ذلك لأهم العالم لعماني أسباب لا يخرج منه . ويحصل من ذلك عدم تجمع سبب أن يخاف فيه لعمى والترك واليه دور في تصلي حياة العلم والكرامة . ولا يخفى فيه دمه وغير المسلم نطاق الذي لا تمنع اختلاف بين من العلم فيه لمصلحة الجميع

وقد اهتم - في تلك القاعده - سلاطين الدولة بحسنه تدبيرهم سليم وخمسة وعشرون محمد والكر على أي اسامير على الألسن المحمدي لغوي . اصطناع قوة المال ولحم لم يحرره ، لا اصطناع قوة الحديد ، تشبهه بقوة عسكرية المدبره على احد الأورور . وقامه الحكم المظلم ، سحق عوامه من الاستقلال ما سببه المارد ، فسيب حظه منح الما لير الأجداد هذا الامير . وذلك باستقلال منجم أو داء . مرفأ أو سكة حديدية أو جريد . وهذه أعلان عن ما للسلاطين يريدون وأبى رعاههم وباحيه . ثم بعد السلاطين حلا لمشكلة رولهم لاساسيه وهي نحو يها إلى مجتمع . تصاف به الأهم على تحسرات مشتركة واعدون - حره محاره راعيه - على أساءه وعمر . وهذا يعسر موقف السلاطين من حظه محمد على استقلال افرجل ما أمكن ، وذلك كيد به ما أمكن . ثم المحاولة بصريحة اسعجه . ولم تم ضم سعجه ، وسكن تم ضم بعد مشروعه . وسارت اذولة نحو مافره هاتمه على الاختلال التام . وصرحت كلمة هذا العالم بعضي في مافره اليوم .

السيد جمال الدين الأفغاني

لاستطيع أن بعدد بواحي النهضة العسكرية في العالم الإسلامي دون أن نسجل في هذا المقام جهود رجل من جبهة الفكر في الإسلام ، ألا وهو السيد جمال الدين الأفغاني .

فبينما كان السلطان عبد الحميد يحكم العالم الإسلامي من الاستانة حكم المستبد المشغوم ، كان جمال الدين يطوف بأحباء علماء الإسلام من أفغانستان إلى إيران إلى الهند إلى إنجلترا إلى مصر

ونتيجة بعد ذلك في الاستانة ، فأكرم السلطان عبد الحميد وهداه أكرام العلماء ورحب به بعباءة أصحاب المناصب السامية ، وبدأ كعبته يفتح في حبه حميد ، ثم أتت فتحت له صدرها ، ولم يضيغ فرصة لأعلان رأيه ووجهه بعباءة ، فالتفت على ذكره وعظم موده ، ويقول المؤرخون أن عبد الحميد حرص عليه شيخ الإسلام وأمر في صدره للغير ، والحمد لله ، فأنه باستغفار عباد الله موده دين ، ماسه حرمه ، في انحصارات التي كان يذهب في دار الفنون ، الجامعة التركية ، وضحت لصحف التركية هذه نتجه ، وكثرت من النكته فيها ، وأبهرى جمال الدين لرد عليها ونظم الأمر حتى ضللت إليه حكومتها التركية أمهارة انبساط تسكينها للجواهر في حوزة جمال الدين في مصر ودعيتها في واحد مارس سنة ١٨٧١ وفي بعد ذلك إلى استانة السيد جمال الدين في الاستانة كانت ، جمع من غاصبين الأول أن سلطان عبد الحميد لم يكن عادلاً عما سمعته راء جمال الدين في سبب الاستانة لدى سماعه إليه ، ومن ثم لم يعم به حقه المستندة مؤامرة لا تخفى به ، فكانت الحملة عليه من عباءة الاستانة وعلى رؤسهم شيخ الإسلام ومن صحافة الاستانة التي أسافت وراء موده عباءة ، أو صدعت شعره على نكت

أما السبب الثاني فيه أن الآراء التي كان حامل الدين يقوم بالدعوة
هنا كانت من النوع الذي لا تتسببه رجعية تفكير عند علماء الدين في
ذلك الوقت فهو - في رأيه - يعدون إرادته ، يشترها لسلطان فرضه
نزيهة ناز العداوة بين تقديم الذي يثبت به أعيان ، واجتهد الدين
دعوا إليه حامل الدين ، فأيد السلطان لعدوه ، و إنما دفعهم إلى المزيد .

وبما كانت الحال فقد أخذت حال الدين عن الاستقامة في مصر
فأجرت عليه حكومة رياض ، سبعا معاشا سنويا ودرهم عشرة جديدا بدله
لغرضه ورجلا لمساكنة ، ، والف حربه كثير من طرده لغيره ، فقرأ هم
مصر لكسب المالية في الكلام والعلم وأصول لتفه وحيثه ولصوم
م وجه عاينه إلى إرشاء جعل من المكاتب لثنتين ليدعوا في الناس
آراء الجديدة ، وولى حمل الدين وجهه شتم سياسته المقصود به تبدل جهدا
مقطوع الطائر في سببه الأذهال إلى مصار التدحس الأجسي في نشوبها

وقد قاوم لعدو المتحولون إرادته الطريقة ، وأخذوا يستلوا للقطع عليه
من عوامه للعلفة ، التي كانت الدولة المتحاطة محرم لتصرفها ، و بشرها
عدوة الدين الصحيح .

وأنارت أعماله السياسية شهات الحكومة في نواياه ، وكانت مسكته
المالية قد انتهت بمرل الخديوي اسماعيل - ويجلاس الخديوي توفيق على
عرش مصر في سنة ١٨٧٩ ، ولم يكن توفيق يفتي العرش حتى أصدر أمره
بأحراج حامل الدين من مصر ، فعادها إلى الخند ، و برل في حيدر آباد .
وصها نقل إلى لندن ثم بارحها إلى باريس وأقام بها

وفي سنة ١٨٨٤ دعا إليه صديقه وبلاده الإمام الشيخ محمد عبده إلى
باريس ، ومثلا معاً في إصدار صحيفة عربية هي « العروة الوثقى » كانت
تهدي إلى دعوة المسلمين إلى توحيد جهودهم لمساكنة الأعداء الأوربي

ومادة الاستعمار ، فتمتبا الحكومة البريطانية من : حول مصر والهند . ومع أن مصعبه لم يكب لها البقاء طويلا ، بدشر منها ثمانية عشر عددا قصص ، فقد عظم تأثيرها في لعالم الإسلامى أجمع ، ووصفت في يقاص الروح الوطنية في الأمم الإسلامية .

وزار جمال الدين بعد ذلك لندن وموسكو وفارسه ح ، حيث طار عاره في رومانيا حوالى أربعة أعوام ، كتب فيه مقالاته الحفاده عن سياسة أفغانستان وإيرن وتركيا وبرطانيا فكان ما عمق الأثر في الدوائر السياسية .

وانتهى به المطاف - بعد جولات عوفه في ربوع اعالم الإسلامى ، إلى الاستقرار بالآستانه سنة ١٨٩٣ حيث كان موضع رعاية السلطان عبد الحميد وإكرامه ، إلا أنه كان في ا ، مع انه في قصص من ذهب . وقد طل بالآستانه حتى وافته ممث في ٩ مارس سنة ١٨٩٧

ولقد عمت جهود هذا الرجل السام لبلاء الإسلاميه بأسره ، وأفغانستان وفارس ، وتركيا ، ومصر ، والهند ، انصلت به جميعا ، وأحست بأثره انقوى الذى مرعاه هزأ عيبا . فهو الذى أوحى بالنوره الفارسيه ، التي بدأت بالهباح ضد احتكار عدلك في سنة ١٨٩١ وانتمى بوصح الدستور في ٥ أغسطس سنة ١٩٠٦ . وهو الذى أمد نهيجه المواصل - عندما كان مقبا في الآستانه - بحركة تركيه الموفقه التي قامت في سنة ١٩٠٨ . وكان هو الدافع الأول للحركة المصرية الوطنيه ، وبن كان حنامها قد ساء فمثل الثورة العراقيه . والمنهج لكثير من أحداث الشرق الإسلامى في أو تل القرون العشرين . يستطيع أن يستشف أثر السد جمال الدين الأفغانى ورائه في كافة الهفصات التي قامت على أسى لاميده أو تلاميذه تلاميذه .

وكانت لعاية التي يرمى إليها جمال الدين ، والعرض الأول من جهوده التي لم تعرف الكل - ومن آثاره للمعوس ، ومن تهيج المتواصل للشعوب ، توحيد كلمة الإسلام ، ولم يعل المسعى في سائر أقطار الأرض في حوزة دولة واحدة تحت ظل الخديعة الأعصر

وقد آله أشد الان أن يرى الأمم الإسلامية يصعب أمرها وترث قواها ، وكان يعتقد أنها به نصيب عيب كانوا الاحتلال الأجنبي ، وتحررت من يد جن الدول الأوروبية في شتونها ، ثم لمسلمون بعالي دينهم الحبيب ، بعد انهم أنه يوافق مقتضيات العصر الحديث الأصح المسلمون قادرين على سيرة أمورهم بحسب دون أن يعتمدوا على الدول الأوروبية أو يصنعوا ، به

وكان يرى أن الإسلام في جميع مسائل الجوهرية ، من عام للعام جمع ، ما رعاة القدرة - بما فيه من قوى روحية - على دلائله الطوف المتغيرة في كل جيل .

وكان من حاضره مرجه أن وسائل التي بحرها لتحقيق غاياته ، كانت وسائل سوره أساسه ، بعد كما ، ترمس بها أسرع بطرق وكده في تحرير لشعوب الإسلامية ونصيدها ، لحظه الصرور به شطيم شتونها أم وسائل الإصلاح تدرجي ، فكان يرى أم نصينه عاده لطفه ، عه تحقيقه العاقبة .

كان يرى أن يرى في موه - هذه الأهداف في كان مادي به ويسعى إلى بكافح لقب انظم القائمة وكان يرى جوار جمع الأمر المسلمين وقتهم ، ذاكرا المنعمون الاعد الأجنبي ، ورسوم عته ، بمنعمون بذلك الخوائيم - سب من وبين حصونه على ما يكون لأوصا به من مرة ورمعه

وكانت جهوده في عقد أوامر الآلهة والوحد بين أهل السنة والشيعة
تستمد على لوفين النودي والتسامح . وهذه الرقة خطرهما السياسي في لم
شغل واقضاء على العروة التي عدها في العام الإسلامي .

وحيث ما عظم به سيرة السيد جمال الدين الأفعلى أن نفس عما كتبه
تائه المصنوع به الأستاذ الأكر الشيخ مصطفى عبد الرزاق

وعاش جمال الدين مشغلا في البلاد منذ طفولته ، هو و بلاد العرب
ومصر وبركيا . وأقام بالأفعلى وسددها من ونص بحكومة الأفعلى
في شبابه مشغلا في حروبها بدخيله في انصا بحركات النهوض في كل
بلاد شرقية حلها واد كثير من لمواضع الأوردية وكب في
جرايدده . وخطب في جامعة وسيد رجاء السياسية والعلم والادب
فيها . وشهد سائس لا تعرف لاجلها في الأفعلى وسدده وطارد
لإختر من مصر وعبرها وما يوا بحله الميرة أو نفي في مهديا ووصفوا
حقائق في طريقة أني سار

من أجل ذلك لم يعنى سده من أنسلا على أنه وطن ولم يدخل
مكره أو ضحية بهذا المعنى في مدهه الاخرى على . ومن أجل ذلك اشتد
كرهه للإختر وعاش عدوا لودهم وهو قد أني برقي في بلاد أورما .
ورأى الاخطار في بلاد السدي التي رها . وشهد بقود الاخرى فيها .
وسوء الحظك الاستبدادي هو جهت فكرته إلى إتمام تلك البلاد
حمله . هذه المالك شريعة الإسلاميه حب في عده سطعها جيد

أما أساس الموضع عده البلاد عده فهو خلاصها من سلطان
الأخرى . وخلاصها من الحكم الاستبدادي . ثم لاؤها بسوع من أو حده
يعوى لناصر بينها . ويكمن في أعقب

وإن استيعا الطرقي تارخ السيد جمال الدين لأعاني هو — كما يقول الأستاذ راوي — بحاطة تاريخ المسألة لشرقية كلها في الأرماني الحديثة ، ويستخرج فيها توجه حصص تاريخ تركيا ومصر وإيران ، وفي هذه سلاسل الثلاثة الأخيرة لإيران تأثيره جلياً

السيد أحمد حان في الهند . والشيخ محمد عبده في مصر

عاش الرجلان في عصر واحد ، أحدهما من حيرة ميسي الهند ، والآخر من خبرة ملى مصر . وكانا يفكران بأسلوب واحد يقول الأستاذ أحمد أمين :

، الإصلاح عندهما إصلاح العقلية بالثقيف والتهديب ، والنظر إلى الدين نظرة سماحة . والإستقلال بأن تعد ذلك تبعاً ، فلا استقلال للجاهل ولا بحرف ، إنما عماد الإستقلال العلم ، والعلم بالدنيا والدين . لم يكن شئ أنت به المذهب الحديثة ، من طيبة وكيمياء ، ورياضة وفلك ، وموس واجتماع ، ونظام الحكم والإدارة ؛ ذلك كله إلى دين يحجب القلب ولا يفيد العقل . ويتقذى النفس ولا يشغل الفكر . والإسلام إذا هم على أصوله كفيل بذلك .

ثم كلامهم كان يرى أن السلطان في مصر والهند في يد الإنجليز ، وهم من القوة المادية من الأسلحة والذخائر في البر والبحر ، ومن القوة عليية والسياسية ما لا تستطيع مصر والهند مقاومتها . إداً فالأولى مسألة الإنجليز والتدعيم معهم ، وأحد ما يمكن لحبر الشعب منهم ... تأخذه من طريق الإفادع بالمسألة والمصالحة ، وما تأخذه يستعمله في حيز الشعوب وثقافتها حيز استعمار ، والزمن — بعد — كفيل بإظهار النتائج .

ثم كلامه على من المتاعب ما عانى الآخر من جهنم .

مسألة المستعبرين لا مرضى — عادة — دعاء الوطن والاستقلال .
وبرون مساخيات . وقد يرى بعضهم أن لا مفاوضة ولا مطالبة ولا
مسألة إلا بعد الحلاء . وكل من يطلب شيئاً دون هذا مانع لو طه يستحق
أن يهاجم ويقتل ويؤت . ومن جهة أخرى هناك انطلاقة الحامدة من
العلماء التي ترى لعلوم الحديثة التي أتت بها المدنية الأجنبية معدة .
و نقول بأن قوانين ادبنا معدة ، والقوانين الدبانية الرراة
والاجتماع والصحة والمرص وكل شيء مبني على المذهب وليس كم
بالصفا . و بعد ، وإنكار سلطة المشايخ والأولياء ولأصراحة و بدقة
هذه لا . وهذا يشنون القارة على مثل الشح محمد عمده والسيد أحمد
دون ، فيحتلون هم دعوتهم وسط هذه الأنوار الحادة .

كان على غير . أي لسيد جمال الدين في الإخلاص والاحتلال .
كان لسيد جمال الدين بكره الإخلاص ونشع عليهم ما استماع ، بحكم
دلتني مهم في الأمان والهدوء وعصر ومارس . ما لسيد أحمد جان
والشبح محمد عمده . في بان أن الإخلاص حصوم شفاء معتمد ، ويمكن
العالم معهم ، وأحد أشياء من أيديهم ندرنا لمصلحة الأمة ، حتى . والصحة
الأمة أمكنها الحصول على حقوقها كاملة . حدث لا تستطع أن نال شيئاً
منها مع الجمل والفيلة .

بدأ السيد أحمد جان خطه بأشياء حمية أدبية عادية في علمه كان
لمن من منها نشر الآراء الحديثة في التاريخ والاقتصاد والعلوم . وترجمة
أهم الكتب في هذه الموضوعات من الإنجليزية التي كنتت بها إلى اللغة
الأردنية التي تتكلمها المسلمون في الهند ، إيماناً منهم بأن هذه الكتب إذا
طابت على لغتها الأصلية . اقتصر الادماع بها على من يعرف هذه اللغة وهم
قلّة ، أما ترجمتها فإنها تيسر المعرفة لا كتر عدد يمكن من مواطنيه المسلمين

ولكن مرعان ما حاج عليه الجميع والمترمون من رجال الدين
بقابل ذلك تلك احملة الشعور، الى شهاب رجل الدين في مصر على
الشبح محمد عبده عندما كان سادى ضرورة ادخال العلوم الحديثة على
المناهج الأخرى

دار السيد احمد خان الجبرا وأقام بها فاما ، قسم الثقافة البريطانية
في أرضها ، ونشع بأفكار التجديد لدى عمل الجبرا وقتئذ في العلم
والاقتصاد ، مثل دار الشيخ محمد عبده في فرنسا ، وشهد الثقافة الفرنسية
في أرضها ، ونشع بأفكار التجديد لدى عمل الجبرا الفرنسية وقتئذ في
العلم والاقتصاد .

وعد كل منهما إلى وطنه معاً للجهاد بعبء مؤثرا الإيمان والاستعداد
يقول الأستاذ أحمد أمين

جعل السيد احمد خان من أبو ، حصه بعد عودته من يثرب في العهد
جامعة يكون للسيد كثر كسور وكثير ح في الجبرا ، ربي الخاصة ، ثم
هم يربون العامة وما زال يكذب ويخبر ويجمع المال ، ويكافح العقبات
التي توصل في سبيله ، وأخيرا فاز برشاه كلمة عبكرا المشهورة ، وحدد
لها أغراضاً ثلاثة :

- ١ — أن يعلم المسلمين الثقافة الشرقية وعرفان غير تعصب ولا حمود
- ٢ — أن يعنى بها بحمد الله الا جماعية ، فيجدوا فيها سكن يقيم
شور المدن ومبانيها ، فطعن الآباء ، حين يرسلون أبناءهم اليها ، الى
أهم في بيئة صالحة ، مراعاة لأدائهم
- ٣ — أن يعنى في نظام الكلمة بترقية العقل وتربية البدن وتهذيب
المخلوق معا ، وبما هو أخرى يكون العرص مما هو لتربية ، لا التعليم فقط
وقد استعمل السيد احمد خان في الاتفاق على هذه الجامعة حتى

ليقال أنه مات فقيراً معدماً لم يترك لأولاده سوى الذكر الحسن، ولم يكن ليرث دنانير من أبواب سرقة المسلمين، بل من أبواب فقرائهم، إلا طرفة مستندية، إلا كف هذه الجامعة، وهما هي دي الجامعة ليوم، تشيد بذكر مؤسسها الكبير، وأصبح نواة الإصلاح للبنية الإسلامية.

ولا تستطيع أن تشعر - وأنت تزور جامعة عين شمس - غناها من أثر احتجى حظير، ولا أنت لا تكاد تخرج من الجامعة حتى تلبس شباب احمد المتخفين الذين احتجوا على أحد أحكم وأجلاء العملية، وهم بدحرون، هم عينكرون، تشعر أنك في المحرقة لهذه الجامعة في عرج هذه من أرباب هذه، سبب الخشوع الإسلامي ليوم، وإذا كان كنه مهم قد خصصت مد لك في الأمور، ولكن حاشيهم لا يعون مدك بعدد ما يعون، مدك حرة، فهم من حاشي جامعة عين شمس الإسلامية.

أما الآن، إذا ذهبت شمس من هذه، فم نواة انصروف في مصر لإشياء جامعة إسلامية على عرار جامعة عين شمس، وسكنه قصر همه على استيعاب المهتم لأصلاح الأزهر الشريف، وإدخال العلوم الحديثة في مناهجها، وتنظيمه تنظيمًا تربويًا.

يقول المعمور له الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق

«تتظم دعوه شمس إلى الإصلاح الديني أموراً ثلاثة

١ - تحرير الفكر من قيد التقليد، حتى لا يحصع الفكر سلطان غير سلطان الزمان، ولا يتحكم فيه زعماء الدنيا ولا زعماء الدين.

٢ - اعتبار الدين حجة للعلم لا موضع انحصارهما، ود لكل منهما وضعه في الدنيا، وهما حاجتان من حاجات البشر، لا معنى أحدهما عن الأخرى

٣ فهم الذين على طريقة السلف قبل ظهور الخلاف ، والرجوع
في كتب معارفه إلى يناسمه الأولى ،

ومثل ما تولى السيد أحمد خان فقيراً بعد أن كافح في سبيل عشيرته
الإسلامية بمه ودمه . تولى الشيخ محمد عمده رقيب العدل
وفي هذا يقول الأستاذ مصطفى عبد الرزاق :

« ولو شاء الشيخ محمد عمده لكان داعياً ، ولترك لأرامله المحترمة
المراجعة لزوجه ركنين من بعده ، فاستحوذوا ، وأبوها من دلة انعم
ولكن الأستاذ الأمام كان أكرمهم ، وأسد أحرار الدنيا من أن
يسبب جهده في جمع المال فهدو عبيداً وحرراً ، ومات فقيراً عطيماً ،

وقد رأى الرجال في صحفته ميداناً أشرف الدعوة مادتهم ، واثم
أرائهم ، فأصدر السيد أحمد خان حريده ، تهذيب الاحاديث ، وشارك
الشيخ محمد عمده بجهود مصيبة في الصحفته المحببة . ثم استترك مع السيد
جمال الدين الأفغاني في إصدار مجلة « العروة الوثقى » من باريس .
ويختتم الأستاذ أحمد أمين كلامه عن السيد أحمد خان فيقول :

« ثم ترى في بعض المصلحين عيباً كبيراً ، وهو أنهم لا يربون من
يعمل عليهم ويكمل خطتهم . وكثيراً ما يكون سبب ذلك اعتدادهم بأنفسهم
مع شخصيتهم القوية التي لا تسمح لشخصية عظيمة أخرى أن تظهر بجانبهم
فتكف حولهم الشخصيات الضعيفة التي تنقص المنطق وتنقص ، وتعزى
بأقوالهم ، أعماها عظمتهم واعتدادهم بأنفسهم . ونسب منهم الشخصيات
القوية . ترى في نفسها نداء أو شبهه . لأن كرامتها تأتي أن يدل
عن أئلافهم ، أو مصعب المواقف للعرب منهم ، فإدامات مثل هؤلاء
أحجم إلا من الرؤوس أو ثنائياً كتب التاريخ .

ولم يكن السيد أحمد خان من هذا الطراز ، فهو قوى جبار في اعتقاده
 زاده ومبادئه والظهر بها والفعل عينا ، ولكنه سمح النفس مع أساقفة
 شريف ، ودر اجب تلموس حونه حتى سمو وتقوت ، مشجع لاسامه
 وتلاميذه أن روا أرم . واستعملوا جميع في صراحتهم كما يستعمل
 حقه في صراحة

ولذلك كان حونه ومبادئه من يكن حقه ، وسنت مسجحه ، ويعمل
 ابيه ، و سنج ما أحد غيره . من مش سراج على وسيد مير علي
 وقطاع هذه الأوضاع . لى وصفها في د احمد ابن سيد
 احمد خان . أوصاف الإمام محمد عبده تمام بطريقه بأنه م بكر صاحب
 أي حجب ، من كان صاحب م سنة ومعظم حجب جميع دلائله على
 الإقتدار ، لا في أمكاره لحجب ، من في جرائه في مفسر أنه الحق
 وفي أملاه - أية ومكبره ، وفي أسسائه في إظهار آرائه فيها كلفه ذلك
 من عت ، ولم يكن رحمه الله يحب الإدارة أو الرقبي وقد أنجب جيلا
 طامعه بطامعه ، فكان تلاميذه في مصر كثير من سكت في مقدمتهم
 المعفور بها الأستاذ اشبح محمد مصطفى امراعي والاساد الشيخ مصطفى
 عبد الرازق .

مدحت باشا في تركيا ، وحير الدين باشا في تونس

بعد هذان لبطلان دوراً خطيراً في حركة الإصلاح التي كانت تدب
 في لعالم الإسلام لاي في النصف الأول من القرن التاسع عشر وظلا
 متعاصرين على مسرح لسياسة الإصلاحية الإسلامية إلى أواخر
 هذا القرن .

ولد مدحت لعالم ديني بقيم بالاسانه . نشأ نشأه دينية سليمة أما
خير الدين فكان موكا اشراه باي تونس ثم أشأه نشأه دينية سليمة
كذلك . فكانت افعره الاسلاميه هي الطابع الواضح في شباب كل منهما .
ثم شأه ظروف كل منهما أن يظروا بأنحاء أوروبا ، ، أن تشهد ،
عن قرب . ثم انقضه لغيره وادخله معه وسماسه في كانت هم و با
في ذلك الوقت ، بعد كل من ساءه - متشعير بغيره أن لا اصلاح
بحال الإسلام ، ، ورويه - حقه ودمشعير من ساءه وبع حاسبه
لا بالآخذ ساءه العرب في الإصلاح . مع بحقه شأه ديني سلامه
الدين في أصوله و بالانها صرخا لا يفسر من بحقه بحقه لغيره
ما حاسبه استفاد في الاسانه ، وحاشه حقه في تونس ، فكانتا
متاثلتين في بعدهما كل أسعد عن الإخلاص لمحبه السلام

في الاستمارة كان محمد باشا القم صلي صدر خصم، فلم يلبث أن صحر شوكت، فلما كانت ثورة السلطان، اسمرها لمر صلي فرصة مساعدة لسلطان من شوكت وارانته، فمعه فاندأ الجيش الذي يقصده أحمار لثورة، لعله يحقق في أحقادها فتتار بذلك سمعته التي جمعتها على أنظار أنشابات انتوين الإصلاح، ذلك لشباب الذي كان يحس بأحاساس شوكت، وبطال في غير موادة أن ما ان اللاد حرينها، وأن يعلن لسلطان عبد العزيز اندستور. وكانت اجتمعا تعطف على مدح إد مدرن أن حركته لإصلاحية سعوى اروسيا عن تحقيق أطماعها على حساب السلطان المصطفى، أما روسيا فقد دأبت على تشجيع السلطان على التحصن من مدحت.

وتحت ضغط الظروف الوطنية المحلية ضغط الشبان لتعيين مـرحـت
صدر أعظم والكنوز ودمهم دم كبر من حمسة وسبعين ما إذا كانت
بـداسيس تحاك له من أوكاراء جمعه كانه وعمن عي وحده مسرودة
بـصلاحه دى

واشترك مدحت بعد ذلك في وزارة أمجد باشا ورياً للعدل . فصاع
للسطان تقريره عدد له فيه معاص الحكم . وفان السلطان ليعانجه في شأن
هذا التقرير ، ولكنه لم يكذب يذكر كتاب الإصلاح والشورى والدسور
حتى صاح هائج لسلطان ، وأمر بعزله من الوزارة ، وإعادةه عن العاصمة
وأيا على سلاطه ، ثم م يلبث أن عرله عن لولايه بعد ثلاثة شهور

استمر من مدحت وأتباعه حال الدولة ، فرأوا أن لسلطان عبد العزيز
لا يزال ماديراً في عوايمه ، لا سمح إلا لسلطانه التي تمتدح له كل ما يفعل .
وأن رحلته إلى أوروبا لم تسهر عن انشاعه بالاساليب الدستورية ، ل
على عكس ، بل منه تمسكاً بحكم المطلق . كما رأوا أن السلطان قد سمح
في سياسته الاسدانه من الدول الاجنبية ، إذ بلغت ديونها ٢٥٠ مليون
ليرة بعد أن كانت ٢٥ مليوناً فقط في أوائل عهد السلطان عبد العزيز

لذلك سافر لراى على أنه لاسمى لإصلاح الحال ، لا يعزل
السلطان فعرض عبد العزيز وبويع هذه السلطان مراد . ولكن لم يمتص عليه
أيام حتى ظهر جوده فولى السلطان عبد الحميد لسلطه بعد ثلاثة أشهر

وكانت سياسة لسلطان عبد الحميد تتدحس في أنه كان يمتشى طاهرياً
مع الإصلاح ، بلما هو يكيد لمدحت ويشوه سمعته عن حرية الصحافة
إذ نشرت كثرة من الصحف . وكأنها على ميعاد . أسماء يقول بأنه
صطت عند مدحت أورق تبدل على حياته ، وأنه يريد أن يجعل من
لسلطته العثمانية جمهورية . وأنه أوقع الدولة في مشاكل خطيرة ، وأطهر
كثير من المصممين انتهاجهم تنكة مدحت وقالوا أنه يريد أن يفصل
السلطة الديوية عن السلطة الدينية

وصف لنا الأستاذ أحمد أمين هذه الفترة العصيبة من تاريخ الإصلاح

في الدولة العثمانية فيقول .

وسكت لاسرى اذهشة والعجب والشك واليقين، وشرد رجال
مدحت عن أحصوا له ولما دته، ووسط هذه البلبه الفكرية، صدر
الأمر الثالثى تعطيل الدستور (وكان قد أعله هذا الجيد في مستهل
حكمه) عطيلاً مؤقفاً، ولكن، ألا يعرف - أيها القارىء الكريم - مدته
هذا العطيل المؤقت ؟ ثلاثون سنة .

لم يكن ارأى العام حذراً الحذر، ولا عادلاً خدع، ولا قويها فاهته
ارتحل مدحت إلى أوروبا بفكرة : أن عدد ما يمكن أنقاده، فطوى
بأنحاء أوربا يزلف دون العرب على روسيا نى كانت حارب بلاده،
مينا لهذه الدول ما فى سكوبا من خطر عليها إذا أسهت الحرب عن
أسعار روسيا وأسرادها محل المسألة الشرقية

ثم رضى عنه السلطان - عن طريق أنمطف عليه دون تقدير جهوده -
فسمح له أن يعم مع أسرته فى جزيرة كرس - فذهب إليها وعاش فيها مع
أمره نحو شهرين، ثم عيى وليا السورية، ثم لزم مر ثم كانت مأساة
التي حسمت بها حياته : إذ قص عليه وأرسل إلى الاستانة بحاكمه تبة
أشراكه فى قل السلطان عبد المديد، وبعد بحاكمه صوريه، حكم عليه
وعلى مشايخه « بالاعدام »، ثم أسدلت الاعدام بارسى، فمخلوا إلى حده
ومها إلى الصائف حتى سجنوا فى قلعها فساقوا زكريا ثلاث سنين
وأحرى عليهم العذاب ألواناً، وسدت المحاولات لآفاتهم جوعاً وساء
بيت قوة احتياهم : صاف وذاة الأمور بهم درعا فقرروا أن يسموهم،
وامكن مدحت وصحة اكتشفوا المؤامرة، فلما أتيهم الخيل أوغروا حتى
مدحت خفيق .

يقول الأسيد : أحمد أمين

« وقد حسمت أمكارة شاعة وجهه، أكثر مما حدمها جهاده

في حياته فقد أملت العوس الخيرة مما أصابه المأصم ، وأجبت
نار في أفئدتهم وأفسده من يتصل بهم ، فبما التهمت البران التهمت
عند أحمد كما التهمت من قبل عند العزيز بن ثعلبا هي التي التهمت
فكرة الخلافة من أساسها فيما بعد .

أما في تونس فكان الباي أحمد رجلا طموحا يعمل على مصدحه
سنة ، ولكنه اشكى سخطه سوء يرفعها مصطفى حرة دار ، بولي وزاده
العمالة (المسالية والداحية) حسا وتلاين سنة أنفل فيها كاهل الشعب
بالصرايب والمضام عن الرعم من أنه كان مندما ، فكان يقوم الذين
مبهجدا ، ويقتضي النهار سارفا ، رأى في حير الذين شانا طموحا يخشى
منه في مستعصه فوجه انتة صهبا لولائه .

وحوالى سنة ١٨٥٣ م . رأى مصطفى حرة دار أن سوءه
قد تكشفت وأه يوشك أن يقتضح هو وشريكه في المآثم وأبعاده
تتمدرس عمار ، فمرا أموالهما في فرنسا حيث ادعى من عياد أنه يداير
أبدوله تولسة بديون باهظة ، واتحدت العصبة دورا حصاراً

أورد الباي حير الذين باننا إلى فرنسا لمكاخفة الاعاءات من عدا
فأبلى الاء حسنا في الدفاع عن مصالح بلاده ، فأجبلت قصيه من عياد
— كقصية سياسية إلى لتحكيم في لجنة برأسها بالمليون الثالث

ومن أعرب امصادفات أن جمع بين مصر وفرنسا — في نفس
هذا الوقت — مشكلة التحكيم بين الحديوي إسماعيل وفرديناند دسلس
حول مشاكل قناة السويس ، وأن يرأس لجنة التحكيم لإمبراطور
المليون اثاث

عاد حير الذين إلى تونس فعينه لدى محمد وزيراً للحربية فمهم

بأصلاحيات كثيرة ، أهمها أن جعل للورداء -جلات سجل فيها كل الأعمال بعد أن كانت الأمور تدير ارتجالا .

و قد أسعرت سياحات حير الدين باشا في أوربا واحتلاله بقطار رجال العكر في فرنسا ، أن صار بشر في تونس ، تمثل ما كان يفرضه مدحت في تركيا - ضرورة أساس الصم اليابانية في الحكم . وأن يوكل لتشريع في البلاد إلى مجلس شوري منتخب ، فكل له ما أراد .

ولكن العقبة لوبي الحديثة اصطدمت بمش ما اصطدمت به العقبة التركية الحديثة .

فالعلماء في الأستانة كانوا يقولون سلطان عشوم خير من فتنة رسوم . وفي تونس لم يرعوا العلماء عن مجلس الشورى وصاحبه ، لأن بعض أحكام القانون سياسته لا شرعية ، وأن القانون يمس بالحق بالاعلية ، وقد ترى لأعلمه ما لا يرتضى الدين .

عني أن حير الدين استطاع التعلل على هذه الصعوبات بحجة مصدر الأمر بتأسيس مجلس الشورى . ولكن المجلس اصطدم بعقبات ثلاث الأولى أن العلماء قد ظهر رأيهم في الحياة السياسية ومدى بعدها - في نظرم . عن مبادئ الدين ، والثاني أن نظافة الناي ، وعلى رأسها مصطفى حره دار ، كانت تريد أن تجس أداة طيعة لأغراضها أما لثالث فهو أن الحكومة الفرنسية لم يكن رخصها هذا النظام الشورى وما يستتبعه من سهر المجلس على مصالح الشعب ، إذ أن ذلك يصعب على فرنسا مطمحها في الاستيلاء على البلاد .

و أراء هذه الملاحظات ، اثر حير الدين أن يعتزل لعمل الحكومي ، وقد كان المتروك فيه أن يتزعم حركة إصلاحية كالتى تزعمها مدحت

بعد اعترافه ، إلا أنه آثر المسألة نظراً لارضاؤه بصدافة لدى من راجية
وبمصارعة حرية دار من الناحية الأخرى

إلا أنه عكف أثناء عمله على وضع كتابه ، يقوم لمساك في معرفته
أحوال المهالك ، وقد بحث في مقدمته حار البلاد الإسلامية وأسباب
تخطئها بعد رحلتها ، كيفية إصلاحها

وباعده عام ١٩٠١ ، وحل حوضه حرية دار ، فطوى الماي تحت
حاجبه ، وألقى بحسن الشورى ، ونصبت يده في الأسس حتى وقع
في تونس ١٥٠ مليون من الترويات في سبع سنوات .

واسلب تونس ما استتبعت به مصر في ذلك الوقت من ساحل الدول
الأجنبية استخاصه على رتبته ، فطلب لجه من تونس وإيطاليا
يرأسها موطن بولس ، وجعلت مهمتها بوحيد الدين وتحديد الفوائد
، وإدارة المرافق التي حصلت لبلاد هذه الدين أو فوائده

عندئذ انجحه الباي إلى جبر الدين يطلب منه أن يرأس هذه اللجنة
فاختر ، فأخ عليه حتى قبل ، ومن المريب أن الباي أحفظ مصطفى
حزبه دار بمنصبه على الرغم مما تبين من أنه سبب السكينة .

وقد واجه جبر الدين من المشاكل ما كان كفيلاً بمثله ، ولكنه
كان رجلاً لا يعرف ليأس إلى نفسه - ميلاً - فاستطاع بكياسته وقوة شكيمته
أن يجد من ساحل اللجنة الثلاثية فيما لا يعنيا ، وفادول صهره ، وكشف
عن مساوئته فاستطاع أن يفرله - وأصدر قراراً بمحاكمته خوفاً ، وألزم
سدفع ٢٥ مليون فرنك ، وبذلك عتقت أمامه أبواب الإصلاح

إلا أنه لم يكبد استقرار حتى طفت عليه أوهى الرجعة ، فودعها
تونس ، راجعاً باب المضامع فاعدوا له وزير السى ، فاحل
بجدة قدم استغفته إلى ماى فتمت

وقضى خير الدين — بعد اغتراله بالوردية — أعواماً سوداً . فقد كان أشبه بسجين لا يبرود ولا يروى . ثم ساء إلى أورو ، ولكن الأهمه لم تطب له ، فمضت بمضاد إلى تونس .

وأخيراً استدعاه السلطان عبد الحميد إلى الأستانة ، وأحسن استقباله وفروبه ، ولم يلبث أن عينه صدراً أعظم في وقت كانت الدولة فيه تسمى أعوص مشابهاً لها مع الدول الأوروبية ، كما كانت تعاني مشكله داخل الدول الأوروبية لعزل الخديوي . فمات عبد الحميد وكان يرى في كل سنة مشاكلاً ، فاجتهد في تحمل المسؤولية على حسابها . فاستدركه الموت . وعنه مع المسؤولية . فزاره . فلما كان السلطان عبد الحميد يرى ، يمرض ربه ، وعلى رأس أورراء . فحمل مسئولية . فمات . فمات السلطان . فمات مع العلى من قبل .

وبالت عيه رجاء الدين ، رد كرهوا منه أبووف في وجههم والضغط عليهم .

يقول الأستاذ أحمد أمين :

ولكل هذا عزل خير الدين بعد ثمانية أشهر في اسوة ، وما كان أقرب مائته من عرسه . وأدرك عبد الحميد أن قد حانت فراسته فيه . وظل بعد ذلك عشر سنين في مقاعد البطالة ، لا يمثل على المسرح شيئاً وكل ما يرى مأس لا ملهاة فيها .

ومات وهو في الأستانة عام ١٨٨٩ م عن نحو سبعين عاماً ، ودفن في جامع أيوب ، وحف ناريحاً في الإصلاح حافلاً ، وكفاحاً للفساد طويلاً ، ودنه أنه لم يجد موافياً من الشعب ولا مؤاداً من السلطان . ولقد كان مصلحاً اجتماعياً وسياسياً من جنس مدحت باشا ، غير أن الفرق بينهما كالفرق بين السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده ، فمدحت يصلح ، فإن عجز عن الإصلاح نادر ونادر الانقلاب ، وخير الدين

صاح . نحن عجز عن إصلاح دفع يده إلى السماء وقال اللهم إني قد بلغت .

عبد الرحمن الكواكبي

يكون الأستاذ جورج أنطونيوس في كتيبه ويحضره عرب ،
صوت في اميد ، شمس جده عندما شارب ، ، لاصي على
الاسماء ، رشي محسنة الكواكبي . يدي مساهم في سراجة مساهمة
منه ، مؤمنين لادين تشيع من سطو . من فكر مدع ، نقطة مرحة
وساخ كدند بأحاديث كثيرة منه من حيوية وملاحه

كان عبد الرحمن الكواكبي في سنة ١٨٤٩ م . من أسرة سورية مدونة ،
وقد ولد عام ١٨٤٩ في حلب ، حيث بقي في أكرم كلية إسلامية ...
وكان في هذه حياته العامة محبة وفانوي . ثم إلى أو . في الحكومة
حيث أكسبه تهجته العلي على الأستاذار عصب روي . ثم لسجن ،
وما أطلق سراحه سنة ١٨٩٨ عاد الشام ليتنفع بحو توسع من الحربه
في مصر . وبعد سدين ، قام برحلة لدراسة الحياة بين سكان بعض مناطق
العربية لمعيدة ، فرار لوصول وزيربار ، وتعمل داخل اليمن ، وبعد
إقامة طويلة في مكة ، عاد إلى القاهرة حيث توفي فجأة عام ١٩٠٣ ، وهو
في الرابعة والخمسين من عمره

لم يكتب عن الكواكبي شيء يذكر . ولكن بعض معاصريه الذين
كانوا يعرفونه معرفة جيدة ما ذاقوا الحس الخط في بعد الحياة ، (أ .
سنة ١٩٣٨) ، ويحيل لنا أن الانطباع الذي تركه في نفوسهم يطق في
صورة شخصيته المنكسة وكنائنه . والظاهر أنه لم يكن بين هذه
المعاصرين من يعرفه معرفة صحيحة ، إلا أن من يعرفونه أكثر

وصفوه بأنه رجل ذو احساس عميق ، وفيت ذوق جماعى . يستمد منه
الوحى الأول فى جميع حركاته وسكناته ، وأن أفكاره كانت هادئة
وواضحة . رغم انوار المناجحة فى نفسه . وقد لاشت فيه أنه كان يؤمن
إيماناً عميقاً بحقيقة الإسلام ، والآفة العربية . ويكره كرمه عمده كسبه
فى نوع من أنواع التعصب والغرور ، ولا سيما ضد الغرباء . وقد وصفوه
بأنه أنه كل محبة . فقد سجد سامية بدارائه بمرادى بطول عده من إله ع
و جبراً ، كما كان حارساً له . فقد سجد سامية بدارائه بمرادى بطول عده من إله ع
فى معنى . فقد سجد سامية بدارائه بمرادى بطول عده من إله ع . وصفوه
بأنهم حملوا من مصر . فقد سجد سامية بدارائه بمرادى بطول عده من إله ع . لأنه كان يحسن
مناجاة الله تعالى . فقد سجد سامية بدارائه بمرادى بطول عده من إله ع . ومع ذلك
فقد كان انهم . فقد سجد سامية بدارائه بمرادى بطول عده من إله ع . ولعل لا يعرف عن دحية من
سيرته تعطينا صورة صادقة عن نفسه مثل المكتتب الذى أنشأه
من حسابه الخاص فى حب ايعزم للمفرد . من جميع الأدب الاستشادات
الحنيفية . والمساعدات لى قد يطلبوها . فلعنه الناس فى حلب
بأبى الضمضاء .

حوى كتابه الأول . أم انهم . مجموعة من الآراء التى تبحث فى
مصير الإسلام . وفيه يتجمل أن اثنين وعشرين شخصاً يمثلون العلماء
والفقهاء فى اثنين وعشرين قطراً من أقطار الإسلام اجتمعوا فى مكة لأداء
هم به الملح . وبعد ثلاث الآراء . فى أكثر من اثنتى عشرة جلسة رسمية
انفقوا على تشكيل جمعية ناشت تحت الإسلام . وتتألف الجرد الأكبر من
الكتابات من ج . يمكن اعتباره صفاً حرمه للجلسات الخيالية . ويعقب
ذلك ثلث نوايس اجتماعية جديدة . ويتحرف فى حتامه عن الموضوع
الأصلى لىبحث موضوع آخر . فهو مؤلف فىم وعلى جانب كبير من

سرعه الخاطر والملاحه . كما أنه ، ولقالب ابدى منه . كان أدبه صالحه
جداً لمرص أفكار الكواكي الجريه
أما كتابه الثاني وطائع الاستعداد ، فهو يصير مقالاه عن الاستعداد
التي سبق به نشرها في الصحف ، مصرية مع بعض الإضافات . ويعكس هذا
الكتاب أيضاً أملاه وعمى بتكثيره كما يتبين في شرح وتفسيره بدوه
وسلاسه . أما كرهه الوصح للاستعداد فهو عامن ومثبط لهذا الشرح
ولا يعكره في قليل أو كثير .

صدر الكتابان في لعاهه في حياة المؤلف مع أعمال اسمه . فكان
إشعارهما واسعاً ، والاهتمام بهما كبير . وقد هربت بعض النسخ إلى بلاد
الشام ، حيث جرى توزيعها بالسر .

هذا أيضاً على الكتابين مع بعض إحصائية ، وجدنا أنها حويان
محبلاً عميق ورائع لحالة الداعى إلى شعب العالم الإسلامى بصورة عامة .
وأجراؤه العربية بصورة خاصة . وفيه كدب تحصيل لعل هذه التدعى
وعلاجه لتحسن مع الدعوة ثم رده إلى وجوب الأحكام والدواء الناجع .
وفي نظره أن هناك أمور لابد من تحقيقها . وهما أساسيان ، وعلى
جانب كبير من الأهمية . الأول وجوب انعام بعمل جدى ومضمم مكافئه
جاهليه علماء دس . وجلل ، خاهير ، والثاني أن يستعيد العرب مركزهم
الطبيعى في تسيير دفة الإسلام .

وهو يرى أن جميعه كالتى تحملها في كتابه ، أم القرى ، ذات فروع
في جميع أنحاء العلم الإسلامى ، تصحح لصحيح الأمر لأول . أما الأمر
الثاني ، بعد دعا إلى تحصيله فصاحد وحر .ه في بحث و الخلافة ، وفي كتابه
عن الاستعداد .

بعد ساهم هذان المؤلفان بالحرارة العربية . وكان في مكانة خاصة .

كانت بعيدة كل البعد عن التحيز إلى طائفة دون أخرى ، بل كانت على العكس تحت الساس بجماره على سد الخلافات طائفية ، حتى أن بعض المقاطع من كتاباته دعت بصراحة إلى المساواة بين الأديان في سبل صياغة التصاميم الهومي

ولم يكن أدنى شك في حراره هذه الدعوة وصدقها ، ولما كانت حملته تصمم في الوقت نفسه العمل على هبة الإسلام بالأصاغة إلى مصر لعرب ، فقد كان له تأثير أعمق في نفوس المسلمين ، لأنها كانت تحركهم بدافع مزدوج .

عبد الله نديم

ولد عبد الله نديم سنة ١٨٤٥م في ربيع الحال ، ولم تح له فرصة تعلم مطعم ، ولم يلدت وهو في سن الخامسة عشره أن هجره جامع الشرح ، الذي كان يتلقى فيه لعل على الأسلوب الأزهرى القديم ، وصار يعيش بحال الأساء حيث ما يقبضه إلى شعر الشعراء ورجل الرجالين . فصاق به أبوه درعاً ، وفرض عه بده على معاه ما كان يعطيه .

واضطر عبد الله أن يشق طريقه في الحياة بنفسه ، فتعدده أمواح الحياة ، فاحلظ لطعامات الشعب المصرى كله ، وداى من ألون الحياة المصرية مرها وحبوما ، وأدب بأدب الطبقة الراقية التي استطاع أن يشق طريقه إليها . بمن ما عرف من شئون العامة ومتاعهم الشئ الكثير ، وذلك إلى ميل إلى القراءة والاعلاخ في مختلف العلوم ولغون . وعاصر أهم أحداث القرن التاسع عشر في مصر الأرملة المالية ، والرقابة الأجنبية ، وعزل إسماعيل وتوليده توفيق ، وقيام الثورة المراتية .

وبولييه عباس ثاني . والأرمه بينه وبين اللود كرومر : كما عاصر تصور العلاقات بين حكام مصر ولبيب انغلي وانتهى به المصاف إلى إقامه في الأستانه في عصر لسلطان عبد الحميد حيث ألقى بالسيد حماد الدين الأدهلي

استعمل في مصر بمصحافه . فأصدر جريده : التمسك وسكيت ، وكان يعدخ فيها غيوب التمسك الذي كان يعيش فيه . ثم أصدر بعد ذلك : الأسس ، فجمعت بين الإصلاح الاجتماعي والإصلاح السياسي

وهذا لعبه الأدهلي دورا حقيقيا في السياسة المصرية من في سياسته الإسلامية وسياسه أنه في مساهم حكا الخديوي في عهد من الثامن عشر . الأسس : حماد

والمصنف على ما كسبه في عهده بعد أن أنه بعد رجوعه من حبه . وكان مساهم في الحبي على أن : فهو : حرمه وشمس . ووجد في نفسه عشر سنين : فقد فوجئ ، فوجه من الأوجاع حتى في شهادته فأمره لم يكن معروفا من قبل في شرب الخمر . وبعد أكثر من ثمانين سنة : أبا في : وأثرت للحجرات في المدن : وسه : زاد ونهرى . وانزل الأروام : لاأمون عن طريقهما . وسمو : بساء : حرمه . فمن يكثر في الخروج في الشوارع منه جئت : ومن : له احتشيش والمعاجين والإفراخ في : طلبها والإحتفاء بحالها . : استعمل هذه الحريم : وسية : الإهتمام في اللذات والذهور . : وأعجب من : من : استعمل في تقييد المصريين للأور : بعد أنغلي في لسانه : بالهول . : ونشأ : باستجداده تحت أجنبيته : أنه : حرمه : : ومن : حبس : من : لثياب : الأور : فقد كل ذلك في أسلوب قوي جد . : : وهم : الأور : من : تشجيعهم : هذه : الأمور : حتى يسقط الشرق وتتحل أخلاقه . وبعد كرسناك : مداهم : التعميم في

للبلاد ، وحلواها من ميثاق القومية والعصية المصرية . وحدث أساء
البلاد على إنشاء الجمعيات الخيرية التي قد هذا المقص ، وبحو ذلك .
ووجب ما رأى من أن كثيرا من أولى الرأى في الآله أصابهم
الدهشة ورعب من الاحلال (الرضا) عاظوا على أنفسهم ،
ولم يودعهم في كلام في شئون العامة ثم وراء حجاب وتركوا
أساس مسئلة أوكا هم ، مقصده فهوهم لا يعرفون من تحبوا ،
قد عاد إلى حرج دون رأى من عزهم وحلالتهم بأى يد في
للمجتمع العامة . يحطون فيهم ويشرحون ما حدث وما يحدث . حتى
يكونوا على صيرة من أمرهم

وفي كل وقت كتب عبد الله سام في الإلهام الأولى من د لاسناد ،
ووجدت نفوس مسعدة لله بدعوى وكثير حذره سطر لاديل
صية نفس الهوى ، وتسم الأستاذ بشوفا على ما كان يوقع ، وما
كان يصدق منه حوى " لأنه لأهل كبر حريته يومية إدارك " وبعده
طبع الأعداد الأولى منه

ثم يرى نعمته بعد ذلك ثبت في أمدان سياسي ومادية الحركة
بوسطة ومؤامرة ، الحديوي عباس ومهصة الاحلال حتى بعد ذلك
وصحافي العدد الصادر في ١٧ يناير سنة ١٨٩٣ ففتح ناه . بعد
جريء عنوانه ، وشتم شتم لعمنة فعب ، وشي فيه كات تر على لسان
بعض الأولين يحاطون بها لشرقيين . صفت في حالة هرب وحاله
شرو ووسل الأسع ، وما رأى لك وسد بالعريين : ساسهم
وبالتة فيين : عفتهم وشج عا مذهب حكومات مرسه برامة سعوبها
وما يشه في أمير شرقي للاحلاف ، ما يعبه انصيون : اتحادهم
ووكبرهم ودع ، إلى لا اتفاق حول احذرو ومصلته بالخطه على
حقوله شرعية ، ويحتمو بقال مرسه رونا حة فهد سيج البس دين فين

رفونا هذا لخرى . وشهدنا إن بعضا . وجمع الكلمة الشرقية . مصر به
وشاميه وعربية وتركيا . أمكسا أن يقول لأورما نحن نحن وأنتم أنتم .
وأن يقيا على هذا تصار . وسجدوا . والناس الأجانب فرسا بعد فريق
حق لأورما أن تطردنا من بلادنا ونفسه في قوط . بواكبه مثل
لنعلم بعدا .

ثم علت هذه هذه أخرى . وسجد بعد الإخوة ضم اخيه في سبيلهم
في الهند ومصر . ويسب من يوب . سب وسب الناس على المنكرين وطرق
النشير ويقول . أن سبنا . سب وسب لأنفسهم من ورانهم فتأدت
عنه اجرائد . عد له في مذهبه من الإنجليزية وعربية ، وحذرت منه
وقالت أنه بعد الملار له من المسلمين وسبهم . وبين المصريين بعضهم
وحص ويحرك هذه من بين المصريين والآجانب وسبوا ثورة كالثو .
امراية . ونصحت لأول الأمر من أن جسد أن بأحدوا حصارهم منه
ولاسات اعاقبه ، وشهد به بعض الحارث انجليزية كالنيس وانديين
بور . وفات أنه معتب للدين . معص جميع أعوان الأوربيين ، وأنه
ورى معص . وأيدتها المقطم ، ودافع عنه لموبد والأهرام والوطن وبعض
الجراند الفرنسية .

وكانت هذه اخذه وهذا الخذل المناسيع في المسائل عامة أكر موقعه
للرأى لعدم التأم ، يعبه موقعه وما نصره وما يعبه

وكانت جريدة . الأصا ، هي جريدة مصطفى كامل . نغم منها الاتجاه
والعنه . وإن احدها من حيث الثغاة والاسلوب بحكم الزمن والاحداث
والظروف

ونلخص سيره عند الله بدين فيما حدث عن نفسه وهو في من لتاسعه
والثلاثين ، قال :

الأمير شكيب أرسلان

وهذا رعيه من رعياء الفكر في العالم الإسلامي حديم الإسلام
سأبه وفيه فأحسن . ونقل بين ربوعه منزهاً لأخطار الاستعمار . ودعياً
المسلمين في كافة أنحاء العالم الإسلامي إلى بيعة سيدهم إلى ما في نفسك تقواتك
ديهم من مديان . لا تقتصر على الأحرار . بل تعداها إلى عرض الدنيا
فدفع عن الإسلام كابوس الأسس

وبدأ أمير شكيب على الدور سنة ١٨٧٠ وثلاثه وادبه شأته ديبه
إسلامه . ثم سله في بيروت ، وكانت سنة انقضى عنه سنة . بقي بعد
في مدينتها الإسلامية . به أن كانت هذه حدة رقة بادرة . ومما درس
المشرى كثره ساحقة .

وفي سنة ١٨٨٢ علقه في الأمد الإمام شيخ محمد عده بيروت
كان الأمير شكيب حالاً في مدينته أحدهم . مما تاملت . وت أحب
الإمام . اشتق أمير لشعب إليه . ولك الفرصه م سيجله إلا بعد ذلك
ربيع سنوات . وكان الأمير صالاً للادب وسمير . ففسره أن يقام
لأدم . وأن يحدث إليه . وأن يتتبع عنه روحاً

وهذا كان الأمير شكيب معهما ما يدم كل الأعجاب أحد عنه الكثير
من أمهكارة في إصلاح العلم الإسلامي . مع الأساليب التي تميزت بقوة
أحبة وسلافة للعبير . وهدهو . المتأمد . مما اشتغل الأمير مكيب منه
١٨٨٩ إلى دمشق . وكانت سنة بذلك لا عاود العشرين . استطاع أن
شئ به يقه إلى محسن مفتي شافعي علامه محمد لمبى . وكان لا محض إليه
إلا حبه كشيوخ . فأعجب به . وفسره كمشقن رهر في
خدمة الإسلام .

وفي سنة ١٨٩٠ راز الأمير شكيب مصر ومباذله من دموع لعالم
الإسلامي . وبه من هذا الطواف عاينان الأول أن يشبع روحه بمشاهدة
معلم المدنية الإسلامية العاصرة ، ولثانيه أن يسهل لمسئرين أنبا من الخطر
الاستعمار .

وقد صور الأمير شكيب حال العالم الإسلامي فيما يقسه به في هذه
اللقاء من كتابه " هذا أنا نحن المسلمون " يقول رحمه الله

" بعد أصبح نفا . في حديثي ، كبر أعده . لمسلمين هم المسلمون ، وإن
نفس هذا أنا . بعد من أروطة قد يفتي أن سوح ناس من حيث
في أحسنه . إذ يحمل أن يذهب هذا إلى الأحاب الخبير . فيهم هم حق
حبه أو يديه التي يرحمها الرباني ، وقد يكون معه بها حرة

وكان الأمير شكيب سعى عن عدم الإسلام في إسرائيل أمر به وهدم
من به من الإسلام . ولا غر به في ذلك فقد حضر من الأحداث ما سر
به عشاق هذا الأرض . وكان يسعى على عده الذين تقاعسهم عن بعض على
ما يصنع حال المسلمين . وفي بيت يهو

" من أكرم عو من يعقر مسلمين همار . جلال أمر انهم سوح خاص
من هؤلاء . ولا من حمد ملك . من الأمة خلقت هم ، وإن لهم
أن معمر به ما شامون . وقد سح فيهم هذه الفكرة حتى إذا حاول
تعاون أن يصيبه على اجاده . هشوا به عرو لغيره . وحاد انباء أمير بقول
كذلك الأمة . لمقبول في نهائهم . القبول باملا على في حيوانهم
واقترع هم حوار من حيث لا صلح . بحجة أنه سق عصا طاعة وجرح على
الجماعة .

ولقد عهد الإسلام إلى العلماء بتقدسه أو الامراء . وكانوا هدي
في الدول الإسلامية عاصلة . بمثابة الخائس السياسية في هذه العصر

سيطرون على الأمة ويسددون خطوات الملك ، ويرفعون أصواتهم عند صياح الدولة ، ويهيئون بالخليلة من بعده إلى لصواب ، وهكذا كانت تستقيم الأمور . لأن أكثر هؤلاء العلماء كانوا متحفظين بالزهد ، متحدين بانورع ، متحدين عن خطوط الدنيا ، لا يهمهم أعصب ملك الظالم الجبار أم رضى ، فكان الخلائف والموثق يرهسونهم ، ويخشون مخالفتهم ، لم يعبون من انقياد العامة لهم ، واعتداد الأمة بأمرهم . إلا أنه مرور الأيام حلف من بعد هؤلاء حلف اعدوا العلم مهبة للتعشيش . وجعلوا دين مصيدة للدنيا ، فسوغوا للمفسدين من الأمراء أشنع موفقاتهم وأناحوهم باسم الدين حرق حدود الدين ، وهذا والعامة المساكين عذبوا عوطة عمامتهم هؤلاء العلماء ، وغلو مفاصلهم ، يظنون قتيام صحيحة ، وآراءهم مواجعة للشريعة ، والفساد بدلت بمظلم . ومضال الأمة ذهب . والإسلام يتقهقر ، ولعدو يعنو ويشمر ، وكل هذا أثم في رقاب هؤلاء العلماء .

وبقادر الأمير شكيك أرسلان بين دعاء التجديد المطلق . والآخرة بأساليب المذنبية القريبة دون تفكير أو تدبر وبين دعاء الرجعية المظلمة واعتماد الدين بأبواب على اشرق أن يقتبس من العرب شيئاً ولو كان صالحاً ، فيقول

وومر أكثر عوامل انحطاط المسلمين . اخود والجحود فكان آفة الإسلام هي لفحة الجاحدة التي تريد أن تلعى كل شئ . فديم بدون نظر فيما هو صار منه أو نافع ، كذلك آفة الإسلام هي الفئة الجاحدة التي لا تريد أن تمر شيئاً ، ولا ترصى بإدخال أى تعديل على أصول التعليم الإسلامى ، طامعهم أن الاقتداء بالكممار كفر . وأن نظام التعليم الحديث من وضع الكفار .

وقد أصاع الإسلام جاحد وجامد .

وَأما الجاحد فهو الذي تأتي إلا أن يعرّج المسلمين وسائر شرفيين ،
ويخرجهم عن جميع مقوماتهم وشخصياتهم ، ويحلبهم على أنكار ما صي بهم .
وهذا الذي في نفس إن أنكار الإنسان ما صيه مخالف لنس الكون
النصيبة ، أي جمعت في كل أمه عيلا طسعا للاحتفاد بموماتها
ومشخصاتها من لعه وعقيدة وعادة وطعام وشراب وسكنى وغير ذلك
إلا ما شئت صرره .

أما المسر الجاحد ، فإنه لنس بأحق صرراً من الجاحد وإن كان
لا سر كة في دخت وسوء نيه ، وإما بعض ما يعمه عن جهل وتعصب .
والجحد هو الذي مهد لأعداء المدينة الإسلامية بطريق الجدارة هذه
المدينة ، محتجب بأن ، حر الذي عليه العام الإسلام إنما هو ثمرة عاصم ؛
والجاحد هو سبب لهر الذي انتفى به المسلمون ، لأنه جعل الإسلام دين
أخره فقط . وهو الذي طرد لأعداء الإسلام على الإسلام ، وأوجد
هم السنين إلى بحاله عمه ، حتى فاولا انه دس لا تألف مع الرق العصري ،
وأنه دير حائن دون المدينة ، وأحققعه أن هؤلاء الجاحدين هم الذين
لا تألف عنائهم مع المدينة ، وهم الذين يتولون دون الرق العصري .
والإسلام ، من جماراتهم هذه

ويتحدث الأمر شكيب عن العصب الذي يقون

ومن لعرب أن ترى الأوربيين ودعاتهم وتلاميذهم من شرفيين
يتهمون المسلمين بالنعص الديني ، ويردوهم بلفه ، ويتحنون لأنفسهم
لتساهل في الدين ،

وإذا أدرى قوم ينفون مع الاعتداء على الإسلام ، وينادون المسلمين
لتنسوا للخطر المحض بهم ، اتهموا بالنعص الديني ، لأنهم غير المسلمين فقط ،
بل بين المسلمين الجغرافيين أيضا — أعنى الذين يساهون بأن سياساتهم

«لاديبية» وطالما صرحوا بأنهم لا يقيمون الدين ورعا . وطالما ترفعوا
على المسيحيين كونهم هم لا يدافعون عن الدين الإسلامى كإدافع ريدو عمرو
، فالمسلم قد لا يخلص من لقب « متعصب » إلا إن علم أن المرئيين
يحبون نصير الضرر في الحرب . ثم ذلك كأنه لم يسمع شيئا . ولا إذا
سمع أن الخواريث يحترقوا مائة ألف . وهم كتفه عاتلا . أهلاهمى أكان
الجاوى مسبا أو مسيحا . هالك عصر السنه . راقب . ويعد . عصره
ويصير محبوبا . ويقال فيه كل خير .

« أما لأورى . فيه أن يسى لمناظر لمقطه على كى ادعاءه
المسيحية بن المسيحيين . وه أن عمنها ما دفع ونصارات وانه دانت . وه
أن يحول بن المسلمين ودينها دانت وماؤ سطة . وه أن يدس كل ديسية
نكسة لهدم الإسلام فى بلاد الإسلام وليس عليه حرج فى ذلك . ولا
يسده هذا على صفة راقب . وه ممدون . وه عصرى .

« ورغم أمور كثيرة لا نسما الآن شرحها . لا يزالون يجدعون
المسلمين فائين هم . أن أورما هدرت ادس برجه . وصارت على
حطة لاديبية . وديت اتس لها الرقى وحجت . ونحن لن نلج مدما
سائرين على خطة إسلامية .

محمد أقبال

ولد أقبال عام ١٨٧٦ فى السجاب . وتلقى دراسة عليية بجامعة لاهور
فما تان درجته انعلية . وطف معيد بكنية الاداب .
أهل القرن لعشرون ومحمد أقبال لا يعدو أن يكون واحداً من آلاف
الموطنين . وإن مبرنه مهنة لتدريس التى هيات به فرصة الاحتلاص بطة
الجامعة . ولم يلبث اسم أقبال أن ملح فى الوسط الجامعى . إذ كان يظم

الشعر باللغة الفارسية ، وقد جمع في شعره بين الأدب والعباسة ، وداع صوته
وعنى طلاب الجامعة شعره صد صدائه سنة . وكان أقبان ، في مستهل
القرن العشرين ، يؤمن بما يؤمن به شباب الهند عامة ، من مسيلين وهندوس ،
بأن الوحدة القومية هي السبيل الوحيد لتحقيق الأمان الوطنية .

وفي عام ١٩٠٥ سافر أقبان إلى أوروبا . وأقام بالبحر ، ثم سافر إلى
ألمانيا ، وعاد إلى الهند . وقد قضى في رحلته هذه ثلاث سنوات طبعته
بصانع جديد . درس لغة في كمر دج . ثم درس التصوف في ميونخ ،
ثم عاد إلى كمر دج لدرس لغاتون

وقد كان لرحلته هذه أثر عظيم في تشكيل حياته مستقبلا ، فقد شهد
الحياة والنشاط في المجتمع الأوروبي ، واستمرص ما يقابلها من ركود
وموت في حياة أممير في لشرق . وأدرك الأقبان البعد الذي يمكن
للشريعة أن تدرك ، مما كانت أوروبا تسمى إلى تحقيقه همة . بينما كان الشرق
يعطى في أحلامه بها ، إلا أنه شهد كذلك التنافس الجسدي بين الأفراد
والدور ، وورقة التطاحن والتكالب على العروق بما يصور عليه من
شهوة التدمير والتخريب .

وقد آمن أقبان بأن تعاليم الإسلام لصحة كعبه بأن نبين لشرق
محاسن الحضارة الأوروبية ، حاليه من أمثال والآثام التي شهدا
عاد أقبان إلى الهند يحمل هذه الأمان الحلو . وعمل على نشرها
بسلعته وبصاحته ، فدعا إليها ثرا وشعرا ، وأحب احساس في هوس
الصفة الوسطى دون لطفتين العليا والدنيا . أما الطبقة الدنيا فلا ترتفع
إلى مستوى آرائه الفلسفية ، وأما الطبقة العليا لم تقبل على أقبان لأنه
كان اشتراكي النزعة .

كان أقبان يدعو إلى بقطعة الملبس من ساسهم ، وكان يقول : لا يجوز
عملا أن يتجرت العالم والملبوس بياض ، أو أن يتقدم وهم فاعون بالقطع

إلى ما يجرى تطوع المتعرج ، دون اشتراك معي فيما يجرى . وأنه لابد للإسلام من ثورة ، إذا أريد له البقاء .

ومن أروع الأمثلة لى صها أقبال فى شعره أن المسير فى القرون الوسطى كان إذا تولى له ولد ساء اسم فقال : محمد لله لا يحمى على مكروه سوده ، أم مسلم ليوم فحب عليه أن يعمل على حماه الله من أن يبقى مثل ذلك المصير . وذلك بأن يحسه ، من الصغر ، حسد لأمر من امتنشيته بالصعير . وذلك تكسب الله به النجاة .

وكان الله من قومه ، ساءه لى تنحصر فى أن الإسلام يوجه إليهم دعوته بدمية لا ترفعهم ، من مستوى الحيد لأولى به الدائمة الحركة . بل إلى مستوى رفيع منها من ناحية الحديثة ، وأسرع منها نحو الهدف ، وهو النكال .

ويعبر عن هذه المعاني فى إحدى قصائده . فمحدث عن سببه لكاليه فى تركب يقول : إن فيثارة العرب لا مأنى لألحاح جديده . حين جديدها ما هو إلا ما أنلاء الرمن من لألحاح الأورده .

وكان يدعو إلى مهنة فى الشرق ، تنفانية لا فليده ، وفى ذلك يقول : إن أوردنا قد وصفت أحد فديده فى العرب ، وبذلك أصبحت عذرة عن إبعاد الشرق .

وكان يكره الرأسمالية بمقدار ما يكره الاستعمار ، وبذلك اجندت دعوته إليه لطقة المتوسطة عن إدراك وفهم ، كما اجندت إليه الملايين من الطبقة الدنيا عن طريق التقيد . وكان لا يكره الرأسمالية لداتها ، بل يكرها عن طريق العطف على صحاياها الشرية .

وفى صدر القرن العشرين ، امتنت أكثرية المسلمين المستبشرين بالهدى بأن الدعوة القومية التى يدعو إليها حزب المؤتمر بنصوى على أهداف مصالح لأفلية الإسلامية فخطر ، وظهرت فكرة التكتس الإسلامى فأنجنت

• الرابطة لإسلاميه ، . ولم يتردد أقبال في اعتناق الفكره ، بل زاد لجعل مستقبل المسلمين في الهند مسرحا لجولاته الفلسفيه الأدبيه في شعره ونثره .

وقد كان من حسن حظي أني قابلت أقبال في يناير سنة ١٩٣٧ . وتحدثت إليه في هذا الشأن ، فإذا به يعرض للشا كل الساميه والاقتصاديه وادبيه ولعصريه ولباريحيه . ثم يعرض لنجود الجداره التي بيدها المسلمون المستشرقون للتحرر من التحكم الهندوسي في مصائر شعبهم يألفه الاسلامكاه أو الخصوع ، ثم يخرج من كل ذلك سيجة واحدة ، هي أن لا مندوحة للمسلمين من أن يستقيموا عن عرقهم من سكان الهند ، حتى يمكنهم في كيف هذا الاستقلال ان يرفعوا من شأنهم وأن يسروا على مصالحهم وإذ به يخرج من كل ذلك بفكره . باكستان . وقد كانت هذه الجلسه التاريخيه . سلسله إثنى ، متاح لعلم بفكره الباكستان ، ثم أن كانت تترد أميه في نفس أقبال ،

وقد هبأ أقبال لأذهال لمدول فكرته بأن أصدر ديوانا يقوم فيه بشعر على فلسفه القوه . فحدث ذلك في عروس اميس ما عند رعة مدحه في أن يسميدوا بخدمه لفانت ، وقوتهم لفائمه ، ودفعه إلى أن يؤموا بأن لا سيبين إلى تحقيق الاحلام إلا إداد استفض الباثم وسعى القائم ، وخرج لباس من حبر بفكر إلى حير لعمل . العمل نقوى العمل

وكانت دعوه تجديد في الإسلام ، التي كان ينادي بها أقبال ، غير قاصره على مسلمي الهند ، فبه كان يتحدث إلى العالم الإسلامى بأجمعه ، يحاول أن يرفع الروح المعنويه لمسلمين أينما كانوا . ويشكل في الحضارة الأوروبية ويرى أن مستقبل المسلمين رهن بعدم الاستسلام لهذه الحضارة التي جلبت على أوربا مصائب الحروب .

وحير ما يحتم به الحديث من أقبال أن تقتطف من مقال لهديقنا

الأستاذ محمد مظفر سعيد نشره له بحجة رسالة الدكتور كرسن ، عن فلسفة أقبال .

يستعمل الأستاذ مظفر حديثه عن أقبال فيقول :
ورث أقبال حكمه الهند عن أسلافه براهمية هندية أسسوا منذ ثلاثة قرون ، وورث حب الإسلام ورسوله عن آباءه المسلمين . وبطل من معين لفلسفة العربية في أوروبا ، وحصل على أجازاتها الجامعة من كراتنج وميونيخ . وقدم رسالته في نظرية المستأثرين عن الفرس . وتأثر إلى حد كبير شعاليه « ينشئه » في لسو برمن ، و « برجسون » في التطور المدع ، و « كيت » في النقد والاتجاه العملي ، ثم هو من جانب آخر ، أدب بأدب الفرس ، وتأثر شعره ، حافظه ، ثم عرج على تصوف فتأثر بمذهب « جلال الدين الرومي » .

أفلا يحس لنا إذن أن نقول عنه كما قال « ميهار » عن نفسه « جمع المجد من أطرافه ، حكمه الهند ، وفلسفة العرب ، وأدب الفرس ، ودين العرب » .

ثم يحلل الأستاذ مظفر دراسات أقبال وآراءه لفلسفية . فيتكلم عن آرائه في فلسفة الشرق ، وفلسفة العرب ، وفلسفته الخاصة ، وإيمانه بالذات ، ورأيه في السؤال ودل السؤال ، ورأيه في الحب وفكرته في تربية الذات .

ثم يختم مقاله بالحديث عن رسالة أقبال فيقول :
هذا هو أقبال رسول العصر الذي يقف عن نفسه : ولست في حاجة إلى الأدن (التي تسمى) اليوم ، فأنا صوت شاعر لعد ، أهدى الصال ، وأنا دى روح جديده .

وعده هي فلسفة أقبال ، الفلسفة الإسلامية التي لا تعرف وطنية جغرافية ، ولا شعوبية ، غير الأخوة الإسلامية التي تجعل المسلم سيداً لدا

يا أيها المسلم إن الأرض والسماء لك
صبوة القدسي أعلى من شرارات الفلك

• • •

ما جئت في الدنيا لتعني وهي بالحمد تدوم
هن لصح لشمس أهل فبمس من النجوم

هذه هي مسجده أفعال مثالية ، التي تسمى نفسي والكمال ، والخير
والجمال ، في ظل الإسلام .

رحم الله أفعال وطيب نوره ، وحمد ركزاه

حصن الينا

وحامه الإخوان المسلمين

في أحرىات بعد ثلاث من ثقب العشرى ، ظهرت في مصر دعوة
جديدة ، إسلامية في أساسها ، جديدة في أسلوبها إصلاحية في أهدافها ،
عالمية في توجهاتها ، تلك هي دعوة الإخوان المسلمين

ولده الشيخ حسن إنا في مسهل القرن العشرين لأبوين مسلمين
صالحين ، في مدينة الرحمانية بمديرية البحيرة ، وهي المديرية التي أحببت
من قبله الأساد الإمام لشيخ تحمده طيب الله نوره

تلقى شيخ العرفيا بين الرحمانية ودمهور ولفاهرة ، وانتهى به الأمر
إلى التخرج في دار العلوم عام ١٩٢٧ ، ثم عين مدرسا للعلوم العربية
والدينية بامدرسة الابتدائية بمدينة الاسماعلية .

منهاج دراسي لا يظهر فيه للشيخ عميرية ، وأن يبره على أتباعه ، في
كل مراحل دراسته ، مجموعة من المظاهر ، هي في نظمها مقدمات الدور
الذي قام به في علم الإصلاح الإسلامي ، فأخص به مصجع دول الاستعمار
وعلى رأسها بريطانيا .

ورث شيع عن أبيه سلسلته مثاليا . في غير هذا . تمثل ما ورث
عنه حقيقياً عملياً أدى به إلى تفرغ صناعته ساعات وقته كان طالباً . ولعن
هذه لصناعته قد عساه اندقة والطام أكثر مما تمسها من حياه مدرسية
كاد أن يسلك سبيل الدراسة الأخيرة وبوجهه حصه إلى مداس
بعضين ، وكاد أن يكون مدرساً في المدارس في مديرية صغيرة . فنتجته به
حسن طالع دعوه إلى إتمام درسه في دار العلوم العليا ، وكاد أن يسافر
في بعثته إلى الخارج لا بعد ذلك مدته رأيت ما فيه ، فأراد الله به أن
يسبق في وطنه . وأن يسرع على دعوه به ، وأن يستشهد في سبيلها

وبع الشيع من دعاه بدراسات إنديية ، فمر كل ما تسر له من
كتب اللغة والتفسير والتحدث ، فأثرت بدت من اندعوه للإسلامة
الحقة وهو لا يزال باقياً ويبدو سبب في إكراهه ، وهو لا يزال طالماً
مستنداً ، إلى جماعات الإصلاح الحلقى تكونها من بين أفراده من التلاميذ ،
فراه يشترك في جمعية الأخلاق الدينية ، ثم جميعه مع المحرمات ، ثم
براه ينتسب إلى إحدى لطرق الصوفية . وهي الطريقة الحشافية ، ويعجب
بقيتها مقدار ما يعجب به القف ، فلا يلبث إلا أن يؤلف من بين أتباع
هذه لطريقة جماعة إصلاحية هي جمعية الخيرية الحشافية .

ثم يسافر الشيع إلى القاهرة . فيصل إليها في أواخر صيف سنة ١٩٢٢
طالباً الالتحاق بدار العلوم العليا ويتحضر له ذلك

ويشهد الشيع العاصمة لأول مرة في حياته ، وقد استرعى أنباهه
مشهدان : أما الأول فالحركة لياسية الحربية التي تمحصت عنها ثورة
سنة ١٩١٩ وما تلاها من أحداث ، يرى الشيع يقف من هذه المعارك
الحربية موقف المتفرح ، لا تنجده إليها جاذبه . ولا يرضى بأن يقف
بعينه عليها .

ثم المشهد الثاني . فإن الشيع قد رأى في القاهرة حالة من تمسكك

المخلوق والاعتقاد عن الدين بعداً يهدد كيان المجتمع الإسلامى ، وهنا يسد
على الشيخ هم مفهم موجد فهو ينظر إلى حاشات المدينة العربية نصره اقروى
امتدين فهو له الأمر فيهرور إلى مجالس علماء الدين ويلتقى بأئمتهم من
أمثال الشيخ الدجوى ، ويتحدث شيخ الدجوى عن في دحية نفسه ،
ويطالب بأن يكون علماء الآدمر موقف بأراء هذا الخطب الخطل ، فلا
يستجيب له الشيخ الدجوى بمقدار ما كان يتوقع من استجابه . فتشور
نفسه ، ويخرج عن الحدود المسموعة بين كدر الشيوخ وصغارهم ، وتقول
في نفسه عقده البأس من إصلاح الحال على أيدي هؤلاء المعصين من
رجال الدين ، وفيه بأن الدعوة إليه لا بد لها من شاب في يدها .
يتحرج شيخ في دار العلوم ، وتعين مدرسا في مدينة الإسماعيلية
فيحاول أن يقضى وقته بين مدرسته وبيته . ولكنه لا بدك أن تترامى
إليه أساء المدينة ثديية وظروفها الاجتماعية وعرف في عرف أن
هذا البلد الذي بعلت عنه الرعة الأوربية ، إذ تحبط به المعسكرات
البريطانية من عريه . وبكتعه مستعمره شركة انقال مر شريفه ، ومعظم
أهله يصلون في هاس ساحتين ، ويتصلون بأهله الأوربية من قريب .
عدا البلد ، مع هذا كله ، فيه شعور إسلامي قوى ، واتصال حول علماء
وتقدير لما يقولون .

ويرى الشيخ ، وهو ليس الملائم الإلوجية نفسه بدعوة وحده إلى
بين أساء دار العلوم ، أن شه الإسماعيلية صاحبه لشر الدعوة الإسلامية
فقام بالدعوة في المسجد ثم تشق من المسجد إلى أهله . وسرع كره
في مدته ، وأفس عليه الدرس ، واسطاع أن يشق صريقه بدعوته بين
أشواك أبي في طريقه قصص حضر

فإذا جاء شهر مارس من عام ١٩٢٨ ، رأينا ستة من أعضاءه ومريديه ،
وجميعهم من عمال مدينة الإسماعيلية ، يقتصدون زره فيحدثون إليه ، وفي

صوتهم قوة ، وفي عيوسهم ريق . وعلى وجوههم سنا الإيمان والعزم . يتدأكرون معه في الوسيلة العملية لتحقيق دعوته ، ولا يمتص الجميع إلا وقد بايع الإخوان لستة الأستاذ على العمل للإسلام والجهاد في سبيله ، وأن يؤلفوا من بينهم جماعة تعمل على تحقيق أهدافهم ، فقررت منه العين بذلك : ولما كان غير طبيعي أن تنتم الجماعة ، ولا تتحد لها اسما ، فقد طلبوا إليه أن يختار لها اسما ، وبذلك ألفت من بين هؤلاء جماعة « الإخوان المسلمين » .

لم يكن فكرة الإخوان المسلمين فكرة طارئة ، ولم يكن الأستاذ المنادى محدود رئيس أخته الرياسة مفقاده ، بل إنه كثر في نفسه هذه الجماعة منذ أن كان طفلا ، وبحث في رأسه الفكرة وترعرعت بقدر ما كان جسمه يسمو وينزعزع فهي بذت جرمه منه ، وهو جرمها ، لا عى لأحدهم عن الآخر .

وما دام الأمر كذلك ، فلا عروبة في أن تولد الجماعة عام ١٩٢٨ كاملة الخلق بمعددة الأهداف .

ولم يسبق لزعيم من رعاة الفكر الإسلام في العصر الحديث أن خرجت أفكاره إلى حيز التثمين فأنضمها مئات الآلاف على منهاج متعلم ، ووفق مساهم موضوع ، واضحة الأهداف ، إلا دعوة الإخوان المسلمين .

وأما إله أهرر ذلك من اناحية تاريخية . أنادر باتهار الفرصة قادراً عن نفسى شبة الحير ، فأنام أنتسب لهذه الجماعة في يوم من الأيام . وم ألقى المعهورة بحس السال مرة واحدة ، في زياده عائرة ، برفقه صديق من أصدقائه ، وقد آمنت بعد هذه الزيارة بأن الرجل جيد غير هارل ، وأن دعوته جدية لا هزل بها .

أما أهداف هذه الدعوة ، الدعوة الإسلامية الكبرى في القرن العشرين ، فتتلخص فيما يلي .

نصر الإحسان إلى ما وصلت إليه الحضارة في وادي النيل من فساد تعمس في كل أرافق ، من فشل في المطالب الوطنية ، إلى تحطيم في الروح المعنوية إلى شقاق وحلاف بين نفوس أبنائه وأرغما ، إلى جهار إدري أسيده المطامع لشخصية ، إلى قانون ضعف سلطانه على لعوس ، إلى انحطاط في مستوى المعيشة ، إلى أخلاق قد عصف بها الجهل والفقر ، إلى إنحلال خلق في كل مكان .

ويسمع أبن الجماعة ، فتخرج من ودي سين إلى ما جاوره من أرض لعرونة والإسلام مطيع إلى ما وصلت إليه من تلك البلاد من مشكل تدور كلها حول تحكم المستعمرين الأجانب في الوطن العربي الاسلامي ، فأشرب مسير دلائع ، وحاميه ضلأ بعدد ، وقد انحدرت الأوضاع الاجتماعية في انعام الاسلامي مثل ما انحدرت و وادي النيل .

ثم تريد إرساع الأمن ، فينصر الإحسان إلى ما آخه إليه التفكير من رعبه لعالم وساسه الشعوب ، إذ رجعت أمثل العيب ، وعصيت عن الأنصار والقلوب تلك الأهداف التي يرى بها هؤلاء ، نفس ساعة العسرة ، وسر انعام نأ كنهه عسفة المصالح الدنية ، والمتمامع الاسميوية ، وصائق الشعوب ، والإسلام على عواد احدم ، وكل ذلك على صورة من الجشع واسهم لم تر الدنيا لها مثيلا .

وقد عرست جماعة الامر من تواجيه ثلاث المصيرية انجبه والعربية الاسلاميه ، بدولة نعمة ، وسموا هذا الحلون الآيه - ما في مشكله وادي السن وفي الاسلام املى الخيرية وبركها ، وقرررها بالقرار والكم واجهات تفصل معيه ، ويدعوهم إلى

الاعتزاز بها والمحافظة عليها ، ونقول بيه صلى الله عليه وسلم ، ومن أعطى
الدالة من نفسه طائفاً غير مكره فيس منى ، وهو يحارب هذه اللصوصية
لتى يسمونها إستمهرا بكل ما فيه من قوة ، ولا ترعى تعاليمه أبدأ بأن
تسود أمه أمة ، أو رهو شعب شعباً آخر .

ويوم قرر الإسلام هذا ، قرر بطريق العملى إلى حماية هذه الحرية ،
وأعرض الجهاد بالنفس والمال ، وجعله فرض كفاية يتأمن الدعوة ،
وفرض عين على كل أمتاء الأمة لرد العدوان على الوطن ، إذا واجهته
قوات الغزاة من غير المسلمين .

ومع هذا فقد رحب الإسلام بالوسائل السلمية وأباه الخصومة
من أدب هذه الوسائل إلى الاعتزاز بحق أسكن لأصحابه ، ومن
السلم المصروية . أوصى به الحق تعالى ، ومن سب التحكم إذا لى
بى هـ حق أيت فـا فـشبت هذه جهود سمة ، أن رأى للإسلام
صريح فى ذلك ، وهو يتضمن إعلان خصومه ثم لأبى وأبى وسنة
من وسائل الجهاد .

لقد فاقصت من يصل إلى شىء سمعت الأخير وبصليهم وما ورثهم ،
واحكمنا من يصل إلى شىء . أمام تعيب المنهج لدولية واضطامع
الاستعمارية ، لم يس إبان ذلك ولا سـ على سوء ، أن نعلم بالخصومة
الصريحة أسافه ، ونقـرى صراحة لعار ما يسبوا ويسهم من معاهدات
واتفاقات ، ونعلن إعصار أمة أم ادى معهم فى حالة حرب ، ولوسلية)
وسطم حياسا على هذا الاعتبار . إقتصادياً بالاكتهاء والاقتصار
على ما عندنا وعند إخوانا العرب والأمم والدول الصديقة إن كانت
— وإجتماعياً بتشجيع روح العزة والكرامة وحـ الحرية — وعملياً
بتدريب الشعب كله تدريباً عسكرياً حتى يأتى أمر الله ، ونهيا العوس
لذلك بدعاية واسعة نامة كاملة ، كما تفعل الأمم إذا واجهت حالة
الحرب الحقيقية ، وتغير كل الأوضاع الاجتماعية على هذا الأساس .

أما في بقية أنحاء لعالم الإسلامي فعلى الجماعة أن القصبة كلها قضية واحدة ، معاهد ، سكان الحرية والاستقلال ، وتكسیر قيود الاستغلال والاستعمار .

ولذلك لا بد أن مسكتل وتتوحد . وقد بدأنا بالجامعة العربية ، وهي وأن كانت لم تسفر بعد الاستقرار الكامل . إلى أنها توافد طينة مباركة على كل حال . فعلياً أن تدعمه وتقويها ، وتحفظها من كل ما يحيط بها من عوامس الضعف والتخلف . وعلينا بعد ذلك أن نوسع الدائرة حتى نتجهز ، انطلاقة أمم الإسلام — عرصة وعيد عربية — لتكون نواة لحية الأمم الإسلامية بأذن الله

أما نصر الجماعة إلى لمشكلته "عالمية" ، فإنها ترى أن قيام كشتين متعارفان العام اليوم . الديمقراطية والشيوعية — ستؤدي هذا العام إلى حرب ناشئة عندها انقسام لدرية ومارات خاصة والأسلحة المهددة . وأنه لا مخرج للعالم من هذه اتخذه ، إلا بأن يسود العلم ، روح الأخوة بعالمية التي أدنى به الأمة . كما يرى أن يكسر الدول العريقة والإسلامية لتكوين جبهة ناشئة تكون فيه الخلاص للناس من مشكل التي تهدد العالم في صميم كيانه .

هذه هي نظرة الإخوان المسلمين إلى امشاكل المحلية والعالمية قد خصها في أصيق نطاق مستطاع ، ولعل السبب في هذا الأخوة — الذي قد يكون محلاً في بعض المواضع — أن الإخوان المسلمين جماعة معاصرة لا يسهر على من يذبحها أن يستوى كتابته دون أن يتهم بأنه وقع تحت تأثير .

نشأت جماعة الإخوان — كما هدمنا — بمدينة الإسماعيلية ، ثم انتقل مركزها الرئيسي إلى القاهرة فاتسع مجال نشاطها . وودى بالاستاذ حسن البنا مرشداً عاماً للجماعة ، وانضم إليها خلق كثيرون من هرتهم الدعوة

ببلاستها ونقاشها . على الرغم مما حدث من خروج فريق لم يكن من رجال
الصفوف الأولى ، ظهرت على أثره جماعة جديدة باسم « شباب محمد » سنة
١٩٣٩ ، ولكن جماعة الإخوان المسلمين - ارت في طريقها تنقل البيعة من
عشرات الآلاف من مشايخهم ، في مختلف أنحاء أبوا دى ، فكان لها من شعب
ما لم يحظ به أية هيئة دينية أو سياسية أو اجتماعية من قبل .

وانعس الإخوان في وادى النيل بوحا اجم ومن على شاكلتهم في أنحاء
العالم العربى ، فتأسست جماعات على عرازها ، أو فروع لله فى العام ، تقهره ،
في معظم أنحاء العالم العربى . وحظى أقطاب الجرحه بتقدير ولأه الأماور في
الملاذ الإسلامية المستعنة .

وانصرف القائمون على شئون الجماعة إلى تحقيق أهدافها ، فأشأوا
مراكر لثوية شباب تربيه تهدف إلى نشدهم على فمائل الإسلام لعملية
وألقوا في صفوفهم نظام « الأسرة » لكنائس الروحية وهو نظام لا تخلو
منه شعبه محل من الإخوان ، وقد كان هذا النظام أثره في نشده شباب
الإخوان على أسس من الاستنساخ لا سواهم لغيرهم ، كما أشأوا أسديه
لتدريب شباب سريه كشفا وعسكريا . وأسروا المستشفيات والعيادات
الخارجية لعلاج المرضى من أعضاء ، وأشأوا لهم جريدة يومية تسم
على نك مبادئ الإصلاحية ، وأمضوا العالم العربى بالمصوغات إلى
يهدفون بها إلى تحقيق رسالتهم الدينية والشعبية والاجتماعية

« رسالة الجماعة الروحية » فتتحدث في العمل على إمامه حكم إسلامى
قوامه لأحد أحكام لشرعه الإسلامية ، ووسيتها إلى ذلك العمل على
ريجاد أى عام يفهم الإسلام ، وضمن به ، ويرجس مداهته ، ويبارى
بإحلال قواعده محل قواعده المصطنعة . وقد ينجح الإخوان المسلمون في ذلك
حاجتهم مبررة . لأن من تغار من قوه أن رأى لم يصب بالتشريح الإسلامى
أيوم ، وما كانت عنه وقد قهرت جرحه لأول مرة ، ينجس سواهم .

ومن أهم ما امتارت به رسالة الإخوان أنها رسالة إيجابية ، فطالما نادى المصححون بضرورة إصلاح حال المسلمين ، وسكنتهم بوسموا بذلك طريقا واصحه المعالم ، فكانوا أشبه شيء بطبيب يشخص اداء ، ولكنه لا يصف الدواء . أما الإخوان المسلمون فكانوا حين يعرضون لمشاكل العالم الإسلامى وعلة ، يعرضون على ذكر أسأها . وهى العبد عن الإسلام ولتحل عن تعاليمه ، والالسياء مع الموجة المادية لحسبة التى يرميها بعرب أما للعلاج كما تصفه الجماعة فهو لعودة إلى الإسلام والأحد تعاليم القرآن .

ثم أدبوا بدلوهم فى عالم الاقتصاد ، فأسسوا المؤسسات الصناعية . مؤوس أموال إسلاميه . شدد تدريب ائساد على الاستكفاء وكافح الاستثمار الاقتصادى لئلا

وقد أيقن البريطانيون — فى مروع بالغ — مدى ما يمكن أن يؤوس به أمر هذه الجماعة من تهديد سياسته الاستثمار الأورثى على وجه العموم ، والاستعمار البريطانى لمصر بوجه خاص

فلما كانت الحرب العالمية الثانية ، انتهزها البريطانيون فرصه للعمل على نقضاء على هذه الجماعة فصاء يقف للاستعمار بما راد به ، فأعروا الحكومات المصرية المتعاقبة هذه الجماعة ، وصوروا هـ خطر الجماعة على هذه الأحزاب من الناحيه احرسيه . ومن المؤسف أن الحكومات المتعاقبة قد استجابت لهذا الأعر . فاصطهدت الجماعة أينما اصطهدت ، واستعانت عليها بسيف الأحكام العسكرية المسلط على الرفاب

ولم يقتصر أغراء البريطانيين بالجماعة على الحكومات المتعاقبة ، بل تعداه إلى عصر المسكى . فجمع امث فاروق يهبط إلى هذه الجماعة نظرة عدا . كما جعله يوفى أن فى نشاط الجماعة تهديدا لملكه ، فاتخذها عدوة له ، وما كان أحرأ بأن يتجدها بأصحة صديقه . ومن يدري ففعله لو فعل ذلك لتعيرت مصائر الأمور

أغلقت أندية الجمعية في كل أنحاء البلاد ، وصودرت أموالهم ، وصحيت مؤسساتهم لعلاجية والاقتصادية ، وقُدم بالبارزين ، بل وغير البارزين من الإخوان ، في عيادت لسجون ، وأُدينوا من العذاب ما لا يتحمله ويصمد له إلا المؤمنون .

وفي مساء ١٢ فبراير من سنة ١٩٤٩ مكنت الجمعية في أعز أمانات إد عين المعصور له الأستاذ حسن الناصري وهو خارج من مبنى جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة .

وكانت الأفاويل في ذلك ، وصل أسير مكبونا لا يتحدث به ، ناس وطمست معالم الجريمه على أيدي رجال الحكم الذين ناصروا الجمعية العداء السافر .

فلما جمع الملك السابق فاروق عن عرشه في ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ ، أنيرب لقصيه من جديد ، وقد أسفرت إعادة التحق عن اتهام أعوان الملك السابق ورجال حكومته وقتذاك وعن رأسهم الأستاذ إبراهيم عبدالحدي — أنهم دبوا والجريمه التي أُودت بحياء المرشد الدم ، صيب الله ثراه ، وجمع الخلة مأواه .

الباب الثالث

الفصل الأول

الحجرة ، الاستمير ، الاختلاف

قل أن نتحدث ، نصيب من البرعات الاستميرية بكل وجه من الدول
الأوربية التي كان عام الإسلامى مبدئاً لثبوتها ، يحذر بنا أن نتحدث
عن ثلاث من أطوار التاريخية : الحجرة ، والاستمير ، والاختلاف

الحجرة

الأصل في الحجرة أن ينفذ مجموع من السكان - رجالاً ونساء -
من بلد مزدحم به إلى بلد آخر بمقتضى الاستيطان - وطبيعياً أن يكون
البلد الذى يقع عليه اختيار المهاجرين أقل ازدحاماً بالسكان من البلد
الذى يهاجرون منه .

وفد كانت حركات الحجرة من أهم العوامل في تكيف الأوضاع في
العالم في العصر الحديث ، كما كانت أيضاً من مبرور المسح ، ذلك أن
للمنصر العسكرى ما يستتبعه ازدياد عدد رتبته من المفتوحة إلا على أسس
الزواج ، وإنما ما يستتبعه شعب يتطوى على ثورة قد يفرح في أى وقت .
أما المهاجرون فهم يملكون ما يجرى ثم لا يدعون أن يندمجوا أصلاً
للمستوطن فيه .

ولقد بدأت حركات الحجرة الحديثة عند كشف أمريكا ، وتصورت معاصرة
للمعاصرات الحديثة

وهي أن أساليب فتح حقير حيز من المهاجرين الأسياس مساحات

شاسعة من أمريكا الشمالية ، وأمريكا الجنوبية ، التي لا يزال يعذب عليها
انطاع الأساس في اللغة والعادات وأساليب المعيشة . ولعلت البرتغال
وهولندة دوراً لا يستهان به في هذا الميدان . وكان من حسن حظ هذه
الدول الثلاث أن المهاجرين مها كانوا طلاب رزق وغنى ، ولم يكن عامل
الاستعمار لسياسي بلعب دوراً نادراً في مستقبل هذه الهجرات . إلا أن
المنافسة بين المهاجرين ، وكل منهم ينسب إلى دولة لا يستطيع تجاهل
انتسابه اليها ، أضحت أمراً في هذه المنافسة . ومع كل ، فقد كانت
المنافسة بين هذه الدول الثلاث في ميدان الهجرة ذات أثر محدود ، ولكن
المنافسة لم تفسح ذات أثر فعال في مستقبل العلاقات بين الدول إلا بعد
أن رلت كل من إنجلترا وفرنسا في هذا الميدان ، فإن معامرات المحاربة
بريطانيين قد مكنت لبريطانيا أن تؤسس لها نفوذ في جزيرة بوقونيه
لاند (الأرض الجديدة ، في الشمال الشرقي من أمريكا الشمالية) ، ومنها
انتشر المهاجرون لبريطانيون في أمريكا الشمالية حتى أركوا المحيط الهادئ
غرباً ، وبلاد المكسيك جنوباً

وبما كان ذلك يجري ، كانت فرنسا قد أدلت بذلها في غزواتها البحرية ،
فمن الفرنسيون أنحدوا شئ في أمريكا الشمالية . ولم يثبت الفرنسيون
ولبريطانيون أن وهوا أسرار متنافسين في هذا التوسع الإمبراطوري
وقد لعب الذين دوراً كبيراً في حركات الهجرة الأولى . فإن العيرة
على مكسيكية سكان كوليكية . ذهب ماسبانيا إلى أن يحاول أن يخلق أمة
كاثوليكية مثالية في أمريكا الجنوبية . أما هو ، فرنسا فقد دفعهم لغيرة
الدينية إلى أن يحاولوا خلق شعب جديد يعلمون به على ما طغى على
الفاوة الأوربية من نزعات الإلحاد ، فأسوا على صفاق نهر سانت لورنس
في كندا دولة فرنسية جديدة . كما أن المهاجرين البريطانيين الذين ذكروا

المحر من ميناء بليموث باجترا عام ١٩٢٠ ، كايو ، دسمة الولايات المتحدة الأمريكية الحالية .

وتمت عام آخر دفع إلى هجرة وهو العفر ، وأروع الأمثلة على ذلك السيل الدفق المتواصل من المهاجرين الأيرلنديين إلى أمريكا في أيام المجاعة التي اجتمعت يرشده في القرن التاسع عشر .

أما الدفع الثالث من دوفع لـ هجرة فهو انصوح وحيد الخطايرة ، ويمثل ذلك في الدفع معامرين القديسين من الجندرا واسكسندة نحو القارة الأمريكية خلال لعشرين سادس عشر واثنا عشر .

وعندما أتت حم كل من آسيا وهو سه الآفول ، ودب الصعف والإصمحلان ، في كفايتهما البحرية ، تفوق البحرية البريطانية عليهم ، وقبضت على المهاجرين منهم أو كاد . ولما شئت عليه المهاجرين الهولنديين إلى أمريكا شماله ، في العالانية الساحقة من المهاجرين البريطانيين .

ويعتبر جنوب أفريقيا مثلاً على للهجرة فولندية اللاحقة ، ولا تزال هذه البلاد إلى اليوم محتفظة بطابع الهولندي في اللغة والتقاليد . على الرغم من أنها أصبحت برتغالية في نظم الحكم .

وقد أدى إسكان مجرمين لبريطانيين في أستراليا حلف مسعمر في أستراليا وريثه الجديدة ، اللتين أصبح بعد ذلك من أهم الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة المعروفة باسم الكومنولث Commonwealth

وقد كان كشف ذهب في كاليفورنيا (في غرب أمريكا شياية) وستر في القرن التاسع عشر من أهم الأسباب التي ساعدت على تعمير أستراليا ونيوزيلندا ونيو غينيه .

وقد كانت هجرة الحركة بحرية وفاء زاهرة طوريه في الأساس سبب في هجرة الناس نحو الغرب . ثم حده التي شجعت الروح العسكرية

ورفع بها الفقر. على أن الشعب الألمان لم يسأس الهجرة إلى المستعمرات الألمانية ، بل اندفعت علية المهاجرين إلى الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية قبل الحرب العالمية الأولى . أما بعد انتهاء تلك الحرب ، فإن هجرة الألمان إلى الولايات المتحدة هبطت ، ولذلك اندفعت سيول المهاجرين الألمان إلى أمريكا الجنوبية .

ولقد كانت الآفاق الصناعية ، وازدهار أجور العمال في الولايات المتحدة ، من أهم الأسباب التي حملت المدن الأمريكية الكبرى كمكة يجمع إليها المهاجرون .

ولقد قضت كندا في أحداث مهاجرين جدد ، حتى كان القرن التاسع عشر ، فيما اردحت الولايات المتحدة بامهاجرين ، برح المهاجرون من اعيان في كندا حيث يوجد للمراعي تكري ، واحبب انصارها من اوروبا إلى كندا . وقد عمدت حكومته سكانية وقتها ما إلى وقف الهجرة خوفا من تأثير مهاجرين . ولهم من العرب في حركة الانتداب سببه .

ومن أهم الحجرات التي عرفهم لعدم في بعض الأحداث المجدد اليابانية في سواحل المحيط الهندي وأخير انه افعة فيه . وقد تمت هذه الحجرات تحت تأثير لاردياد المضطرب في هذه السكان . ولقد جعلت هذه الحجرات كثير من المشاعر فحس الأبتس الذي لهذه لسواحل وخاصة في كاليفورنيا ، التي اضطرت إلى سن تشريع يوقف به سبيل الهجرة اليابانية ، فكان ذلك سندا في الجفوة بينها وبين اليابان . فإن اليابانيين مطالبون أن يعاموا معاملة المجلس الأيصل على قدم المساواة في الحقوق والواجبات ، بينما يرى أهل كاليفورنيا أن تطبيق هذه تقاعده سيجعل ملاذهم يابانية الطابع .

واليابانيون أغلبية في جزر الهواي ، كما أن أعدادهم تكثر في سيبيريا الشرقية . كما أن اليابان جالية في كل مباءة أو مركز تجاري في شرق آسيا .

هذه هي أهم الحجرات التي عرفها العالم منذ القرن السادس عشر وقد
وصح أن الحجرة ظاهرة اجتماعية في دوافعها، اجتماعية في أساليبها، لا تلبس
فيها الحكومات إلا دوراً ثانوياً هو حماية رعاياها في المهجر عندما يهددهم
خطر . فإذا اجتمع من المهاجرين عدد كبير في مكان بذاته ، بحيث يكونون
بألبية السكان في لعدد أو في لعدد . تطلب الدولة إلى استعلاء هذا
الخطر في حدود نفسه التي تمكن أن تقوم بين المهاجرين من ناحية ،
و لحكومته التي كانوا يسمون بها قبل ائخره من ناحية أخرى . هذا
على روح الوطنية الأصيلة على المهاجرين ، أنت الدولة الأصلية
تتوهمها بسمو في هذا المجر ، وصا المجر ، دعاً للدولة الأصلية
كما حدث في استراليا ، وريمد ، جديده

أما ما نعتت في هوس المهاجرين لفرقة لانتصاليه عليها ، لأسباب
في من أحب حدثت ائخره كالأصود ، في أنساني . فإن المهاجر
بصحة ، به فأنه ردتها كاه لانات امجدده ، ممر كاه ولا يصح ذلك أن
تقتصر لأسباب طلب بين امجر واد ، الأصل فقد جمعها جامعة
لأمة والثقافة والتفاد ، وامكها يحسن في السياسة وين أنتدت بغيرها
أساليب الحكم .

وواضح أن انباء الإسلام لم يستهدف شيء من هذه الحجرات
نهم إلا إذا اعتبرنا أن روح الفرنسيين من الأرض الفرنسية إلى الساحل
الأفريقي المقاس لها — في تونس والجزائر — من نوع هذه الحجرات .
يؤيد هذا الرأي أن عاسة المهاجرين لفرنسيين قد استوطنت الساحل
الأفريقي ، ومارست من الأعمال ما يمارسه الوطنيون من زراعة وفلاحة
عاري واحد . هو أن المزارع الفرنسية مزارع عودجية . يعمل فيها العلم
وتسودها أساليبه ، بينما ظلت المزارع الوطنية — إلى اليوم — تمودجا
للزراعة القديمة . ذات الأساليب البالية .

ويقال أهل البلاد هذه لطاهره بأن الفرنسيين نزلوا بلادهم مستعمرين
توهم دولتهم بامان والمستحدث من الآلات . وتصدق عليهم من المردية
ما رجح كفتهم في برودة على كفة الوطيين

وكذلك هجرة الإيطاليين إلى ليبيا وتونس . فيها مثل بحر لبروج
المهاجرين من سواحل و نا الجوية من سواحل أفريقيا لشبابه .

وثبت هجرة أخرى ، هي هجرة اليهود من كافة أنحاء لعدم بل فلسطين .
فيها قصب و برعرت تأثير الدعاية التي ينشأ الصهيونيون في كل مكان .
يظهرون دعوتهم في إنشاء وطن قومي لليهود . فها المهاجرون اليهود
درص فلسطين . كما وأهدر من العرب على الاستقلال مصادر الثروة فيها
وقع تحت أيديهم من أرض . سواء أكانت الاستقلال رديعاً أم
صناعياً . وهذا كان يحاجهم في هذا الاستقلال حاجزاً لغيرهم من يهود في
أنحاء العالم على أمثلة إلى فلسطين ، مما نسب عنه فيم مشكلة من أعقد
امشاكل في العصر الحديث . وسنحدث عن ذلك « تفصيل عند الحاجة »
على القضية الفلسطينية .

الاستعمار

الاستعمار لغة هو طلب تعبير ، ومعنى هذا المعنى المعنوي أن
يترك قوم أرضاً يقصدون تعبيرها . وتلكه الأرض لا تختلف في هذا
معنى المعنوي عن معنياتها من انبعاث أراضيها . فمجرد مثلاً لفظة
Colonisation (بالجمع) مشتقة من متبادلات (Colon) ، بمعنى
مزرعة . وسبب هذا المعنى المعنوي لا يجد في هذه الهجرة والاستعمار
التيهم إلا أن الهجرة دعاية للاستعمار . فمعنى الاستعمار هرجل
أو مجموعة أرحاء مهاجرين من وجهه الأرض إلى أي موطئ يتسرفهم

فإذا نزلوا به أصبح مهاجرين أو مستعمرين ، وأصبحوا هم مهاجرين أو مستعمرين

وواضح أن الاستعمار على هذا الوصف المعرف البحث لابد أن يكون له أساسه ، فمن غير المعقول أن يفكر قوم في الهجرة بغية الاستعمار ، لا إذا قامت ، في وطنهم الأصلي ، الدوافع المهمة التي تجعل الإنسان يخالف عريضة حب الوطن ، فيهجّر وطنه إلى غيره

ومن أهم هذه الأسباب :

١ - عدم الرضى بالأوضاع السياسية أو الاقتصادية أو العمرانية في الوطن

٢ - الاصطهاد الديني بخلاف مذهب الديني لدى بعضه ولادة الأمور في أرض الوطن .

٣ - ازدياد الرضا في البلاد لسريع التحول من عبود الاستغلال في أرض الوطن ، كالصراخ وعجزها .

٤ - حب المخاطرة ، وقد لعب هذا لعب دوراً لا يستهان به أيام الفروسية في العصور الوسطى .

وواضح كذلك أن الهجرة ، بمعناها ، شروط يجب توفرها في المهاجرين أو المستعمرين من ناحية ، وفي المهاجرين أو المستعمرين من الناحية الأخرى

فيجب أن تتوفر في المهاجرين أو المستعمرين صفات عقلية وجسمية خاصة ، تؤهلهم للتفوق في الكفاح ضد السكان الأصليين في البلاد التي يختارونها مهاجرين أو مستعمرين .

ولما كانت المهاجرين أو المستعمرات غالباً ما تكون ، وراء البحار ،

بعد لم أن تكون لشعوب البحريه أكثر الشعوب امثالا على الاستعمار
بطا لقدرة البحارة على التكيف المعاجي . ومهارهم في تبادل لبيع
وإعراء الشعوب البدائية .

يضاف إلى ذلك ضروره أن يكون صاحب الأقليم المستهدف للاستعمار
ملائما لأقامة المستعمرين . وقد أثبتت الحرب أن هجرة الأوربيين أو
إستعمارهم لمناطق المعتدلة قد حدثت ، بل فشلت كل محاولات بقادوها
للاستقرار . انظيبي في المناطلي احارة

• • •

هذا هو الاستعمار بمعناه العمومي ، وهو عمل لا يجوز من . عه إستاديه
إد يعود بكثير من الفوائد على القوم المستعمرين من ناحية ، وعلى لبلاد
المستعمرة من الناحية الأخرى . ولو ثبتت عمداً لاسم بحري على
هذا الموال ، ما كان للبلاد المستعمرة أن تصح هذا النوع من الاستعمار ، و
تصحر به .

• إلا أن طموح الدول الأوربية ، ورغبتها في توسيع رقعة الأرض التي
تملكها ، وحاجتها إلى المواد الخام التي لا يخرجها أراضيها ، وتقديراً لفسادها
واعتمادها على خدمات الأقاليم الحارة ، ورافس بين هذه الدول ، عه
التفوق في البر والبحر . كل ذلك ، وعيره من أنمو من كثير ، دفع
ببعض الدول الأوربية إلى أن تعمل على إخراج عمدها الاستعمار عن معده
العمومي ، ولعلمهم أن أدوارهم صبح ، ولكهم أنموه ، وإستعمار .

وبذلك حرص على بعض الأقاليم أن تسهدف للاستعمار السيامي . فمن
ذلك إستعمار الفرنسيين للشمال الأفريقي ، ذلك الاستعمار الذي بدأ بهجرة
كباركم ، ثم بسك نياسة القرية ، تحت ضغط ضروري الحصة

وصبح استعمرات لفرنسية في أمريكا ، أن قلب الاستعمار بمعناه المعنوي إلى استثمار سياسي . وكذلك فعلت إيطاليا في ليبيا .

ومما استثمار ، لأجل غير نهيدي ، بدأ ذلك الاستثمار بقيام شركة الهند الشرقية ، وكانت شركة تجارية حالمة . ثم تلتها الدولة البريطانية .

وأما فرنسا في أنحاء العالم وأحرار القرن التاسع عشر ، وجدت أن الاستثمار لا ينبغي أن يكون استثماراً سياسياً .

ولا حاجة لنا إلى التذليل على أن الاستثمار السياسي يحسن بين ثنائيه كثير أ من المساويء التي يقتضيها فرض سببها . فمما تتحكم في الاستثمار البري . عوامل طبيعية ، لا بد من أن يكون المدعو لها إلى وسائل التي يبرر عن صفات أو صون في السطوح ، مما يهدف هذه الوسائل ولا سيما عن احترام الطبيعة ومقتضيات العمل والاندماج .

ومما يوع من الاستثمار هو الذي استهدف به العالم الإسلامي . استطاع رده . وطال يش تحب يبره إلى أن تهيأ الظروف للحلص منه في العصر الحديث .

الإحتلال

نعرف الناس على أن ينظروا إلى الإحتلال وكأنه عملية أهل شأن من الاستعمار . طنا منهم أن الإحتلال يحمل بين ثنائيه طابع أوقته والواقع أن الإحتلال عملية أشد وعناء على الأرض المحتلة من الاستثمار ، فلا استثمار عادة مقدمات هي الهجرة ، ومساكن هي حماية المهاجرين . في حين أن الإحتلال لا يتقدمه سوانق ، ولا تؤيده أساب . وهو مظفر من مظاهر الجبروت يفرص على الشعوب فرصاً .

هذا رأت دولة قوية أن تزل بأرض ليست لها ، فأها تتخذ أساطين . كما لو كانت في حرب — ونزل بهذه الأرض دعم أنف أعانها ، ولا تترك في هذه الأرض مهاجرين أو مستعمرين ، بل تتركها جنوداً يهرضون

إرادة دولتهم ، ويسكون بأصحاب البلاد بقدر ما يبدى هؤلاء من المقاومة للجيش المحتل ، وفيما يتدرج المحتلون بأسباب لهذا الاحتلال

وأقرب الأمثلة على ذلك احتلال الانجليز لمصر في عهد الخديوي توفيق ، فان أساطيلهم صرحت الاسكندرية وهي عاصمة عن لصوص ؛ وزلت جودهم انصرية في منطقة القنال وهي مطقة هب وصع دولي كان يأتي عنهم هذا الثروب ، ولم يلبثوا ان انتشروا في البلاد ، ففرصوا عليها لإرادتهم دون أن ينصهم بأهل بلاد آيه منه ، مما يرد استعمرين بالمستعمرات .

وإذا رجعنا إلى المعنى القوي من كلمة وجدناها معنى التملك ولو نظرين وضع اليد ، وهي تدل على إخراج شيء وانتزاعه ، ومباشرة المحتل أو المتمكن انفسه على شيء محتل أو المستطوف بها يريد ، دون غيره من الناس .

وواضح من هذا ان السريفة أن الاحتلال أكثر تمكينا نلاجسي من الاستعمار ، وان كانت الدلالة السطحية للفظ الاحتلال لا تفيد عن ذلك .

• • •

الانتداب

صعبة من صيغ النسلط لسياسي ، استبطنها الوضع السياسي الدولي بعد الحرب العالمية الأولى . ذلك أن رئيس الولايات المتحدة - الرئيس ولس - دعا انتحاريين في هذه الحرب إلى وهب القتال على أن يعاد تنظيم لعالم من الناحية السياسية وهي فواعد سميت بشروط ولس الأربعة عشر ، وكان من أهم هذه المبادئ مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها وفعت رضى الحرب . واتخذ مؤتمر الصلح في فرساي سنة ١٩١٩

وإذا بالدول التي كانت ولا تزال حاصصة للاستعمار أو العبود الأوروي
نطالب بحق تقرير المصير ودرأت الدول الكبرى أن إجابة هذه الدول
إلى ما تريد مصنع للسيادة الأوروية . وأما إذا جاءت هذه الشعوب بما
لا يحقق أمانها ، استهدفت شروطا وليس للفسد ، ولم تؤمن عاقبة ذلك في المبدأ
المطلبة بتقرير المصير .

عندئذ تمتعت العقيدة الأوروية عن حل وسط ، يحفظ للدول
الأوروية نفوذها ، ويحقق لمطالبين مضالمهم من ناحية النظرية ذلك
هو نظام الانتداب .

يقرر المؤتمر للسند المطالب ، باستقلاله حقه في الاستقلال ويعبر
في الوقت ذاته أن الدولة لم تصح بعد صالحة لممارسة الحقوق والالتزامات
لتي تترتب على الاستقلال . وذلك يعتمد المؤتمر على دست إحدى الدول
الأوروية للوحاية على الدولة الجديدة ، سند ما موقفاً ، يسمى بأهلية السند
لممارسة حقوقه والالتزاماته في ظل الاستقلال

هذه هي الصورة النظرية للانتداب . أما حقيقة الأمر من الدولة
المتدبة تمارس في الدولة الجديدة جميع ما تمارسه الدولة المستعمرة في
مستعمراتها من استغلال ، وقد جرت العادة . منذ أن قام نظام الانتداب ،
على أن تعمل الدولة المتدبة على التفرقة بين أبناء الوطن الواحد . حتى
يصير هو بالترزح الداخلي عن مطالبة الدولة المستدبة بيهاء الانتداب .

الفصل الثاني

بريطانيا والشرق الأقصى

لست قصة الاسمير برينجى شرق الحديقة الأولى من حقباب سكاج
فتواص منى قدمت به برينجى لأحار السيادة استجابه ، وبعبه على
عدها من ادون الاستعمارية مصادفة لم ، فكانت لم من ريك لعمه التي
محت بها أبواب الشرق اسعد منه تشاء

أما مدحة الأولى من هذا انكساح بعدد عت في التيق حور
الأمير بكسين ، ولايسه ناسم نام في هذا النحال الصيق شرح
طروء نى أحدهم ، لشجيرة الانجليزية في ع من الحامس عشر ولسارس
عشر ، مما عث في شوس الاخيرة بروج البحرية الكامة ويوم الانبحر في
ذلك : إن الم ام ركوب لحر عد يحوي في شعوس وسكنه لايموت وهم
يشيرون يدت إلى أن شعب الاخيرة نى ، لطبيعة دكوبيه وطبيعة بلاده ،
كتب عليه أن يركب البحر .

ويوزن المؤرخ نريفلان بين الأرض المنسطة مدحه شكل التي
يشكون منها شمال فرنسا وبين الجزيرة البريطانية ذات السواحل الطويلة
والتصاريص المتعددة ، فيقول أن طبيعة الأرض برسية كان من شأنها
أن يجح المتقوهون من أفراد الشعب إلى فرص نظام الإقطاع ، أما طبيعة
الجزيرة البريطانية وسواحلها ، فقد جعلت من سكانها رجلا بحر معامرين .
ولم تكن طبيعة امعمارة البحرية وحدها هي الحامر للأبحار على
ركوب البحر ومقاساة أهوائه . بل أن ظروف العالم الأوربي في آخريات
لقرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر هي التي كانت على

الانجليز أن يركبوا هذا المركب لصف . . وإن كان عجبا إلى فدهم ،
بطبيعة تكوينهم ، ذلك أنه كانت لمياه برستون بانجترا علاقات تجارية
بحرية مع أسانبا والبرتغال . ومن هذه الموانئ قطع البحارة الانجليز
إلى جهوز الأسان والبرتغالين في ركوب البحر والاعلاء عبر المحيط
المهادى إلى الأمريكس . وطهر في عيشت الملاحه الانجليزية
دجون كايوت ، الناحر ، فيصلى الأصغر ، وكان يؤمن بما من به
كوبوس من كونه اذى من . وعند حصه بحرية برسته على صحة ما يؤمن
به . وذلك من أن . . . إلى أو ، ما أن . . . كوله من الذى سافر معه
متجها نحو العرب .

وقد دأب ملوك ال . . . على شجيعه من من . . .
ركوب البحر وتجارته . فكان . . . إلى . . .
معاصر . . . به . . . من ملوك . . .
به الماعنون من تقدير .

ويصور لنا الأستاذ . . . ايكوث روح العصر ، إذ يصف عوده
لمعاصر جون كايوت إلى مياه برستون فيقول . . .
معاصريه (وهو سدى بعضى لسن) في خطاب أرسله إلى ليدقه ،
الشرق المبيع الذى أعاد على كايوت ، فقد ألسن ثوبا من حرير ،
وكان أفراد الشعب يعدون حبه في الطافات كمن أصابهم لونه .
منه أن يخذ منهم لرحلته المقبة أى عدد يشاء . ويقول أن الملك هيرى
سابع (جند الملكة انصابات) أئدى إعطاه سجاحه ، ووعدده عشر
تسافر معه في رحلته المقبة ، كما صم اليه . ماء على طهه . كل المساجين ،
إلا من أدير تهمة الحياة العظمى .

وعلى هذا أوجه سأت تلك الصفحة من تاريخ انجترا البحري ،

ودعاهم كل رايض لطاعة سيده ، وكل نائر محكوم عيه . وكل خارج على قانون بلاده . وقد كشت من آلام هؤلاء جميعاً صفحة من لتاريخ الريطاني ، وتأسست عظمة اللاد على أفعال بأسهم من الحياة ، غير أن ظروف الحياة المحلية . وانصراف اخطار إلى التدحرج في شئون لقارة الأورده . وحلافها مع لادما حول سلطته اديبية على الموت . كل ذلك قد صرف الشعب عن مناصرة ركوب اسحر قوته . فاستكشفت روح المعامرة بعض اوقات . ولكنها لم تلبث أن ظهرت مرة أخرى في عهد الملكة اليبابيات .

فقد تخلصت الملكة ، بحسن سياستها ، وبدير من جهدهم لخدمتها من رجال ، من المشاكل الداخلية والآه رية معا ، وسلكت نعت الروح البحرية في عهدها من جديد .

وقد دأبت الملكة اليبابيات على تشجيع المعامرات لى يقوم بها رجال لحر من الابحار ، وخاصة بعد أن بدأ هؤلاء يابرون لسن الاسبانية في عرض البحر ، فمشككون معها في قتال مريب ، ويقضمون منها حولتها من الأمريكيتين . ولى سبيل التوفيق على الامانة الاسبانية ، لم تعبأ الملكة بأن يقال أنها تشجع لفرسان ، ومن الامنة على ما كانت تعدده على هؤلاء الملاحين — وهم في حقيقة الامر قراصنة — انها ألعت على المعامر البحرية الجري . جون هوكر تلقب سير على أثر عودته من احدى رحلاته البحرية الموضه .

ضجرت اسبانيا بهذا السلوك من جانب القرصان الانجليز . وحاولت أن تصع له حداً على طريق دولتهم ، لم تجد أذناً صاعية ، فأستعدت بأن لا مناصر من حرب سافرة تعانها على انجلترا . وخاصة عندما قام وديك ، بالإغارة على جزر الهند الغربية الاسبانية ، ثم هاجم ميناء فادس الاسباني . وأشعل النار في السفن الراسية فيه .

وجه فيليب الثاني ملك أسبانيا أسطوله المعروف باسم «الأرمادا» إلى سواحل إنجلترا لغزوها ، وقد ساد القلق الدوائر الإنجليزية من هذه الحركة الاسبانية التي كانت تؤيدها الدول الأوروبية المتحالفة مع اسبانيا . ولكن كان من حسن طالع إنجلترا أنها خرجت من هذه المحنة سيّدة على سحر ، ذلك أن الإنجليز كانوا يعملون في أسطولهم على أساس أنهم أبناء البحر ، وأن لغتوں البحرية هي وحدها التي يقاس بها التفوق البحري ، ولذلك تنوا ستمهم صغيرة في حجمها كما تستطيع الكرة ولها على سطح الماء ، أم الأسماك فأنما يطفون ، إلى الأسطول على أنه أداة من جنس يرى يخارب على ظهر السفن ، ومن هنا كانت عدايته بصحة أسف . بصرف النظر عن قدرتها على الحركة في معركة بحرية كبرى

وفي شهر يولييه عام ١٥٨٨ ، وهو تاريخ حاد عند البريطانيين ، التي الأسطولان في بحر الشمال ، ولم يلبث لدائرة أن دارت على «الأرمادا» فكان يوم نصر للإنجليز ، وفاتحة عهد ساستهم بحرية

خرجت السفن البريطانية بعدئذ تتحدى الأساطيل في كل مرعا ، وعلى ظهر كل مد ، معلنة أن إنجلترا أصبحت سيّدة البحار

بعد ذلك بدأ عهد جديد في تاريخ إنجلترا البحرية ، هو عهد «ردهار» بتجارة غير البحار ، ذلك أن البصر ابدى أحرره إنجلترا في مسيدين التفوق البحري كان دائما بالتحدار البريطانيين إلى الثقة بالتجارة البحرية ، ومن ثم بدأ استغلال رؤوس الأموال فيها .

ولبعد إلى الورداء قلبلا . لتعرف معالم الحركة التجارية البحرية . في خلال القرن الخامس عشر وما قبله ، كانت حيرات الهند تنقل إلى أوروبا بطرق شتى ، أهمها الطريق المائي الكبير : كانت المتاجر تنقل من موانئ الهند إلى ميناء عدن على سمن عربية ، ومن عدن إلى السويس

عن البحر الأحمر على سفن مصرية ، ثم تمر بحر ليدار ، لمصرية على ظهور
 احمال إلى موانئ البحر الأحمر المصرية حيث يتسلمها تجار المديفة
 وجنوه ، فينقلونها إلى أوروبا على سفهم ، ويبحرون بها ، بما يعود عليهم
 بالرخ ووفير . وعم الضرائب لكثرة التي تدفع على السلع خلال طريق .
 ويلاحظ ان الأستاذ محمد رفعت في كتابه « لتيارات السياسية في
 حوض البحر الأبيض المتوسط » الأحداث اذاعة في هذا العصر يقول
 أدرك لعنايون بعد سنت أقدامهم في امصايف للقوة البحرية من الأهمية
 لاسي أن جمهوريه لمدفية كانت وفة هم بالمرضاة في شرق البحر المتوسط
 فوجهوا همهم للعناية بالأسطول ، واستقرلوا على جرر بحر أيجة واحدة
 نلوا أخرى .

ومارالت ترك مناوى . لندوة حتى اصصرتهم في هاية القرن الخامس
 عشر إلى دفع اجريه لترك . وقد قوى مركز الأتراك في البحر المتوسط
 إثر فتح مصر وسوريا في عهد السلطان سليم الاول سنة ١٥١٧ ، وفتح
 رودس وسواحل أفريقية الشمالية في عهد سليمان القانونى ، وبذلك أصبحت
 سيطرة تركيا لبحر به غير مقصودة على شرق البحر الأبيض ، بل تجاورته
 إلى الغرب .

وبما كان لسلطان سليمان القانونى يوطد أركان الدولة التركية برأ
 وبحراً ، طالع لناس أنباء انقلاب بحرى عظيم شغل حكومات العرب
 فصرها شيتا فثبتا من البحر المتوسط ، وفتح أمامها عالم جديد مليث
 بالثروات التي كانت تتضاءل أمامها تجارة الشرق وموارده ، فقد استطاع
 كريستوف كولمبس أن يكشف عن قاره أمريكا الجديدة سنة ١٤٩٢ كما
 استطاع فاسكودى جاما أن يسيح إلى الشرق حول رأس الرجاء الصالح
 سنة ١٤٩٨ ، وبذلك انتشر نشاط الحكومات والشعوب العربية إلى المحيط

الأطلنطي . وتحول مركز الثقل في لعالم إلى ناحية الغرب ، ولم يعد لبحر المتوسط كما كان مركزاً للعالم المتمدن ومصدراً للشاغل التجاري

وعشنا حاولت مصر في آخر أيام سلاطين المماليك الجراكسة أن تسترد بموفا النجاري والبحري في البحر الأحمر ، فقد أختصع البرتغاليون سواحل الهند في الهند ، وجزيرة هرم عند مدخل الخليج الفارسي وهاجموا عدن وصنعاء ، وصوع ، وحدث بينهم تجارب مع البحر الأحمر ، وحجج المعجم ، وسطو على سفن أنصريين وبرتغاليين والملاحه وتستولي عليها

ووصلت أنباء هذه الفرصة إلى مسامع السلطان العودي فشكل أولاً إلى مائاروما ، طالباً وقف البرتغاليين وعدم تعرضهم لتحت والمضربة من الشرق . ولما لم يجد الشكوى جهر عودي حمة بحرية قامت من السويس ، واشترت معه السادة ، لمعاينة البرتغاليين في مصر المصريين أولاً ، ووقع القائد البرتغالي أسيراً ، ولكن البرتغاليين عادوا إلى أنصريين سنة ١٥٠٩ في موفا ديو وهي جزيرة صغيرة قرب مدخل الهند الغربية

وعلى بر ذلك تحولت متجاة من موانئ عدن ووجهه في سواكن والسويس إلى طريق رأس الرجاء الصالح ، ودمت طرس لتجارده من مصر الهند ، فكانت أدت عظيم في سوء الحالة الاقتصادية والسياسية ، لاني مصر وحدها من في جمهوريات انطاليا أصلاً ، وهي التي كانت تعتمد على تجارتها وأسواقها في الشرق

وقد ملكك لبرتغال ومام الموقف في أواس القرن السادس عشر ، ونولت عرواها التجارية على الشرق الأقصى عن طريق رأس الرجاء الصالح . وسبوا لأفهم مستعمرات تجارية ، تطوى على أهداف سياسية ودينية ، على سواحل الهند ، ولم يصادف البرتغاليون في جهودهم

هذه مقاومة تذكر، ذلك أن الجو كان خالياً فعم في هذا الجرم من العالم
باصراف بقيه الدول لغريبة الأوربية إلى الميدان الجديد في الأمريكتين
إلا أن البرتغاليين كانوا يحملون معهم في رحلاتهم هذه العود على
التي كان فيها القصاص على ساداتهم ذلك أنهم ساسوا أمورهم مع أهل الهند
سياسة باعديت بينهم وبين ما يريدون من ثقت أقدامهم كما كانوا ودوة
سنة في معاملاتهم تجارية وأساليب المدينة التي جاءوا بها من أوروبا إلى
هذه البلاد لفضرية

وبدأ عمل نهاية السلطان البرتغالي في الشرق أن منكم مستبدان
جود منه على مراد كش فاهزمت في معركة القصر الكبير سنة ١٥٧٨ .
وقد فني في هذه الحملة زهره شباب البرتغال . كما كلفت المعركة ، حيث حياته ،
وفي سنة ١٥٨٠ استطاع الملك فيليب من أسبانيا أن يضم لبرتغال ، في
ملكه ويدخل هرت السياسة البرتغالية في الشرق

ولقد اقتراب سكة البرتغال في سياستها الاستعمارية التجارية بمجموعة
الأحداث التي كان من شأنها أن ضرب كل من هولنده وادخلها في اسدان .
كانت هولنده ج . ١ من أملاك أسبانيا في الأراضي المستعمرة ، وفي منتصف
لعن السادس عشر ، رسحت الديار البرونستانية أمدها كقوة سيادة
في شمال الهند وباكستان وهولنده وادخلها ، فأدى ذلك في هولنده
إلى ثوده أسمرت عن قيام جمهورية هولندية سنة ١٥٨١ . وكان
الهولنديون قد دعوا في الماضي بأن يكونوا حمة امتاجر الأسبوية بعد
وصولها إلى لشبونة بوسيطها على موانئ الشرق . فلما استقلت هولنده
عن أسبانيا ، أمر فيليب الثاني بأن تعقد ميثاء شونه في وجه تجار
الهولنديين ، فاضطر الهولنديون أن يشعوا طرهم إلى موطن الأصلي
لهذه المتاجر - وهو لشرق - عن طريق رأس الرجاء الصالح ، وأسبوا

بمجموعة من الشركات التجارية . وخاصة بعد أن هزمت اليابان في موقعة
الآرما-ما-سه ١٥٨٨ . وصافرت جهود الشركات الهولندية فأسسوا فيما
بينهم في سنة ١٦٠٢ شركة اهد الشرف الهولندية

ويمكن طريق الهولنديين في شرق الأقصى معداً ، وقد كانوا يسطرون
معاباً للبريطانيين في جزيرة جاوه ، ثم أسسوا مدينة باسويا وجمعها مركزاً
لشركة . وفيما بين سنتي ١٦١٢ - ١٦٢٨ دخل الهولنديون لصواحن استراليا
الغربية ولا تزال الأسماء التي أطلقت على كثير من معالم هذه القارة
الجديدة تدل على علاقتها بالكشف الهولندي . وفي سنة ١٦٥٢ أسس
الهولنديون مدينة أرأس في الطرف الجنوبي الأقصى من القارة الأفرريقية
وقد ظلت بأيديهم إلى أن تمت إلى الأبد طوره . برتغالية سنة ١٨١٤
وبعد ما أثرت سياسة هولندية في شرق تاهيتي أسسيتهم .

أما انهم في الأول فهي جهود الانتقام من أسسوا البرتغاليين ، الذين كانوا
تحت عرش واحد عندما من هولنديون إلى شرق . أما الخلاف المذهبي ،
فقد كان عاملاً لا يؤول إلى جانب أحد من الميادين على أن يدعو المذهب
البروتستانتي من جانب أسسوا والبرهان كانت من الأسباب التي دفعت
إليهم إلى مناوئتهم في سياستهما الخارجية في أحزاب القرن السادس
عشر . لأنه عندما أصبحت هولندة . وهي من المذهب اللوثري
الذي يدين به الإنجليز — ما سكتة لثنية أحد في شرق الأقصى في أوائل
القرن السابع عشر . لعبت المنافسة الاقتصادية ، سياسة دورها ، فكان
عداء البريطانيين ومناوئتهم للهولنديين أشد وضأ وأعظم ثراً من مناوئتهم
للبريطانيين

لما لظاهرة ثانية فتلخص في أن الهولنديين لم يقنعوا بأن يكونوا
حصة لسدع من الشرق إلى الغرب . ونحسبهم أحصوا أنفسهم في ميدان

الافتاح في جرد البهار، وحاولوا أن يحتكروا تجارة التوابل . وبتناع هذه السياسة انصرفنا نظارهم وجيودهم عن الهند إلى جزر الهند الشرقية ، وحدث أن اضطهدت اسباب اليهود في ملاكا ، فهاجر هؤلاء إلى هولنده وكوتوا جاية لها أهميتها تحت علم الهولندي . وساهموا في امشروعات المالية والاستعمارية التي تنص بالسرق .

وبانصراف الهولنديين إلى جرد الهند شريفه ، بدأت إنجلترا في تركيز اهتمامها في شبه القارة الهندية . وحاصه بعد سنة ١٦٢٣

على أن عدة لاجئين إلى موهب كانت عتد على نطه هولنديين هند جريت لندسة الانجليزية على الاقتصاد . على مناع لاقصديته والتجارية . . . تحت من ديث من اوسع الليان . . . ان آلت اليهم سرة ومستقره لمراسلهم من الخمة واستقر به . وكان نظام الاجير دورك مركزة في به لم يجدد في أمريكا . فيما أصغت به مستهد و أمريكا كنه لاستقلال الأمريكي . انجحت انظارهم الاستعمارية إلى لشرق

هذه هي قصة ، بطايا في الشرق الأقصى . وهي قصة لعب فيها الخلق البحري ارضاء دوده لاستهان به . وشارك فيها الخط فسعت الدور الأولى في مأساة الأرمدا ، كما لعب الإصلاح الديني وانتشار المذهب بروتستنتي على — وعلى بحر الشرق دورا ثورده صدهه فيما قام به هولنديون من معامرات استعاد منها الانجليز

أما فاعبين سياسة الاستعمارية في الهند . فيكون لها موضع آخر من هذا الكتاب إن شاء الله .

الفصل الثالث

شرق العربي والمواصلات الأمبراورية

شهد القرن العشرون كفاح لشعوب العربية للتحرر من رقة الاستعمار أو الاحتلال ، أو الأنداد لبريطاني وظلت بريطانيا ، في معاصاتها مع الدول العربية عامة ، ومع مصر خاصة ، تتدبر في دبر بقائها بدريحتين أحدهما ، تأمين مواصلات لأمم افريقية ، والأخرى وأهمية ابتداء عن الشرق الأوسط .

أما قصة تأمين مواصلات لأمم افريقية ، فمست وسنة لطروف مله لأخبره ، من أنها رجعت في أصول إلى مرون حاث

في تقرون

حدثت تسع طرق أو طرق من الشرق الأقصى تشق طريقها إلى أوروبا ، فقدم تصور ولكن في الشرق الأقصى والآوربيين لم يعارفوا ذلك أن متاجر الشرق الأقصى كانت تصل إلى أوروبا عن طريق ثلاثة أحدها برية ولآخرين بحريين

أما الطريق البرية فكانت عبر آسيا عارة بكشمير أو أفغانستان ، ومن إيران فالعراق وسورية ثم إلى البحر الأبيض الشرقي

أما الطريق البحري فكانت أولاهم تدير بمحاذاة السواحل الآسيوية الجنوبية ، فالبحر الأحمر حتى تصل إلى اقترنم (السويس) ثم نقل بر إلى القاهرة ، وعن طريق سبل إلى إحدى مواني البحر الأبيض المصرية .

أما الطريق البحرية الثانية فكانت عن طريق الخليج الفارسي ، فمر الفرات ، ثم نقل لسلع برا عبر الطرف الشمالي لهنداء سورية ، ومنها إلى

في تلك الأرجاء ، وكان من أثر ذلك تدهور شأن المدن الإيطالية وزوال
سلطانها التجاري والساسي ، وقد عمل هذا التدهور خوفاً للبحر المتوسط
شرقيه وغربيه .

وقد نشط الانثرث في عهد لسطان حسان ، وأقاموا لأنفسهم دولة
بحرية من الدرجة الأولى بفعل جهود القواد البحريين الذين اشتهروا
بالمهارة والبطولة الذين انتصروا على كاسب مدافعهم أحياناً إلى القرصنة ، وألحق
هؤلاء القواد ذكراً هو خير الدين بابندروس الذي أحضع الجزائر
، تونس للدولة ، وطور عوث الذي أحضع طرابلس وجنوبها ولاية عثمانية

غير أن هذا تفوق لم يستأنف بعد وفاة السلطان سليمان
إمام تجار الهندية وآسيا ولبانوه ، فقد كون الجميع حلفاً مقدساً ضد
تركيا سنة ١٥٧١ بربطه أمير عموى ، ونشبت بين نقطتين معركة بحرية
حاسمة في لباتو عرفت فيها جريده المورده ، وفيها هزم الأتراك وبدأ
تعاظم الصعق وارتكز لدى شر روافده على البحر الأبيض .

وفي سنة ١٥٨٨ كتب الإنجليز سفوف البحري على أسبانيا في موقفه
الأرمادو ، فوجدت لشقه طريقها إلى غوس لتجار الإبحير ، وبدءوا
يستعملون أموالهم في وراء البحار

وكان طريق أسبانيا لصالح قد عرف من أكثر من تسعين عاماً ،
وسكن بطواف حول أم يقبه كان يحسن من ثدياه من الخطورة والعداء
التي الكثير ، فتصادم الخمس هذا بصرى ، وتفتت التجارة إلى طريقها
القديم ، ولكن على أيدي قوم آخرين .

اجتهدت أقطار الإبحير والمركبيين إلى هذا البحر

أما الإنجليز ، فقد استولوا على سركية التجارية قبل معركة الأرمادو ،

فلما انتهت الموافقة بالبحر الأحمر للاجتماع . اوردت الثقة في مستقبل هذه
الشركة ، فاردت شطط وسيت شركة البعثات وذلك عام ١٥٩٢
وكان ذلك فيس تأسيس شركة الحد الشرقية ، فلما ركزت هذه الشركة
اقتسم لعمود الإبحاري في شرق بين المراكبيين ، واحتضت شركة البعثات
البحر الأبيض والظريق البحرية ، واحتضت شركة الهد الشرقية تجارة
لشرق الأقصى ، ولما كانت هذه القصة غير واضحة المعالم ، وقد حدث
مراراً ما ادعت كل منها بحق شيئاً من اختصاص الشركة الأخرى
أما الفرنسيون ، فقد أسسوا عام ١٦٠٤ شركة لتجارة الهد الشرقية
وسميت بخروج عن سيرة الدول المارمها ، ولما هذه غشلت لم يجمع من
استمرار لتبادل البحري بين مارييب (المياء شرقى الأول في حوص
البحر الأبيض) والاسكندرية ، مما كانت أيام ساردييل ريشيليو .
سكوتت لشركة العمومية للتجارة عام ١٦٢٩ وهي شركة احتكارية على
غرار شركتي البعثات والهد شرقية ، تستهدف الاتجار ونشر نفوذ
الأوروبي على العالم الشرقي .

وبما كانت إنجلترا وفرنسا تتنافسان في البحر الأبيض مدافعه بحارته .
رأت كل منهما أن سبل لتعوى على المنافسين لا يكون إلا باستئانة الاستئان
الغنى إلى جانه . ومن هنا بدأ تدخل كل من سفريين الفرنسي والبريطاني
ببى بلاد لفسان ، فحصول على امتيازات لا تمنع من عيان
الدولة المنافسة .

وفي هذه الأثناء ظهرت الدولة الروسية في نوحها الجديد ، وقد رسم
لها بطرس الأكبر سياستها البحرية التي تنطوى على أن تحل في أوروبا
لتنفسها طريقاً مائلاً إلى بحر لشان من ناحية الغرب وإلى البحر الأبيض
من ناحية الجنوب ، وقد حقق بطرس الأكبر الشطر الأول من هذه

السياسة لتجريبه ، ثم جاءت كاترب الثانية فحرب لب أن نخلص لشطر الثاني من هذه السياسة .

ولما كانت تركي هي الماء الذي فيه القصر من ديار ، لبيت بعتره عصم
اهمية من لطيف ابي وشحه طرس ، لا كره ، فصره ، كما في نسب ابي حيد
في لبحار ، واهية التي لا تجد مياهها ، وبذلك لا تفضل فيها الملاحه مصر
شهور العام كما هي الحال في بحار السبعه ، بعد مرورها كاريه ، واهية
مسارلة الارث ، واهية في دياره ، ولا تفضل فيها من موعا ، في
موسمور والديين ، واهية ، واهية ، ولا يصر في ايامه
الدوية .

وقد سلا عن ذلك ، وقد أُرِيت روسيا قسما من حرمه المسيحيين من
رعايا لدولة النمساوية . وبذلك رعت حروب بين الدولتين إلى أن
استقامت روسيا - على حساب بركمانى عظم - إليها ضعف وسكوت
عليها المشاكل . ان قترع من مكتبة حية الملاحه عبر المصايق إلى
السحر الأبدى .

وعند طرب هذا البحر أهمه جده في علم السياسة الدولية
إذ أصبح لعوده رتبه ماسكسسه بين دول ثلاث أوروبا
وفرنسا ، و إنجلترا

وفي سنة ١٦٦٤ أمر لوس الرابع عشر بإنشاء شركة سمها « شركة
هند » ومنحها تجارة بلاد الهند الشرقية والبحر الأحمر وجزر ورسا في
في البحر الأبيض وجزيرة مدغشقر في المحيط الهندي . وكان من رأى
وزيره كولبير أن يصدر ما يسمى لشركتين إحداهما شركة الهند لماشره
التي تجار في المحيط الهندي والبحر الأحمر ، والأخرى شركة اللقائن
للتجارة في حوض البحر الأبيض .

وواضح أن الذي أوحى إلى كولير هذا التوديع ، هو هذه التسمية ، هو تأسيس شركتين بريطانيتين ، هذين الإسمين ، نفس لأغراض التي تنشأ من رأسا من أجلها هاتين الشركتين

وواضح كذلك أن وجود دولة من الدول الأوروبية ، هووم بالتجارة الحرة ، من صحت أنها تجارة حسب في لبحر الأبيض من ناحية والبحر الأحمر من الناحية الأخرى ، يوحى ضرورة العمل على وصل البحر هناك ، توحيداً عممية للقن البحرية ومن هذا شأت فكرة هذه السويس في معصو . حديثه

، واضح كذلك أن هذه التحولات عمومها دول مسيحية ، وإن عدوت درجة محسناً ليد المسحي ، بأدوية إسلامية ، في عصر أشهر ما شغب المسيحي ضد الإسلام ، وإن سمى هذا لتعصب ديني وبكاهنت هذه الأوروبية على أن يكون إسلامه ، إسلامية عن الإسلام التي بدأها في سنة ١٨٦٠ و١٨٦١

وربما هذا شعوره ، صحت ، في هذه الحالة ، كدور مصر في احتلال من كتبه ، وفيه ، بين ومخالفات مع راء الحاد الأول وربما فتنصر هذا على لافشار ، هذا أو ليعنه ، واضح وجهه على ما

في ١٥ مارس سنة ١٩٧٢ رفع نائب الماي يدعى ليدر ، في لويس الرابع عشر رسالة يغفل فيها بعد اندماج

و أريد أن أتحدث إليكم يا مولاي في مشروع عرو مصر ، لا يوجد بين أجزاء الأرض جميعاً تلك يمكن السيطرة منه على العالم كله وعلى بحار الدنيا بأسرها غير مصر . وهي تستطيع أن تلعب هذا الدور بسهولة إستيعامها لعدد كبير من السكان ، ولخصب أرضها المتعدم المثال وقد استقيت معلوماتي من السامعين ، وقد أكدوا لي أن الخلة على مصر

مضمونه لطاح وعنى به مصر بوح العرب . وعن يمينها يراى
البدو ، وأقرب هؤلاء العرب . وسيعملون لحساب من يدفع
لهم الحساب

« وإذا كان لابد من بسط المسألة ونصر إياها بظرة مضطربة ، فأرى
أرى أن عرو هو لده (كان لو من أربع شرب بمكر في عروها) عن
طريق مصر أهل من عروها في عفر دارها : لأنكم نعرو مصر بمرعون
من يدها (يد مولده) أعز ما تكتب وهو حرات الشرق وبعائسه ، وأهم
من ذلك أنها لن تشعر على الفور بصرتكم ، وإذا قطعت من تقدر على
الخلاص منها ، وإذا ما تهاوت على إحدى عروكم لمصر ، فأما ستكمل
بها لحفظ العالم المسيحي ، في حين أن عروها في عفر دارها يجعلها
تظهر بمظهر المعتدى عليه ، ويدفعها إلى الانتقام ، مؤيده بأى عام أوربي
لا ينظر إلى مطامع فرنسا في أوروبا بعين الازدياح ، فأولئك الذين
يمتتون لكفار (ويعنى المسلمين) وكذا الذين يحقدون على فرنسا ،
سيظفرون بعين الرضى والازدياح هجومكم على المسلمين ، والأولون
تحدوهم روح مسيحية ، والآخرون يرجون أن تتعرض فرنسا لخصم
جديد سيمسك قوتها بعكسة بيرج أوروبا منها .. »

على أن بدو الأوربية المسيحية وقعت له نصيبا ، مرصدا ، فاستعاد
العالم الإسلامى هذه سببة هى أن براع صاور والمستتر بين هذه الدول
أكل من شأنه أن لا تصاب عام الإسلامى بسوء مباشر خلال مائة
عام تقريبا .

في العصور الحديثة

ثم فوجيء شرق بحته العسكرية التي جرها صالون على مصر ،
وإذا كانت هذه الحجة مصجأة لكان الشرق ، فإنها تم تكي كذلك بالسببة
لجريات الأمور في أوروبا العربية خاصة ذلك أن هذه الخلة ترتبط ارتباطا

وثمناً بالناس بين إنجلترا وفرنسا على الاتصاف بالشرق الأقصى، والاعتراف
معه، وتدعيم نفوذ فيه، وما يصفه كل ذلك من حيلة لتفوذ في الشرق
الآدمي، وهو بعد العمل لفرنسا بفتح الشرق الأقصى.

وكان لشرق الآدمي وقتئذ مقتضى من الدولة المصرية التي كانت تعاني
سكرات الانحلال، ومصر في أسوأ حالاتها، وكان فاضل كل من
فرنسا وإنجلترا، ومن وراءهم حكوماتهم، يستقون بإحدى الدولتين
سلطان من ناحية، والميل إلى من ناحية أخرى.

ومن ثم مظاهر سادت بين الدولتين التي تنبئ على زوال نفوذ
أن سلطان تركيا أصدر في سنة ١٧٧٤ م مرسوماً يقوله هاجس السكوت مصطفى
الحضوري الذي نقده سرور، على مجموعة من المراسم التي تتناول معاهدات
الباب العالي :

« علماً لتاريخ أن مسيحيين منسججاً ومعتصراً، وأنهم يسعون
بمد أقدامهم في مستعبد نظري الحجة، ووسائل العنف، لتحقيق
أطماعهم، ولعصمهم يندفعون إلى اللاد متكررين في هيئة التجار، ظهروا
في دمشق وبلاط مصر، وعلى نفس الويرة ونفس الأسلوب، انهم
بلاط احمد نيك انتطاع بإحليل أن يدعوا أهلها إلى الاستعداد،
وأخيراً انتطاعوا بمساعدة بعض الحكومات أن يفتدوا من مصر، وبعد
أن يدروا حرجهم يبرحون عنهم يبرحون، ما عراه فائقين، ولكن
نقطع عليهم رجوعهم، ويجوز أن يفتدوا على حركاتهم وسكنهم
كلنا سيرة (سيرة برعد) بخلاف حكومة مع وصول من ك
البريدية ورسوها في مدينة بورس، وقد أجابنا لما طلسا، وعلى ذلك
إذا كانت متعينة بحججه على الرسو في بورس في بها تصادر ويلقى
لنفس على جميع ركابها، ويضون بجاء إلى أن تصادر منا أوامر أخرى،

وواضح أن هذا العزم - الذي استمر توجيه التهمة إلى المسيحية عامة - لم يكن يقصد به إلا الأتخيل - وبدون الطوف التي صدر فيها هذا العزم - والحوادث التي أعقبت - على أن السلطان لم يتبعه من علماء دينه ، أو لم يكن يصدر عدا للعزم - إلا تشجيع السفير الفرنسي .

وعقب الدكتور مصطفى خنصاوي على هذا عزم قائلا

« على أن هذا العزم لم يمتح تحريك أو إلهاب من عهد معاهدة مع بريطانيا تاريخ ٧ مارس ١٧٧٥ (ولم يخص على صدور الترخيص عام واحد) من على حرية التجارة والملاحة بالنسبة لوعاها مصر وبريطانيا في مصر وبلاد الهند ، وجاء في المادة العاشرة منها أن اسجارة الأتخيل يحظرون إلته في عاقره عن سبهم حال وصوبها إلى السويس ، ويعلمون عن الجهات التي يأبون صها ، ويقدمون بحفظ السويس ما يثبت أهم أبحر وأهم بحرون التجارة وجاء في المادة الحادية عشرة أن المصانع الأبحرية تعمل من السويس إلى القاهرة تحت رعاية ومسئولية البك وباقي البكرات »

وواضح من عقد هذه المعاهدة مع رعيه الممالكة أنه في الوقت الذي كان الفرنسيون يسيطرون على السلطان كان الأبحر يسيطرون على الممالكة .

وبعد نظر في هذه المعاهدة أنها تدور في بعض نصوصها معاهدة مكافؤ ، إذ من على حرية التجارة والملاحة بالنسبة لمصر وبريطانيا في حين أن المصو هو مع أمثال لم يصد بين ، كما بعد نظر أن هذه البعة بينهما هي التي استعت في المعاهدة التي عقدت بين مصر وبريطانيا في سنة ١٩٣٦ وفي سياسة امريكية ما أشبه اللثة بالارحة .

ثم تدلح نار ثورده العربية، فإذا فالتجار العربيين في مصر يكتبون
الحكومة لثورة بصور مدخل حماية مصالحهم من عسف المالك الواقعيين
تحت تأثير التجار ومن آخر العشرات الواردة في كتبهم لحكومهم
قوهم . (إذا أردت أن نحقق من منافسة الانجليز لنا في السوق ، فلا بد
لنا من السيطرة على السويس و سحر الأحمر .

وإذا كانت حكومة فرنسا قد أسعفت رعاياها في مصر اسعافا مؤقفا
بأن أرسلت بعض السفن الحربية إلى الاسكندرية ودمياط لرعاها المالك
على فتح لبحار العربيين بعض الامتيازات ، فإن هذه الحكومة - في
الواقع - كانت مشغولة بأحداث الثورة المتوالية ، تلك الأحداث التي
لم تمكنها من الانصراف إلى حل مشكلة تعتر فرعية إلى جانب مشاكلها
الكبرى في أرض الوطن .

ونبه ظاهرة أخرى من طواهر المنافسة : كان الانجليز في الهند قد
احتلوا مع سلطان مسور المسلم ، وراحوا يؤلون عليه حصومه ومنافسيه
فكتب سنة ١٧٨٧ إلى لويس السادس عشر يستجده ، ولكن أحداث
الثورة لم تمكن للويس السادس عشر أن يجيب سلطان مسور إلى ما يريد ،
فما أسلعت نار الثورة العربية ، شايخ سلطان مسور أهداف لثورة
وسمى باسمه الموطن يتوهم ، وكتب لزعماء الثورة يمثل ما كتب للويس
السادس عشر ، وما م يروعو إلى نصرته ، كتب إلى سلطان تركيا وسكن
السلطان م يستطع أن يسعفه بأكثر من أن يكتب أي نابليون يطلب إليه
التدخل وقد كتب ناسيون لسلطان تركيا يقول له أنه سيقوم بحملة بحرية
تقطع على البحار سبيلهم إلى الهند .

من كل ذلك يستتبع أن احمة العربية على مصرم تكن عملا ارتجاليا ،
بل كان حقيقة من حقائق السفن لبحري ولتجاري بين البحارة ،

ومرسا، وإذا كانت إنجلترا لم تتوقع تسير حملة فرنسية على مصر، فإن ذلك لم يكن لأهلها كانت لا تكاد تلي إلى البحر الأبيض وسياسته بالآلة كما يذهب بعض المؤرخين - بل كان السبب في المعاجاة أن نابليون بالغ في أحدهم عرصه، وجعل العلاء أجمع يعتقد أنه بعد العدة لغزو البحر، ويقوم بزيارة نواحل المعانة لإنجلترا إلى إسرائيل، بينما كان بعد العدة مرأ لغزو إنجلترا - لا في الجبهة البريطانية - بل في طريقها الخيوى إلى شرق الأناضول.

وبدون دونه الفرنسية في مصر؛ أدركت إنجلترا مدى الخطر الذي تعرض له مصالحها في ذلك الوقت أن محمد علي قد بدأ سياسة - لقد كانت قديمة مرة وبدي للمعاش في مصر مره أخرى - تسحب وسائل لا يحد في تأمين مواصلاتها في البحر المتوسط، وتشتبه في مرحلة بناء السكة الحديدية إلى مصرية في السكة الحديدية المصرية.

بعد ذلك ظهر أن موقف مصر عينا في أمير البحر في حلاله الفرنسيين ثم بعد ذلك بدأت في سحب المباشر في شؤون مصر ولما ظهر محمد علي في أموره السياسية المصرية وروحه الجديدة على أساسين الأول أنه كان متأثر في سياسته بمصالحه في سائر، وشأن أن تمام حكومته قوية في مصر يرأسها محمد علي لا يمكن للسياسة البريطانية من الاستيلاء على بحريات الأمور في هذه البلاد، وبالتالي لا يحقق لإنجلترا سيطرتها على مصر، وإشراقها منها على الطريق الأستراتيجي نحو الشرق الأوسط والأقصى وتأمين مواصلاتها إليه.

وظلت بريطانيا تترصد بمصر العرص حتى استطاعت احتلال البلاد أيام حكم الخديوي توفيق سنة ١٨٨٢، وبذلك أمنت على مواصلاتها الأستراتيجية أن تصاب بصدع في أهم حلقة من حلقاتها وهي مصر.

فلما نسه الوعى اقوى في ليلاد ، وطالعت بجلاء . جنود الاحتلال
عن أرض مصر ، كانت إنجلترا تنحصر كل الحرص على تأمين موطنها
الامبراطورية . وكان ذلك يساقى — على انموذج — مع أماني مصر
القومية في اجلاء عن منطقة شمال جلاء باق ، وهو ما لا ترضى به بريطانيا
بحال من الآخر . ومن هه تثيرت جميع المناوحت بين الحكومتين
فيما يخص الجلاء . إذ كانت إنجلترا تعتمد على يد أن محمد جلائها عن
منطقة قناة السويس سيؤدى في الحزب بعدد من مبعوثاتها في وراء البحار
عن لتج الرضى الواحد هو الآخرى .

وإلى لا أرا أن ذكر حديثا جرى بين وبين المصور له السيد محمد
إقبال ، عندما كان يحيل من لا يترك الموقف على حقيقته أن مصر
واحدة (كانت شبه افارقة افريقية لم تنحرف بعد إلى هندوستان وباكستان)
لا ترضى ما صبه تستدعى اهتمام كل منهما بشئون الأخرى ، والواقع غير
ذلك . إذ أن لنفسه الكبرى بين سدين واحد ، هذا استضعاف المصريين
إجلاء ، الانحياز عن قناة السويس ، سيأتى لأحد فرصه ذهبية للاستقلال عن
النجاح البريطانى . وإلا ما تنبأت لهند فرصة لإحراج الآخر من أرضها ،
كان جلاؤهم عن قناة السويس أيسر وأحر لأن هو اجه على البلدين أن
يتصافوا على تحقيق استقلالهما بأن يعمل كل فريق على إحراج هؤلاء .
لما صيب من أرضه . « اصح أحد السدين في ذلك ، كان البلد الآخر
مدينا له بالفصل .

• • •

هذه هي قصة المواصلات الامبراطورية ، التي اتخذتها إنجلترا ، ذريعة للبقاء
في مصر ، بل لتدخل في شئونها الداخلية المحتة ، والتي كانت من أهم
الاسباب التي سكنت مصر في أمانيها القومية .

وقامت الحرب العالمية الثانية ، وساهمت بها الهند الى جانب
البريطانيين مساهمة فعالة وكان نوعى الاستقلال فى الهند قد استيقظ ،
يقظه كامه فيما بين الحربين ، فـ أصل الهند هومة رجن واحد ، فانه عوا
استقلالهم من ريطيا بتر اء

وحدث من ذلك أن قامت فى اسرنا وريلدو الجديدة حكومتان
مستقلتان ، وأصبحت كل منهما محررة ، عمو فى مظنة الأهم بريتانة ،
واستأنطت و... من سمرعى من اء... ، فصالت أهمية اء... به نى كانت
تعتمد عليها ، طيا فى بء... فى مظنة فء... لسوس وهى حماية
المواصلات الأء... طوريه

ولكن الحرب لعالمية شامه جاءت موضع جديد فى هء... الجرم من
العالم ، جعل البريطانيين ، ومن و... هم . بن ومن أمامهم ، انولايات
المحده الأمريكبة ، يطالبون بأمر جديد هو الدفاع عن الشرق الأوسط
أو ما بسمويه ، الدفاع المشترك ، ، وهو ما بءمرد له الباب الثانى

الفصل الرابع

الدفاع عن الشرق الأوسط

هذه بعمق جديدة في العلاقات بين بريطانيا والدول العربية ، لم تظهر
بوضوح إلا بعد تكتلت أوروبا في مجموعات فيما بين الحربين العالميتين
الأولى والثانية .

ويطرح ما الحديث إذا حاولنا أن نسمي تاريخ هذه لتكتلات ،
والأسس التي قامت عليها ، ذلك سيعتصر على الحديث عن ماهية علاقة
مباشرة بالشرق الأوسط .

في القرن التاسع عشر

هذه التغيرات الأخيرة من حيث توسع نفوذ الدولة العثمانية بين
الطوائف والمساكن في الشرق الأوسط هناك كان لها أثر كبير
صورت في عام "سنة" الدولة عوامل كانت من شأنها أن تدفع
دولة "أديبا" وبدأت في مواجهة "السنة" العثمانية ، وحاولت على
شأن ، أما طور الملامح إذ ذلك ، أن يمكن لأديبا على الساحل الأفريقي
فاستعادت السياسة البريطانية تتحدى هذه الرغبة ، فاستعادت فرنسا .
صاحبة النفوذ وقتذاك في لشبارة الأفريقي — من موقف إحتلها بأراء ألمانيا
كما استعادت إحتلها في الشرق الأدنى ، ذلك أنها عقدت مع فرنسا عهداً
طلق به يد فرنسا في الجزائر و تونس ومراكش ، مقابل أن تطلق يد إحتلها
في مصر ، وبذلك حل الوثام بين الدولتين المتساميتين عن الخصام . وشهد
حوض البحر الأبيض اسجاما بينهما كانت البلاد العربية الإسلامية
صحيته

عندئذ اجهت ألمانيا سياستها نحو تركيا ، وبصح أن يقال إن أساسا
 سبجت هذا النهج راعيه مرعوبه ، إذ أن دعاه الإصلاح والتجديد في
 تركيا ، وعما حثهم من شباب صدام الجيش ، أعفاه حرب الاتحاد والترقي
 كانوا ينظرون إلى العسكرية الألمانية نظرة أكار ويعتقدون فيها مش
 الأعلى للعسكرية انبرية الحديثة ، فصاروا بأصلاح الجيش التركي ،
 استخدموا الخبراء الألمان ، الذين مالخوا أن يدخلوا في أدق شئون الدولة
 السياسية . وكانت السياسة الألمانية ترمي من وراء هذا التدبير إلى اسعود
 إلى داخل الدولة العثمانية ، حتى تصل إلى الخليج الفارسي ، حيث تستطيع
 أن تاروى السياسة البريطانية في احتلالها للهند ومودها في إيران .

وظلت لعسكرية الألمانية تشهد في مهمتها ، وتنازع في التسليح ، وتتحدى
 السياسة البريطانية علانية . واستطاعت ألمانيا أن تصم إليها في سياستها
 هذه دول أوروبا الوسطى ، وبذلك انقسمت أوروبا إلى معسكرين ، [محتمرا
 وفرنسا في جانب ، وألمانيا والنمسا والمجر وتركيا في الجانب الآخر ، وقد
 استطاع الجانب الثاني ، المسمى بدول الوسط ، أن يصم إلى جاسه إيطاليا
 اعتمادا على مناوأة فرنسا لها في رغبها في التوسع الأفريقي في أشمال
 الأفريقي ، كما استطاع المعسكر الخامس ، الذي سمي بمعسكر الخلفاء ، أن يضم
 اليه روسيا التي اعترها الففق السياسي من جراء تنكثل بين ألمانيا والدول
 التي تدور في فلكها ، كما أن تحيد تركيا إلى جاسه ألمانيا كتف عني
 روسيا أن تقف في المعسكر المقابل ، نظراً لاعدام الاستحجام بين الروس
 والأتراك في السياسة ، لما كان بينهما من تافس وعراك مستمر خلال
 القرنين الماضيين .

وض لعمام يتطوع في قتل مانع إلى نقيجة السامس الجنوني في التسليح
 بين المعسكرين ، وبترقب اندلاع نار الحرب بينهما .

في الحرب العالمية الأولى

ثم اندلع نار الحرب العظمى الأولى بين هذين معسكرين ، ولسنا في هذا المقام بتعدد الأسباب المباشرة التي إندلعت من أجلها ، ولا بتعدد تفاصيل الحوادث خلال هذه الحرب . من سكتني بأن يقرر أن الحرب في دولها الأولى كانت في صالح دول الوسط . ثم انقلبت تلكه بعد دخول الولايات المتحدة الأمريكية في جانب أحدهما . وبذلك انهارت دول الوسط ، وعقد صلح فرساي وكان سكة على هذه الدول .

وعد استقلاع البريطانيون خلال هذه الحرب أن يؤثروا العلم الأسلامي على تركيا ، وبذلك يسر لهم بحمد املا من الحوادث المسلمين للحرب ضد تركيا وحلفائها .

إلا أنه حدث ، والحرب في حمر مراحلها ، أن شدت ثورته في روسيا . أطاحت بعرش نقياصره وأعلنت المبادئ الشيوعية ، خرجت روسيا بذلك من دائرة الدول الديمقراطية التي شاركها أهوال الحرب . ولم يستطع روسيا أن نعم شيء من تنح النصر ، تمثل مانعه حلفاء الغرب .

ومدة سنة ١٩١٩ عرأت روسيا ، بعدتها الجديدة عن بقية الدول الأوروبية . وأصبحت بدو الشيوعية ، ذلك المبدأ التي لا يستطيعه الديمقراطية ولا تطبيقه .

أما مايباء ، أنه على لرغم من نشره من سياسة التي أمليت عليها . قد استطاعت خلال سنوات فلاف . أن تثير فتنة سياسية بين الجيش وفرنسا على أساس أن الاحتلال لمير الذي كان يمايه الفرنسيون في الأرض الألمانية بوشك . أن يرجح كفة فرنسا في التسليح على كفه المحلوق ، وبذلك تستهدف السياسة البريطانية لتناؤا لسياسة الفرنسية ، كما كانت الحال في حروب القرن التاسع عشر . وقد ساعد على رسوخ هذه

مكره في "دهان السه" البريطانيين أن فرنسا كانت قد احتلت ، بناء على معاهدة فرساي ، وادي الروهر ، الثغاف ، وهو يعني "المنجم والحديد" وانه مصانع كروب التي جوت الألمان وحفظهم خلال الحرب بعد ان الدمار التي داني الخفاء منها للأمير

عندئذ أصبحت الحكومة في نصايه وجهه جديده ترى إلى تخفيف الضغط عن فرنسا ، ومن عقب هذه السياسة أمام ع. بيسير تأمها يريد أن تجعل من ألمانيا دعي يتي عرب نورن من غابات بروسيا مستقل ، بعد أن خرج روسيا من وثا ايمو فراطه ، وحبب لفسب بلشفه ، تناسا اجتيا ، وقد اصطاعت ألمانيا أن سمع به موقف أيد القمع ، وأقام بدت أن شملت نشاطا اقتصاديا وعسكريا ، اجتماعيا عوض عنها الكثير بما حسره في معاهدة فرساي

وهذا كانت لسنوات التي تب ، حرب العالم الأولى ذات أثر فعال في خلق أوضاع جديده في اعداء

في تركيا

في كانت الحرب أن تنهى ، وعلى شروطها المدله على دول الوسط ، حتى ظهرت في تركيا حركة عسكرية أرالت دولة السلاطين ، وأحدث محلها دولة عسكرية حديثة الكويز على يدى م. رى مصطفى كمال ، وبذلك افتتحت تركيا صفحة جديده في تاريخها ، قلما تتناسى مع تاريخها المصير ومن أهم مظاهر نهضة الحركة الجديده أنها انطوت على لتجمل من العوز الألمان الذي كان طامع العهد القديم ، ووجدت لأصلاح في جميع مرافق الدولة حتى أصبحت تركيا خلال سنوات قلائل ، قوة يحسب حسابها في شرق البحر الأبيض ،

ولم يكن شأنه لأوربي يعنى من صدمه نهضة تركية الحديث ، حتى واجهه أحداث أوربية حسام

في إيطاليا

كانت أحوال ما بعد الحرب قد أثرت في معنويات إيطاليات فلما قربت
الأحوال الاجتماعية من انقضاء العهد إلى درجة من الانحسار ،
وحملت القوم من قسوة الحرب في المصاعب ، وبشر الأضرار وعم
الاضطراب ، إنما كانت حال الملاحين قد سعت من سوء درجة شدة
القابع وسعر الصور ، ففتحت الأذهان لتقبل الدعوة الاشتراكية
المنظورة ، وحيث أن سدع إيطاليا إلى ما مدفعت إليه روسيا من
قبل ، إلى البلشفية .

وقامت في إيطاليا دعوة جديدة . هي الدعوة الفاشية إدام
بنيتو موسوليني عام ١٩١٩ تأسس حزب الفاشية المناوأة للاشتراكية
المطرقة على أساس أنها تنجيه نحو العالمية . ومقاوم التمصب للقومية .
وقد لجأ الفاشية إلى الارهاب في مقاومه الاشتراكيين ، فكثيراً
ما اعتدوا على جرائدهم ، وهضوا إجتاعاتهم بالعنف والشدة ، واندسوا
على رعايتهم ، وقد ساعد على نجاح الحركات الفاشية الاجتماعية اتحاد
هذه الجمدة لنفسها ربا موحدة هو انقيص الأسود .

وقد طرأت أوضاع جديدة لإيطاليا إلى الفاشية بطرقة المفرد للبلاد بما
احدثت له من رعه اشتراكية بها الخطر كل الخطر على رؤوس الأموال .
أما الحكومة فقد نجحت التدخيل في الصراعين المتنازعين في رأت في تشكيل
الفاشية بالاشتراكين ثمة من أواخر نظام ، غير أنها كانت أن قيام
الفاشية بالدور الذي كان يجب أن يحكمه أن تقوم به ، فيه يمكن
لساطان الفاشية ، لا على الاشتراكيين فقط بل على الحكومة نفسها .

ولم يذخر موسوليني وسعاً في تركيز هذا المعنى ، إذ قام بتدعيم وضعه
السلطة بتعبدية . مهما إياها بالاستكانه والاستسلام ، واتهمه فرصة
صالحة للدعاية لحربه ، فاهالت عليهم حاميهم . تشتت في الحرب أفراداً

وجامعات . ومن أقوال موسوليني في ذلك . . في إيطاليا حكومتان :
احدهما صورية خيالية ، يشرف عليها فكتتا (رئيس لورداء) والثانية
حقيقية واقعية يشرف عليها جماعة العاشست . وقد دفت الساعة التي يجب
فيها على الحكومة الأولى أن يحل مكانها بشيعة .

وفي أواخر أكتوبر سنة ١٩٢٢ . رحب العاشست على روما .
ودخلوها طافرين . ثم بسع ذلك فكتور عمانويل إلى أن يعين موسوليني
رئيساً للوزارة .

وهذا أصبح موسوليني الرئيس الفعلي الأعلى للدولة . بعد كلبته دون
كلمة ذلك . وباصره حزب العاشست يدي حل عن البرلمان . وبذلك
خرجت إيطاليا من ذلك الدول الديمقراطية . واتحدت بسبها مكانا وسطا
لا هو بالمشيعة إلى كان موسوليني كآلهما وبعض على شئنا أسأفها
من يتدسا . ولا هو بالديموقراطية التي توب مستومة لرمديه في أوسع
حدودها .

وفي من هذه الساعة الجديدة . وما عدها من هيئة في كل منافع
خدا . ففقدت خط . إلى نشوء في أسس و خدائى . في سنة ١٩٢٣
صعدت مواء موسي مع بيوس . و نص حكيم بحسه الأمم . ووجه
الأسس على أن حل مشكلة نصره جريه كرو . واستحات اليون
على القوة . وتحدثت بحسه الأمم عن أن تصع الأمور في نصها . وقد
كان بذلك أكبر لأثر في طيع موسوليني في تحدى بحسه الأمم والاستهانه
بها . واستولى على ميناء فيوم من يوعلا فيا . وفي سنة ١٩٢٦ فرض سيادة
إيطاليا على البانيا .

ثم تطلع موسوليني إلى أحياء الامبراطورية الرومانية القديمة على
حساب الشمال الأخرى . ولما كانت هذه المطمعة خاصة للاموذ الفرنسي .

فقد حشى موسى لى أن يقع مع فرنساى صدام حرقى قد لا يسيطر له
فيه املاء سباسبه من مفعول يهنا ويوعلايا ، لئلا يجه موسى لى
حو صدامه من لى ثاوت ، وره تسيو فى نفس صديق الة ككتورى
الدى سبكه هو من الاء ، وم هه تأسست لصدقه لايصاله الاءسه
اللى سميت فيما بعد بمجور وروما — برن .

فى ألمانيا

أما ألماء ، وهه من دت كال لاءه والاجتماعه قبل أن ينهى
الحرب لعامه الاولى ، دت أن مرعه عسكريه ، لى دعت بأمايب
دى أبون دت الحرب ، كانت وليدة سباسبه الخاصة ، الامراطور عيوم
شأن ابدي كال ، يعتقد أنه مبعوث العبه الإلهيه لريج شأن الامراطوريه
الألمانيه ، ومن أدبه ذلك أن رماض الحرام الذى كال الجور الالدى يفسوه
هه كدت عليه لعمره الآية ، الله معنا .

هه بدأت لسكره الألمانية فى الانهار ، على أثر وفوف الولايات
المتحدة الأمريكية إلى جانب ألماء . تم كت عوامل المعارضه لسياسه
الامراطور ، وصاعت فقه الشعوب فى النظم الامراطورى

وقامت فى ألماب نظريان . الاولى الاشتراكيه المتطرفه ، وكانت
ترى ضروره الاندفاع وراء النظره فى ساد روسسيا وقتئذ وهى
بشعبيه ، أما ثمنه شايه مكات الاشتراكيه المعتدلة التى نادى
بالمحد بالمبادئ الديمقراطية مع بعض تعديلات استراكيه ، فكأما
كانت بذلك وسطا بين البشمية ولديمراضيه

على أن لشعب الألمانى لم يستمع أيا من هذين المبدأين ، ولا هو
لراغب فى لسيو فى موك بشبمه ، لأساب اقتصاديه واجتماعيه

كثيرة ، ولا هو يترافع في الخير في موكب المدبراطية نظراً ل دافه
من آلام على يديها في مؤمر لصبح ، وبذلك تهرت الاشتراكية
المدبراطية لصعبها ، وابتحت الاشتراكية المتطرفة ، لأنها تعين للهدم
أكثر مما تعين للبناء ، وتتآخى مع الملشعية بما في ذلك من أصعاف
للروح القومييه . وفهم على أنه ، حسبها ، الحرب الوعلية الاشتراكي ،
بكل حفظ الحرب الجديد شاب في مستقبل لعمر هو أدولف هـ .

كان همهم جديدا عذبا في الخرب ، ثم عذب في أعقابهم من هذه الاجتماعات السياسية في ميونخ ، فأنصل تحكما منه بحرب العمل الألمانية ، ولم يستأن أن أصبح عضوا فيه . ولم تخمس مدة وجوده حتى أصبح رئيس الحزب وأطلق على جماعة سمى « ماري » ، أي الاشتراكيين أو صيغ

و فی سنه ۹۳۲ حاول النوری بقیام انقلاب حکومی ، و لا ابله
 وشوا ، و حکم علی هذہ بالاسحاح خمس سنوات . فوضع فی السجن کثیر
 و کما حتی ، و لما اطلق سرده بعد ثمانه عثـ سہراً ، دافع اسمه فی اعداء
 و اسحب بعض اعداء حربه و امانا فی مجلس لرعستاح

وكانت مبادئ الحرب وقد سبقت في أحد من أركانها إبعاد معاديه
وإسباغ لمكانات بطولي عليه من ماله لأهله، ومعدن لثبات حموري
لدى أعدائه في ألمانيا على أثر انهيار الامبراطورية، والمخصص من
اليهود إذ يتعهد بحرب ضخم ضلله في جلب إليه أسلحة لإيثاره
بالعالي حب الوطن، ولعصا على الرعايا لشعبه من أهله والشعب
لدى استهوتهم دعوة الاشتراكيين المنتظرين.

وفي أبريل سنة ١٩٣٢ رشح هاجر بعمه لرياسة الجمهورية مدعياً
لبارشار هينريخ ، قال هاجر ٤٣ : من الأصوات وقال هاجر
٥٧ : ، فلما نوبت لبارشار الجمهورية ، لم يشأ أن يعيى هاجر مستشار

نيرج ولا رتيسا بوراره ، وسكه عد عن ديت بعد لصة أشهر فصار
هتلر مستشارا للدولة في يناير سنة ١٩٣٣ .

فلما أصبحت صحه هيدريج في العام سالى ، ووفى في ٢ أغسطس
سنة ١٩٣٤ خلعه هتلر رئيسا للدولة . ولم يعين أحدا مستشارا للدولة
كما جرت العادة ، فجمع في يده رئاسة الدولة ورئاسة الوزارة ، ولقب
بالفهرر أى الراعى

وقام الفهرر بعملية نظير واسعة النطاق ، أقصى بها عن مناصب
الحكم الكثير من حامتي حولهم شتمات ، ولم يستطع - خلال هذه
الحركة - أن يعصم نفسه من انتهاك منه والسيكيل عضومه أيا كان نوع
هذه الخصومة

وقد دلت الحياة على جميع مرادى اللا . ، وازدهرت التجارة ، والآلية
الخارجية ، فعم لرحه أنحاء البلاد ، ونظف ساريون إلى التقوى عسكري
من تدريب وتسييح ، وبدأ لعم وذاورنى يتطوع إلى ألمانيا مرتقا
ما تسفر عنه الحركة النارية من أحداث

صرب لارنى بماهدة شبح عرص الحائط ، وأدركوا أن أور
قد أصبحت عاجزة عن أن ترمها حطة لعيها ، وأنها قد أحقت في مثل
هذه المحولة مع بضاليا ، وردادت في نفوس لارى شبهة توسع
وداعت حذرم خلا لأمرا صورية الآلية . فصاروا يلتعنون أوعى
الأسباب لاجتماع ادور الأورنيه في مارس سنة ١٩٣٦ اجتاحت
الجيش الآلية منصفه لير ، ولم نعلم ما احتجاج فرنسا على ذلك ، وفي
مارس سنة ١٩٣٨ اجتاحت انسا . ولم نعلم ما احتجاج أوربا لكنها على
ذلك ، وفي ستمبر من هذه السنة عمت ألمانيا جرأ أكير من لشكوسلوفا كيا
على أعين الحلفاء ، وأقرهم ، حوه من اندلاع نار الحرب ، وفي مارس

سنة ١٩٣٩ وصحت ألمانيا بعدما عني ما بقي من تشكولوا كيا ، وفي
أغسطس سنة ١٩٣٩ انجبت أنظار ساري إلى بولنده فيدأوا باحتلال
دارح ، ثم لم يست الجيش الألماني أن اجتاحت بولنده فكان ذلك سبباً
مباشراً في الحرب العالمية الثانية

في الحرب العالمية الثانية

بدأت الحرب العالمية الثانية وأوروبا منقسمة إلى معسكرات ثلاث .
المعسكر الأول معسكر الديموقراطية وكان ضمن بريطانيا وفرنسا
ميتحاضتين ، وسطوى تحت و نه جيكا وهما سنة أحدين بامادي .
الديموقراطية ، ولكنهما غير متو . طنت مع الحيتين في حلف عسكري ،
أو ما يشبه ذلك . ينضم إلى هؤلاء كثير من الدول التي كانت لا تزال على
عصوية عصية لأهم ، تثار الديموقراطية ولكن لا تعامر في سبيلها ثم
سنت الولايات المتحدة الأمريكية إلى هذه المعسكر خلال الحرب

المعسكر الثاني معسكر شيوعه ، عمه روسيا الشيوعية ، وتطور
في فلكها جموعة من الدول نحو و . من ذلك مجموعة الدوليات التي
سأرت من روسيا الشيوعية في عهد حزب البعث الأول ، وتأثرت
بامادي الشيوعية ، أثراً مباشراً أو غير مباشر وفي الفترة من كل دولة .

المعسكر الثالث وهو ما كبر . الحرب الباردة الأولى دون الوسيط
والدكال من أثر الهيمنة التي مهي بها ، والشروع بحسبة التي أعليت عليه ،
حائراً بين مبادي المعسكرين التي في وأخرى حتى استهدف للدكتاتورية
لعسكرة وبراه في تركيا ثم في مصرى كياناً ثورياً ، الذي ألف حزب
الشعب على يده ليكون به أداة طيعة في تنفيذ إصلاحاته ، إلا أن أثر ،
بعد فساد الحرب ، أن تظل على الجهاد ، لا ينضم لأي من هذه المعسكرات

على الرغم مما بدله كل من هذه المسكرات في اجتذابها إلى جانبها وفي أديا وقد ظهرت فيها الداربه يزعجها عتبر رعاها عسكريه . مستقداً إلى حزب واحد هو الحزب الاشتراكي الوطني ، وفي إيطاليا حيث ظهرت لفاشييه رعاها موسوليني بسند إلى حزبه

وقد ظهرت في حوص الملح الأبيض المتوسط دكاورية رابعة هي ركتاتوريه الجا ان وادكو بسدها الحرب الواحد في البلاد وهو المالاخ . لا أن الجيران م نكو . أى من مصلحة بلاده أن تقف في الحرب على جدد وأن لا يشترأ في معسكر من المعسكرات ثلاث

وفي ذلكم ذكرى من حرب . وقعت دون معسكر الأول . وهو معسكر . فيه من . حارب دون معسكر ثالث . وهو معسكر . دكاورية . حارب . وهو . ومن تشيرك تركا في هذه

والمشاد رحح كفه دون . وبعد في بيده حرب العالمية الأولى من المصركا من نصب المحور في بداهه حرب لعالمية اشانيه . وبعث . انهارت دون لوسيط على أثر سحق لولايات المتحدة الأمريكيه . الحرب لعالمية الأولى . انهارت كفه . دول المحور على أثر بدخل ولايات المتحدة في الحرب لعالمية اشانيه

أحدث عمية

وقد تميزت الحرب العالمية الثانية بالاحداث لعالمية الآيه .

أولا كانت أديا و إيطاليا قد استطاعتا قبل الحرب استهواء لبايا . على جانبها . فاشتركت معهما . وفادت بافحوم المصاحي . على اميا . الأمريكى بيرل هاربور . فكان ذلك من أهم الأسباب التي دفعت بأمریکا إلى الحرب . بما وجع كفة الحلفاء .

ثانياً . بعد أن دخلت روسيا الحرب في جانب دول المحور ، دب الحلاف بينها وبين ألمانيا ، وبدل الحلفاء وسمهم في جذب روسيا إلى جانبهم وجنحوا ، وبذلك كانت ألمانيا تحارب في جبهتين شرقية وغربية ، مثل ما كانت عليه الحال في الحرب لعالمية الأولى ، وكان ذلك سبباً في وربع جهودها الحربية ، مما أدى إلى هزيمتها عند ما دخلت الولايات المتحدة الحرب ، فأرسلت جيوشها في ميدان لغرب ، وبشت بموتها بمسكينة من عتاد ومال إلى الميدان الشرقي .

الثالث : نظراً للعدد المتحيز بين اليابان والصين ، انصرفت نصيب إلى جانب الحلفاء ، وسدفت معهم في الحرب . ولما انتهت الحرب في صبح الحلفاء ، جوبست الصين في مؤتمر الصلح باعتقادها إحدى الدول الكبرى .

رابعاً : وقد أقام على ما هو - فسمع إلى ما رآه - رابعاً : جانب حلفاء الحرب ، جانب الحلفاء في هزيمة اليابان . فرصة وأعارت على جزر أندونيسيا كانت تابعة لفرنسا واندونيسيا . وبما انتهت الحرب وخرجت اليابان من آسيا ونداء وحلف أهل البلاد وعالمهم بسحقه من المصير . ما استقلال بلادهم عن فرنسا التي فقدت مستعمراتها في الحرب . ومن أهل البلاد يكافحون في سبيل استقلالهم حتى دونه . وروى ذلك خاصة في هذه الكتاب لأندونيسيا .

خامساً : برزت الحشوش اليابانية في الشرق الأقصى . فاحداث جرد لا حين لزامه لبرطانيات . فكان ذلك مدعاة لمطالبة هذه الجزر بتقرير مصيرها بالاستقلال .

سادساً : قامت في الهند على أثر هزات اليابان هناك ترمي إلى تحقيق لمطالب الوطنية وهي الاستقلال تحصيلها عمداً . وكان لها بعد الحرب ما شامت على ما سيرد عند الكلام عن الهند وآسيا كستان .

سابعاً : عندما انهارت فرنسا ، ورثت حكومتها الشرعية من أرض الوطن صارت حال المستعمرات الفرنسية في اثنان الافریقی . وبلاد الانتداب

الفرنسي في سورية ولسان ، عوصى من ناحية الوضع السياسى . أما الشجار الأفرىقى فلم يلبث أن عاد إلى وضعه الأصلى ولكر على ولا . للحكومة الفرنسية المظروده من أرض الوطن ، وهى التى سميت بحكومة فرد الحرة ، وقد سلب هذه الحكومة لأهل الشمال الأفرىقى من الوعود ما حملهم على مساعدته الحكومة . آخره على بقاء الى أن استعادت فرنسا مكانتها ، ثم تعامل أهل لسان الأفرىقى شىء من عرفان الجين ، بل تناسلت فكبتها خلال الحرب . وظلت تعامهم على النهج الإستعمارى القديم ، فكان من نتج لك بيت الثورات الدوالية ضد الفرنسي مما سبب له بالتهويل عند الحزم - على اجتاح العربى من العالم الإسلامى .

أما فى سورية ولسان ، فإن أحوال السياسة العالمية ، وحول الحقاء من أن همه البلاد مرسى فى أيدى الشيوعيين ، ويقطله أهل بلاد فى سيرة على حقوقهم ، كل ذلك كان من شأنه أن تال هذه البلاد استقلالها . وقد كان لبريطانيا موقفاً مأزوقاً هذه الاستقلال مستحدث عنه بأهداف عند احتلال عربى سورية ولسان .

بامر إمارات المدكتوريين الألمانية والإيطالية . أهار ما عصى تر اهرىحه لى بولت بدون محور . كما أصاحت هذه الطريقة فى الشرق لأقصى بامر اطور لى ان ادى كان موضع العادة من شعبه ولم يكن دى عربياً ، بل امرأته النافعة . وإدلاء هذه الشعوب ثلاثة ، كان كاف لعدوان تبع هذه الشعوب بقوادها يهدف إلى ذلك أن استهوا . الحنة . لى رقى هذه الدول كان من شأنه أن يحدث فيما ما حدث .

بين الديمقراطية والشيوعية

وهذه الحرب وأنشئت حمة لأمم المتحدة لتتح مكال عصبة الأمم ، وترعى نشاط داخل امشة الدول التى كسبت الحرب . لولايات المتحدة ، وبريطانيا ، وفرنسا ، وروسيا ، والصين .

ولم تخلص أيام معدودات على ذلك الهيئة حتى انفسمت الرعايا
 وحل الحشة وخارجها إلى مصكرين متناثرين روسيا في ناحية وبقية
 الدول الكبرى في ناحية أخرى ، هي يدس الشيوعية ، وكلهم يدس
 بالديمقراطية . ونفسمت عامة الدول إلى مصكرين ، مصكر يدور في
 ذلك الديمقراطية والآخر يدور في وث الشيوعية . وأصبحت كل
 مسألة تعرض على الهيئة مسرح المناقشة والمهارة بين الفريقين ، حتى
 أصبحت جلسات الهيئة مسرحا للأحد وإبراز الفريقين ، ومسرحا
 لتبادل الانتقادات ، بل الككبات ، بل التشائم ، بين مدوني الفريقين
 واجتاحت لعالم موجه من الحرب سارده تشها روسيا الشيوعية على
 المصكر الديمقراطي ، وموجه من القلق تغزى الدول الديمقراطية خوفا
 من مصير العالم ، لا بل مصير الديمقراطية ، برأى حرك عامية ثالثة
 بأر . هذه الحالة ، رأت الدول الديمقراطية أن تتكلم لدرء الخطر
 الشيوعي واهرب الولايات المتحدة تساعد الدول التي تسير في ذلك
 الديمقراطية ماليا واقتصاديا وعسكريا تشجيعا لها على شتات على
 موقفها ، وعدم الانحياز إلى مصكر الشيوعي تحت تأثير مقرر أو الصنف
 الذي تعاييه لشعوب في تلك الدول .

ومن أهم المناطق التي ترى الديمقراطية أنها ستكون ميدان الهجوم معاجي .
 من الجانب الشيوعي الشرق الأوسط . وكل دونه عربية إسلامية
 ومن هنا نشأت قصة الدواع عن الشرق الأوسط ، أو ما يسمى بها في
 هذه الأيام قصة الدواع المشترك

فإن الولايات المتحدة تتدخل تدريجيا ساعرا بين أهم الشرق العربي
 الإسلامي والدول لدى يحتله ، سواء أكانت بريطانيا أم فرنسا ، وتعمل
 جادة على أن لا تقع الهوة بين هذه الثلاث المظلمة باستقلالها العام ، وبين
 بريطانيا وفرنسا اللذين لا تريدان التحلي عن شيء مما تحت أيديهما

الفصل الخامس

الاستعمار الفرنسي في شمال أفريقيا

تكت دور انتهاء الأفريقي خلال القرن التاسع عشر بالاستعمار الفرنسي . وهي لأن تكافح حتى لدم تلك القوات انعاشة التي اعتدت على استقلال البلاد فأدت إليها . ورافقه ان الحروب التي لم يكن هم فيها دونه ولا جهن فالتت برهرد سنات لمسلمين العرب في أنون الحرب العالمية الأولى . ومن بعدها في الحرب لعالية الثانية ، دون أن يري المحذون في أي طريق هم مسافرون وتلاى عرص بحريون .

وستناول ناسحت في هذا الفصل الأسباب التي أدت الى اسماها في تسعين لست الميلاد وهي أن هذه الأسباب إذ جموعا ثلاث أسباب رئيسة . وأسباب أخرى . وأسباب عالمية

أما الأسباب له لية فتجهر في أن ، سا كانت له له شعاعية كبرى . أيام أن كانت تتمك الأملاك لشاسعة في أمريكا كما كانت تمتد على سواحل الهند مستعمرات حاضمة اقتصادية كبرى . وبسبب هذه ثامن عشر . وفي ثيابه ثورة الفرنسية كبرى . ظهور الدول . ودارت الاثرة على سياسة في أحداث أدمة بعد أن تأتت عليه الدول الأوروبية . وبعد فرنسا صعدتها في أه مكانا وبأثبات مستعمراتها في لشرق الأقصى تأثر ، أقصا منسجم المستعمرين له رئيسين . وفوت على الحكومة ما كانت تبعه من عظمة وعمود . على حساب هذه المستعمرات .

عندئذ بدأت فرنسا تنزع إلى محان حيوى أقرب إلى أرض لوص من تلك المستعمرات التي أصبحت لا تتمك الأسطول الذي يستردها أو

يحميها إذا ما عادت إليها . ونظرت إلى الشاطئ الأفريقي المقابل لها على أنه المجال الحيوى الذى يناسب ظروفها .

ومما شجع على ذلك أن حملة نابليون على مصر ، وإن كانت قد أخفقت ، إلا أنها فتحت أعين الأوروبيين عامة ، وفرنسيين خاصة ، إلى أنه من السهل التغلب على جيوش المسلمين في أرضهم ، وأنهم لسوا من الالسام مع الرب العالى بحيث يخشى تدخله المسلح لحماية هذه الأملاك التى أصبحت لا تدين للرب العالى إلا بولاء أسمى فكان في هذا الاعتقاد شجيعاً على عرو لشمال الأفريق .

يضاف إلى ذلك أن الحكومة الفرنسية كانت تنظر في لشمال الأفريق ، ومن ورائه صحراء الكبرى الأفريقية ، نظرتها إلى ميدان تدريب جودها على أساليب الحرب واحتياض المضاعف ، بعيداً عن أعين الدول الأوربية ، وكان لها ما وفقدته أن تتحسس استعداد بعضها لبعض للحرب ، وكان مقياس الاستعداد كثرة عدد الجند ، و وافر معدات القتال .

ومن الطريف أن يذكر أن العباء العربيين قد جندوا أنفسهم لائنات الحق الشرعى لفرنسا في العرول بالشمال الأفريق ، مهاجرين أو مستعمرين أو كيهما كانت الحال ، وقد ذهب العباء الجيولوجيون إلى أن الشمال الأفريق كان منذ القدم متصلاً بالساحل الجوفى لفرنسا في سلسلة جبال واحدة ، مهدت في انصوار الجيولوجية القديمة فكان وعاء جبل طارق ومضيق ميسا ، وأن لبحر الأبيض العرقى كان في تلك لصور بحيرة فرنسية . وقال سياسة الفرنسيين أن لشمال الأفريق لرم لفرنسا من الباحة الاجتماعية والعمراوية من مهور نورماندى يشل فرنسا نفسها .

أما الأسباب الأفرينية ، فتلخص في أن العداء الذى استحكمت بين محمد على والسلطان كان من شأنه أن ضعف كل من الجانبين ، ولما رأت فرنسا فرط

اشغار مال السلطان بمقاومة محمد عبي ، آمنت بأنها فرصة ذهبية لهب للإعارة على الشهب الأفريقي في وقت لا ينسى للسلطان أن يعدله يد المساعدة فضلا عن أن سكان شهب الأفريقي كانوا يعيشون في عزلة عن بحريات الأحداث في العالم ، وبما فوجئوا سكة التدخل الفرنسي ، لم يستطيعوا له دفاعاً . أما في أوروبا ، فقد رحبت كافة الدول بأصراف فرنسا إلى فتوحات خارجية . ولم تفكر في معارضة الفرنسيين . إيماناً منها بأن إشغالها بشئون شهب الأفريقي سيصرفها وقتاً ماعن بحريات الأمور السياسية في أوروبا ، وبذلك تستريح أوروبا وقتاً ماعن المنافسات المستحقة التي كانت طابع عهد نابليون . ولكن الدول الأوروبية كانت في ذلك قصيرة النظر ، فإن فرنسا لم تتخذ من شهب الأفريقي معسكراً لتدريب الجندي الفرنسي على لقتال خشب ، بل جندت من أهل اسلاد مئات الآلاف كانوا عدتها في كل حرب أوروبية .

في الحرب العالمية الأولى

ثم جاءت الحرب العالمه الأولى . واشتركت فيها فرنسا - كما قدمنا - إلى جانب الحلفاء ، وإذا بالميدان العربي (وهو جهة القتال بين فرنسا وألمانيا ، وقد سمي بالميدان العربي لوقوعه في عرب ألمانيا ، تمييزاً له عن الميدان لشرقي الذي كان مسرح لمام بين الألمان والروس) يعج بالكتائب المؤلفة من جنود الشهب الأفريقي .

وهذا استبسن هؤلاء في القتال استبسا لامتقطع الطير . سألت زعماء من المغرب الأقصى عن رأيه في وطية أولئك اسير ذهبوا إلى فرنسا يجاربون تغير هدف من دفاع عن الوطن أو مصنحة أخرى في لقتال فقال : لقد اندفع الجندي المغربي إلى الميدان الأوروبي يحذوه عاملان : الأول روح البسالة الصطرية ، وحب القتال الذي طبع عليه ، أما لثاني فإيمانه بأنه يقتل الكفار ، وهو يرجو من وراء ذلك ثواباً .

إلا أن فرنسا كانت تسوق هذه الآلاف المؤلفة من أهل المغرب
والسعال ومد عشقر والهند الصينية ، وغالبية هؤلاء من المسلمين ،
تسوقهم إلى الموت وتدفع بهم إلى الصفوف الأمامية في القتال
وتوقع أولو الأمر من الوطنيين أن تحمط فرنسا للادهم هذا الجليل ،
وزادوا إيماناً بذلك عند ما نودي بحق تقرير المصير ، واعتقد مؤتمرو
الصلح ، إذا هذه الأحلام الذهبية سيبدد ، وإذا بالنهب الأفريقي أسوأ
حالة مما كان عليه قبل أن يشترك في الحرب إلى جانب فرنسا ، ويجرد
لها النصر الذي مكسبها من الخروج من المؤتمر بتصيب الأمد .

يقول الأستاذ أحمد رزي في كتابه والاستعمار الفرنسي في الشيا الأفرريقي -
« فؤده نظارت إلى حربه لأفريقية ، تجد الأمر بطورية الفرنسية
كتلة ضخمة ملونة بون واحد ، مع جنوب فرنسا وكأها جزء متمم لها ،
أو امتداد لأراضيها ، لا يفصلها عنها غير البحر الأبيض المتوسط ، ولكنه
طريق سهل قرب ، لأنه يجمع بين الشاطئتين في ساعات معدودة ، وهذه
الأمبراطورية ، أو المجموعة من المستعمرات ، تبدو أمام الناظر ، والبحر
يحيط بها من ثلاث جهات - المتوسط في الشمال ، والمحيط الأطلسي في
الغرب والجنوب ، ويفصلها عن بعضها أنصحاء سكري ، وهي في صمتها
وتحديها للإنسان لا تزل كالرب الخالي في جزيرة العرب ، تسحر من
الإنسان الذي لم يفك أسرارها بعد . ولم يحصها لإرادته ، فقد عسكر
المستعمرون في استعمار أراضيها وفي احتلالها بعدة طرق مبهدة للسيارات ،
أو إنشاء خط حديدي يعطسها من لبنان إلى الجنوب ، ولم يتحقق لأن
شيء من ذلك لأن مجهودات فرنسا معدودة ، وهي لن تسمح لغيرها من
الدول أن يشترى هذا العمل عنها .

ويحيل إلى الباحث أن هذا العمل الاستعماري الذي بدأ بعد خروج

نابليون طعنة فأصبح حقيقة في عصر نه الخلق ، يبدو كعمل عظيم ساهمت فيه أمة برجاها ودمائها ، وتعكير أسائها ، وأنه إن دل على شيء ، فهو يدل على عبقرية الدين جاهدوا في إثباتها ، وجمعوا دهر شتاتها ، لحقوا البلادهم حكم أمبراطورية موحدة كاتبة لإسعاد أي بلد أوربي يمكنه أن يتحول ، باستغلال خيرات هذه الأمبراطورية وثروتها وأراضيها ، إلى الله عظيم في الصف الأول من العالم قبل وصلت قرب إلى أن يحكم ، بفكر وحكمة ودراية ، هذه الأمبراطورية ، وأن تحسن سياستها مع الشعوب التي تسكنها ، فتسدها وتريد من عدد سكانها ، وتأخذ بيدهم في طريق الحضارة والعلم والحكم الذاتي ، حتى تنهي ما في هذه الأراضي من الخيرات واثرات ؟ الواقع أن فرنسا لم توفق كثيرا في مصهار الاستعمار كما يفهمه لعالم العربي ، وإن وفقت ، فإلى حد لا يناسب مع جهودها ، أو هو صئير بجانب ما كان يمكن أن تصل إليه ، ذلك لأنها بقيت ولا تزال تعيش على أساليب الماضي في إدارة مستعمراتها ، وفي علاقاتها مع بلاد الخاصة . ولا فلاناد يواجه لماحت في أنحاء أمبراطوريتها ما يشعره بأنه داخل حصص كبير ، أو معسكر من المعسكرات ، وحوله لطاق من الأسلاك لشائكة ، يحرسه جود من لستمان ، يسيطر عليهم رجال أشداء ، أعظم منهم قطع كل العلائق بين هذه البلاد ولعالم الخارجى ، ولا يعرفون سوى قانون البطش في علاقاتهم مع السكان ، لنادا يلزم الناس هذه لشعور دائما ؟ لأن عيوب لإدارة المركزية للمستعمرات ظاهرة واضحة ملبوسة ، وموقف الحكومة المركزية وبمشية يشعرك باستمرار من فرنسا لم تخرج كأمة حاكمة ، ولذلك لم تستطع أن تقدم دليلا واحدا على رغبتها في تحرير الشعوب المظلومة ، ولا في الأحد بيدها في طريق العلم والبور ، ولا في إعطائها ما تطلب من حرية أو حكم ذاتي ، أو إشراكها في إدارة الأمور العامة . أو تسليم الدمص منها إلى أهلها . كما أنها لم تقدم للعالم برنامجا إنسانيا يمكن أن يحقق شيئا من ذلك ...

وهناك ظاهرة أخرى لها أهميتها ، وتكاد تعزدها المستعمرات الفرنسية وما يشبهها من ممتلكات بعض الدول الأوروبية ، التي احتفظت بمستعمراتها كنزات تاريخي لماض قديم . وهذه الظاهرة هي أن التقدم المادي الذي صاحب العلم في السنوات الماضية ، واندى فرض نفسه على أغلب المستعمرات ، لم يشمل الإمبراطورية الفرنسية . ولذلك إذا تحدث الفرنسيون عن مجهودهم الاستعماري وملاؤوا العالم بكتهم وشراتهم ، فهو مجهود عظيم من وجهة نظرم وحدهم ، ولكنه مجهود متواضع إذا قيس بما قامت به الأمم الاستعمارية الأخرى . وإذا نزلت شمال أفريقيا ، وهي من لدواع الحصة الفنية بمواردها وزرواتها المدنية ، وفارنت ما عملته فرنسا هناك بالمجهود الذي بذله الاستثمار في نواح مماثلة ، لو وجدت أن مجهودها لم ينص إلى اندرجة التي تسمح بها حصاره القرن العشرين ، بما نصحه بين أيدي الأسان من وسائل تمككه من السيطرة على الطبيعة ، ومن إحصاءها لأرادته : والأمثلة على ذلك كثيرة ، إذ تجددها في كندا وأستراليا ، وأفريقية الجنوبية ، ورييدة الجديدة .

• • •

وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وانساقا بحق تقرير المصير ، تصاحب رجاء العرب والمسلمين في كل مكان يطالبون بالاستقلال عن دول الاستثمار ، وقد مرت هذه العدوى إلى لشان الأفريق ، وتصدر الحركة لقيف من لشباب الذين تلعوا المم في الخارج ، فأذا بالاستعمار الفرنسي يرل بهم أقطع سكببب من سببب وتشريد . وبكبت الحركة الوطنية بكل ما أوتق من وسائل الصف والتكيب .

في الحرب العالمية الثانية

ثم جاءت الحرب العالمية الثانية ، فلم يبت فرنسا أن جنست من

شباب الشمال الأفريقي مئات الآلاف ، ولعنتهم ، على عرار ما فعلت في الحرب العالمية الأولى ، إلى ميدان القتال ، وكانت فرنسا تعتمد في ذلك على ولاء فريق من الشعب ، هم أولئك الذين تخبرتهم لوظائف الإدارية من أعيان الريف ، وكان هؤلاء ، ومن قدموهم إلى فرنسا قرباناً على مذبح الولاء ، على جهل تام بمصيرهم ، وأنما حشدوا في السهر الفرنسية حشداً .

وقد يكون من قبل تقرير الوقائع أن كثيراً من هؤلاء كانت قد سورت أدهامهم بالدعاية الوطنية فيما بين الحربين ، ولذلك لم يكن حشد هؤلاء في الجيش الفرنسي أمراً مبوراً ، وقد حدثت لصمة حوادث في الموالي الأفريقية بدل على عصيان الجند الأفريقي ، إلا أن السلطات الفرنسية لم تتلصق في الصرب على أيدي العصاة ، فكان لما عا أردت دعم أنف الوطنيين المتحمسين للبلادهم ، الذين كانوا يقيمون العراقيين في وجه الدولة المستعمرة

وهجوم الألمان المفاجيء على فرنسا ، لم تستطع فرنسا أن تصمد ، فوالت عنها الهزائم ، واضطرت للتسليم بعد قتال لم يدم طويلاً ، وعقدت الهدنة بين ألمانيا وفرنسا ، فأذ بوضع الشباب الأفريقي عايه في الشدود . إذ أن الحكومة الفرنسية قد استسلمت ، في الأرض الأوروبية ، للألمان الظافرين ، ولكنها اعقت معهم على أن تبقى فرنسا في الشمال الأفريقي ، بل في المستعمرات الفرنسية عامة ، على ما كانت عليه قبل الهزيمة .

ولعل الألمان عملوا هذا الوضع مقابل أن تشكيب فرنسا للهزيمة ، وأن تبقى على الحياد إلى أن تنتهي الحرب أو لعنهم فيلوه مؤمنين بأن الفرنسيين الذين كانوا على اتصال بهم قد أهموم أن فرنسا معها سائرة في طريق الاشتراكية الوطنية بدلا من تمسكها بالديمقراطية ، فأرادوا

أن يتساهلوا معهم في هذا الشرط رغبة في اجتذابهم نهائياً نحو المبدأ الاجتماعي الذي تدعى به ألمانيا النازية .

وأياً كانت الأسباب ، فأرب الثمن الأفريقي ظل — على تعبير الفرنسيين — جزءاً من الامبراطورية الفرنسية ، أو في الحقيقة مستعمرة فرنسية .

وقد لاس إمبر فرنسا تعير في طرفي التفكير عند زعماء أشبال الأفريقي ، فلو كانت العسكرية من نشوب الحرب أن فرنسا دولة بالغة القوة لاسبيل إلى إستقلال البلاد إلا بالتعاظم معها ، ووسيلة هذا التعاظم أن يتوصل إلى الاستقلال تدريجياً . فكانوا يدعون إلى الإصلاح ، ويعتبرونه وسيلة إلى الاستقلال الذي يطالبون به عن طريق إثبات استحقاقهم له .

أما قد عبرت فرنسا عن أن تصمد في ميدان الحرب في أوروبا ، فقد أصبح الزعماء في الثمن الأفريقي يعتقدون أن ملازمهم لن تستطيع أن تصل إلى اليوم الذي تحد فيه معها فادرة على بولي شونها مادام بها المحتجون ، كما أن هؤلاء يمكن إجلاؤهم عن البلاد ، وكسر شوكتهم بمثل ما كسرت في الميدان الأوروبي .

كنت في رياره للعراب الأقصى أيام أن بدأت فرنسا في الانهيار ، وكنت انقل بين تطوان (عاصمة المنطقة الحاصصة للبعود الأسباني) وبين ميناء طنجة الدولي . وكان في كل من البلدين مكتب للدعاية الألمانية ، في المدينة الأولى بحكم أن البعود فيها كان للجنرال فرانكو ديكتاتور أسبانيا والمتحالفاً . إجتماعياً — مع كل من النازية والفاشية ، وفي المدينة الثانية باعتبار كونها ميناء دولياً .

وقد رأيت لشباب المعري يتهاوت على مكاتب الدعاية الألمانية ، منتظماً

أجبار انتصارات الألمان وانجازات فرنسا ، وكنت أرى هذا الشاب يقف في الشوارع ليستمع إلى الأداة الألمانية باللغة العربية عن أثناء الحرب فأذا أدام المدياع أجبار الانتصارات على الشاب وكروا . ولقد عرفت أن شأنا كثيرا كانوا يحضرون من مطلق الاحتلال الفرنسيه ليشهدوا الخرائط المشورة في مكاتب الدعاية ويستمعوا — في حرية — إلى الأبناء التي تديها محطة راين .

ويمثل لنا الأسار عبد المجيد بن جلون هذه انفعالية في كتابه وهذه مرا كثر . تعليقا على هذه الموضع فيقول

« كان الألمان ينظرون في فرنسا على أنها دولة عظمى قبل أن يهرمها الألمان ، وكانت صفة الموء التي تمتع بها داخل البلاد تصورها في صورة لغهر الذي لا يعلب ، وصورة ، دولة الحصار ، التي يدين لها الانسانيه جميعا في السواحى الأدبيه وشعافية . ولكن هذه الصورة اهارت كلها أمام اهرام الجيش الفرنسي ، وما كشفت عنه تلك الهرمعة من عدم القدرة ولكفاهه وسوء نظام وهله النعموس ، وذلك أمام لبراعه الألمانية في لقنوا المنفعة ، ثم أمام روعة الصمود الانجليزى ، والمثاب لدى صرته ذلك الشعب في الصبر على المكاره وتصحية المصالح والإخلاص للوطن ثم بعد ذلك أمام الصاعقة الأمريككه وقدره الولايات المتحدة الهائلة في أحدث المنون — كل ذلك صور فرنسا أمام الإلهالى في صورة دولة لا يمكن أن يرد لها ذكر عند البحدث عن الدول العظمى .

وظل الشاب الأهرى يدار خلال ذلك لحساب حكومة قبشى الموالية للألمان ، ونزل به كثير من الخراء الألمان ، ولو أن هؤلاء فعلوا شيئا من أجل البلاد ، أو قاموا يدرس المسألة السيامية مثل ما كانوا يدرسون الشئون الاقتصادية ، لتعبرت مصائر الأمور قبل أن تنتهى الحرب .

وفي أواخر سنة ١٩٤٢ ، أنزل الحلفاء (بريطانيا والولايات المتحدة وحكومة فرنسا الحرة التي كان يرعها الجيرال ديجول وتقيم في لندن) أنزلوا حملة عسكرية على شواطئ - مراكش ، فقاومتهم السلطات الفرنسية المحلية التي كانت تدير بالولاء للحكومة فيشي ، ولكن سلطان مراكش استدعى المقيم العام وطلب إليه أن لا يورط أسلاده في حرب ، وكان المقيم قد شهد تعيينه صحافة المهارة الأمريكية ومدى استعداد الحلفاء ، فاستجاب لطلب السلطان وأمر بوقف القتال .

وفي يناير سنة ١٩٤٣ قدم إلى مدينة الدار البيضاء الرئيس دورفلت والمستر تشرشل لمسبق الخطط الحربية .

وقد كانت زيارة الرئيس دورفلت ذات أثر بالغ في محريات الأمور ، لا في مراكش وحدها ، بل في الشمال الأفريقي بأكمله . فقد سمع عنه أنه قال : « من الاستعمار الفرنسي أسوأ ما يمكن أن ينكب به شعب من الشعوب » . وتناول الرئيس لعاء يوماً مع سلطان مراكش وكان ثالثهما المستر تشرشل ، وقد كان الرئيس في هذه المأدبة للسلطان بأن يشتد في المحادثة على ثروته ، لاداءه المديونية إذا كان يريد الحصون على الاستقلال ، وهدده من تسرب هذه الثروة إلى أيدي الأجانب ، وعبر له عن استعداد أمريكا لتقديم المعونة اللازمة لتكوين طائفة من لعيين المراكشيين في معاهدها العليا ، وسمعه عاجزة ، تمكنهم من استقلال المعادن في البلاد ، وكان تشرشل حلال ذلك تمتنع الوجه يحاول أن يقطع الحديث أو يغير مجراه دون جدوى .

تطايرت أسماء الحدث الذي جرى بين الرئيس والسلطان . فألمحت حماس أهل الشمال الأفريقي بأكمله ضد الفرنسيين وتوقع الفرنسيون الثورة عليهم في كل مكان ، إلا أن ظروفًا طارئة جعلت الحركات الوطنية

أقل حدة عما توقع الفرنسيون ، ذلك أن البلاد أصبحت تحت السيطرة الفعلية لأولئك الذين أكد رئيسهم للسلطان صداقه بلاده ومن ورائها لهم على مصالح البلاد الاستقلالية .

ومع كل ذلك فقد انبرت فرنسا للعصا على الحركات الوطنية أين ظهرت ، فاعتقلت الرعاع ورافات ، وآلفت بهم في عياف السجون .

الشمال الأفريقي والشرق العربي

وفي حلال هذه الاضطهاد المرير ، استطاع بعض الرعاع الإفلات من براثن الفرنسيين ، وجمخوا شطر مصر التي أصبحت ، بعد إنشاء الجامعة العربية ، موئلا للنضال من أبناء العروبة ، فاحتضنت مصر هؤلاء الرعاع ، ويسرت لهم سبل العناية لقضية بلادهم ، كما ساهر بعض هؤلاء الرعاع إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، للدعاية في مقر الأمم المتحدة لقضية بلادهم ، وقد أبى كلهم في هذين الميدانين أحسن البلاد .

ولا تزال أمور الشمال الأفريقي معقدة بين العناصر الوطنية التي تطالب بالاستقلال التام ، والسلطات الفرنسية التي لا يعطرها سأل أن تتنازل عن شيء مما وقع تحت يدها في هذه المنطقة الحيوية .

وتدلع الثورات في الشمال الأفريقي ضد المستعمرين بين حين وآخر ، وأحرها الثورة الحالية ، وقد رفعت القضية برمتها إلى هيئة الأمم المتحدة . فكل نظرها ، أو عدم نظرها ، مسرعا لمسافة بين الدول المشتركة في الهيئة .

الفصل السادس

فرنسا في سورية ولبنان

كان وجود بيت المقدس ، وهو قبلة الحجاج المسيحيين ، في ديار الإسلام ، محكاً لاتصال الشرق بالعرب . وعندما كان الشرق الإسلامي قوياً ، رى المسيحيين يتفربون إلى أولى الأمر به ، وقصة اتصال شرقنا بهرون الرشيد معروفة ، ويقال إنها أول حادث كانت له نتائج في علاقة المسلمين بالمسيحيين إذ يفرض أن هرون الرشيد منع المسيحيين بعض الامتيازات في بيت المقدس .

في العصور الوسطى

وفي عصر العروسة بأوروبا ، وقد كان كذلك عصر اهتمام بالدين وتحمس للمسيحية اتجهت الحملات الصليبية من العرب إلى لشرق بمكره خبيث بيت المقدس من أيدي المسلمين وكانت حروب بين الفريقين ليس من شأنا هنا ذكر تفاصيلها ، إنما نقرر هنا ان كثرة الصليبيين كانت من المرديين ، وكذلك كانت الأمارات الصليبية التي ظهرت في لشرق في أحرىات القرن الحادى عشر المسيحى ، والتي طالت مائة نحو قرين من الزمان ، مظهر من مظاهر الإقطاع الفرنسى في لعصور الوسطى . وان هذه الأمارات كانت تقوم في صميم الشرق الإسلامى ، وبما لاشك فيه أن نوعاً ما من ارواح قد جرى بين الامادين من أوروبا للاستقرار في الشرق ، وبين أهل الشرق أنفسهم ، مما أنتج مع الزمن جيلاً مسيحياً يحتفظ الدم ما بين أورنى وأسبوى — وبما لاشك فيه كذلك ان هذه اعاصر المختلطة اندم كانت متأثر لأوروبا عامة ، ولعرب خاصة ، أكثر مما تتأثر للإسلام والمسلمين .

وحدث أن إحدى تلك الحملات الصليبية اتجهت صوب مصر بقيادة
 لويس التاسع ، ملك فرنسا ، الذي لقب بالقدوس لويس ، وكان مصير
 الحملة الهزيمة ، ومسير الملك لويس لتاسع الأسرى موقعة المنصورة ، وقد
 هُت أسره بعد أن دفع دية عظيمة ، وبما لا شك فيه أن هذه الحملة تركت
 في نفوس المسيحيين الفرنسيين مرارة دفيئة بنى أثرها طويلاً في أنفسهم
 ثم دان العالم الإسلامي بالطاعة للدولة العثمانية لغتية ، وبدأت
 الدبلوماسية تحل ، تدريجياً محل الحروب ، فإذ بالحكومة الفرنسية تتقرب
 من السلطان ، وتصح في سنة ١٥٣٥ في عقد معاهدة ناربها الفرنسيون
 في أملاك اسوة مركزاً يحرمهم عن حقبة رعاباً لدول الأجنبية ولم يكن
 السلطان ليتحرج في ذلك الوقت في أن يمنح الفرنسيين أو غيرهم بعض
 المنح ، وهو الرجل القوي الذي يعتبر نفسه سيد الموقف عن اسودم . إلا
 أن تطرق الصعف الى كيان الدولة العثمانية جعل من هذه المنح امتيازات
 ديبية وأديبة وسياسية في أملاك الدولة ، ومن أهم هذه الاميازات حق
 فرنسا في حماية المسيحية الكاثوليكية في الشرق

في العصر الحديث

وقد زاد انتمسك فرنسا باعتبارها بعد أن ظهرت — في القرن
 الثامن عشر — أهمية الشرق الأوسط في التماس الدول الذي كان قائماً
 بين إنجلترا وفرنسا وقد ركزت فرنسا جل اهتمامها في نشر لثقافة
 اللاتينية والديانة الكاثوليكية من طريق مؤسساتها الدينية . وبما يلاحظ
 أن روسيا كانت قد حصلت من الباب العالي على حق حماية المسيحية
 الأرثوذكسية في أرض الدولة ، أسوة بحماية فرنسا للمسيحية الكاثوليكية .
 وبهذا الوضع ، تركز سلطان فرنسا المكتسب من الاميازات
 في المنطقة التي كانت في وقت من الاوقات أمارات لاتينية تدب

باسكانو ليكية ، وهي المنطقة المشرقة على البحر الأبيض المتوسط في
ناحيته الشرقية ، وكانت هذه المنطقة تنج بالديارات المخاضة من مسيحيين
إلى دروز إلى مسلمين .

وحدث في سنة ١٨٩٠ أن وقعت مدحة في جبل الدروز قتل فيها عدة
من المسيحيين ، فأرسلت فرنسا حملة حربية احتلت الجبل ، واشتد ضغط
الدول الأوروبية على الباب العالي حتى أصدر فرمانا يطم به شئون الحكم
في لبنان ، وقد نص فيه على أن يكون حاكم البلاد الخبي مسيحياً ، يعاونه
بجلس مكون من اثني عشر عضواً يمثلون الطوائف الثلاثة المسيحية
والدروز والمسلمين .

وفي سنة ١٩٠٤ عقد المواق بين بريطانيا وفرنسا ، وبه أُلغيت يد
فرنسا في الشمال الأمازيغي ، وفي سورية ولبنان ، مقابل إطلاق يد إنجلترا في
مصر وفلسطين ، وإن لم تذكر الأخيرة نصاً في الاتفاق . وبهذا أمنت
فرنسا شر الدساتير البريطانية لدى الباب العالي ، وبدأت تعمل في سورية
ولبنان ، على المكشوف .

وحدث بعد ذلك أن ركزت ألمانيا جهودها في مؤاودة الدولتين
— بريطانيا وفرنسا — بالاتصال بالحكومة العثمانية ، ووساع سياستها
الجديدة في بحر شرق ، وبدأ النعود الألمانى بتسرب من الأستانة إلى أملاك
الدولة ، واستهدفت كل من سورية ولبنان لهذا التدخل الجديد . الذى
اتخذ في أول الأمر صيغة الدراسات الهندسية لأشياء خط حديدي
يربط الدولة العثمانية بالحجاز ، ويعبر في الأراضي السورية .

وقد أقص هذا النشاط الألمانى مصحح الاسم الفرنسي ، فوقف
المسيو بوانكاريه . رئيس الحكومة الفرنسية — في مجلس الشيوخ
لفرنسي ذات يوم من أواخر عام ١٩١٢ يقول ، إن لفرنسا في سورية
ولبنان مصالح قد عقدتا لعزم على ضرورة احترامها والحفاضة عليها ،

وحدث أن اتجهت إيطاليا إلى التوسع الاستعماري في حوض البحر الأبيض على حساب سلطة لسلطان المتداعية . فأحدثت ظرابلس سنة ١٩١١ بعد أن عجز السلطان عن نجدها . وبدأت قامت المستعمرة الإيطالية الجديدة حائلًا بين منطقة النفود العربية في ليبيا الأفريقي ، ومنطقة النفود البريطاني في مصر ، فأخلت معاييس الوفاق بين دولتي الاستعمار وتعاثت أهميته . إلا أن اتفاق لندن عقد بينهما سنة ١٩٠٤ ، نصارت كل منهما تشك في تصرفات الأخرى .

وقد دعت لبريطانيين على عدم الانسحاب ، فعقد سنة ١٩٠٤ ما كان يعتقد ساستهم من أن فرنسا ، المفردة بالسود في سورية ولسان ، لن تستطيع أن تكبح جماح التدخّل الألماني في أملاك الدولة ولم يطر فرنسا من الأرياح إلى الدور الجديد الذي كانت بريطانيا تعمل على أرائه في الشرق الأوسط ، من يرى بريطانيا ضرورة تسحب في الموقف . حماية لمصرها في فلسطين وإحلالها لمصر

وودع تشكك فرنسيين في وايا البريطانيين أعضاء . كل نص أعضاء لملك الساسي البريطاني يقصرون أبحاثهم في الشام ، حيث احتار أحدهم - وهو سكرير في دار المعتمد البريطاني بالعاهرة - أن يقضي وقته بأسمر عن ظهر حواد من حيفا إلى بيروت بطريق الساحل ، ومن ثم إلى جبل اندور ، فقل بعض لهما فرنسيين خبر هذه الزيارات ، فلم تتوان الحكومة الفرنسية في مطالبة وزارة الخارجية البريطانية بتوضيح الأمر . فاستطاعت بريطانيا أن تؤكد لفرنسا بأن تلك الزيارات لا تعني أي معنى وراءها من الناحية السياسية ، وأن بريطانيا لا تفكر ، ولن تفكر ، في الحصول على نفوذ سياسي في الشام ، فاستقل رئيس الوزارة الفرنسية هذا الصريح ، وأداعه في مجلس النواب ، فجاء بيانه دليلًا واضحًا

على أن نرسل نظر إلى سورية كنطقة خاصة بها ، وأنها تطلب من الغير أن ينظروا إليها بهذا المنظار .

وقد أثبتت الحوادث التي وقعت بعد ذلك سنوات قليلة أن بريطانيا كانت تطهر سياسة الوفاق ، وتبصر سياسة الأناية في تصرفاتها في هذا الجزء من العالم ، بل في جميع أنحاء العالم

وقد عاصر كل هذه لتصورات في السياسة الدولية سياسة محلية ، ذلك أن الألمانى القومية ، والرغبة في استقلال العرب عن الترك ، كانت قد داعبت خيال الرءاء العرب ، فكانت جمعيات سرية وعلمية ، ومؤتمرات في سورية وفي أوروبا ، وشرائح يورج في كل مكان ، بما يؤثر أن تتحدث عنه في فصل مستقل .

في الحرب العالمية الأولى

جاءت الحرب العالمية الأولى ، وحاصتها تركيا إلى جانب ألمانيا . بين كانت بريطانيا تحمل مصر فتوالى الأحداث الجسام ، من محاولة تركيا اقتحام مصر على أبرصانيين ، وما دله بريطانيا من جهود في تأليب العالم الإسلامى كافة ، وليلاد امرية خاصة على السلطان .

وبطرت تركيا إلى أهل سورية ولبنان ، فليست فهم حروجا على الولاء لها ، ولم يفرق بين رعة لاستقلال وزعة التأثير العربى ، والواقع أنه كان من الصعوبة عكان أن يغير بين أصحاب النظريتين ، ولعل السبب في ذلك أن الروح إلى الاستقلال كان وليد ابعاث الروح القومية . واقومية من المادى . التي جاءت بها أمريكا إلى لبنان على أيدي المشرى . أو جاءت بها فرنسا على أيدي المشرى والمعلمين الذين أزدحم بهم البلاد منذ أواخر لقرن التاسع عشر .

وابرى جمال باشا ، قائد احره التركية على مصر ، وامتصرف وفق مشيئته في سورية ولبنان وفلسطين ، لانرا ان جام عصبه على كثير من الوعاء لانتباهه في تصرفاتهم وخص بالقسط الاوى من تنكيهه المسيحيين في لبنان ، اذ كانوا موضع الشبهة في الانحياز الى جانب العلماء (ومن بينهم فرنسا) اذ لا تربطهم بالدولة رابطة دين أو لغة أو ثقافة أو أصل . ولم يسلم من يديه أو تلك المسجون الذين ساهموا في حركة الاستقلال . فقد نهى حكم الإعدام نسفا في فجر يوم ٢١ أغسطس سنة ١٩١٥ في أحد عشر شخصا فكان من هؤلاء عشرة من المسلمين ومسيحي واحد . وسكن ذلك لا يعني أن الامة كانت مضطربة في كل الأحوال .

تناقض الوعود البريطانية

وكانت بريطانيا تعمل على كسب الحرب مهما كلفها الأمر ، ومهم تناقضت وعودها للعرب واليهود والعربيين ورأى اريضا زون أن من مصلحةهم مقاضاه حبيبهم فرنسا وروسيا في مصير أملاك الدولة العثمانية بعد هزيمتها . فحدثت روسيا حصتها بمسقطينيه وجره كبير من الأناضول ، واحتفظت فرنسا لنفسها باقسم الأكر من بلاد الشام مع جزء كبير من جنوب الأناضول ومطقة الموصل في العراق ، أما حصه بريطانيا فتعتمد من طرف سورية الجنوبي حتى لعراق وتوسع على شكل مروحة لنضم البصرة والبلاد الواقعة عرقي خليج فارس ، كما تضم أنغرى حيفا وعكا مع جره صغير من ساحلها . أما فلسطين فقد رأى أن تقوم لهم إداره دولية خاصة . ويعرف هذا الاتفاق باسم اتفاق سايكس — بيكو ، وقد عقد في ربيع سنة ١٩١٦

ونكبي ماورد بهذا الاتفاق بشأن فلسطين للتدليل على ما كان كامناً في ظاهروس بين الحبيقتين لعظيمتهن . بريطانيا وفرنسا .

وبعد أن هزم جمال باشا في محرومه على مصر ، سارت الجيوش
البريطانية ، تشد أزرها حملة مصرية سميت باسم « فيلق العمال المصريين »
ويتناصرها رأي عام عربي في البلاد التي اتجهت الجيوش لفتحها ، و جيوش
عربية جذبت بمعرفة آل الحسين ، فتحت فلسطين وبدأ الإرحاب
على سورية .

وقام شكري باشا لأبوي ، أحد زعماء الثورة العربية ، فأعلن قيام
السيادة العربية باسم الأمير فيصل في بيروت ، حيث رفع العلم العربي في
٣ أكتوبر سنة ١٩١٨ قبل وصول طلائع الجيش البريطاني والرئيس بعدة
أيام ، فاستاء الفرنسيون من هذا العمل استياء كبيراً ، وحملوا الجحرا
التي على أن يأمر برباطهم ، فولد ذلك هياجاً عظيمًا في دمشق .

وما زاد في شدة الهياج ما تراه من أن فرنسا ستحتل بيروت وغيرها
من الموانئ ، وكذلك ما دعاه عن وعد أعطاء الإنجليز لليهود أن يكتفوا
لهم وطناً قومياً في فلسطين ، وما تلا ذلك من نشاط للصهيويين بها ، ومن
ثم بدأ لشك يتسرب إلى نفوس العرب في نوايا الحلفاء .

إزاء هذا الوضع ، ومخافة تطور الأمور إلى غير ما يحب الحلفاء ،
أصدرت القيادة البريطانية ، بلاعاً رسمياً نشر في عدم لعرب ، ويحتوي على
بيان سياسي مشترك من الحكومتين الفرنسية والبريطانية ، تهييان به
تهمة الخواطر

وقد أعلن هذا البيان المشترك أن بريطانيا وفرنسا تعملان على تحرير
الشعوب العربية تحت مظلم انترك تحريراً تاماً ومباشراً ، وإلتهما تعملان
على إقامة حكومات وطنية يختارها الأهليون بمحض إرادتهم الحرة ، وإلتهما
بمجتان على الرغبة في إقامة حكومات كنده ، وبأيديها والاعتراف بها
عندما تؤسس بالفعل ، وأن مهمهما الوحيد هو القيام بدور المرشد المجرى

عن العناية لهذه الدول العربية التي ستحتار الحكم الذي تريده ، وتحكم بها بنفسها .

وفي يوم ٧ نوفمبر سنة ١٩١٨ طُبعت ملايين النسخ من هذا الإعلان باللغة العربية . وورعت في كل مكان . ولم تحس أيام قليلة حتى هذا الغليان .

• • •

انتهت الحرب باندحار دول الوسط ، وعقد مؤتمر الصلح ، وصافى رعماء العرب يستنجرون الحلفاء وعودهم . بإدراكهم يتحققون أن هذه الوعود كانت سرايا خداعاً .

اشتد طرق العرب على أبواب المؤتمر ، وشاءت الدبلوماسية البريطانية أن تحتصر الأمير فيصل فهدت به سبيل عصوية المؤتمر ، وفي ٢٩ يناير سنة ١٩١٩ قدم الأمير فيصل مذكرة للحلفاء ، وحطب أمام المؤتمر ، مطالباً بأن يعين المؤتمر لجنة تحقيق تزور سورية وفلسطين ، حيث تقوم باستفتاء شامل للتعرف على رغبات السكان .

أعجب الرئيس ولس (رئيس جمهورية الولايات المتحدة) بالافتراح . وتظاهر المستر لويد جورج (رئيس الوزارة البريطانية) بموافقة عليه . أما المسيو كليمانصو (رئيس الوزارة لفرنسية) فقد تناوله بروح العداء وبدن جهده لعدم الأخذ به . ومن الواضح أن بريطانيا كانت تعلم بالسليقة أن فرنسا لن توافق على الافتراح ، ولذلك لم تعارض فيه ، كسباً لصداقة العرب . .

وبعد حوالي شهرين في أحد ورد ، أقر مؤتمر الصلح فكرة الاستفتاء . وأبحر الأمير فيصل في أواخر إبريل سنة ١٩١٩ إلى سورية ليكون في انتظار اللجنة التي عينها الحلفاء .

وأسعر الاستفتاء عن تقرير جذب بسط الانتداب على سورية وفلسطين والعراق ، على شريطة أن تكون مده محدودة ، وأن يكون هدفه الوحيد إحصار لبلاد إلى الاستقلال بما يمكن من السرعة ، وبحسب لطروف والأحوال . وقد أوصى التقرير بمعاملة بلاد العراق على أنها قطر واحد ، والمحافظة على وحدة سورية وفلسطين ، مع الاحتفاظ بالحكم الذاتي في لسان داخل إحصار الوحدة السورية ؛ كما أوصت بأن تكون الدولة المستندة على كل العراق واحدة ، وكذلك الدولة الممتدة على سورية ومعها فلسطين ، وأن يقوم الحكم في كل منهما على أساس الملكية الدستورية ، فيولى الأمير فيصل ملكاً على سورية ، وفيولى ملك عربي آخر عرش له اي على أن يجري استفتاء بشأنه

وأوردت اللجنة رأى أهل البلاد فيس يشد من الدول ، وأكدت أن لسوريين يرفضون انتداب فرنسا ، فإن وجودها غير مرغوب فيه بأي شكل من الأشكال . وعلمت اللجنة على ذلك بأنها لا تستطيع الإبقاء الانتداب الفرنسي حيث أنه - إذا وقع - سيكون سبباً في نشوب الحرب بين العرب والفرنسيين .

قدم هذا التقرير إلى الرئيس ولس ولكنه كان قد بدأ رحلته الخطئية لتي انتهت بمرصه الخطير ، ولا يعرف ما إذا كان الرئيس اتحد بشأنه أى إجراء ، أم اكتفى بإرسال صورة منه إلى الحكومات الخليفة . وكان من المنتظر أن تقرراً أكداً ، ينطوى على الصراحة والقوة ، لا بروق للتصريح الجذالين في فرنساى . وهذا ما حدث بالفعل ، إذ أمروا بحفظه ولم يأخذه أحد . وقد ظل التقرير وثيقة سرية غير قابلة للنشر ثلاث سنوات ، استطاعت برصانيا وفرنسا أن تخلق حلالها تسوية من صنعهما ، وبدأت تعرضها على البلاد

ومن أهم محتويات هذه النسخة انتداب فرنسا في سورية . برولا على اتفاق سايبكس - يكو من ناحية ، وتجميعاً لصفات الاحتلال لبريطاني بعد أن هاج الرأي العام البريطاني ضد الحكومة بشأنها .

وقد نشر المسيو رويير دو كاي ، وهو من الكتائب المعروفين ، ومن الشفاء في سياسة الاستعمارية الفرنسية . مقالاً في مجله وآسيا الفرنسية ، قال فيه :

« إن اتفاق سايبكس - يكو ، على الرغم من أنه وثيقة مزودة لأنه مسبقاً باتفاق مكماهون مع الحسين ، إلا أن حقوق فرنسا في الانتداب على سورية إنما هي وليدة تعاليد قديمة ، فلا يمكن أن يمارعها أحد عليها ، والرأي الفرنسي يحتم اعتراف بريطانيا بهذه الحقوق كشرط أساسي لإنجاح التعامل بينها ،

وبمجرد إعلان هذه القرارات ، ساهر الأوير فيصل إلى لندن يستنجز سادتها وعودهم ، فادد بالجو غير صاحب « مقام » . وقد اصحبه المستر لويد جورج بأن يحاول الاتفاق رأساً مع المسيو كليما بصوي باريس .

ساهر فيصل إلى باريس بعد أن آمن بأن الأمل شيء والواقع شيء . آخر ، وقال كليما بصو ، فاستصاع الداهية لفرنسي أن يفهمه بقول « اتفاقية مؤقتة تقضى بأن تحترم المملكة العربية احتلال فرنسا للسان والمناطق الساحلية السورية ، على أن لا يمدد هذا الاحتلال إلى البقاع الذي يصح منطوقه حياد بين الإداريين الفرنسية والعربية ، ونقضى كدنت أن الدول العربية هذا أن تعتمد على فرنسا للحصول على أية معونة قد تحتاجها ، وذلك ريثما تم تسوية الهاتيه في مؤتمر الصلح .

وعاد فيصل إلى سورية فوجدها تنهب بعضاً للاتفاقية ، وتهمه بأنه لم يحسن الدفاع عن العصية السورية العربية . وقد حاول أن يشرح وجهة نظره في قول الاتفاق فلم يستمع إليه أحد .

واجتمع المؤتمر السوري في دمشق في ٨ مارس سنة ١٩٢٠ ، وقرر إعلان استقلال سورية ومعها فلسطين ولبان ، كدولة ذات سيادة ، تقوم فيها ملكية دستورية ، ويأدى بالأمير فيصل ملكا عليها ، وقد تضمن قرار المؤتمر تحفظا خاصا بلبان يحفظ له حقه المكتسب في الحكم الذاتي ضمن نطاق الوحدة السورية .

وأعلنت بريطانيا وفرنسا عدم اعترافها بقرارات المؤتمر ، ووجهتا الدعوة إلى الأمير فيصل لريادة أوربا لحضور المجلس الأعلى للحلفاء الذي يعقد في سان ريمو في أبريل .

اجتمع المجلس الأعلى واتخذ في ٢٥ أبريل قراراً بوضع الأراضي العربية الممتدة من ساحل البحر الأبيض إلى حدود إيران تحت الانتداب ، وتقسيم سورية إلى ثلاثة أقسام مستقلة هي : فلسطين ، ولبان ، وما تبقى من سورية ، وعدم تحرئة المرق . ووضعت سورية ولبان معاً تحت الانتداب الفرنسي ، ووضعت فلسطين و لمرق منفصلتين تحت الانتداب البريطاني .

ولم تتوان فرنسا في تعيد قرار المؤتمر ، فوالت ساطة الانتداب في سورية ولبنان وزعمه الجيران غورو ، وكان مركز الملك فيصل غاية في الخرج ، فوسائل الوعيد تتوالى عليه من الجيران غورو ، ورجالات العرب بنهموه بمحاولة انهرسيين ، وارضى بالنوصع الجديد ، المافى للأمانى الوطنية .

كان فيصل رجلاً وفياً ، يرى أن الصلحات المبادية بالاستقلال شيء . والاحتلال امر لم يفعلى شيء آخر . فوقف موقفاً وسطاً بين لمرقيين ، ولكنه لم يستنصع أن يرصى أيها .

وفي يوليو سنة ١٩٢٠ تطورت الامور تطوراً جانياً ، إذ تنق الملك فيصل اندرا من الجيران غورو يتضمن حمة طلبات يرم تحقيقها في أربعة

أيام ، وإلا فالحكومة الفرنسية تهدد بأن تكون لها الحرية الكاملة في العمل .

والمستعرض لهذا الأنداز لا يستطيع أن ينزع من فكرة قصة الدث والخل ، وقد كان الأنداز ، وما تلاه من أحداث ، دليلاً على أن فرنسا قد بدأت تمرد بالعمل لحسابها في سورية ولبنان ، منها كانت أمان العرب ، ووعود البريطانيين لهم ،

رأى الملك فيصل ، بعقبة الرجل السياسي المحنك ، أن خير ما يمكن أن يفعل ، هو أن يقل الأنداز حمة وتفصيلاً ، ليضوت على فرنسا الهدف الذي كانت ترمي إليه ، وهو احتلال دمشق ، إذا ما نلكت في قبول الإنداز ، وقد كانت فرنسا تتوقع أنه لن يقبله .

وبما ساعد فيصل في محنته هذه أن ، صديقه ، النور كبرون ، بحث إليه بريقة من لندن يوضح فيها أصول الأمر لواقع ، ويخبره بأن المسموع كميل توسط بريطانيا لدى فرنسا للتخفيف من حدة الأنداز .

وقد تصرف الملك فيصل هذا التصرف دون الرجوع إلى أصدقائه ومستشاريه العرب ، فلما عرفوا ما صنع ، تشككوا في إخلاصه للقضية العربية ، فأردادت بذلك متاهبه .

على أنه ، على الرغم من أنه برل على أرادة الفرنسيين في إندازهم ، وفي أهل من أهلة التي حددوها . لم يعدل أنهرسون عن تنفيذ كل ما هددوا بتنفيذه لو لم يقبل الأنداز . إذ سارت الجيوش الفرنسية في طريقها إلى دمشق لاحتلالها .

فلما ترامت هذه الأنباء إلى الأراضي السورية ، نألت المظاهرات انعداية لفرنسا في كل مكان ، واكظت شوارع دمشق بامتظاهرين ، فلم ير الملك فيصل معراً من أن يعمل على إقرار البطام في العاصمة ، فخرج

رجال البولس يقومون بالمظاهرات ، وكثرت لصحايا من أهل البلاد ، فازداد بذلك عصب الزعماء من سلوك الملك .

ولم يقتصر التكتل الوطني على العاصمة ، بل تكتل فصحة آلاف عند بحر ميسون - وهو مضيق جبلي في الطريق الرئيسي بين سورية ولبنان - يعتزمون مقاومة تقدم الفرنسيين في هذا الموقع الحصين ، ولكن الطائرات الفرنسية أمطرت الوطنيين بسيل منهم من القنابل ، فأنت زهرتهم ، وفتحت الطريق أمام الجيش الفرنسي إلى دمشق . فسحلتها ولما يحسن على تقديم الأمدار الفرنسي عشرة أيام .

قرر الفرنسيون إبعاد الملك فيصل عن البلاد ، بعد أن اتهموه بتدبير مقاومة الوطنية للجيش الفرنسية . فاستسلم فيصل ورحل عن دمشق في ٢٨ يولييه ؛ وسافر إلى إيطاليا ينتظر تطور الأمور

• • •

وفي خلال سنة ١٩٢٠ هـ . تضررت الأحوال في العراق تطورا أثر في بحريات الآءور ، ذلك أن أهل العراق لم يرتصوا وضعهم تحت الانتداب البريطاني ، فقاموا بثورات ، متوالية ضد البريطانيين وفي أحرى ذلك العام ، كان لعراق من الثورة ، والأموال البريطانية والأرواح لبريطانية تاتي مصرعا في فياق العراق ، مما أثار الرأي العام في بريطانيا ضد سياسة الانعاز على الجيوش في وردء البحار ، مما كان سبب في مصاعمة الصرائف ، وحرمان الشعب من كثير من ضرورياته .

وهذا وجدها السياسيون البريطانيون فرصة سانحة لأصابة هدفين في وقت واحد اتصلت الحكومة لبريطانية بفيصل ورشحته ملكا للعراق ، في ذلك أرساء العرب وتحقيقا لشيء من آمانيهم ، وتقليلا لنفقات الانتداب وما استلزمه من مال وعتاد لقمع الاضطرابات .

وفي شهر نوفمبر سنة ١٩٢٠ ، بعد أن سافر فيصل إلى إيطاليا ، وصل أخوه الأمير عبد الله إلى معان (المنطقة المعروفة الآن بـ شرق الأردن) على رأس عدد من الأتباع ورجال العشائر ، محاولاً تشكيل جيش عرقي لمهاجمة الفرنسيين في سورية للأخذ بثأر أخيه ، ومناصرة العرب السوريين في كفاحهم . وكانت المنفعة التي نزل بها داخلة في نطاق الانتداب الفرنسي ، فاستطاعت بريطانيا أن تقتنع قرناً بالنزول عن هذه المنطقة بما فيها من مشاكل ، على أن تضم لمنطقة الانتداب البريطاني وقد كانت هذه اللعبة لسياسية التي قامت بها بريطانيا بوابة عظمى في الشرق الأوسط .

ويتحدث الأستاذ جورج ألتون بروس في كتابه « نقطة العرب » عن موقف الانتداب الفرنسي في سورية ولسان فيقول :

« لم يمر الانتداب الفرنسي في سورية ولسان نتيجة تسليح الشنار ، بل انقسم الأعظم من تاريخه ما هو إلا سجل لتراكم صانع ، ولا تبالغ إذا قلنا أن الضرر الذي أصاب المصالح الفرنسية والعربية باسم الانتداب كان أعظم من المنافع التي شأت عنه فهو . وذلك بين عامي ١٩٢٠ ، ١٩٣٦ ، أي في لسنوات التي مرت بين مؤتمر سان ريمو الذي تقرر فيه الانتداب ، وإبرام المعاهدة الفرنسية السورية . إن قصة الانتداب هي في الغالب قصة العراك بين المطامع الفرنسية وبين أماني العرب القومية ، وقد دام ست عشرة سنة ، وأوقع بالطرفين ضرراً بالغاً .

« كان السبب الخفي والأساسي لهذا الوضع فقدان الثقة بين الطرفين ، فكما أن سمعة الأساليب الاستعمارية الفرنسية كانت سيئة في عرف الزعماء العرب ، كانت الحركة العربية في نظر الفرنسيين مصدر اضطراب وتهديد لمركزهم . وكان موقف الطرفين قائماً على الشك والخوف ، كان العرب

يستتبعون الشيء الكثير من الأساء المفولة - وأحيانا مشوهة - عن الحكم الفرنسي في شمال أفريقيا ، ويتفادون أن السيطرة الفرنسية قد تأتي بكل شيء بخلاف الحربة والمساواة ، كما أن ما عرفوه عن حركات الأوربيين السياسية في الشام فعل الحرب جعلهم يوفون بأن ما يبد فرسا للعثات نكاثو ليكية ، ومنها نحو الموارد ، بحمبان وراهي دافعا آخر ، وأنها عن كل حال قد أزلت بار الخلاف المدهي التي كانت نية ارفعاء البصري واستمر في الحركة العربية معقودة على إحماده ، .. . وكان الفرنسيون مدعوين بعاملين رئيسيين : لقد كانوا يعلون بأن إقامة حكومة عربية في دمشق لا بد أن يكون له نتائج سياسية في سائر البلاد العربية ، حيث يعدى بوعى قوى دعوة دفعة ، فكانوا لهذا يحاولون أثر ذلك في أمر، طور يتم في شمال أفريقيا كما كانوا يعدون الحركة العربية عمية في طريق مصاعهم في سورية لسنتين دعوها إلى اوحدة والاستقلال ، وعلاقتها بريطانيا . ولقد اهتموا السياسيين لبريطانيين المقيمين في دمشق بأهم يسعون مرأ إلى تقويض المود الفرنسي في سورية ، واعتقدوا أن هناك سببسة عادرة هدمها أفساد الأمر عن فرسا في سورية ، وأن فصلا قد أصبح آلة طليعة لتحقيق ، كما أمت الحركة العربية الحجاب لكثيف الذي تلتزم وراه .

هذه هي العمية التي حلت الحكومة الفرنسية على دخول دمشق وطرديصل واحتلال لقسم لدخلى من البلاد ، وهي نفسها لعقلية التي رسمت الخطة لإدارة لبلاد ، وما شرعت في تطبيق بالتدابير التي تحدتها ، والأحكام التي أصدرتها ، نين أن محاول العرب كانت في محالها .

• • •

وفي ٣١ أغسطس سنة ١٩٢١ أصدر الجبرال عور وقراراً نص على إيجاد دولة لبنان الكبير ، مكونة من ستحق لبنان في العهد التركي ،

مضافا إليه مساحات جديدة من الأرض السورية القديمة تصاعف مساحته الأصلية ، وتجعل معظم الساحل السوري في أيدي لبنان الكبير . وقد كانت المصلحة التي توحاها الجربا عودو من ذلك أن يوسع الأقليم الذي يتأثر زريحا لفرنسا ، بما يجمعه دولة بسحق الوجود المستقر . إلا أنه كان هسير الطر في ذلك ، إذ أن معظم الأصوات الجديدة كان أهلها من المسلمين . وسلك نظورت السنة المؤوية للمسيحيين ، فبعد أن كانوا كثره ساحقه في بسحق لبنان القديم ، أصبحوا لا يكونون في الوصع الجديد أغلبية تستطيع فرنسا المسيحية الاعتماد عليها ، فكان ذلك - حتى من وجهة نظر الاستثمار - عملا مرتجلا ينشئ عن هسير الطر ، فضلا عن أنه خلق مسيا جديدة من أسباب اختلاف في سد يشكو من كثرة الخلافات . أما بقية الأرض السورية ، بعد أن اقتطع منها ما صار بعد ذلك شرق الأردن ، فقد قسمها اللجنة ال عودو إلى أربعة أقسام

١ - منطقة اللاذقية ، وهي تشمل بقية ساحل السوري على لبحر الأبيض ، تمتد من شمالي طرابلس إلى الاسكندرونة .

٢ - منطقة الاسكندرونة ، وهي آخر الحدود السورية من ناحية تركيا

٣ - منطقة جبل الدروز ، وهي في أقصى الجنوب مساحة المنطقة

الاشداب الريطاى

٤ - بقية الأرض السورية .

وقد علل الفرنسيون هذا التقسيم بأنه استجابة لوعبات إقليمية محلية ، والواقع أنه ما كان إلا وسيلة للسيطرة على البلاد ، ومحاولة لإعلاء روح الجماعة فيها .

وما لبثت فرنسا أن طبعت التعليم والاقتصاد بطابع فرنسي سافر معروض ، وقد راد الحالة سوءاً أن التمدد في فرنسا نفسها كان منهزماً ،

ها بالك ببلد فرص عليها أن تنسج هذا النقد في ثقلاته ، وهي لا ترتبط به ارتباطاً طبيعياً .

وطلت الوطنية السورية تكتوى بنار الانتداب خمس سنوات ، نزلت فيها على « عرش » الانتداب أربعة من قواد فرنسا لم يكن واحداً منهم خيراً من سابقه أو لاحقه ، وازداد اتساع الهوة بين سورية ودولة الانتداب بالدفاع الفرنسيين وبطرفهم في أساليب الاستعمار ، ونهيات المفسوس لرد لتسعين مهما كلفها الأمر .

في يوليو سنة ١٩٢٥ ، وفي جبل درور ، قامت ثورة بحرية ، فخرده الفرنسيون على الجبل حملة بادية ، فمات عليها الثوار . فأرسلت حكومة الانتداب حملة كبيرة كان مصيرها أشبه بمصير سابقتها .

وباصدار لشوار في جبل درور ، امدد شيب الثورة إلى أنحاء البلاد حتى تمكن شوار من تهديد بيروت مقر «قيم الفرنسي العام » ، هزمت فرنسا لقمع الثورة بأساليب وحشية ، فصرخوا مدينة دمشق بقبيل الطائرات ، وألقوا عدداً كبيراً من السكان . فما لبثت المقاومة الشعبية أن تحولت إلى حرب عصابات ، واعتدى على الجند الفرنسي في كل مكان ، وحدثت فقد الفرنسيون أعصابهم ، وجابوا الأساليب الإسيانية في قمع الحركة .

ويعرى ذلك - إلى جانب احسن الفرنسي في دونه - إلى أن هذه الفترة كانت هي نفسها فترة خروج الأمير عبد الكريم الخطاطي عن الفرنسيين في منطقة دريف في الشمال الأفريقي . وقد ظن الفرنسيون أن الثورتين على ميعاد ، وأن بينهما - مع بعد الشقة بين الوطنيين - ارتباطاً يوشك أن يودي بالسياسة الاستعمارية الفرنسية .

كانت حسائر الجانبين تتزايد في كل يوم ، واشتدت وطأة الحرب

على الميزانة الفرنسية المتداعية ، وواجهت الحكومة نقداً مريراً في سياستها الخارجية ، فاضطرت إلى أن تكلف معوصها العام في سورية (دو جوفويل) أن يعلن أن فرنسا تنوى تعديل سياستها ، فكان ذلك مدعاة لهدوء الحال وقتاً ما .

وشجع هذا البيان ما أعلن فيما الجمهوريه في لبنان ، والتصريح بأن فرنسا ستعمل على عقد معاهده تحالف مع سورية تحل محل الاسباب .

وأدركت الحكومة الفرنسية أن معوصها السامي (دو جوفويل) - بما بينه وبين السوريين من دماء - لا يصلح لتولي الحكم في فترة المصالحة فاستدعته وعينت بدلاً منه المسو (بوسو) .

كان بوسو أول معوص سام عينه من غير رجال الحرب ، بن إبه كان من رجال لسان السياسي والإداري ، فاستطاع أن يشق طريقه إلى نفوس السوريين ، وحلت الدبلوماسية امرية محل العسكرية العاشقة ، ولعلت نظريه كسب الوقت دورها

ففي المسيو بوسو أربع سنوات في الاعراف بالجمهوريه السورية، أما عقد محالعه صداقة ، فقد استطاع أن يدلل للزعما السوريين على أن مصلحه البلاد تقتضي أن تكون المفاوضة مع ممثلي بلاده السورية من لا يجوز الضم في أهليتهم ، تحول بذلك تيار إلى إجراء انتخابات عامة فاستطاع بذلك أن يكسب عاماً وعضواً أخرى ، فضلاً عن أنه استطاع أن يحقق نفسه حينية بين الزعماء سهلت له التدخل والتأثير في الانتخابات ، فلما تمت الانتخابات ، وافتقد مجلس النواب ، نلكت في فتح باب المفاوضة عاماً آخر ، ثم عرض بعد ذلك مشروع المعاهده ، مؤكداً أنه صيغ على عرار المعاهده الى عهدتها بريطانيا مع العراق ، فلما أطلع الزعماء على المشروع ، وجدوه محالفا لما أعتق عليه مخالفة جوهرية ، وخاصة في شئون

السيادة والوحدة ، بل أكثر من ذلك أنه كان لا يحقق للملاد استقلالاً دائماً ، وعندئذ اتسعت الهوة بين بونسو وأصدقاء سياسته من السوريين ، الذين تورطوا معه وباعصوا إخوانهم في الجهاد العدا ، وتعمدت الأمور من جديد .

كان بونسو قد قام بدور الذي كلف تمثيله خير قيام ، وأصبح لا يستطيع أن يؤدي لملاده خدمة جديدة في هذه الملاد ، فاستدعته حكومته لتعين عليه معوضاً سامياً من نوع آخر .

عين الميسو (دى ماريل) مسفير فرنسا في طوكيو معوضاً سامياً لسورية ولبنان وقد استل عهده (أكتوبر سنة ١٩٣٣) بأن عرس مشروع المعاهدة على البرلمان فرفضته الأكرية الساحقة ، فأمر بتعطيل انعقدت في أجن عبر مسمى وأعلن بأن الملاد بحاجة إلى حالة من الهدوء الحرجي تمكّنها من معالجة مثلها لاقتصادية

استكان الشعب لهذه صدمة ، واستطاع منظر دى ماريل ، وأعماله الإصلاحية التي تمشت مع هذا المنطق ، أن يحدد طريقة إلى كثير من الهوس ، وحل له أن الأمور تسير وهي ما شئتي ، ولكنه كان يحول أن تحت زمام الهدوء نار وطبه تشعل

في يناير سنة ١٩٣٦ ، كانت سورية تحتمل بدكري رعيمها الوطني إبراهيم هنانو صاحب شرطة مكاتب حرب الكتلة الوطنية ، وعلى الرغم من أنهم لم يجدوا لها شيئاً يدين الحرب ، فقد أغلقت دار الحرب وقبض على عدد كبير من لوطين . فأعلن الأصرار العام في دمشق احتجاجاً ، وبوقت الأعمال التجارية في كافة أنحاء البلاد ، واستمرت حركة المقاومة سلمية ستة أسابيع دون أن تظهر على الناس بادرة تدل على رغبتهم في إنهائها .

عندئذ أذاع المفوض السامي بياناً باستعداده للدخول في المفاوضات وأعلن أنه مستعد لأطلاق سراح المعتقلين السياسيين . وقد تلقى الناس هذه الادعاء بالانتاح ، وقبلوا اقتراح المفوض السامي بتأليف وفد يسافر إلى باريس لمفاوضة وزارة الخارجية في مستقبل البلاد . وبذلك أعلن انتهاء الامصرات

وبتاريخ ٩ سبتمبر سنة ١٩٣٦ عقدت معاهدة تحالف بين سورية وفرنسا ، وفي ١٣ نوفمبر من نفس العام عقدت معاهدة عمانية بين فرنسا ولبنان وكان كل من المعاهدتين على ويرة المعاهدة التي عقدتها بريطانيا مع العراق إذ نص فيهما على إلغاء الانتداب بمجرد قبول كل من الدولتين في عصبة الأمم . وقد تعهدت فرنسا بترشيح الدولتين لعصبة العصبة ، وحصان قبولهما فيها خلال ثلاث سنوات من تاريخ تصديق على المعاهدة . وقد نص على أن يكون مدة كل منهما خمس وعشرون سنة قابلة للامتداد باتفاق الطرفين المتعاقدين .

والمستعرض هاتين المعاهدتين نلاحظ عليهما ما يأتي -

أولاً . أن الفرنسيين احتفظوا لأنفسهم في سورية بحق إبقاء حاميتين عسكريتين ، واحدة في جبل الدروز ، والاخرى في منطقة اللاذقية ، لمدة خمس سنوات ، تبدأ من تاريخ وضع المعاهدة موضع التنفيذ ؛ كما اشترطوا على سورية حق استعانةهم لماعدتين جويتين في الارض السورية طوال مدة المعاهدة . أما في لبنان فقد احتفظوا بحق إبقاء قواتهم العسكرية طوال مدة المعاهدة دون تحديد لسايط التي ترابط فيها أو للعدد الذي تتألف منه .

ثانياً : لم ينص في المعاهدة السورية على الحدود العاصية بينها وبين لبنان . وقد أظهر السوريون راعة سياسية بتركهم الأمر للظروف بدلاً من أن يوقعوا المفاوضات وقد يؤدي إيقافها إلى عدم عقد معاهدة .

ومنطقتهم في هذا أن التجزئة التي صممت على فرنسا أمر غير طبيعي ،
وعصير اللذين الاتسم بعضهم لبعض . إلا أن هناك هذا الحديد كان
سببا في قيام بعض الاضطرابات في لسان ، ذلك أن سكان المناطق التي
صممت قسرا إلى لسان الكبير - وعاليتهم من المسلمين - كانوا يرمعون في
لعودة إلى سورية ، وقد استطاعت الحكومة اللبنانية ، تتدخل الجيش
الفرنسي ، قمع هذه الاضطرابات

ناتجا اضطرت فرنسا أن يبرم كل من البرلمان السوري واللسان
المعاهدة الخاصة به من أن تقوم الحكومة الفرنسية بعرضها على البرلمان
الفرنسي ، بعد كل من اللذين ما بعد به ووافق كل من البرلمان على
المعاهدة ، إلا أن فرنسا لم تقم بإجبار ما وعدت به تعرض المعاهدتين على
البرلمان الفرنسي .

أراد هذه الأحداث ، تزلزل ثقة السوريين في وعود الفرنسيين ،
فاضطرب النظام ، وفي يوليو سنة ١٩٣٩ عطل الدستور ، وعين مجلس
من امديرين ليحكم البلاد تمتص مراسيم ، في حين أرجعت إلى كل من
جمل لدرو . ونالذية إدارتها المفصلة ، وفي سبتمبر سنة ١٩٣٩ اتخذت
إجراءات مماثلة في لبنان ،

في الحرب المالية الثانية

أعلنت الحرب العالمية الثالثة والأحوال في سورية ولبنان على
ماد كرميا ، فلما اهارت فرنسا أمام قوات الألمان الجارفة ، واستسلم
الفرنسيون للألمان ، وعقدوا معهم هدنة قامت على أثرها حكومة فيشي
الموالية للألمان ، حرح الأحرار الفرنسيون بزعامة الجنرال ديغول
وألغوا حكومة فرنسا الحرة ، واتخذوا لها مقرا في لندن إلى جوار حليفهم
الأولى بريطانيا ، وأشأوا في مصر جيشاً فرنسيا أسموه : قوات فرنسا
الحرة ، تنفق عليه وتمعهده وتوجهه بريطانيا

وكانت الهدنة تقضى بأن تعامل الأرض لفرنسية الأصلية (في أوروبا) معاملة الدولة المبرومة . غير أنها لم تتعرض للأمبراطورية الفرنسية فيما وراء البحار ، لأسباب قامت في ذهن الألمان ، وقد اتفقت ألمانيا في أخريات الحرب ، وعلى الزعماء الذين قالوا هذه السياسة ، فقبر معهم المطلق الذي أملى عليهم هذا التصرف ، ولا يزال المأزحون والعسكريون حيارى في بيان الأسباب التي جعلت الألمان يسلكون هذا المسلك المتخالف لكل ما كان يتوقعه الجبناء .

وبترك شؤون المسعمرات الفرنسية دون تحديد ، خلعت أوصاع شادة في هذه الأقاليم . وإذا جاز أن يسمر هذا الوصف المانع في لشبه الأفرنجي وقتها ، فإن الوصف في سورية وسن كان يختلف عن ذلك كثيراً . فإن موقع هاربين بدولين من الحاحية الجغرافية والاستراتيجية يهدد سلامة بريطانيا ، ما حصص سمود لأمان الذي يمكن أن يتعرض إليه عن طريق حكومة فيشي . وقد يتخذ الأمان قاعدة لهجوم على قه لوسيس يكون غاية في الخطورة على بريطانيا ، إذ يهضغ عليها الطريق نحو الشرق الأقصى . ذلك طريق الذي يمتد الدعامة الأولى في تسيير دفع الحرب ضد يابان .

أما محاولة التدخل في شؤون سورية وأمان من جانب بريطانيا ، فيحتاج إلى موافقة حكومة فرنسا الحرة . وكانت هذه بحثى على الدوام أن يرث البريطانيون فرنسا في مستعمراتها عامة ، وأرض الانتداب في سورية وفلسطين خاصة .

وبريطانيا لا تستطيع أن تقف مكتوفة الأيدي حتى يعاجلها الأحداث خصوصاً بعد أن تبين أن النموذ الألماني قد بدأ يسرب إلى سورية ولبنان . ويقصر علينا الأستاذ أحمد زهرى ، وكان يمثل مصر سياسياً في سورية ولبنان ، حادثاً واحداً يلقي ضوءاً على الموقف حيث يقول :

« كنت في بيروت عند بداية الحرب وبعد عقد الهدنة ، ولقد شعرنا
 وشعر الناس جميعاً أن الحيار الذي أرادت حرب أن تظهر به غير موجود
 ولا يمكن التمسك به نظرياً أو عملياً ، فقد كانت الطائرات الإيطالية
 والألمانية تصرب فلسطين . وكان بعضها يصاب شيران المدفعية ، فدمطر
 للهبوط في أراضي سورية ولسان ، فتحدث المقاتلات الفرنسية معها في
 الحوادث الأولى التي ينص عليها باب الحناد في انقاص الدولى . وكان
 الألمان لجنة عليا في فيسيادن تشرف على أمور الهدنة وبمسير شروطها
 أبدلت هذه اللجنة المحكومة الفرنسية رسمياً أن شروط الهدنة مع ألمانيا
 لا تحصل من فرنسا ومنعمراتها بلداً محايداً وما يمرى على المستعمرات
 يمرى على الأراضي المشمولة بالانتداب . وشهد على ذلك أفرجت
 السلطات العسكرية الفرنسية عن الطائرات والطارير . وسمحت بالمرور
 والنزول في المطارات ... »

وبأراء تعدد الحوادث المماثلة ، وبعد أن نه الإعلان مدى إستسلام
 السلطات العسكرية الفرنسية في بلاد الانتداب لرعات حكومة دمشق ، ومن
 ورائها الألمان والطلين ، أصدرت الحكومة البريطانية تصريحاً في يوليو
 سنة ١٩٤٠ بأنها « لن تسمح لأية دولة معادية «حتلان سورية ولسان
 أو أن تستعمل هذين البلدين قاعدة للهجوم على أقطار الشرق الأوسط .
 التي تعهدت بحمايتها ، أو أن تكون مسرحاً للمخالف التي تعرض هذه لأفطار
 يحظر ، وأنها ترى نفسها حرة في تحريك أى إجراء تراه ضرورياً للمراعاة
 معالجها الخاصة » . وحثت التصريح بمصادرة رأيها ضرورية لاستجابة
 لهناصر الوطنية إلى جامها بأن قالت . « ولن يكون في أى إجراء من
 ذلك أى نهـ على الوضع المستعمل للبلدان التي هي الآن تحت الانتداب
 فرنسي » .

وفي ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٤١ أعلن الجنرال كاترو استقلال سورية
دون شرط ولا قيد ، وفي ٢١ نوفمبر أعلن استقلال لبنان مشروطا بمقد
معاهدة تحدد العلاقات بينها وبين فرنسا

وعلى الرغم من إعلان فرنسا استقلال سورية ولسان ، واعتراف
الحكومة البريطانية باستقلال سورية في أكتوبر ١٩٤١ ، تملأ لسان في
ديسمبر سنة ١٩٤١ ، وتعيين السير أدوارد سيرر مبعوثا فوق العادة
ووزيرا معوصا في بيروت ودمشق ، يؤكد اعتراف بريطانيا بالوضع
الجديد ، على الرغم من كل ذلك ، من فرنسا لم تدأ رغبة في إقامة
الحياة الدستورية ، أو نقل سلطتها إلى الحكومتين لسورية ولبنانية .
أما الخطوة الوحيدة التي اتخذها الفرنسيون ، فكانت المساعدة بالتمهيد
تاج الدين الحسي رئيساً للجمهورية وتعيين أحمد الداهوق رئيساً للوزارة
اللبنانية ، وكان هذان الرجلان من تعاونوا مع الفرنسيين أيام الانتداب
فقطت مكانهم في أعين الوطنيين .

ولقد كان من نتيج تصرفات الفرنسيين هذه أن عاودت النفوس
موجة نفق والشك في نوايا الحلفاء حمة ، لا في نوايا فرنسا وحدها ،
وبدأت الحركة الوطنية تعمل - بزعامة شكرى القوتلي - بمعمل عن
السلطات الفرنسية .

وفي أحرية سنة ١٩٤٣ أجريت الانتخابات العامة في سورية ، فانتخب
شكرى القوتلي رئيساً للجمهورية وعين سعد الله الجاربي رئيساً للوزارة
أما في لبنان فقد انتخب بشارة الخوري رئيساً للجمهورية وعين رياض
الصلح رئيساً للوزارة . وكل هؤلاء من الرعاء الوطنيين الذين لم ترق إلى
مسلكهم شبهات العمل بإرادة الفرنسيين .

و قالت الأحداث على غير ما تهوى فرنسا ، فقد أسفرت الانتخابات عن نجاح أكثرية ساحقة من دعاة عدم التعاون مع فرنسا ، وأكدت الحكومة اللبنانية استقلالها بأن أعنت أن اللغة العربية لم تعد لغة رسمية ، و عدل الدستور بإلغاء كل المواد الخاصة بحقوق فرنسا في ظل الانتداب .

هاج هاشم العرييين ، فأصدر المقيم العام الفرنسي - الميسر هلو - بلاغا في ٥ نوفمبر سنة ١٩٤٣ يذكر فيه أن النصوص الخاصة بالتعهدات الدولية التي أبرمها فرنسا ، والتي لا تزال نافذة ، لا يمكن تعديلها دون الاتفاق مع فرنسا ، وأعلن بطلان المشروعات اللبانية الخاصة بتعديل الدستور .

وأجابت الحكومة اللبنانية على ذلك بأن عرضت التعديلات على البرلمان وبحلته ٨ نوفمبر (أي بعد ثلاثين أيام) وافق لبرلمان اللبناني على هذه - بلاغ موضع الخلاف باجماع ٤٨ صوابا لا شيء .

وأجابت الحكومة الفرنسية على ذلك بأن ألقت بالقص على رئيس الجمهورية اللبنانية وورثته . وحلت المجلس ، وأعلنت الأحكام العربية وفرضت الرقابة الصحفية .

وقد أهاج هذا التصرف الرأي العام ، لاني لبنان وسورية وحدهما بل في جميع أنحاء العالم العربي وشايعت كل من بريطانيا والولايات المتحدة العالم العربي في شعوره ، فقدما احتجاجا إلى اللجنة الفرنسية للتحريز الوطني ، وهنا أدرك الفرنسيون أن تصرف عاملهم في سورية ولبنان سيقطع عليهم أرواما من الشر ، فقبلوا على حكم الظروف ، وبعثوا بالجبرال كاربو إلى بيروت مكثما من الجنرال ديغول . بأن يدرس مع اللبنانيين أفضل الوسائل لتسوية الحادث .

وفي ٢١ نوفمبر أصدرت اللجنة العربية للتحرير الوطني بياناً أعلنت فيه أنها تمسحاً مع توصيات الجنرال «كاترو» ، قررت أن تعيد الرئيس الثالثي ولوزراء الليبانيين إلى مناصبهم ، وأن يقبل المسيو «هلو» إلى «إجراء» .

وبذلك هدأت العوس في لبنان ، وأصبح للجبران و«كاترو» أن يتم ما بدأه ، فوافق على أن تنقل إلى الدولتين — سورية ولبنان — السلطات التي تمتع بها السلطات الفرنسية ، وأن تنقل إليهما كذلك المصالح المشتركة ، وهي إعمارك والبريد والرق ، على أن يبدأ تنفيذ الاتفاق من أول يناير سنة ١٩٤٤ . وفي ٣ يناير من إلهما «احتكاك» الجمع ، واتخذت الإجراءات الكمية بأن يتنقل إلى الحكومتين حتى الإشراف على إصدار أوراق النقد .

وعلى نهره الثانية أن سورية ولبنان لن تصبحا بعد ذلك مسرحاً لحصام جديد بين صاويين فرنسا ، ومع ذلك فقد حابت آمال اللبنانيين ، فقد حدث أثناء المفاوضات في عامها الجنرال «كاترو» ، أن أدى الجانب الفرنسي دعمه في الاحتماس مما سمي القوات الخاصة . وهي قوات عسكرية جندته، فرنسا سنة ١٩٤١ وكانت حليفاً من العرب والأكراد وإجراكية والأرمن ، وأن تبنى هذه القوات تحت تصرف القيادة الفرنسية مباشرة ، ولما كان ذلك يشاق طبيعته مع الاستقلال الذي اتفق عليه ، فقد جرى في هذه المسألة أحد ورد بين الجانبين المتفاوضين ، بحيث ظلت معلقة خلال عامين .

وفي خلال ذلك كان العرب قد انحدت كلتهم على تكوين جامعة الدول العربية ، فأرسلت كل من سورية ولبنان تمثيل إلى مؤتمر الإسكندرية

في أواخر سنة ١٩٤٤ . وانضمنا إلى الجامعة العربية عند سكوها في ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥ . وكذلك توحد مركزا دولتين في عام الدول المستقلة . وفيما بين اجتماع الاسكندرية وإنشاء الجامعة . أعست كل من الدولتين الحرب على ألمانيا وليزان . وفي ١٢ ارس شتراك كل منهما في مؤتمر سان فرانسيسكو . فأطاحت كل هذه الأحداث بسب مرسين .

وفي هذه الأثناء كانت كفة الحناء في الحرب الأوروبية قد جدت وحلت الحكومة الفرنسية المؤقتة عن والدهم بقراسة هاجر برالو على . وصار مركز ديغول وحكومة بيراه . حيراء كان . فعاد إلى مرسين صبيهم الاستعمارية . وإذا بالجزائر ديغول يصدر تعريحا في ٢٥ أكتوبر ١٩٤٤ ويشعه بأحر في ٢٥ باير سنة ١٩٤٥ يقول وهما . كانت فرنسا أول دولة اعترفت باستقلال هاتين الدولتين اللتين لها قهما مركزا ممتازا يجب عليها أن تحافظ عليه . وإن فرنسا المصممة على أن يمح أصدقاءها السوريين واللسانيين استقلالاً حقيقياً . ولكن التدعن الأجنبي هو الذي يزيد في تعقيد المسألة . ويعرر أن سياسة فرنسا هي المحاطة على مركزها المتموق في المشرق . ومطالها عموم على أساس الحقوق التي يعطيها أباها صك لانتداب .

وفي ٢ فبراير سنة ١٩٤٥ أدل المسير بيدو وزير الخارجية الفرنسية تصريحاً قال فيه . إن فرنسا مسئولة عن حوط النظام في سورية ولبنان . وأما تدافع عن اختيارها بالقوة المسلحة التي تحت تصرفها .

وفي مايو أمدت فرنسا رعتها في تسوية الموقف . ورغبت أن تدور معارصات بين فرنسا والدولتين بشأن نسيم القوات الخاصة وقيادتها إلى سرورية ولبنان . ولكنها اشترطت أن تعمل سورية ولبنان المطالب الآتية كأسس للمفاوضات :

الاولى : ضمان استقلال المؤسسات الفرنسية الثقافية .

الثانية : ضمان حقوق فرنسا الاقتصادية .

الثالثة : ضمان إبرام معاهدة تحول فرنسا إنشاء القواعد البحرية والجوية وتضمن الاحتفاظ بقيادة فرنسا في الجمهوريتين .

واتفق على أن يبدأ المباحثات يوم ١٩ مايو سنة ١٩٤٥ ، ولكن الحكومة الفرنسية أرسلت بمدارات عسكرية وصلت إلى بيروت قبل موعد بدء المفاوضات ، وأرغمه أبم ، فكان ذلك سبباً في وقوع الاضطرابات والاحتجاج الرسمي من جانب الحكومتين نشأ في إثره قطع لمفاوضات . واشتد لوتر وشب انه ان بين القوات الوطنية والفرنسية . وقد لفرنسيون أعصابهم ~~سكده~~ دهم وصرخوا دمشق . وامتدت الثورة ضد الفرنسيين وشملت كافة أنحاء البلاد .

وفي ٣١ مايو سنة ١٩٤٥ ، ذهب المستر أيدن ، وزير الخارجية البريطانية ، في مجلس النواب لبريطاني ، وغاب . عن حكومة صاحب الجلالة قد رأت أنها لا يستطيع أن تقف بمعزل عن هذه الحوادث ، وأن المستر تشرشل قد أرسل الرسالة التالية إلى الجنرال ديغول : إزاء الموقف الخطير الذي نشأ بين فرنساكم وبين دولتي المشرق ، ونشوب القتال العنيف بينهما ، آسف كل الأسف أن أبلغكم أما حد أمرنا القائد العام في المشرق الأوسط بأن يتدخل ليحول دون الاستمرار في بقاءه للدماء بحفظه على الأمن في منطقة الشرق الأوسط ككل ، وهي المنطقة ذات الأهمية في المواصلات التي تفتتها الحرب ضد اليابان . لذا ، نطلب منكم أن تأمروا القوات الفرنسية بأن تكف في الحال عن إطلاق النار ، وأن تسحب إلى ثكناتها . وبمجرد وقف إطلاق النار ، ورجوع النظام إلى نصابه ، فأنتا نكون على

استعداد لأن تبدأ محادثات ثلاثية في لندن .

لم يسع الجبراس ديمبول ، بأراء هذا التصريح الحارم ، إلا أن يصدر أوامره الى قائد القوات الفرنسية في سورية بأن يكلف عن صرب الدار ، وأن لا يمارس أوامر لقائد العام البريطاني الذي وصل الى بيروت و أون يوبيه ، فانسحب الجبراس الفرنسيون إلى أنكضتهم ، وعاد النظام بوجه عام .

وعملت بريطانيا بجد هي أن نردد محاور الفرنسيين ، إذا لم تدخر وسعا ، ولم تترك مأسسة ، إلا وأعلنت أن لا مطلق ما في أن يحل عن فرنسا في سورية ولبان ، وذلك تهدئة لخواطر الرأي العام الفرنسي ، ومحاولة للوصول إلى وضع في سورية ولسان بكمل استقرار الأمن فيها ، مخافة أن تندلع في الشرق نار الهداء للحلفاء ، الذين لم تستمر بهم الأخوان العالمية بعد .

وعنى الزعم عما كانت تبدله بريطانيا من جهود ، وما تذييعه من تصريحات ، فإن رجال الحكومة الفرنسية لم يعلموا إلى ممالك حلفائهم ، وقد كان عود المباحثات — على الدوام — ضرورة خروج بريطانيا من سورية ولسان قبل خروج الفرنسيين ، بينما ترى بريطانيا أنها لا تستطيع مبارحة هذين البلدين قبل التأكيد من خروج آخر جندي فرنسي . فهما ، وإلا كانت الحالة الدولية عرضة للاضطراب في أية ساعة .

ومما بين هؤلاء وهؤلاء ، بلغت السوريون واللبانيون ، هوجدوا جيشين يتنافسان على انهاء أحدهما وصحبه . اوتته للداد في ماسسات عديدة (وهو الفرنسي) ، أما الآخر ، اختصت عليه الآراء . ولم يعد من الممكن في تاريخ البلاد الخدث أن تصر على هذا الوضع . ولم راد

النموس تشككا في موقف البريطانيين صدور بعض التصريحات المشتركة من الفرنسيين والبريطانيين معاً . ومن أهم هذه التصريحات ما أديع في ٢١ ديسمبر سنة ١٩٤٥ حيث جاء فيه : « سيبدأ برنامج الجلاء على نحو يضمن أن يبقى في الشرق قوات كافية للحفاظة على الأمن » . حتى تقرر هيئة الأمم المتحدة نظم أمن جماعي خاص بهذه المنطقة . وإلى أن يحد ذلك ، تحتفظ الحكومة الفرنسية ، قوات يمدد تحديدها في لبنان ،

• اعترضت الحكومتان السورية واللبنانية على هذا التصريح ، وقدمتا احتجاجاً بشأنه إلى جامعة الدول العربية ، وهنئاً الأمم المتحدة . وعدم الاحتجاج إلى مجلس الأمن في ٤ فبراير مؤكداً أن بقاء القوات الفرنسية في سورية ولبنان أمر يتضمن اعتداءاً خطيراً على سيادة الدولتين .

ومن مناقشات عدة ، وتدخل من جانب الولايات المتحدة الأمريكية وسبعال لروسيا لحق لقيتو ، لم يصل المجلس إلى قرار معين وأجبت امسألة إلى المفاوضة بين وزير عسكريين بريطاني وفرنسي ، يجتمعان في باريس لحل مشكله الجلاء .

وفي ٤ مارس سنة ١٩٤٦ أعلن أن اوعيين قد وافقا على الجلاء في وقت واحد ، على أن يبدأ الجلاء في ١١ مارس وينتهي في ٣٠ أبريل فيما يخص سورية . وقد تم ذلك فعلاً .

أما فيما يخص لبنان ، فقد اتفق على أن ترحل الجنود البريطانية لبلاد في ٣٠ يونيو ، وقد أبحر الإنجليز ما تعهدوا به . أما جلاء الفرنسيين فقد استلزم وفقاً لأصول نظراً لشغل المهمات العسكرية ، فتم الجلاء في آخر أغسطس سنة ١٩٤٦

الفصل السابع

بريطانيا في فلسطين

نشر المعهد الملكي للفنون الدولية في سنة ١٩٤٦ كتابا عنوانه «بريطانيا وفلسطين - ١٩١٥ - ١٩٤٥» ، يرى أن لعرب منها بعضا من الفصل الأول وعنوانه أهمية فلسطين . بعد أن سجل أننا لاشارك المعهد آراءه ، وربما هي آراء تستحق أن يوضع تحت أظفار المهتمين بشئون فلسطين :

«إن أخطر مظاهر ليراع بين اليهود والعرب في فلسطين : الحقيقة الواضحة وهي أن للعريقين ليسا من سكان البلاد الأصليين ، ولكلهما جزءان من عموهتين لكل منهما كيان دى وعنصرى في كافة أقطار العالم . ولذلك نرى أن أى صدام يحدث في فلسطين سرعان ما يتخذ شكلا دوليا ، فيؤثر في حوالي اثني عشر مليونا من اليهود منتشرين في معظم دول العالم ، كما أنه يصبح أمرا دال للدول العربية ومصر ، وهو إلى جانب ذلك أمر حيوى بالنسبة لبريطانيا كدولة متقدمة ، وللمجموعة الأمم البريطانية ، بصداقتها التقليدية للعريقين وسكانها فلسطين الذين يبلغ عددهم مائة مليون . وفصلا عن كل ذلك . فإن فلسطين ، مهما كان نوع الحكومة التي تقوم بالأمر فيها ، لها من الأهمية ما لمصر من ناحية المواصلات الإمبراطورية . أما من الناحية الاستراتيجية ، فأما مركز الاستكشاف الشرقى ضد أية محاولة عدائية ضد قناة السويس ، وهي إلى ذلك مصب أنابيب البترول الآتى من كركوك ، ومهبط لطائرات الخطوط الدولية إلى الهند وما وراءها ، وهي بداية طرق السيارات الصحراوى إلى العراق

، وهناك مآرق أشد حرج من مجرد انقافا الوعود البريطانية التي أعطيت خلال الحرب العالمية الأولى أو لوفاء بالتزامات الائتلاف ؛ أمضى بذلك مشكلة القضية التي تتجسّد في محاولة التوفيق بين حركتين قويتين : الرغبة القديمة الكاملة في عرس اليهود للعودة إلى أرض الميعاد ، وتملك وطن يعتقدون أن من حقهم أن يتملكوه ، ودعوة العرب في فلسطين الاربعاء حكومتهم لسياسية إلى مستوى اسكان الوطنى ، ويخشى العرب في مستقبل اليهود بعضهم العرقية ، ونفوسهم المني وحسن تنظيم وقوتهم الاقتصادية .

، وعلى الرغم من أن أصول الراج كاملة في أرض فلسطين ، فإن التأثيرات الخارجية كان لها أثر هام مراد . في المثل الأول ، يرى أن تحرر الدول العربية (من بين الاسماء الأخشى) قد راد العرب صلالة . وبعد حرب فلسطين اسعمال شرق الأردن ، اسير يهودون أهله عليه ، إلى عدم وجود اليهود فيه . وقد شهدوا كيف عقد البريطانيون معاهدة مع أمير شرق الأردن في سنة ١٩٢٨ ، وكيف عهدو معاهدة مع العراق في سنة ١٩٣١ وأخرى مع مصر في سنة ١٩٣٦ . وعاراد و مراده أهم عقد معاهدة في ٩ سبتمبر ١٩٣٦ من فرنسا وسورية (ولو أن عربين رفضوا في يناير سنة ١٩٣٩) (راما ٣٠٣١٠) ولا يستطيع العرب في فلسطين أن يؤمنوا بأن أحداث - ودية وادس - التي انتهت إعلان استقلالها وسيادتهم سنة ١٩٤١ ، كانت تبرر ذلك التفاوت الواضح على أن حالة الأمن وعدم الاستقرار التي اجتاحت الشرق الأوسط بسبب الحرب الإيضائية الحشوية ، وبجراح الاهتداء الإطالي على الرغم من الجهود التي بذلها عصبة الأمم (برعامة بريطانيا) لإبقائه ، قد رادت هذه الحالة من القل ريادة طبيعيه بمجريات الامور في الحرب العالمية الثانية ، التي لم تهمل حلها

العاشية أو النازية الدعاية في العالم العربي . ولقد بدأ العرب في القيام بدور إيجابي في محاولة إيجاد جامعة للصدام الواقع في فلسطين عندما مشوا في مؤتمر قصر سار جيمس في يناير سنة ١٩٣٩ . وكان إنشاء جامعة الدول العربية في مارس سنة ١٩٤٥ مظراً آخر من مظاهر تضامن العرب .

و يقابل ذلك أن قيام الراجح الألف في الثالث عام ١٩٣٣ سياسته العنيفة من اصطهاد العصر النسي ، وما ترتب عليها من اصطهاد يهودي في أوروبا الوسطى ، لم يقتصر على أن يذكر رغبة يهود في العودة إلى فلسطين خشب ، بل تعدى ذلك إلى أمر ضرورة حيوية هي إيجاد مخرج أو حلة مهاجر . الأمر الذي صاعق في نظرهم أهمية الوطن القومي ، كما راد من الضغط الأجنبي على بريطانيا كدولة متدبة في فلسطين . وقد قامت دول أوروبا الشرقية التي تصم هدداً كبيراً من اليهود ، كما قامت الدول التي يرم اليهود وجرحهم شطرها مهاجر ، قامت هذه وتلك ووجهت انتباهها إلى بحريات الأمور في فلسطين ببلح الاهتمام . فلما كانت الحرب العالمية الثانية ، حاول النازي القضاء على اليهود في أوروبا فصاعق ذلك في حاجتهم إلى مهاجر ، كما أن هذه الظاهرة لم يها قد صاعقت — لسوء الحظ — بحروف العرب من ناحية ، والضغط على دولة الانتداب من الناحية الأخرى . وحتى قبل عام ١٩٣٩ لم تكن الولايات المتحدة الأمريكية ، التي يبلغ عدد يهودها أربعة ملايين ونصف ، ثم تكن تستطيع أن تقف وقفة من لايهه الأمر بيزاء الأسلوب الذي كانت تجري عليه سياسة الدولة المنتدبة ، أو بإزاء أي تغيير يطرأ على سياسة الانتداب . من ذلك أن تروح اللاجئين يهود من أوروبا ، وعدم رغبة الحكومة البريطانية المتدبة في قبول عدد من اليهود يزيد على المصائب الذي نص عليه في الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩ ، زاد في صعد اليهودية الأمريكية على حكومة

الولايات المتحدة الأمريكية . ففي عام ١٩٤٢ طالب الصهيونيون في الولايات المتحدة وبريطانيا وفلسطين بفتح باب الهجرة إلى فلسطين على مصراعيه للهجرة اليهودية ، كما طالبوا بإشاعة مجموعة أمم يهودية ، (كومنولث) فلما انتهت الحرب في حريف عام ١٩٤٥ تألفت لجنة رعيةية — أمريكية مشتركة لاستعراض مركز اليهود في أوروبا مقارناً بحالة في فلسطين على أن تقدم توصيات للحكومتين الأمريكية والبريطانية ، تكون سبباً لحل مشكلة فلسطين . وعلى الرغم من المعونة المشيرة التي منحتها الولايات المتحدة ، والآمال التي عقدت على مجلس الوصاية السابع لهيئة الأمم المتحدة أمشاة حديثاً بصفة كونه وادناً لسلطات اللجنة الدائمة للانتداب النامه امصية الأمم المتحدة ، على الرغم من ذلك لا يزال من الصواب القول بأن بريطانيا لا تستطيع أن تحل منها وبين اربع نقم في فلسطين بين العرب واليهود . ولا يقل صواباً عن ذلك أن يقال إن النزاع في دله لا سبيل إلى إيمائه إلا بالاتفاق بين الطرفين .

• • •

هذا هو الأسلوب الذي يكتب به عن فلسطين في كتاب يصدر من المعهد الملكي للشئون الدولية ، ذلك المعهد الذي أوضح سيسته في أول صفحات الكتاب بأن قراره بمنوع — بحكم موافقته — من إنشاء الرأي في الشئون الدولية ، وأن الآراء التي وردت في هذا الكتاب ليست — بطبيعة الحال — آراء المعهد .

ولما أن تنسأل عن مصدر هذه الآراء التي تعطى ليهود كل شيء . وتبحث لعرب كل شيء . على أن الإجابة على هذا التساؤل قد وردت في صلب الكلام الذي قلناه عن هذا الكتاب ، ففيه تؤكد للعهود الدولي لليهودي ، وإثبات للضغط اليهودي على حكومات الدول التي يعيشون

فيها ، واستغلال الظروف الدولية ، وتحامل على العرب في كل مكان . فإذا أراد العرب جدياً أن يكون لمطالبهم الحقبة صدى واقعي وتأثير عالمي ، فليدرسوا أساليب الدعاية الصهيونية عن كثب ، ونظرية بعيدة عن الموارد ، وليعملوا على نشر دعاية مقابلة ، مدعمة بما يستتبعه الشرف العربي من أساليب الدعاية الصهيونية ، ولبدأوا بشرح قصبتهم من الناحية التاريخية بما يخص الدعاية الصهيونية الخاصة بأرض الميعاد . ولعل جامعة الدول العربية ، وهي تحتل لصها سياسة إنشاء مكاتب الدعاية في أنحاء العالم ، وبخاصة في أمريكا ، لا تعتبر الأمر مجرد موطب ووظيفة ، وتوزيع هذه الوظائف بين الدول العربية بمقدار مساهمة هذه الدول في مبرايه الجامعة ، أو غير ذلك من الاعتبارات الممكنة البحتة ، فإن كريات الأمور تستمر كريات الأساليب ، والإحلاص دون الكفاية يعيد إلى الأذهان قصة الدب والصيد .

• • •

منذ آلاف السنين ، لم تحط فلسطين بالمقومات التي تجعل منها وحدة سياسية ، أو دولة ، بما يقصيه تعريف الدولة ، وإنما كانت قطعة من الأرض تدواها الأديان السماوية الثلاثة . اليهودية ، والصراية ، والإسلام . فإذا ما ادعى اليهود أنها كانت وطناً لأسلافهم الأول فهم صادقون ، وإذا ادعاهم للصاري فهم كذلك صادقون ، وإذا ادعاهم المسلمون فهم يمثل ذلك صادقون .

على أي دعوى أصحاب الديانات ملكية أرض ما ، لمجرد أنها كانت مهبط رأس أسلافهم ، كلام لا يقره منطق ، ولا يسلم به عرف .

وقد ظلت فلسطين زهاء أربعة قرون خاضعة للحكم العثماني ، لم تقع

خلالها فتنة ذات بال ، بين ذلك المحيط من السكان من مسلمين ونصارى
واليهود .

قصة الوطن القومي لليهود

ويذهب البعض إلى القول بأن الانتداب البريطاني على فلسطين ، أو
بحريات الأمور خلال الحرب العالمية الأولى ، هي التي خلقت قصة الوطن
القومي لليهود في فلسطين .

ولكن الواقع أن قصة الوطن القومي لليهود أقدم عهداً من الحرب
العالمية الأولى ، أو الانتداب البريطاني . وإنما يصح أن يقال إنه لولا
تورط بريطانيا خلال الحرب العالمية الأولى مع زعماء يهود ، ما اتخذت
قصة الوطن القومي ذلك الوضوح البارز بين مشاكل العالم ، ولما استيقظ
اليهود من حلهم الذهبي . وفي ذلك يقول الأستاذ محمد رفعت في كتابه
« التيارات السياسية في حوض البحر الأبيض المتوسط » :

« كان أول من جعل لليهود قصة هومية وأماط وطنية في التاريخ
الحديث هو النمساوي تيودور هرتس الذي نشر في سنة ١٨٩٦ كتابه «
الدولة اليهودية » فكان ظهور ذلك الكتاب فاتحة عهد جديد ، إذ أصبحت
أماط القرية اليهودية بعد إداعته موضوعاً مدروساً ، يقرؤه الناس ، وكانت
قبل ذلك خواطر مجردة وأحلاماً تهوفاً يدرسها وتبحث لها «
ألسنتهم » وقد أثار ذلك الكتاب من الحماسة والاهتمام لدى اليهود في
جميع البلاد مدعاً إلى اجتماع مؤتمر عام لليهود في مدينة بازل سنة ١٨٩٧
وفيه حدد اليهود المهدف الذي ترمى إليه حركتهم الصهيونية : وهي السعي
لإيجاد وطن قومي لليهود في فلسطين ، على أن يكون ذلك بمقتضى إجراءات

يؤيدها لقانون العام . وقد أصرح المؤتمر الوسائل التي تمخض لتحقيق ذلك فيما يأتي . -

١- تسمية حركة الاستعمار في فلسطين بإيجاد عمال للزراعة والصناعة إليها
ب- تطعيم العنصر اليهودية وتوثيق الروابط بينها وإنشاء المؤسسات
الحكومية والدولية وفقاً للقوانين المراعية في الدول المختلفة .

ج- تقوية الشعور أو الوعي القوي اليهودي .

د- اتخاذ الاجراءات - حينها تسمح الحال - للحصول على موافقة
الحكومات على تحقيق أغراض الصهيونية .

ويتضح من ذلك أن الحركة الصهيونية في بدء أمرها ، وإلى ما بعد
الحرب العالمية الأولى ، لم تكن أكثر من دعاية عاطفية اجتماعية يقصد
بها اليهود أن يستدروا عطف الحكومات لتدبير مأوى في فلسطين راجعاً
إليه المعظمون والمشدون منهم . فيجدون فيه ملجأ من العيش بالعمل في
الزراعة أو الصناعة ...

هذا هو رأى الأستاذ محمد رفعت في العلاقة بين اليهودية وأرض
فلسطين .

أما نحن فنبقى أن الأمر أبعد عوراً من هذا ، وأن علاقة اليهودية
بفلسطين أقدم من ذلك ، فإن المستعمرات اليهودية في فلسطين يرجع
تاريخها إلى منتصف القرن التاسع عشر ، وأن دعوة « هرزل » ما ظهرت
إلا لتؤكد أسراً واقعياً وهو هجرة اليهود إلى فلسطين . فقد تأسست أول
مستعمرة يهودية بالقرب من يافا في سنة ١٨٥٥ ، أسسها السير موسى
مونتيفوري ، وأنه ، منذ ذلك الحين ، استمرت الهجرات اليهودية
وقوامها شاب اليهود في روسيا ودرمانيا ، وأن اليهود كانوا يفدون على

فلسطين زرافات ووحدايا وكلهم حلو من وسلة يتعش بها ، أو معرفة
ينتمع بها ، ولكم وجدوا في البارون ادموند روتشلد راعيا يساعدهم
بماله ، ويهديهم بحرته ، ويرجعه لشاغلهم وجهة يداتها .

وفي عام ١٨٨٢ قام البارون موريس هيرش بتكوين الجمعية
اليهودية للاستعمارية ، وكانت ترمي إلى إسكان اليهود في مستعمرات زراعية
أيما كانت . وإلى هذه الجمعية آل نشاط روتشلد ومعونته ، فشغلت
الجمعية وانجست إلى فلسطين بالذات . ولم تقتصر حركة الاستثمار اليهودي
على جهود هذه المؤسسة ، بل قامت إلى جانبها — مستقلة في وجودها —
المنظمة الصهيونية .

وما جاءت سنة ١٩١٤ حتى كانت هذه المستعمرات الزراعية اليهودية
في فلسطين تضم ١٢.٠٠٠ يهودي من ٩٠.٠٠٠ كانوا يسكنون فلسطين
وكانت هذه المستعمرات تدر شركاه ثرتها بمسما ، يعمل عن سلطة
الحكومة العثمانية المتراخمة وفذاك .

كان كل ذلك يجري في فلسطين في النصف الثاني من القرن التاسع
عشر وفي مستهل القرن لعشرين ، والعرب في فديين مسلمين ومسيحيين ،
في غفلة عما يراد بهم .

وإن لأذكر فيما أذكر أي اشتريت في سنة ١٩١٤ كتابا قديما
من بائع منجول ، واعلمى اشتريت الكتاب مدفوعا بمجرد العطف على
البائع الفقير ، أو تحفا من إلحائه . فلما تصفحت الكتاب بعد ذلك لم
يعد نظري فيه شيء يستحق الذكر . فلما دارت الأيام ودورها وأصبحت
للإهود في فلسطين قضية ، تذكرت الكتاب فحشنت عنه وتصمخته ، فإذا
به دعوة توجهها المنظمة للصهيونية العالمية لثياب اليهود لاستيطان فلسطين

وقد جاء في آخر الكتاب ملحق طريف ، هو عبارة عن مرشد للشباب اليهودي بعد هجرته ، يرشد المهاجر إلى نوع العمل الذي ينتظره في فلسطين . كل حسب حاجته . وإذا كان المهاجر عن بلد كونه عشرة آلاف جنيه أو أكثر ، فأمامه باب الاستغلال . متوخفا في صناعة كذا وكذا ، وإذا كان يملك نصف هذا المبلغ فأمامه كذا وكذا . ثم يتدرج نزولا ، فيحدد المشروعات التي تقوم على رؤوس أموال أقل من ذلك ، حتى ينتهي بالمهاجر المعدم فيرشده إلى المزرع أو المصانع التي تقبل له . . . هتند ، وعندئذ فقط ، آمنت بأن العمل الصهيوني في فلسطين عمل جدي لا هزل فيه .

وفي يوم من أيام ١٩٣٩ ، على ما أذكر ، أقامت حكومة الانتداب في فلسطين معرضا بالقاهرة للصناعات الفلسطينية ، فإذا بالمعرض يحتوي على حجرة واحدة عربية ، يقابلها أكثر من عشر حجرات يهودية ، وقد اشتملت الحجرة العربية على بضعة مصنوعات يدائية ، بينما احتوت الحجرات اليهودية آخر ما استحدثته لعلم من آلات كهربائية وأدوات مكتبية ومستحضرات طبية ، تصامى في جودتها ما تنتجه مصانع الأوروبية .

ووقع تحت رسي في سنة ١٩٤٢ كتاب العمل الصهيوني في فلسطين ، وهو دعاية حديثة الأسلوب ، ويحتوي الكتاب بياننا بالمشروعات الزراعية والصناعية التي تبحث في فلسطين على أيدي يهود ، ومدى نجاحها ، ويوازن بين الأساليب التي أدخلها اليهود على الصناعة والزراعة ، والأساليب العظيمة التي كانت ولا تزال يجري على أيدي العرب ، وفي كل ذلك دعاية لأساليب يهود في البوص بالزراعة والصناعة في البلاد بالاستعانة بأخر المستحدثات العالمية .

وأما إذا أقرر هذه الوقائع ، أقررها أسعا على أن العرب كانوا

منصرفين الى الدعاية لقضية العرب في فلسطين ، ولكنهم اختاروا لنشر هذه الدعاية أوساطاً لا تحتاج الى دعاية . ويثابت تؤمن بانقصة العربية بقدر ما يؤمن بها الدعاة على الأول .

• • •

والآن ، وقد جمعنا عنوان هذا الفصل ، بريطانيا في فلسطين ، فأما سنحاول جلاء الحقائق بالاجابة على الأسئلة الثلاثة الآتية :

١ — أية مصلحة دفعت بريطانيا أن تصدر وعداً للعرب ، ثم لا يلبث أن تصدر وعداً لليهود متناقضاً وما مهدت به للعرب ؟

٢ — أية مصلحة دفعت بريطانيا إلى أن تعمل جاهدة في المخاض الدواية حتى تنال قرار انسحابها عن فلسطين ؟

٣ — أية مصلحة دفعت بريطانيا إلى التحلي عن الانتداب وقتما تجبى هذه ؟

في حلال الحرب العالمية الأولى ، كان الحلفاء يحرصون على كسب الحرب مهما كلفهم الأمر ، وحيث كانت تركيا ، ومن وراءها أدبيات العدد لمهاجمة الحلفاء في مصر ، كان البريطانيون يلجؤون للعرب بأن لا يسيئوا لاستقلالهم عن الدولة العثمانية إلا بالخروج عليها والاندماج الى صفوف الحلفاء ومحاربة الدولة والتغلب عليها .

ومادمتنا بصدد الحديث عن فلسطين ، فإنا لن نتناول هذا التاريخ موصلاً في كل نواحيه ، إنما تقتصر على ما به علاقة بقضية فلسطين .

عما لا شك فيه أن بريطانيا كانت تحرص كل الحرص على تأمين مواصلاتها البحرية الى مستعمراتها في الشرق الأقصى عبر قناة السويس ،

فاستطاعت أن تتدخل في صميم الشؤون الداخلية المصرية ، وأن تحتل البلاد عام ١٨٨٢ بحجة حماية العرش غير أن هذا الاحتلال لم يكن في نظر البريطانيين كافياً لأنهم هذه المواصلات ، طالما كان على الجانب الآخر من صحراء سيناء بلاد لا تسطر عليها بريطانيا .

وقد طلت الدبلوماسية البريطانية ترمو إلى الجانب الآسيوي من هذا الشريان الحيوي لها . ونحوها جاهدت أن يكون لها فيه شيء من العود يدفع عنها عاتية العدو بها إذا تعقدت الأمور درلياً .

ولما كانت هذه المظفر حاصره لنعوذ لسلطان في تركيا ، فقد انصرف هم البريطانيون إلى التدخل لدى السلطان ، ولكسبهم كانوا يصطدمون على الدوام بالهوة العرسى المتعمل لدى السلطان ، تركية المناهضة بين إنجلترا وفرنسا قبل سنة ١٩٠٤ .

وفي مستهل القرن العشرين ، بدأ يعود ثالث يغلب كلا من فرنسا وبريطانيا لدى السلطان : ذلك أن الألمان استطاعوا أن يهضموا شباب لصباط الأتراك بلصعة العسكرية الألمانية . وضع بحبات هؤلاء الضباط بالروح العسكرية الألمانية ، وإيمانهم بأن العلة — في السياسة العالمية — ستكون لهم في المستقبل لقريب ، مانع كل ذلك حداً فتح للجهراء الألمان باب التدخل في الشؤون التركية على مصراعيه . ومن العاصمة امتد يعود الجبراء إلى أملاك الدولة آسيا . وأضعف لسياسة الألمانية رجال الحكم في الآونة صروره إصلاح الحال في هذه الأملاك ، استيقاظ لولايتها للدولة . ومن هنا نشأت فكرة مد الخطوط الحديدية عبر هذه الأملاك . وهم الألمان على تنعيز هذه المشروعات .

ذمرت بريطانيا وفرنسا لهذا التدخل الألماني السافر في شؤون الدولة .

لم يكن هناك يد من أن تعقد بين لعريقين هدنة ، بل فحالف ، سمي باتفاق سنة ١٩٠٤ .

ثم جاءت الحرب لعالمية الأولى ، واستطاع البريطانيون إغراء العرب على الخروج على الدولة العتمة والأصنام إلى معسكر الحلفاء . ثم حوالت الأحداث فهاجم الأتراك الحدود المصرية ثم ردوا عنها ، ثم حرج اللورد اللبي على رأس جيش بألف من بريطانيا ومستعمراتها ، يؤيده فيلق سمي وفيلد ، فيلق العمال المصريين ، خرجوا إلى شسة جزيرة سيناء ، وهما في أرض فلسطين فسقطت غزة في ٧ نوفمبر سنة ١٩١٧ وسقطت بيت المقدس بعد ذلك شهر واحد (في ٩ ديسمبر) .

وكان الأمر الواضح يقتضى أن تصبح فلسطين تحت الإدارة العسكرية لبريطانية ، وأن تعض كذلك إلى أن يقرر مصيرها في مؤتمر الصلح ، ولذلك ظلت فلسطين في يد إدارة حرية بريطانية ، على اعتبار أنها جزء من أرض العدو المحتلة .

وبما كانت الإدارة الحرية البريطانية تناصر حملها في فلسطين ، كانت المحاص الدولية ، والمفاوضات الدبلوماسية ، على قدم وساق .

المرحلة الأولى بين بريطانيا والعرب

والآن ، لنعد قليلا إلى الوراء .

عندما أعدت الحرب العالمية الأولى ، كانت البلاد العربية تسمى كالمرجع لغسا ، لقومية العربية ، التي تختلف عن القومية التركية ، وإن اتفق أصحاب القوميتين في الدين .

ويطول ما الحديث إذ حاولنا أن نضع تاريخ ظهور القومية العربية

وقيامها كحركة مصادرة للحركة المركزية السياسية التي أودت بعرش السلطان عبد الحميد ووضعت للبلاد دستوراً سياسياً . فان العرب قد شاركوا الترك في هذه الحركة ، ولكم ما نشوا أن أدركوا أن رملاءهم الأتراك قد انحدروا بالعمل على احياء قوميتهم التركية ، متجاهلين جهود رملائهم العرب . وعندئذ اجتمعت كفة العرب على أن يكون لهم جهودهم الخاصة « احياء قوميتهم والعمل على ما فيه صالحهم » .

فلما كانت الحرب العالمية الأولى ، وقف الأتراك إلى جانب حلفائهم الألمان ، ضد بريطانيا .

ولما كانت بريطانيا تحتل مصر وبلادك فقد توهمة أن يفتح الألمان وحلفاؤهم جبهة جديدة للحرب على حدود مصر الشرقية ، شتيتا لقوى بريطانيا من الجبهة الغربية في أوروبا ، والجبهة الشرقية على حدود مصر . استعصت بريطانيا الموقف ، ولم تلبث أن بينت أن من مصلحتها استعلان قوميه العربية استشه القصة . واكتفاءً من تكن لتطعن إلى جهود القائمين بالحركة العربية القومية لأسباب قد يطول شرحها . فاستمرت أن تستغل الامم الأكر الى يخذش بها صدر رجل من رعاء العرب كأنه في نظر البريطانيين أسس قيادة من غير . وأصلح من وجوه عدة قصاص مآربهم ذلك هو الشريف حسين أمير الحجاز .

درست بريطانيا أمير الحجاز عن كثب ، فأدرك أنها تستطيع اعراؤه على الخروج هي الأتراك والانضمام إلى معسكر البريطانيين مقابل وعود تحقق له أكثر مما كان يحلم به وقتذاك . فقد صور له عملاء بريطانيا أنه ، صفة كونه من سلالة النبي عليه الصلاة والسلام . أحق بالخلافة على المسلمين من الخليفة التركي . وأنه هذا الوضع ، تستطيع بريطانيا أن

تجلسه على عرش لا يقل عطمة وانساعا عن هروش آبائه وأجداده من الخلفاء الأمويين والعباسيين ، وأن الجزيرة العربية لا تلبث أن تدين له بالطاعة ، وأن اليوم لدى تهمي فيه الحرب هو اليوم الذي سيتوح فيه ملكا على العالم العربي الاسلامي في آسيا .

وقد صور العملاء البريطانيون لأمير الحجاز أن تحقيق أحلامه ومن يتبادر بصفة خطرات مع المتشددين البريطانيين في مصر هري مكاهون يتمم بها الأمور بأعلان الخروج من ولائه الأتراك ، والالتصام إلى معسكر الخلفاء وعلى رأسهم بريطانيا ، مقابل أن يتعهد له مكاهون بالسيادة على الجزيرة العربية من أمصاها إلى أمصاها يوم أن ينهي الحرب بانتصار الخلفاء .

وإذ مع أمير الحجاز — في نظر نفسه — إلى مرنة التكافؤ مع رجل من أعظم رجال السياسة والحرب في الامبراطورية البريطانية يتبادر الخطابات بينهما . وطرب للألفاظ الممسولة التي كانت تنطوي عليها هذه الخطابات ، فاعن مع أولاده على إجابة البريطانيين إلى طلبهم بالخروج من ولاه الأتراك ، وتأييد جيش عرقي بحارب مع بريطانيا جنبا إلى جنب ضد العدد المشترك : تركيا .

وانتهى أحداث الحرب بانتصار الخلفاء ، واحتلالهم لمصر وسورية ، وتقهقر الأتراك إلى آسيا الصغرى .

ثم جاء وقت الحساب .

فالعرب ، وقد صوا أهم باقتحامهم إلى الخلفاء أصبحوا أتحاب حو مكتسب ، قرامه نهيد الاله في المعقود بين الشريف حسين والسير هري مكاهون . كانوا يطالبون بوطى عرقي يشمل فلسطين . وقد أنكر عليهم

البريطانيون حق ضم فلسطين للوطن العربي الكبير واستشهدوا على ذلك بخطاب كيه السير مكماهون في ٢٥ أكتوبر عام ١٩١٥ الشريف حسين يقول فيه : « إن مرسين واسكندرونة وادص الأقسام السورية الواقعة غربي مناطق دمشق وحمص وحماه وحلب لا يمكن أن يقال عنها أنها عربية محضة ، ويجب أن تستثنى من الحدود التي ذكرتموها ، والمتمعدات التي أودعها هنا ، ودون إحلال المعاهدات المعقودة مع الرعاه العرب ، نوافي على هذه الحدود » .

وعلى الرغم من الالتواء الواضح في صياغة هذا الخطاب فيما يخص فلسطين ، فإن الجانب العربي لم يسيه إلى ما ترمى إليه سياسة البريطانية من وراء هذا الالتواء . ولم يمسك في ذلك الوقت الذي كانت بريطانيا فيه بحاجة إلى العرب كل الاحتياج ، لم يسكن في مراجعته السلطات البريطانية للحصول منها على كلمة صريحة بشأن فلسطين ، بل رفع بأن اعتقد — فيما بينه وبين نفسه — أن فلسطين تدخ في يد الدولة العربية الكبرى .

ولما كانت هذه المشكلة بما تعتبر أساساً لمشكلة فلسطين ، فقد رأينا أن نورد هنا ترجمة كاملة لما جاء في كتاب « بريطانيا و فلسطين ١٩١٥ — ١٩٤٥ » الذي سقت الإشارة إليه . وفيها شرح للوقوع لاعتقائه : « ولو أن الجانب البريطانى قصد أن يستلم فلسطين من هذه المساحة (يقصد الوطن العربي الذي كان العرب يطالبون به) فيجب أن نعرف أن اللغة التي كتب بها خطاب مكماهون فيما يخص بالاستبعاد لم تكن من الواضح والبعد عن خطأ الهمم كما كان يظن وقت كتابتها » .

ويستدل على ذلك بما حدث خلال انعقاد مؤتمر فلسطين بلندن في

شهرى فبراير ومارس عام ١٩٣٩ حيث تألفت لجنة مشتركة من المتدوين البريطانيين ولعرب لاستعراض وثيقة مكاهون ، فقد فشلت هذه اللجنة فى الوصول إلى اتفاق على نصير ما احتوته الوثيقة ، إذ قال الجانب البريطانى إن حكومته كانت ولا تزال تؤمن بأن عبارة « إجراء سرورية الواقعة عربى مناطق دمشق وحمص وحماه وحلب » تشمل جميع أجزاء سورية (بما فيها ما يسمى الآن فلسطين) الواقعة عربى المنطقة التى كانت تعرف إداريا باسم ولاية سورية . وقد اتفقوا على أن منطق الجانب لعربى فيما يخص معنى العبارة المختص عاملا له قوة أكبر مما قدر لها وقدّم ولكنهم تمسكوا بأن هذا طين — بناء على نص الوثيقة — تخرج عن نطاق ما يطالب به العرب .

وقد دأبت الحكومة البريطانية على القول بأن نيتها انجبت منذ أوان وهمة على إحراج فلسطين عما وعد به مكاهون العرب ، وقد أوضح ذلك المستر تشرش وزير المستعمرات وقتئذ فى مذكرة له عن الانتداب فى فلسطين تاريخها ٣ يونيو سنة ١٩٢٢ ، وقد جاء فى خطابين حررهما السير هنرى مكاهون فى سبتي ١٩٢٢ و ١٩٢٧ أنه قصد عملا إحراج فلسطين (ى وعد به العرب) . وهنالك ما يدل على أن الحكومة البريطانية أوضحت نواياها فى مقابلة بين القائد هوجارث والملك حسين فى يناير سنة ١٩١٨ وقد بدا أن الملك وافق على إحراج فلسطين من نطاق الدولة العربية المستقلة . وفصلا عن ذلك ، فقد روى أن الأمير فيصل بن الحسين صرح فى مؤتمر الصلح بباريس « إن فلسطين — نظراً لدولية كيانها — يجب أن يترك أمرها جانباً للنظام بشأنها من الجهات التى يهمها الأمر جميعاً » ، وذلك على الرغم من أنه حدث فى سنة ١٩٢١ أن تحدث فيصل مع وزارة الخارجية البريطانية فطلب أن تدخل فلسطين فى المنطقة التى

واقف الرعيبيون على استقلال العرب بها . ولكنه لم يلبث أن تنازل عن ذلك . ولكن عرب فلسطين لا يأحدون بهذا المطلب وهم دائبون على إراز وجهة نظرم فيما يتقدمون به من مطالب وشكايات .

و لما نجحت ملاحظته أنه عندما كان السير هنري مكاهون يرأس الشريف حسين عام ١٩١٥ ، لم تكن قصة وعد اليهود قد بدأت ، على أن الحلفاء كانوا على إدراك أنهم لا يضمنه إلا ما كان المقدسة — وقد بحث أمرها في كثير من المعاهدات العربية المعقودة بينهم — وما يؤسف له أن المفاوضات الرعيبية لم يوضحوا الأمر للعرب منذ البداية .

هذه ترجمة حرة لما ورد في كتاب « بريطانيا وفلسطين » الذي أشرف عليه إليه . وهي تبين وجهة النظر الدولية التي بدعهم بكتاب ، و لكنها في الوقت ذاته تعتبر محرر سياسيا أهم قصة فلسطين التي دار فيها الصراع سنوات بين بريطانيا والعرب ، والتي آتت فيها الأمور إلى ما آلت إليه على أعين العرب .

ولنا هنا أن نقسم :

(أ) إلى أي حد يمبر العرب أصحاب حق واضح في المطالبة — في حدود الاتفاقات الدولية — في اعتبار فلسطين جزءاً من الوطن العربي العام ؟

(ب) إلى أي حد يمكن أن يقال — في حدود الاتفاقات الدولية — أن بريطانيا نكثت بوعدها للعرب فيما يخص فلسطين ؟

في رأينا أن بريطانيا قد بينت الصدر بالعرب يوم أن عقدت معهم اتفاق الحسين — مكاهون ، وأن عملة المفاوضات العرب من ناحية ، ورغبة آل الحسين وقتئذ بأن يخرجوا من المعركة بأي شيء ، ولو كان

تأقلاً ، كل ذلك أعزى العرب بعول الالتواء لدى ورد في وثيقة مكاهون التي حوسبوا على صياغتها حرف بحرف فيما بعد ، وأن أمير الحجاز لو تأق في قراءة الوثيقة ، واكتشف ما فيها من سوء ، وصالح بأصاحها ، لكان لذلك ، إذ أن بريطانيا كانت تعان وقتئذ أزمة يسهل معها أن تزل على أرادة عرب مهمل كانت .

ولا يصح أن يرد على ذلك بأن بريطانيا كانت مرعده وقتئذ على أسرون على أرادة يهود ، مدفوعة الى ذلك بتعود اليهود لعالمى من ناحية ، وعالمهم الوابر الذى كانت تريد بريطانيا الانفاق على كسب الحرب من الناحية الثانية .

فى تقديرنا — بعد تقدير الزمن حق قدره — أنه بريطانيا ، بعدما استعقدت العرب وصالحاتهم في وثيقة الحسين — مكاهون نصيباً ما كان يصح أن يموت عليهم . آمت فعية العرب ، وشجعت على الاستجابة للطلبات اليهودية .

أما لا أذهب الى القول بأن بريطانيا كانت تنقص مطالب اليهود جملة ، وإنما اكتفى بالقول بأنه لو تقيدت بريطانيا بقيود صريحة مع العرب لكان مساكنها مع اليهود قد اختلف في قليل أو كثير عما جرت به الأمور من وعد صريح بأشياء وطرفوى لليهود في فلسطين ، ولرما كانت لأزمة — بعد انتهاء الحرب — بين اليهود والبرصانيين ، لا بين اليهود والعرب .

ويجب أن لا نمن من حساسنا أن بريطانيا تعرف جيد المعرفة أن المعارض لعرق أسس قياداً من المفاوض اليهودى ، وأن لبرية لسياسية لدى المفاوضين العرب وقتئذ لم تكن من النصح بحيث يحشأها بريطانيا . وقبل أن نتحدث عن يات الأمور بشأن فلسطين ، يجدر بنا أن

تسجل أن الحروب تغزى عادة بالمعاهدات السرية بين المتحالفين . ولهذا المتحالفت السرية آثار كبرى في سلوك الحلفاء في الحروب ، وقد ترعمت بريطانيا ، في الحرب العالمية الأولى ، ثأرها في كل حرب بل في كل مشكلة دولية ، سياسة عقد المعاهدات السرية . وما يجدر به أن نقرر في هذا المقام أن فكره أعطاه فلسطين دمر ، أو الموافقة على تأسيس وطن قومي لليهود بها ، لم يرد في المعاهدات السرية التي وقعتها بريطانيا مع حلفائها عميل اتفاقها مع الحسين .

في مارس سنة ١٩١٥ عقدت المعاهدة السرية الأولى بين بريطانيا وفرنسا وروسيا . وفي أبريل سنة ١٩١٥ ، بعد ما انضمت إيطاليا إلى الحلفاء ، عقدت معاهدة سرية ثانية ، وقد تحدثت المعاهدتان لسريتين عن ما يسمى بالحقوق ومناطق لعمود التي تخصص لكل من المتحالفين في رقعة الأرض الآسيوية التي تقول إلى الحلفاء بعد هزيمة تركيا .

على أن هاتين المعاهدتين خفيتا في طي الكتمان إلى أن قامت الثورة الشيوعية في روسيا ، وأدلت دولة البياصرة ، دمر على صورتها هاتين المعاهدتين في مخطوطات وزارة الخارجية الروسية ، ونشرت الصحافة الروسية نصوصهما ، وعندئذ اعترفت دول العرب بوجودهما .

ويلاحظ أنه لم يرد في هاتين المعاهدتين ، اللتين عقدتا قبيل الاتفاق مع الحسين ، ذكر لفلسطين بالذات .

ولما تم الاتفاق بين الحسين ومكاهون يتبادل الخطابات بينهما ، خشيت اجترأ أن تهتم من جانب حليفها فرنسا بالأفراد بالعمل في المناطق التي أشارت إليها الاتفاقات السرية السابقة الذكر ، كما خشيت أن تصطدم معها فيما يخص بتوزيع الاسلام ، وخاصة أن فرنسا تدعى لهما

مركزاً خاصاً في البلاد العربية الواقعة على ساحل البحر الأبيض، يضاف إلى ذلك أن بريطانيا كان يهملها كثيراً أن يحصل من فرنسا على موافقتها هي ما تعهدت به للعرب .

وتقدير لكل هذه الاعتبارات ، دارت مفاوضات في أواخر سنة ١٩١٥ بين السير مارك سايكس والمسيو جورج بيكو انتهت بالاتفاقية التي عقدت بينهما في مايو سنة ١٩١٦ وعرفت باسم اتفاقية سايكس بيكو . وتدور هذه الاتفاقية حول توزيع الأسلاك بين الحليتين ، وقد تجاهل العريقان لغة الخلاء ، ولم الاتفاق بينهما على أن تقسم الأرض الواقعة بين البحر الأبيض المتوسط وبحر الملح العجم إلى خمس مناطق ، بعضها يحصص للإدارة البريطانية ، ويحصص البعض الآخر للإدارة الفرنسية . ويصحب بعضها منطقتان ، وود بريطانيا ولدهن الآخر منطقة نفوذ فرنسية . ومن المناسب أن نقرر أن فلسطين لم تكن من بين المناطق التي وردت الإشارة إليها . فقد وردت في نص الاتفاقية التالية :-

« ورعة في المحطة على المصالح الدينية للدول المتعاقدة في فلسطين بما فيها من أماكن مقدسة ، نخرج عن دائرة الاملاك العثمانية ، ونحصر لتمام خاص يتعلق عليه بين روسيا وفرنسا وبريطانيا

وقد كانت السرية الطامع الاول والاهم لهذه المعاهدة التي لم تبلع محتوياتها لا للعرب ولا للإيطاليين . ولم يعجزها هذان العريقان إلا في نوفمبر سنة ١٩١٧ ، فقد عثر البلاشفة في وزارة الخارجية الروسية على مذكرة سرية تاريخها ٦ مارس سنة ١٩١٧ بالامارات التي جرت بين لندن وتروجراد في ربيع العام السابق فشروها في جريدتهم « اسستيا » في نوفمبر سنة ١٩١٧ .

ومن المتمد في المحفل الدولية أن الشريف حسين علم بهذه الوثيقة في أوائل سنة ١٩١٧ ، أعدها الأبرار .

أما بريطانيا في يدو أنها كانت تعبر الوثيقة منذ أوائل سنة ١٩١٧ كذبت فقد عوصوا عنها باعادية حال دي مورير في ١٧ أبريل ١٩١٧ تلك الاعايد التي لم توضع موضع لتعيد

٢ — المرحلة الثانية : بين بريطانيا واليهود

كانت ردة البريطانيين في إيواء اليهود في مكان مداه سابقة للحرب العالمية الأولى بأكثر من عشر سنوات ، فقد حدث في سنة ١٩٠٣ م ضد ماذا من المستحيل الحصول من ساحل تركيا على امتياز يمكن اليهود من العودة إلى أرض الميعاد — أنها منحهم وطناً في أوعده ، ولكن فطيل كانت الوطن لوحيد الذي يرعى رغبات اليهود ، ولذلك اعتذر المؤرخ الصهيوني في سنة ١٩٠٥ عن عدم قبول لدية البريطانية .

ولم تعد الحكومة البريطانية إلى إثارة القضية الصهيونية في أوائل الحرب لسبب واضح . هو أن روسيا كانت بين عداد الحلفاء ، وأن حكومتها القيصريه لم تكن تنظر بعين الرضا للحركة الصهيونية عامة .

فلما اندلعت الثورة الشيوعية في فبراير سنة ١٩١٧ ، كانت الصلة قد توطدت بين السير هارث مايكس والدكتور وايرمان — وهو من الزعماء المتفهمين اليهود ، وكان يشغل إحدى وظائف التدريس في جامعة ماشستر وكان قد ألحق بالبحرية البريطانية بين خيراتها السكياتيين .

وكان وايزمان ، منذ سنة ١٩٠٦ قد اتصل بالمستر الفور وأناراهنما في شأن الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وقد لعب معه دوراً هاماً في

المفاوضات التي جرت بين اليهود والحكومة البريطانية في سنة ١٩١٧ وانتهت بما سمي وقتئذ بعهد بالعمور ، وهو خطاب كتبه المستر بالعمور إلى اللورد روتشيلد في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ يتضمن ما يأتي .

إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، وسنبدل خبر ما في وسعنا من وسائل لتسهيل الوصول إلى هذا الغرض ، على أنه يجب أن يعهم بوضوح أنه لا توجد أية إجراءات من شأنها أن تلحق لصراً بالحقوق الحالية ، من مدنية ودينية ، للحاليات غير اليهودية في فلسطين أو في الحقوق والكيان السياسي لذين يتمتع بهما اليهود في أية دولة أخرى .

وقد أدت لحكومة لفرنسية ، ووافقتها على هذا العهد في ١٤ فبراير سنة ١٩١٨ وكذلك وافقت عليه الحكومة الإيطالية . ويقول كتاب بريطانيا وفلسطين أن الأمر فويل في الولايات المتحدة الأمريكية بتأييد من الرأي العام .

وفل أن نستعرض في سرد الأحداث التي وقعت بعد ذلك ، يحدو بنا أن نستعرض وجهات النظر المختلفة في هذا العهد .

• • •

١ — يعال الأساذ محمد رفعت ، كتابه ، التيارات السياسية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ، صدور هذا العهد فيقول :

« ثم بدا للحكومة الإنجليزية أن تستميل إليها الرأي العام الأمريكي لعلها أن تضع الولايات المتحدة بالاشتراك في الحرب إلى جانب الحلفاء ، فترجح بذلك كفتهم ، وتنتهي تلك المأساة التي طال أمدها ولم ينح المنصر فيها لأحد الفريقين . وكانت اجتمعا تعلم أن جانبا قويا من الرأي العام

الأمريكي قوامه أعصر يهودى فيها ، وكانت تعلم كذلك أن الحالة في روسيا قد أصبحت من سحر والخطورة بحيث باتت الثورة بها قريبة الحدوث ، وأصبح خروج الروسا من الحرب مترقباً في أى وقت ، وكانت يجتازوا الى ذلك تعدد عدتها لمرور فلسطين وسوريا ، بعد أن مهدت بذلك بمهدة الثورة العربية على الترتيب ، كما كانت على علم بمطامع فرنسا في لبنان وسوريا ومنطقة المشرق ، فتم تشأ أن يهوى الحرب دون أن يتمكن لنفسها في مطمح شرق الأوسط ليكون لها إزاء فرنسا مستند تأمن معه على مصالحها في هذه المنطقة العظيمة الخطر .

• وعلى ذلك سافر مستر مالمور وزير الخارجية الانجليزية في أوائل سنة ١٩١٧ لمناقشة رعاياه اليهود في الولايات المتحدة . وفي ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ ، قبل دخول الجرارم الذي فلسطين بأشابع قليلة ، أعلن تصريح مالمور الشهير ضمن خطاب وجهه الوزير المذكور إلى القرد روتشك رعيم اليهود في إنجلترا وفيه يقول .

ثم يورد الاستاذ محمد رفعت نص التصريح ويعلق عليه قائلاً .

• وهاهنا من هذا التصريح أن الحكومة الانجليزية لم تقصد بتصريحها إلى تحويل فلسطين إلى وطن قومي لليهود ، ولكنها أرادت فقط تدبير وطن لليهود في فلسطين ، والفرق بين الاثنين طاهر . ثم إن الحكومة الانجليزية ، علماً بما يصادف هذه السياسة من اعتراض ، رأت أن تقيد تصريحها لفلسطين على جوانب عظيم من الأهمية .

أولاً ، أن وجود الصهيونيين في فلسطين لن يؤثر في حالة أصحاب البلاد من الوجهتين الدينية والمدنية

والثاني أن لليهود في الخارج من يعتاضوا بمسطين من أوطانهم هم التي يعيشون فيها ويتمتعون بحسبائتها . وذلك لأن إنجلترا كانت تعلم أن

فريقا قويا بين الانجليز والامريكان كانوا يحشون أن يؤدي إنشاء الوطن القوي إلى أن يقدروا جنبائهم في البلاد التي ينتسبون إليها . وأن يتعرض اليهود في الممالك الأخرى إلى نوع جديد من الاضطهاد أو التشريد ما دام قد أصبح لهم موطن يتجأون إليه . وقد حدث فعلا في ألمانيا ما حشى ليهود أن يكون . فإن الحركة العدائية المعروفة ضد اليهود والتي بلغت شدتها في عهد تفوق الدارين في أوروبا ، كان من أسبابها فكرة الوطن القوي لليهود .

وعلى أن أهم ما يتعرض به على وعد بالأمور أن يربطها ، بتصريحها هذا ، قد أصدرت قرارا سياسيا هاما في شأن إقليمي دون أي اكترات بالامم المتحدة . ولديها مطالبة ، وأنها أحلت بالوعود التي قطعتها للعرب قبل ذلك بستين . وكان من أثرها أن قام العرب بزعامة الشريف حسين أمير مكة وأبنائه ثورتهم ضد الأتراك ، وتأييد قضية الحماة بدمائهم وأرواحهم مقابل الحرية والاستقلال اللذين وعدوا بهما .

• • •

٢ . أما السيدة بيتون ويسر ، وهي سيدة استرلند عملت في وزارة الاستعلامات البريطانية وقت الحرب ، واستطاعت الحصول على معلومات من الدرجة الأولى عن العرب وملادهم بحكم صحتها لشئون العربية ، فتعلق في مؤلفها ، ريشايا ولدول العربية ، على عهد «هورنقور» وتجدر الإشارة إلى أن كتاب وعد هورنقور تضمني تماما مع نص مدونة قدمتها اهيئة الصهيونية إلى حكومه امسكة . حدة ياريج ١٨ يوليو سنة ١٩١٧ . وليس هناك من شك في أن تصريح هورنقور قد أعلنته الحكومة البريطانية أثناء أزمة الحرب ، ودون تقدير كاف لما يصمه من التعقيدات ، أو لطايف العرب التي سبق إعلانها

ثم تزيد المؤلفة الموقف جلاء فتقول :

« وبعد نشر تصريح المنور ، أرسل الكوماندور هوجارت إلى الملك حسين لكي يطمئنه فيما يختص بدمطين ، وفيما يلي نص الرسالة :-

(٢) وفيما يختص بدمطين تصر على أن لا يكون أى شعب خاضعا للآخر ولكن

(أ) بما أنه يوجد في فلسطين مغلطات دينية وأوقاف ومقاع مقدسة يقدسها في الأحيان المسلمون واليهود والمسيحيون ، كل فريق على حدة ، وفي أحوال أخرى يقدسها فرقان أو الثلاثة جميعا ، ولما كان بينهم بهلوه إلا ما كن خلق كثيرون خارج فلسطين وبلاد العرب ، فيجب أن يوضع لهذه الأمم كن نظام خاص يقره لعالم .

(ب) وبما يجب بحصص عامع عمر ، فانه سيحتبر شفا خاصا بالمسلمين وخدم ولن يخصص حصونا مباشراً أو غير مباشر لأية سلطة غير إسلامية .

(٣) ولما كان الرأى اليهودى لعالمى يميل إلى رجوع اليهود إلى فلسطين ولما كان هذا الرأى ينمى اعتباره عاملا دائما ، وأبعد من ذلك ، لما كانت وجهة نظر حكومه صاحب الجلالة مصممة على ألا توضع أية عقبة في طريق تحقيق هذا المثل الأعلى طالما كان يتمشى مع حرية السكان الموجودين ، سواء من الناحية الاقتصادية أو السياسية .

« وقد وضع سكومان دور هوجارت تماما في محاذاته مع الملك حسين ، وهى لى نشرت في الكتاب الأبيض ، أن الملك لن يوافق على إنشاء دولة يهودية مستقلة في فلسطين . كما أنى لم تكن عندى تعليمات بأن أحده من مكبر يضايا في إنشاء هذه الدولة . »

٣ — أما كتاب « بريطانيا وفلسطين »، فيتناول الموقف بالتوضيح التالي : —

« كثيراً ما يقال : إن انصرح (وعد بلفور) قد أريد به إعراء الأغنياء من يهود أمريكا على استغلال نفوذهم لدفع حكومة الولايات المتحدة الأمريكية إلى الاشتراك في الحرب ، ولكن الدكتور وايمان ينفي ذلك ، ويروى صدور انصرح إلى الاعتراف بركة ملحة لشعب قديم ، وإلى اتجاه النية إلى نصحيح الوضع بالنسبة لليهود في العام . وينفي كذلك ما يفرض من أن رجال الحكومة البريطانية أصدروا هذا التصريح لأغراض استعمارية مدللاً على ذلك بأن الحكومة البريطانية ، عندما وافقت على إصدار انصرح ، وافقت في الوقت ذاته على شرط واحد . هو أن فلسطين يجب أن لا يهدى إلى بريطانيا »

« ومن لا شك فيه أن إنكار الذات ، بذكره شعور عميق تجاه الأمم المقدسة ، هو ما أدى بالحكومة البريطانية إلى إصدار قرارها ، إذ أن هذه لغوا من هي التي أنارت بخمس رجال من أمم اليهود ودفعتهم إلى العمل على أنه غير يسر أن تؤمن بأن وزارة الحرب البريطانية كانت تحية العرض كلفة عند ما أقدمت على اتخاذ هذا القرار في وقت كان لمصر مهمها علائقته هدفها لا تحمده دوراً في تصرفاتها ، فقد خطب المستر لويد جورج في مجلس العموم نقاب . كان من المأم لنا أن نتمسك كل معربة صادقة أي وجدنا إلى التماسها سديلاً . وقد وافقنا التحريات التي جردنا من كل مكان على ظهر المعمورة مع استطاعتنا أن نقرر أنه كان من الضروري الحيوية لنا أن سنأثر به طيف الجاليات اليهودية .

و تبين قيمه هذا التصريح إذا استعرضنا ما كان له من أثر في معسكر
عدوبيا أمايا وتركيا ، إذ أن الأولى لم يقتصر الأثر فيها على الأعداد
الهائلة من اليهود الذين كانوا يسرحون ألبانيا ، بل تعداه إلى اليهود
الذين تسكنون مهم سنة مؤونه لابلستان في شرق أوروبا ، لدى وقوع تحت
يد الألمان ، بما في ذلك أوكرانيا ، وولند ، ورومانيا .

وذلك فكر الأعداء في إصدار تصريح به من وشد العود . وفي
٣١ ديسمبر سنة ١٩١٨ أدلى طاعت ناشد بتصريح يرسل للجريدة فولك
ريوخ الألمانية بأنه على استعداد لأن يجمع الصهيونيين الألمان حكومة
داتية عمودة الشاطئ ، مقرونة ناحي المصالح في الهجرة إلى فلسطين ،
ثم أعقب ذلك مفاوضات دارت في برلين أنتجت سكتل الجمعيات اليهودية ،
وقامت الحكومة الألمانية بالحصول على بعض امتيازات من الحكومة
التركية في يوليو سنة ١٩١٨ ولكن ، بما كان ذلك يجري في معسكر
الألمان والأراكان ، كانت دمشق قد وقعت في أذى الخلفاء ، وكانت
اللجنة الصهيونية ، التي بدأت عملها في مارس ، على وجه مع زعماء العرب .
ويرجع الفصل في ذلك إلى حكمة السكر و إيمان ، وقد حدث أول
اجتماع من هذه الاجتماعات في عهد الأمير فيصل في جوبره ، بين مقبة
ومعان ، في أرائل يونيو سنة ١٩١٨)

وفي خلال ذلك ، اردهرت آمال العرب بصدد تصريح مشترك
من إنجلترا وفرنسا في ٨ نوفمبر سنة ١٩١٨ فصلت فيه لأهداف الحرية
للخلفاء في الشرق ، ووعدت فيه الحكومتان بإنشاء إدارة تستمد كيانهما
من اختيار مطلق يقوم به السكان الوطنيين في سورية والعراق ، وقد اعتبر
العرب أن هذا التصريح يؤكد أو يثبت على الأقل تصريح سايكس - بيكو

« وكثيراً ما يقال أن هذا التصريح وأهم ذكر فلسطين، ويحيى العرب
فلسطين على ذلك أنهم لا يذهبون معه ذهباً ، ويستنبون في ذلك
إلى أن عظم فلسطين لم يذكر ، لأن دطمة كان كانت تعرف
«هم سوداء» وأن هريخ في وع في كاهن انحاء سورية الكبرى (بما
في ذلك فلسطين) والأوراق .

« وروى أن الأمن كان كبيراً ، خلال انه د مؤتمر الصلح ، في لوفاء
«أوغر» في قطعت العرب واليهود في الزوايا ، وفي وقت واحد ، وكان
اليهود على استعداد لم على دول «أص» عليه عهد «غور» من أنه من تتجد
أية إجراءات من شأنها أن تعيق ضرر «حقوقي» الحاية ، من مدينة
ودينية ، للحالات عبر يهودية في فلسطين . وكان العرب ، بمنهم الأمير
فيصل و«كولوميل» لورنس يسارون اليهود في رعتهم للوثام

ثم يقتبس الكتاب وفرة من الأدلة التي تقدم بها الأمير فيصل
لمؤتمر الصلح ، مقتبساً أياها من كتاب «بر مسر» المذكور في مؤتمر الصلح
في باريس ، يذهب فيها الأمير فيصل إلى القول بأن العرب يكونون غالبية
في فلسطين وأن اليهود يقرنون من العرب من ناحية الدم ، وأنه لا يوجد
تفرق بين لشعبي في الحان ، وأن العرب لا يستطيعون أن يحاطروا ، تتحمل
المسئولية عن إيجاد موارد في المصادر المتعلقة ، المجلس والديس ، في
مطبعة كثيراً ، أفتحت العالم في المصاعب من جراء مثل هذه المصادمات
وإن العرب ليصنعون في أن يولوا مركزاً ممتازاً ، فعلاً بأن تسد بهم
الوصاية ، طمأن أن داره بحية يبية تستطيع أن تثبت جذارتها بأعمال
الجدي على رفاة لبلاد «هذا نص العربي مترجم عن الإنجليزية ، نظراً
لتعدد حصوله على نص العربي الأصلي»

« ويذهب هنرميلدر في مذكراته إلى أن فيصل، خلال انعقاد المجلس الأعلى الذي مثل فيه العرب مطالباً بتحقيق وعود الحلقات ، قال أن فلسطين ، نظراً لطبيعة وضعها الدولي ، يجب أن نجنب حتى يتعام نشأها كل من يهمهم الأمر . وهذا الاستثناء طالب فيصل باستقلال المناطق العربية التي وردت في مذكرته .

« وقد حدث في يناير سنة ١٩١٩ ما يشد الوداد والتعاؤل للدين كانا يسودان المسكرين (العرب و اليهود) فان فيصل كان في ذلك الوقت في لندن مع لورنس ، فقابلا الدكتور وايمان الممثل للنظمة الصهيونية . لقد تقابل اطرافا خلال القصور الستة الساعفة على هذه المقابلة كثيراً ، ولكلها ، في هذه المرة ، وصلا إلى اتفاق كافي بيني هي أقصى ما يستطيع من الوثام وحسن التعام . وقد كانا يؤتمان بإمكان ذلك ، فقد جاء بالمادة الرابعة من الاتفاق ما يأتي : —

« سوف نتخذ كل الاجراءات لتشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين وتنعيمها على طاق واسع ، وتوطئ اليهود المهاجرين بإشياء المستعمرات متقاربة وتركيز الزراعة ، حتى أن يحتفظ للفلاحين العرب والمستأجرين بحقوقهم ، وأن يؤخذ بيدهم نحو التقدم الاقتصادي .

وبالقاء الطر على هذا الحادث ، يشتد الأسف على أن كلا من الطرفين المتعاقدين لم يكن موعوا من هيئة لها كيانها الرسمي في فلسطين . صحيح أن فيصل ، بصمة كونه ابا للشريف حسين ، كان يشعر بأنه يحق له أن يتحدث باسم العرب في آسيا ، إلا أنه عندما قسمت أرض العرب إلى أكثر من دولة واحدة بعد ذلك ، على الرغم من آماله وآمال لورنس ، عاد إلى المعارضة ، ولكن عن العراق حسب ، ويبدو أنه كان يتوقع

هذا الاحتمال ، فقد جاء في هذه الاتفاية تحت هذه صيغته : —
 « إذا أقيمت دولة العرب على المنهاج الذي فصلته في خطابي المؤرخ
 و يسائر إلى وزارة الخارجية البريطانية ، فإنني أتعهد تنفيذ ما جاء
 هذه الاتفاية . أما إذا تغير هذا الوضع ، فإنني لا أسأل عن عدم القيام
 بتنفيذها » .

وهذا التخص ، وفي ضوء ما جرى بعد ذلك من أحداث . لا يعتبر
 فصل مستولاً عن هذه الاتفاية ، ولكنها تصح وثيقة شخصية ذات قيمة
 تاريخية بحث .

والآن ، وقد عرضنا آراء ثلاثة من المصادر مهمة في تاريخ وعد
 (بلغور) « يرى أن ملق عليها فيما يلي . —

١ — يؤكد الأستاذ محمد رفعت أن عود اليهود في أمريكا كان العامل
 الأساسي في صدور حكم الانتداب . ويرى أن البية لم تكن تنجه إلى
 قهوس فلسطين إلى وطن قومي لليهود . ولما أرادت تدبير وطن لليهود
 في فلسطين ، وبة طلع بأن بريطانيا قد أحلت بالوعود التي قطعتها للعرب قبل
 ذلك بـ عشرين .

٢ — يقول السيدة (سينتون وبابير) : « إن وعد بلغور لم يكن عملاً
 ارتجائياً لا شأن لليهود به ، بل إنه يتمشى تماماً مع نص مدكرة عدتها
 الهيئة الصهيونية إلى الحكومة البريطانية في يوليو سنة ١٩١٧ كما تقول :
 إن تصريح قد صدر دون تقدير كاف لما يتضمنه من التعقيدات أو اعتبار
 لمطالب العرب التي سبق لإعلانها .

٣ — أ. ا. كتاب بريطانيا وفلسطين فيحتوي على نبي الدكتور ويرمان

للرأى الذى أساء الأستاذ محمد رفعت من أن يورد أمريكا كانوا من
العوامل المهمة في صدور هذا التصريح ، وعلل صدوره بـ «عوامل تاريخية
وأدبية»

ثم يعنى لكتاب عليه كبرى بإثبات أن الامير فيصل - ممثلاً للعرب
في مطالعهم - لم يكن على ولاء وصدق مع اليهود حسب ما نلاحظ ذلك
أن أدلى بتصريحات ، ووقع إتفاقيات مع اليهود ، رضى فيه ، أن تصح
فلسطين مهجراً ، جبر الخرافات كبرى من اليهود

أما نحن ، فندعى أن تلخص الموقف فيما يلى :-

(١) كانت بريطانيا عمل على كسب الحرب مدماً كاملاً الامر ، وقد
رأت أن اليهود في أمريكا يستطيعون على مقاليد الأمور ، ففتحت صدرها
للاكثور وايزمان الذى نشر في إنجلترا «اتهمسية الصهيونية واستطاع أن
يبيع ... أن إصدار مثل هذا التصريح هو لصالح الوحيد لكسب
الحرب ... وقد أثبتت الحوادث أن الطرفين المتحاربين كان يعملان على
كسب اليهود كل الى جادة ... ولكن بريطانيا ... حققت ألمانيا في ذلك

٢ - لم تعاض بريطانيا وعورده للعرب ، وذلك لأمريين

(١) صيغت الخطابات التي أرسلها مكماهون للشرىف حسين صريحة
دبلوماسية معقدة ، كان يصعب على العرب الأترياء من أمثال الشرىف
حسين أن يفهموا ما تسره الألفاظ المعسولة المبطنة من معاني أول
أما الحرب على وجه ربح الحرب على وجه آخر . وكان الشرىف حسين ،
وولده فيصل ، حريصين على أن يقال أنهما تحالفا مع بريطانيا العظمى ، فلم
يعمدا إلى مهم لصوص الخطابات ففهما دبلوماسية واحداً ، ومن هنا أتبع
للبريطانيين أن يلعبوا بالعرب وأن يفهموا - على حسابهم - مع اليهود .

(ب) كان ليكولوبيل لورانس موضع ثقة الأمير فيصل . وبما لاشك فيه أنه وضع تحت تأثيره ، فتمكن بذلك لورانس أن يحقن للحكومة البريطانية ما أردت من تورط ويصير في تصريحات وافتادات تصف قصة فلسطين من أساسها . وبما لاشك فيه أن وعوداً حلالاً ، وتهديدات مشككة ، قد توانت على فيصل فجعله رضى بما لم يكن يرغب به لو لم يلوح به عرش لهمة ، وعرش حر لآبيه ، وذلك لأخيه ، وبذلك .

٣ — حرصت الحكومة البريطانية على صياغة سمعتها المياسية بأن أبرزت بشكل واضح ملح رضاء العرب من الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، في شخص الأمير فيصل الذي يسوب عن أبيه ، وهو المرجع الأساسي في الاتفاقات التي أبرمت مع العرب .

المرحلة الثالثة — بحث الانتداب

في ٢٨ يونيو سنة ١٩١٩ قامت معاهدة فرساي ومشاق عصبة الأمم ومن أهم المواد التي وردت في الميثاق المادة ٢٢ الخاصة بالانتداب ، فقد جاء فيها ما ترجمه . « في المستعمرات والأقاليم التي استقلت — كتتمة هذه الحرب — عن الدول التي كانت تحكمها ، وفي يسكنها اليوم أقوام لا يستطيعون أن يمارسوا استقلالهم بإزاء الظروف التي تكثفها العالم في الوقت الحاضر ، يجب أن يخلق ابتداءً لثقاتل بأن اردءار هذه لشعرب وتقدمها واجب مقدس من واجبات المدنية . وأنه يجب أن تتخذ الاحتياطات الكافية للوفاء بهذا الإلزام ، وأن ينص عليها في هذا الميثاق . وخير الوسائل لإدراك هذه بعايات هو أن يعهد بالوصاية على أمثال هذه الشعوب إلى دول أعلى منها كعبا ، تستطيع بما لديها من

موارد أو مران أو مركز جغرافي أن تتحمل هذه المسؤولية ، شرط أن تقبل الدول المتددة هذا التكليف على طيب خاطر ، وأن يكون لوصايتها على هذه الأمم صورة انتداب من عصبة الأمم . وتختلف طبيعة الانتداب بين مكان وآخر باختلاف حال الشعوب ، والموقع الجغرافي للبلاد وأحوالها الاقتصادية وغير ذلك من الاعتبارات . ولما كانت بعض الأقاليم التي كانت ناصرة فيما مضى للأمبراطورية التركية قد وصلت في تقدمها إلى مرحلة تؤهلها لأن تكون أمة مستقلة لذلك يمكن الاعتراف بها مؤقتا شرط أن تستمر الدولة صاحبة الانتداب في تقديم النصح والمعونة الإدارية حتى يأتي الوقت الذي يستطيع فيه أن تعتمد على نفسها . ويجب أن نتخذ بين الاعتبار رغبات هذه الطوائف في اختيار الدولة التي يوكل إليها الانتداب .

ولما كانت هذه الصعاب تطبق على كثير من الممتلكات التركية السابقة في آسيا ، ومن بينها فلسطين ، فقد حاول الرئيس ولس تطبق النص الأخير من المادة لقائل باستثناء الشعوب فيما يختص باختيار دولة الانتداب بتأليف لجنة من الحلفاء للقيام بهذا الاستثناء ، ولما تعذر الوفاق بين البريطانيين والعربيين في هذا الشأن ، أوفد الرئيس ولس لجنة أمريكية خاصة عرفت باسم لجنة كنعن وكرس إلى فلسطين حيث ألفت مئات الأبحاث ونحذت إلى رفود من كافة الجليات في سورية وفلسطين وكان ذلك في يونيو سنة ١٩١٩ .

وقد ذهبت اللجنة في تقريرها إلى أن غالبية السكان كانت تطالب بالاستقلال التام لسورية متضمنة فلسطين ، وعلى سبيل الاحتياط ، قبل استقلالا مع انتداب ، أما عن الدولة التي يستند إليها الانتداب

فقد طالبوا بأن تكون هي الولايات المتحدة الأمريكية وإلا فبريطانيا
أما اليهود فقد طالبوا بأن تقوم عصبة الأمم بنذب بريطانيا لفلسطين
على أساس أن هذه هي رغبة اليهود في جميع أنحاء العالم، وأن عصبة
الأمم، في احتياجها لدولة الانتداب، تلي على قدر الامكان رغبة
الشعوب التي يهيئها الأمر

وطراً للصعوبات التي اكتشفت الانتداب من الناحية الدولية، وخاصة
فيما يتعلق بمدى الطاق الوضع الجديد على معاهدة سبكنس-بيكو، ورعة
الأمريكيين في أن يكون لهم رأي في الموضوع، وتتمسك إيطاليا بحل
المسائل المتعلقة بيها وبين فرنسا قبل بقطع مأمور الانتداب، لم يكن من
السهل الوصول إلى حل سريع فيما يتعلق بفلسطين.

وأخيراً انعقد مجلس الاعلى في سان ريمو، وفي ٢٥ أبريل سنة ١٩٢٠
قرر انتداب بريطانيا لإدارة شؤون فلسطين. وأضاف إلى ذلك الانتداب
ملحقاً بضرورة التزام الدولة المنتدبة تطبيق وعد بئور.

ومن المسلم به أن قرار نذب بريطانيا لفلسطين لم يصدر من المؤتمر
عمر الساعة، وإنما سبقته اتصالات وبدلت في سبيل الوصول إلى جهود
بأن بريطانيا كانت حريصة جداً الحرص على أن لا تنسحب جيوشها
من فلسطين بعد دخولها فاحمة، وذلك بأمنها لمواصلتها الامبراطورية
وتدعيمها لدفاعها عن قناة السويس. وقد كانت تحب أن تظل رابضة في
هذه البقعة الملائمة لها من الناحية العسكرية، حتى يقضى في شأن البلاد
قضاءاً تظمن به بريطانيا على مصالحها الحيوية. ومآل الأمر، في نظرها،
أن اليهود سيقتلون على العرب في فلسطين، سواء أكان ذلك بالديبلوماسية
التي يبرح اليهود فيها على حين أن العرب كانوا ولا يزالون في اول الطريق

أو بالعلمة الانفصالية وكلمة اليهود فيها واضحة الرجحان . أو بالعلمة
وكلمة يهود قد ترجح أنها مصدر لفظه في العربية .

لكل ذلك عدت برأيي مع العلم ، دحضاً قاطعاً على أن يتوطل يهود
أرض فلسطين حتى عصر طه المسمى . مما يل أن يستعمل يهود يهودهم
لعلمي نصراً قصصية . وقد برهننا على فلسطين .

أما العرب فلم يحسب أن يهاجروا فلم جازماً يذكر ، فقد كان لسان
جاهلهم في أوروبا وبريطانيا هو الأمازيغي فيصل ، وهو رجل لا يعرف
العربية ولا الإنجليزية . وإنما في يد صديقه وصفيه كرويل لودس
الذي كان فيصل يؤمن به تماماً بصيد المدي . وقد انفرد - بالنيابة عن
أبيه - بالدفاع عن قصايا العرب ، ولم يكن فلسطين إلا واحده من
هذه القضايا . وقد استطاع لودس أن يروى الأمير فيصل على علاقة
لزعامة يهود وهذه أراضى الصداقة معهم موها أياه أن هذه هي الديموقراطية
الحديثة لكمية تحقيق أهدافه . بكل ذلك لم يحسب أن يربط يهود العرب
حساباً وقتاً كانوا يوطنون لأقدامهم في فلسطين عن طريق مؤتمر

في المؤتمر العرب لم يحسب أن يهاجروا فلم جازماً يذكر ، فقد كان لسان
جاهلهم في أوروبا وبريطانيا هو الأمازيغي فيصل ، وهو رجل لا يعرف
العربية ولا الإنجليزية . وإنما في يد صديقه وصفيه كرويل لودس
الذي كان فيصل يؤمن به تماماً بصيد المدي . وقد انفرد - بالنيابة عن
أبيه - بالدفاع عن قصايا العرب ، ولم يكن فلسطين إلا واحده من
هذه القضايا . وقد استطاع لودس أن يروى الأمير فيصل على علاقة
لزعامة يهود وهذه أراضى الصداقة معهم موها أياه أن هذه هي الديموقراطية
الحديثة لكمية تحقيق أهدافه . بكل ذلك لم يحسب أن يربط يهود العرب
حساباً وقتاً كانوا يوطنون لأقدامهم في فلسطين عن طريق مؤتمر
سائر ديم .

وشرق الأردن ، وهي لا تزال على راسها فيما يخص شرق الأردن على الأقل .

وقد استطاعت بريطانيا أن تنزع من فرنسا موافقتها على انتداب بريطانيا في فلسطين وشرق الأردن ، من إحراف برطاب فرنسا بالانتداب على سوريا و لبنان ، وسبب في العالم العربي في آسيا ، إلى مضمي نفوذ أحد من البريطان أو الأخرى لفرنسا ، بمثل ما حدث في سنة ١٩٠٤ . ولم يبق من الميثاق الذي كان الحسين يحلم به الشريف حسين إلا أرض الخمار التي كان يعيم فيها ، فعن ويحمد التي ترك له أن يبازع عليها آل سعود ، ذلك النزاع الذي انتهى بالامضاء على أحلام الحسين بجملة ، وفي كل ذلك لم تغرب بريطانيا رجل وضع نفسه وولاده وولاده وجهته في خدمتهم ، من جاراته على ذلك جراء استثمار

والمطلع عن نصوص صك الانتداب لا يسه إلا أن يؤمن بأن اليهود قد خرجوا منه نصيب الأسد ، إذا اعترف لهم في المادة الرابعة ضرورة قيام هيئة يهودية صالحة كهيئة عرقية — لشيوخ وعلماء في إدارة فلسطين في شئون الاقتصادية والاجتماعية ، وغير ذلك من شؤون إنشاء الوطن القومي يهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين . . . ويعترف بأن الجمعية الصهيونية هي هذه الهيئة الموضوعية فيما تقدم ، أن المادة السادسة تنص هي أنه وعلى حكومة فلسطين . . . أن تسهل هجرة اليهود إلى فلسطين في أحواض مناسبة ، وبشروط ، لا يتناق مع المصلحة اليهودية ، لتصل استقرار اليهود في الأراضي الزراعية . . . الخ أما نصيب العرب في هذا الصك فلا يعدو أن يكون مجموعة من العبارات العامة ، يشع منها أن مصالح أصحاب الديانات الأخرى —

خير اليهودية — يكفل لهم أن يعيشوا على هامش الحياة اليهودية ، وأن تكفل لهم — في هذا النطاق — حقوقهم الدينية والإسكانية .

وقد وافقت عصبة الأمم على صك الانتداب في ٢٢ يوليو سنة ١٩٢٢ ولكن الانتداب لم يوضع موضع التنفيذ إلا في ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٣ ويعلق الأستاذ جورج أطويوس في كتابه : يقظة العرب على موقف بريطانيا بين العرب واليهود في هذه المرحلة يقول :

« ليس من السهل معرفة الدوافع الكامنة وراء هذا الموقف ، وهل السر هو أن أنصارها للصهيونيين كانت أقوى ، كما تسمح بالتحريض به ، أو أنها أكثر انقياداً لصعدهم ، أم أنها تعتقد بأن الدولة اليهودية إذا قامت في تلك الراوية الخامة من العالم كانت حينها أقوى لبريطانيا ، ويعتمد عليه أكثر من دولة عربية تقوم في البقعة نفسها ، أو أنها تريد الاحتفاظ في فلسطين بسايرها الزامة ، العسكرية والاقتصادية ، أقصى مدة ممكنة . أن الدلائل التي يمكن الحصول عليها لا تدل على ما يمكن أن يطور عليه موقف الحكومة البريطانية من دوافع أعمق من هذه ، ولا يمكن تفسير هذا الموقف بتفسير عقلي ، حتى ولا نفسي ، وتفسير الوحيد هو تاريخي ، يفارقه فلسطين بأرلده ، حيث ثارت الحكومة بصادمات على اتباع سياسة معينة ، وقد أعرضت عنها — كما فعلت في فلسطين — لكيلا تقرأ الكائنات الماثلة أمامها على الجدران ، حتى أصابع أرلده .

المرحلة الرابعة — الانتداب

كانت الجيوش البريطانية ، إلى ذلك التاريخ تحت فلسطين وتديرها إدارة عسكرية في نطاق إدارة أراضي العدو المحتلة . فلما صدر صك

الانتداب وأقرته عصبة الأمم وأدنت تشميذه ، حلت الإدارة المدنية محل الإدارة العسكرية ، وبدأت تباشر عملها في فلسطين في ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٣ .

ومن أهم المشاكل التي واجهتها حكومة الانتداب مشكلتا الهجرة وانتقال ملكية الارض من العرب الى اليهود .

الهجرة

سبق لنا أن دلفنا على أن هجرة اليهود إلى فلسطين كانت تجري وفق خطة مرسومة منذ أواخر القرن التاسع عشر ، وأن الحكومة التركية ، صاحبة الشأن الأول في فلسطين وقتذاك ، لم تغادر الأمر أهميته ؛ أما حرب فلسطين ، من مسيحيين ومسيحيين ، هم يهودا من البقعة بحيث يتخذون للأمر أهميته . وقد ظلت الحال على هذا الميول حتى نصف قرن يصل فيها المهاجرون اليهود إلى أرض الميعاد ، وراى أو في جماعات صغيرة ، فيشقون طريقهم في الحياة الزراعية ، أو في الصناعات الصغرى ، على حساب العرب ،

فقد صار للهجرة خلال الحرب العالمية الكبرى قضية ، وصدر وعد بلفور ، تبه العرب من غلبة طريفة ، سموا إلى ما يراودهم . ولكن صحتهم حادت لهم أن صارت هجرة اليهود إلى فلسطين سياسة رسمية لبريطانيا وحلفائها

و قد جزع العرب من هجرة اليهود إلى أرضهم لأسباب عدة ، منها ما هو اقتصادى وعمرانى ، ومنها ما هو سياسى .

أما الأسباب الاقتصادية والعمرانية ، فتتلخص في أن العرب يؤمن -

فما يده وبين نفسه — تقول لاسايب اليهودية الحديثة على الاساليب
العربية العتيقة ، وقد رأى بنعنة كيف أن امرءة تاتي من أيدي
العرب إلى أيدي يهود واسع والشراء . لاسايب أن يصح حدائق
علاء ، ينحسرها في العاين مؤسسات مدانة يعيش على إنتاج الرزاعي
للسطة . في حين أن العرب كان ولا يزال يبيع في أمروعه بحسب الأسلوب
الذي زرع به آناؤه وأجداده وحصدوا . وقد كان دارع البقاء يحتم على
هؤلاء العرب أن يؤمنوا أنفسهم للكفاح . ولكنهم بدلا من ذلك قد
يهرتهم الأعداء الباطلة التي يدهها يهود نهما للأرض التي يشترونها من
العرب ، فسارعوا إلى بيع أراضيهم ، وصدروا أراضيهم وقد ورت إفاة
من البائعين مما مضت من ما إلى الاقطار المجاورة وخاصة مصر ،
فاشتعلوا فيها التجارة . أما سكنته الصالح من البائعين ، فقد يهرتهم
أساليب المدنية التي وقدها اليهود إلى فلسطين ، فاعلموا في عديد من
الردائل ، وأصاعوا بين أيدي يهود — ما قصوا من مال يهودي
وبذلك يشتري يهودي الأرض هناك سجله حكومته ، ثم عاد
فاسترد ماله المدفوع للمربي على طريقه .

يستثنى من هذه الحديثة وبين من شباب فلسطين المتعلمين اللاعلاء .
فإن هؤلاء قاموا بقتة ، البيع ، واحصلوا ايراث آبائهم وأجدادهم
وساروا في ركب التعمير ، فصاعمت ثرواتهم .

وفي ظل الاسباب ، قرب للهجرة اليهودية سياسة رسمية ، يؤيدها
ما ورد في المادة السادسة من د أن واجب الإدارة في فلسطين أن تيسر
هجرة اليهود إليها ، وأن تشجعهم ، بمنحة الهيئة الصهيونية ، على الإقامة
بالأراضي ، بما في ذلك الأراضي البور ، والأراضي التي تملكها الحكومة

والمادة صريحة في أهدافها ، على الرغم من الأضافة الدبلوماسية التي أضيفت إليها حيث تقول : « واشترطت الحكومة في تبشير هجرة اليهود ألا يؤثر ذلك في حقوق السكان الآخرين أو يضر بمكرهم ، وليت اليهود اقتصروا على ما تعلمهم هذه المادة من حقوق بل أنهم لم يقتصروا على الأعداد التي اتفق عليها ، بل أعرفوا فلسفهم هجرات غير رسمية بموق أعدادها القدر المتفق عنه في كل عام .

والجدول الآتي يبين مدى الهجرة لليهودية ، وبأثيرها في توزيع السكان في البلاد ، خلال عشرين سنة من سنة ١٩٢٢ إلى ١٩٤٢

عدد السكان ، آلاف

السنة	مسلمون	مسيحيون	يهود
١٩٢٢	٥٨٩	٧١	٨٤
١٩٢٧	٦٨١	٧٨	١٥٠
١٩٣٢	٧٧١	٩١	١٨١
١٩٣٧	٨٨٣	١١١	٣٩٦
١٩٤٢	٩٩٥	١٢٧	٤٨٤

ومن هذا الجدول يستنتج أن الزيادة في عدد السكان المسلمين والمسيحيين كانت متعظمة بمعدل ٣٣٧ في المائة سنويا للمسلمين و ٣٩٤ في المائة للمسيحيين ، بينما نجد أن اليهود زادوا في السنين الخمسة الأولى ٧٨٦ في المائة وفي السنين الخمسة التالية ١٥٠ في المائة وفي السنين الخمسة الثالثة ١٨٨ في المائة وفي السنين الخمسة لرواية ٢٣٢ في المائة . وبذلك زاد عددهم خلال عشرين سنة ٥٧٦ في المائة معاش ١٦٩ للمسلمين و ١٨٠ للمسيحيين

وإنما كانت نسبة اليهود إلى مجموع السكان في سنة ١٩٢٢ تسع ١١,٢ في المائة فقط ، بلغت هذه النسبة في سنة ١٩٤٢ ، ٢٩,٩ في المائة هذا من حيث الكم فقط ، أما من حيث النوع ، من الخلفاء المؤلفة أن نقرر أن هذه الأقلية اليهودية ، التي لم تتجاوز في سنة ١٩٤٢ ثلاثين في المائة من عامة السكان ، تمتد بين يديها ما لا يقل عن ثمانين في المائة من المرافق الاقتصادية .

ويصور لنا الأستاذ محمد رفعت الموقف بين العرب واليهود فيقول :
 « وكانت حركة الهجرة كلها اردادات نشاطا إشتد حتى العرب ، ولاحت أمهم صور المستقبل محمة مفرعه ، حين تقضي كثرة اليهود فرع أراضيهم من أيديهم ، ونحكم في مصائر البلاد بحكم الاكثرية . ولذلك لم يكن عرب أن يقوم العرب بثوراتهم المتلاحقة ضد ذلك لطغيان المظلم المتواصل الذي لا يليق ولا يرحم .. »

« وليس صحيحاً ما يقال من أن احتلرا وثلت في انتدابها ، فإن سياستها قد مكنت للسيرة الصهيونية أن تبت وتدمو وثلت جدورها في أرض البلاد ، وهي التي جمعت الله العربية مع اللتين العربية والانجليزية لغة رسمية ، وهي التي تركت هم صريفه إستغلال العرب واستخلاص أراضيهم منهم . »

« ذلك اسمع أعمال اليهود ، وعت مصالحهم في فلسطين ، ووجدوا تحت أجنحة وكالة ليهودية رسمية والعطف وأسباب المعاونة ، وأصبح لليهود في فلسطين من الجاه والفرش ما كان للحكومة الانتداب في معظم الأحيان »

ومن سوء طالع العرب في ذلك الوقت أنهم كانوا يعملون هرادي ،
لم تكن لهم هيئات داخلية منظمة تسهر على مصالحهم ، إولا حكومات
عريضة مستقنة ترعى شؤونهم وتسندهم ظهورهم . فكانوا مقطوعين عن
إخوانهم العرب في البلاد الأخرى .

هذه لحظة سريعة استعرضنا فيها أسباب الجرع الذي استولى على عرب
فلسطين من ناحية الإقتصادية والعمرانية .

أما أسباب جرعهم من الناحية السياسية فمدحس في أن صدك
الانذاب لم يكن ، لا مدمسة لإقامة حكومه ديموقراطية تحية في فلسطين
وكان فتح الباب على مصر هذه للحره ، نوعها الرسمية وغير الرسمية ،
مؤدداً يريد عدد اليهود ، يود ما جاء العرب يدي يعرى فيه
الاستجابات لأنيك حكومه تحية . من يكون العرب في العصرية التي
تملكهم من إقامة حكومه عربية . بعد حفقت بحرف العرب من هذه
ساحية . فبعد أن كان اليهود في سنة ١٩٢٢ لا يتلون إلا ١١٢ في مائة
من طامه السكان ، صاروا في سنة ١٩٤٢ ٢٩٩ في مائة كما ذكرنا
ولو ترك الأمر للسياسة الصهيونية . وقد كان مبروكا . فلاب من يوم
صحيح فيه لليهود أكثرية عديده في البلاد تمكهم من الاستقلال بحد
رمام الحكم . ومن ثم نتحكم في مصائر أهل البلاد لأصابع

يصف لإذ ردت أن اصطهاد اليهود في أوروبا إلى سطى فيما بين الحربين
"المسلمين" قد دفع إلى فلسطين لعدد لا يستهان به من يهود تلك البلاد
وردارت سنة الفجره عم كتبها . ربما لانت فيه أن هذا العمل
من يورد ألعيا الذين افصحت مدمسة لباري في ألمانيا ، مدمهم على البلاد
كانو من صنف عتار في السياسة و لافهاد ، وقد حتى العرب أن يصح

هؤلاء نواة للحكومة اليهودية التي تسطر في يوم من الأيام على مقابله الأمور

ونمت عامل ثالث في السياسة ، ولكنه دولي ، ذلك أن اليهود في أنحاء العالم كانوا منقسمين على أنفسهم في أول الأمر تجاه قصة الوطن القومي في فلسطين ، إذ أن فريقاً من معكريهم كان يخشى أن يتعرض اليهود المتجنسون بحسبات البلاد التي يعيشون فيها لأن تعرض عليهم الجنسية اليهودية الجديدة ، فيصحراً أجناب في تلك البلاد ، وبمعالون معاملة الأجناب ، ولذلك تعرض اليهود في أنحاء العالم إلى بحث اقتصاديه وسياسية هم في عى عنها .

ولما بحثت سياسة الوطن القومي بعد سنوات معدودة من الاندباب آمن اليهود لما شائون أن شائهم لم يكن في محبه ، وانحطوا في سلك أصحاب الفكرة ، وقد أن كانوا لهم معارصين ، واستجهم لمريقدن في المؤتمر الحرة الصهيونية العالمية . ومنذ ذلك الحين (حوالي سنة ١٩٢٩) استمدت الحركة الصهيونية لعرى والمب من كافة أنحاء العالم ، وبخاصة من أمريكا وأنشئت الوكالات الصهيونية ، وقد أدى بعضها الأعمال الدبلوماسية التي تقوم بها السفارات والمفوضيات ، وأصبحت هم قوه ويهود في أنحاء العالم لا يهترو من قوى لدون والحكومات المستعملة ويهودها .

انتقال ملكية الأرض

عندما نعتت الإدارد العسكرية للحكومة الانتداب عن فلسطين ، كانت مساحة الأرض تبلغ ١٠٠٤٠٠ ميل مربع أو ٢٧ مليون دوم أما الجرمه الصالح للزراعة منها فيعدهو السيرهوب سمسون في الكتب الأرضي الذي

صدر في سنة ١٩٣٠ بمقدار ٦,٥٤٤,٠٠٠ دونم وتقرر السيدة سبتون
ولبر في كتابها ، ربطت ما والدولة بعمدة ، أنه ظهر أحيراً أن هذا التقدير
أقل كثيراً من الواقع ، فإن مذبذب الملحمة مختص بالاراضي قد أعطى
قبل ذلك تقديراً ما يريد نحو ٤٠ في المائة على إحصاء اللجنة .

ويقدر الخبراء أن اليهود كانوا يستطيعون في كثير من سنة ١٩٢٠ من
أرض فلسطين ٦٥٠,٠٠٠ دونم ، فضلاً عن أن هذا الرقم لا يشمل
الأراضي التي ردت لليهود أو التي امتدكوها دون أن يسجلوها ، ولما
خلال الفترة ما بين سنة ١٩٢٠ ، ١٩٤٥ كان اليهود قد اشتروا وسجلوا
أراضي تزيد مساحتها على ٩٢٨,٠٠٠ .

وهنا أشار الكتاب الأبيض الذي نشرته الحكومة البريطانية مع
تقرير سمسون إلى أن الهيئات الجديدة ، التي تأسست على سياسة تحسين الأرض
هي منظمات الاستعمار اليهودية ، سواء كان منها عاماً أو خاصاً

وفي أغسطس سنة ١٩٢٩ أصدرت الوكالة اليهودية دستوراً للعمل
نص فيه على أن الأرض التي يحصل عليها اليهود ، ينبغي الاحتفاظ
بها على اعتبار أنها ملك للشعب اليهودي لا يباع ولا ينقل ، وأنه ، في
كل الأعمال والمشاريع التي تقوم بها أو تؤيدها الوكالة اليهودية ، ينبغي
أن يكون تشجيع العمال لليهود مبدأ أساسياً ،

وقد أسفرت عمليات شراء الأرض من العرب عن وجود طبقة من
العرب المعدمين الذين باعوا أرضهم ولم تنق لهم وسيلة أخرى يتعشرون بها .
وقد استنسخ اليهود في عمليات الشراء ، بحسن وراحم هداً لا يستهان
به من العرب المعدمين المتعطلين ، حتى رأت حكومة الانتداب ، التي مكنتها
اليهود من هذه السياسة ، أنها تواجه مشكلة اجتماعية يتعاقم خطرها يوماً

قيوما . وبذلك اصدرت في سنة ١٩٤٠ قانونا قسمت به البلاد إلى مناطق في المنطقة (أ) وتبلغ مساحتها ٩٦١٥ ميلا مربعا في المنطقة الجنوبية وجنوب فلسطين ، حرم بيع الأراضي لليهود . وفي المنطقة (ب) وتشمل نحو ٣٢٩٥ ميلا مربعا حول بحيرة الحولة والجليل والنقب واجزاء من السهل الساحلي ، قيدت صفقات البيع ، واشترط ان توافق عليها حكومة فلسطين ، وفي المنطقة (ج) حول القدس ، وتشمل حوالي ٣٠٠ ميل مربع ، لم تفيد صفقات لبيع .

وقد كان لكل من العرب واليهود وجهة تجاه هذه القوانين .

أما العرب ، فقد واهى المجلس الإسلامي الأعلى ، المتكامل لمساهم ، على هذه القوانين واعتبرها حماية للعرب ، ولكن زعماء فلسطين العرب لم يرضوا بها إذ كانوا يطالبون بمسح لبيع في كل المناطق . ولما لم يكن من استطاع عرض هذه الرعة على حكومة الانتداب ، فقد هكروا في إنشاء مال خاص شراء الأراضي من العرب المعوزين ، وإنشاء بنك وطني عرق للأراضي لمساعدته امتلاك المدينين إلا أن هذه التدابير التي فكر زعماء العرب الفلسطينيون وعبرهم في اتخاذها لم تكن في إطار ما من السلامة يمكن ولم يقدر هؤلاء الزعماء بمواقف الكمينيين ما يعرضه المشتري العربي ، سواء أكان مكا أم فردا ، وبين لمناح الذي يعرضه لليهودي . لم يقدروا ذلك من الحاجة العينية ، وظنوا أن الرب الوطنية وحدها كفيلة بأن يعصل البائع العربي أن يبيع أرضه لعربي بمبلغ متواضع بدلا من أن يبيعها ليهودي أو مؤسسة يهودية بمبلغ يسيل له لعاب هذا القروي الساذج .

أما اليهود ، فقد رأوا في تصرف الحكومة ما لا يتماشى وسياسة

الوفاق والانسجام التي كانت تجري عليها الأمور قبل ذلك . فاحتجت الهيئات الصهيونية في بريطانيا والولايات المتحدة على صدور هذا القانون ، ولكن اليهود قوم عمليون ، إذ استطاعوا أن يستفيدوا من هذا القانون بالتوسع في سياسة الشراء في المناطق التي أبيحت لهم ، ثم عمدوا إلى سياسة الرهن الجارى في المناطق التي حرمت عليهم ، وذلك كإجراء معمول القانون أن يتقدم .

وعلى الرغم من ذلك ، فإن السياسة الصهيونية أصبحت منذ ذلك الحين لا تأمن للحكومة الانتداب بعد أن أدب سوء التزامهم بين العريقتين . وتطهرت بعض المنظمات اليهودية في رأيها في حكومة الانتداب ، مما كان سببا في حدوث بعض لفلافل بين هذه المنظمات والحكومة .

فلسطين في ظل الانتداب

المرحلة الأولى

من سنة ١٩٢٢ إلى قيام الحرب العالمية الثانية

وضع صك الانتداب موضع التنفيذ ، انتهت الحكومة البريطانية عملها بأن عيّنت السير هربرت صمويل ، أحد الوزراء الانجليز ، مندوبا ساميا لها في فلسطين ، وهو وزير يهودى ، لا يمكن أن يقف وقفة اعلايد بين العرب واليهود في أرض يتوزعها الفريقان ، وبملا عن ذلك ، فإن صك الانتداب قد نهى على الاعتراف بالوكالة اليهودية ، وأوصى بصروة التعاون بينها وبين الحكومة ، فضلا عن أنه كفل مصالح يهود ، واهدو حقوق العرب إلا من الناحية الشكلية .

هذا الوضع كان هربرت صمويل يحكم فلسطين وقد استهل نشاطه بتأليف مجلس استشارى جمل نصف اعضائه من البريطانيين ، أما النصف

الثاني ، وعدده عشرة ، فقد جعل المسلمين أربعة مقاعد وللنصارى ثلاثة ، وللإهود ثلاثة ، مع أن تعداد البلاد وقداش قد أسفر عن ٨٩٪ للعرب منها ٧٩٪ للمسلمين و ١٠٪ للنصارى و ١١٪ للإهود . ولو عدل المندوب الهادي في التوزيع لجعل للعرب ٩٠٪ من عدد المسلمين والنصارى وجعل للإهود مقعداً واحداً . وقد كان من نتائج ذلك أن العرب لم يلبثوا أن تسلبوا من المجلس الاستشاري حتى لم يبق فيه واحد منهم .

واقترح صمويل على الملك فيصل - حينئذ - تمثيلهم على عرار الوكالة الصهيونية ، ورفض العرب انتراحة إذ ذكر عليهم ، وهم أصحاب البلاد الحقيقية ، أن يعاونوا على عدم المساواة مع الإهود اللاجئين إلى بلادهم ويحدثنا الأساد محمد زنت عن مخبرات الأمور في فلسطين فيقول :

وقف عرب فلسطين حيارى مأخوذين ، مشدوهين بما يجري هل يرى رأي ومسمع منهم ، فقد رأوا كيف هاجم الفرنسيون الميت فيصل وطاردوه هو وأتباعه حتى أجلوه عن سورية ، ولم يرعوا في ذلك دمة ولا عهداً بما سبق أن عاهدوا عليه العرب منذ كان فيصل يفود حوهم لصرة فصية الحلباء في الشرق ، ورأوا الاخير يدخلون العراق ويحكمونه حكماً عسكرياً ، ورأوا مصر تشرد وتكافح في سبيل استقلالها ، والانجليز لا يزالون مسيطرين فيها ، وأدعى من ذلك وأمر أن العرب لم يكن من ورائهم حكومات تصدم وتشد أروم القوم إلا حكمومه الحجاز وكانت في عمرة من حروبها ومنار عابها انداحلية بين الأسرتين المترعيتين في شبه الجزيرة : الأسرة الهاشمية والأسرة السعودية . لذلك كله أسقط في يد العرب الفلسطينيين ، ولم يسمهم إلا أن يتربصوا بهجوم الدوائر ، مترقبين أن يحين الفرصة للانتقام من الذين خانوا موافيقهم ، وأدلوهم في ديارهم .

« وجاءت العرض على آثرات مناصرة . فكلمت ثورة أو حركة وطنية في إحدى السلاسل العربية ، تشجع العرب في فلسطين ، وقاموا بباورون الاسلحة والصوت الذي أوشت أن يقضى على ~~كثرتهم~~ . ويستحوذ على أملاكهم وديارهم ، فأثروا عندما شبت ثورة العراق ضد الإنجليز في سنة ١٩٢٠ ، وحين شبت الثورة في سورية ضد الفرنسيين سنة ١٩٢٥ . واستمد العرب من هذه الايجدية المرامية إلى سنة ١٩٢١ أنى صمت للعراق استقلاله وقوله في عصاة الأمم على قدم المساواة مع مائر لدون المستنقة روحا جديدة للكلمح والحصان .

« ولكن هذه الجهود جميعها ذهت هباءاً ، و استطاعت حكومة الانتداب . بما لها من أس وقوة ، أن ترفع الثورات العربية وتؤيد نظام الانتداب ، وبدلاً من أن تضعف الروح الصهيونية وتقف عند حد في مطالبتها ، اجتاحت للبلاد ، على أثر ظهور الثورة السورية في ألمانيا ووسط أوروبا ، عواصف جديدة ، إذ رحلت إلى فلسطين آلاف مؤلفة من اليهود الذين أحاطهم النازيون وأحججهم من ديارهم ، إلى أن أسرم إلى أرض المهاد ، حاملين معهم نزواتهم وكفاباتهم ، فدخل بعضهم من طريق الهجرة المشروعة ، والبعض كثيرون إلى داخل البلاد حلوسة وفي غفلة من القانون ، أو تفل من القشيم على معيده ..

وفي سنة ١٩٣٥ - ٣٦ أكرم الجواندوى العام على أثر هجوم إيطاليا على الحبشة فأدركت بريطانيا أنها بحاجة إلى تسوية موقفها مع حصر بمقد معاهدة تنظيم بها على مركزها في قناة السويس ، فكانت معاهدة سنة ١٩٣٦ ، فبايقت هذه التسوية عرب فلسطين مرة جديدة فقاموا قومة رجل واحد يكافحون الاستعمار البريطاني .

وتمت أسباب مباشرة لقيام ثورة سنة ١٩٣٦ في فلسطين :

سبق القول أن جهود العرب الفلسطينيين كانت في بداية أمرها جهوداً فردية، وقد اتجه التكتلات العرقية في أيام الاحزاب السياسية على مدى الأيام، ففي سنة ١٩٣٢ تأسس حزب الاستقلال، وفي ديسمبر سنة ١٩٣٤ تأسس حزب اندفاع الوطني، وفي مايو سنة ١٩٣٥ تأسس حزب فلسطين العربية وفي أغسطس سنة ١٩٣٥ تأسس حزبان جديداً هما حزب الإصلاح العربي، والكتلة الوطنية وقد كان تأليف هذه للكثرة من الاحزاب السياسية في بلد لا يزيد عدد سكانه من العرب على مئتين واحد معشاً للفتق على معبر فلسطين بين تناحر الاحزاب السياسية، وإن اتحدت أو تقاربت كلها في أهدافها إلا أن الهجرة حدثت في آخرات سنة ١٩٣٥ حيث التأم العقد بين دعاء هذه الاحزاب، وتقدموا حملة إلى المندوب السامي في بؤرة مكررة يطالبون فيها بأموال لانه (١) إقامه حكومة ديمقراطية (٢) تخريم اسفل أراضي العرب الى اليهود (٣) وقف الهجرة في الحار

وفي آخر يناير سنة ١٩٣٦ أجابت وزارة المستعمرات البريطانية على هذه الطلب بأنها (١) قد حطت خطوة فعالية في سبيل دعم الحكومة الدستورية الديمقراطية (٢) وتقدم سن شريع يحرم اهلاك العرب من حق التصرف في أراضيهم إلا إذا احتفظوا بحجره بها (٣) وستفيد نسبة المهاجرين من اليهود امانة طبقاً لمعدرة اللاد على اسبعت المهاجرين .

أدرك العرب أن الحكومة البريطانية تتلاف كعادتها بالانفاد، وأنها لم تستجب لشيء من مطالب العرب استجابة يطمنون اليها، وأن الامر لا يبدو أن يكون مجرد تسويق

ولما كان عامة العرب في فلسطين قد تيقظ وعيهم استند

ما شهدوه بأعينهم من فرض السياسة الصهيونية على البلاد. فقد كانت أجابة الحكومة البريطانية معشاة للمعن العام الذي لم يلبث أن تبلور فعمت البلاد الاضطرابات فأعلن الاضراب العام في ٢١ أبريل سنة ١٩٣٦

وفي ٢٥ أبريل أنشئت اللجنة العربية العليا برئاسة مفتي القدس الحاج أمين الحسيني وكانت تضم لأحزاب السياسة جميعاً كما تضم ممثلين للعرب المسيحيين . وقد رفضت اللجنة تعدياً أهاء الاضراب حتى توقف هجرة اليهود ، ولجأت الحكومة البريطانية الى أسوأها بعمليتها فأعلنت أنها ستعين لجنة ملكية لتحرى أسباب هذا واشكوى في يديها العرب واليهود على السواء ، ولكنها تشترط أن يعود النظام الى نمائه قبل أن تؤلف اللجنة على أن اللجنة العربية انبثاقاً لم تستجب لهذا النداء ، وظل الاضراب والقتال يسودن البلاد . غير أنه حدث في أكتوبر أن أدركت اللجنة أن طول مدة الاضراب قد أصرت كثير من اصالح خيرية للعرب ، سيما أن موسم الموالح - وهو موسم لاقتصاد العرب في فلسطين - قد أصبح مهدداً بالوار ومندراً بكارثة كبرى على صغار ازرعهم . حيث استجابت اللجنة للنداء الذي وصل إليها من حكام العراق والمملكة العربية السعودية وشرق الأردن

وصلت لجنة التحقيق - المعروفة بلجنة بيل في نوفمبر ، وعادت الى إنجلترا بعد استقصاء استغرق حوالي شهرين ونصف ، ثم صاغت تقريرها في ١٩٣٧ . وقد جاء في تقرير أن لأسباب التي أدت الى الاضطرابات هي نفس الأسباب التي أدت الى اضطرابات ١٩٢٠ و ١٩٣١ و ٢٢ و ٢٣ وهي رغبة العرب في الاستقلال وتحولهم من قيام الوطن القومي لليهود ، والقلق من مصير الانتداب ، وعدم تكافؤ الفرص التي يتمتع بها العرب بأراء اليهود في عرض قضيتهم أمام الحكومة البريطانية .

وعرض التهديد خلا : هو انتهاء الانتداب بعد تسليم فلسطين الى ثلاث مناطق : دولة عربية ، ودولة يهودية ، وشقة محايدة تشمل المصالح المعدة تستمر لدولة صاحبة الانتداب في إدارتها ، وسرعان ما أقرت الحكومة البريطانية تقرير اللجنة ، وشجعت قرارها بمذكرة خيل للحكومة أم ترصى لعرب ولهود على سواء .

ولكن الأمور جرت على غير ما يرى الحكومة البريطانية ، وأن كلا من العريقين قد أعلن عدم موافقته على ما يريد الحكومة .

أما اليهود فقد عقدوا المؤتمر الصهيوني في أغسطس سنة ١٩٣٨ بمدينة ديوريتش ، وأعلن المؤتمر رفضه لقرار الحكومة بعد أن أعلن أن الانتداب لبريطاني فلسطين أصبح غير عملي ، وأوصى بفتح باب المفاوضات مع الحكومة البريطانية بعد التأكيد من الشروط التي يتصحبها التراجع لاشاء الدولة اليهودية .

أما العرب فقد عقدوا مؤتمراً وطنياً عربياً في سبتمبر سنة ١٩٣٧ بمدينة بلودان بسوربه ، وأعلن المؤتمر رفضه لقرار الحكومة ، وأصدر قرار بأن الشعب العربي ليس يكف عن النضال في سبيل فلسطين العربية المستقلة .

وفي أكتوبر أعين الوكيل الموصى العام بالعمل في منطقة الجليل ، ولما كانت هذه المطامة عربية محالصة تقريباً ، فدرى العرب بتهمة اغتيابه ، واتهمت اللجنة العربية العليا واللجنة الوطنية بأهما هما اللذان دبريا هذا الاعتقال ، فأعلن المسدود السامي عدم شرعية هاتين الهيئتين ، وقبض على زعماء الأحزاب السياسية ، ونظام الى جريرة

سيشل . وقد فر الحاخ أمين الحسيني الى لبنان . وبدأت فلسطين العربية تواجه موجه من الاصطهاد البريطاني والخطر على الحريات العامة ، وقد قابل العرب ذلك بتنظيم تشكيلات عددها مائة المبريطيين والثورة عليهم ، ومن أهم هذه التشكيلات فرقة عبيدة لثائر العربي الخصير موري القدومي .

ولما كان الجو السياسي العالمي في ذلك الوقت مليئا بالاحتمالات ، وكانت بريطانيا تعرف أنها عازمة على حرب عالمية ثانية بشبه عليها الداريون والفاشيون ، ولم كانت تترك كدبها لا قبل لها بأن تشتد في حروب متعددة في جهات متعددة ، وتترك كدبها أن يهزروا — بل إن لم يدحر وسها في تسوية سمها في الشرق الأوسط ، بدعايات التي تداولها الصحافة ويديمها الراديو ، لكل هذه الاعسارات رأيت بريطانيا أن من مصلحتها أن تراجع — في النظام — أمام الموقف الجديد في فلسطين .

في أبريل سنة ١٩٣٨ أرسلت لجنة جديدة في فلسطين تعرف لجنة وودهيد كار . مهمتها الرسمية أن يصحح قدر الامكان خطة التقسيم ، وحلها العملية أن تعمل على استرضاء العرب واليهود على السواء ، على أن تعمل على تسوية الفصل في عام ١٩٤٠ برامع رشت بفتح العمة المحلية .

وصلت اللجنة إلى فلسطين في ١٠ أيار ١٩٣٨ ، وعرضها العرب ، ولقد محوث طوية كان لها طابع خبيث ، صدعت اللجنة تقريرها قادما به يدس في استعانة تقسيم ، ويرى في ذات لجنة بدل بأنها غير عملية في كافة ارجائها .

وافقت الحكومة البريطانية على التماس ، ثم دعت إلى عقد مؤتمر في لندن يدعو إليه ممثلون بكل من عربين العرب واليهود ، ويدعى إليه كذلك ممثلون للملاد العربية المجاورة ، وأثناء هيئتها ، احتفظت

وفي ١٧ مايو أعدرت الحكومة كتابا أبيص يشمل مقترحاتها لحل
الفضية ويستمدد إنشاء دولة مستقلة في فلسطين خلال عشرة أعوام ،
ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة صداقة تكفل لكل من الدولتين : بريطانيا
وفلسطين ، مصالحها التجارية والاستراتيجية في المستقبل . وبما جاء في
هذا الكتاب أن إنشاء دولة مستقلة والتخلي عن الانتداب يستلزمان
قيام علاقات بين العرب واليهود تمكن من إيجاد حكومة صالحة .

وراصح أنه مثل هذا الحل لا يرضى العرب ولا اليهود

أما سخط العرب عليه فقد أدى إلى أن هذا الحل ينحصر شركة
أندية بينهم وبين اليهود ، ويعد لليهود حقوق أندية على حساب العرب
أما اليهود ، فقد رأوا أن ما لهم في إنشاء دولة مستقلة قد انهارت
وأن الهجرة اليهودية في سنس التحديد ، وأن الرضا على الهجرة يتناول
إلى أيدي الحكومة الجديدة وللعرب فيها صانع يكمن وفي يار الهجرة
الجارف حديث عقدت الملتزمات اليهودية المتتالية ، وانتهت إلى إصدار
تصريح يعلن فيه لليهود أمام العالم أن هذه السياسة الحثثة لن تحتل ،
أن الشعب اليهودي سيكافحها بكل ما أوتي من قوة ، وأن بدحر أية تصحية
منصاه عليها . وقد قام اليهود بتعبيد تهديداتهم ، ورفضوا التنازل مع
الحكومة ، واستسلموا في الهجرة غير شرعية ، وأرسلوا إلى فلسطين في عام
واحد ٣٥ ألف يهودي بدلا من ١٠ آلاف المسموح بهم رسميا

وركن اليهود إلى نفوذهم العالمي بقاوموا به سياسة المكتب الأبيض
فلما اجتمعت اللجنة الدائمة للاحتياجات — وهي إحدى مؤسسات عصبة
الأمم — يخطبها مراجعة تصرفات الدول المنتدبة نفرو — بسنة أربعة
أعضاء إلى ثلاثة — أن هذه المظاهرات بدو غير متشعبة مع نص الانتداب

وقبل أن يتخذ العرب أو اليهود موقفاً إيجابياً بذاته تجاه الدولة
المتدبة ، إن دلح طيب الحرب العالمية الثانية

المرحلة الثانية

فلسطين والحرب العالمية الثانية

استنهم اليهود تلافئهم بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية بخطاب
نعت به الدكتور وايمان إلى رئيس الوزراء في ٢٩ أغسطس سنة ١٩٣٩
جاء فيه . «أود أن أؤكد بوضوح التصريح لدى أدليت به ورواقي
خلال الشهور الأخيرة ، معاصه لأسوع المصى ، وهو أن اليهودية تقوم
إلى جانب بريطانيا العظمى ، وأهم مسيحيين إلى جانب الديمقراطية ، ،
وقد كانت الوكالة اليهودية إلى عهد فرس في خلاف مامع الدولة المتدبة ،
ويمنح يود أن تروى هذه الخلافات أمام الضرورت ككرى شديدة
الالحاح في وقتنا الحاضر . . وبذلك أكد ليهود من جديس صداقتهم
بريطانيا معطين وقتها الأخير مهم . وما لا شك فيه أن دافعا غير
الدواع انفسطية المحبة هو الذي الذي أملى هذا المسند ، فقد كان اليهود
موضع اضطهاد تاريخه والمعاشه في كل مكان . ولم يكن لليهود بد من
الاربعاء في أحصاء الديمقراطية التي يحاربهم . وأيد كانت الظروف
فقد استغلت بريطانيا - في علاقاتها باليهود عامة وبالصهيونيين في
فلسطين خاصة - عهداً جديداً .

أما العرب فأنهم لم يتقدموا خطوة مماثلة . وامن السد في ذلك مدى
أيمان العرب بتمسكه لهم . بطيب من مصرى وما يد لهم منها من عداوة ،
يضاف إلى ذلك أن العالم العربى ، منذ سنة ١٩٣٦ ، كان مستهدفاً بدهاية
خلافة بديهم دول المحور كعادتنا . وقد كان العرب يتحنون في فزارة أنفسهم
أن تدور دائرة الحرب على بريطانيا ، وفي ذلك السبيل الوحيد لخلاص
العرب من أخطبوط السياسة البريطانية .

فتحت بريطانيا باب التطوع أمام الفلسطينيين من عرب ويهود ،
فتطوع من اليهود ٢٦ ألفاً كانوا يعملون في مختلف الوحدات ، ووضعت
أصحاب المصانع اليهودية مصانعهم تحت إمرة الجيش . أما العرب فقد تطوع
منهم ١٢ ألفاً .

ويعتق الأستاذ محمد رفعت على الموقف فيقول :

« وليس لايجتزأ أن نعارض بين نصيب العرب ونصيب اليهود في الحرب
العالمية الثانية ، لحسب العرب أنهم أحدوا إلى تسكون وعبوروا في الحرب
صدقات حكومة فيشي في سورية ولسان ، وساعدوا على إحباط مساعي
المحور وهم يجهلون لمعاونة الثوار في العراق وإخراج مركز الحلفاء في الشرق
الأوسط .

ومن أهم المعضلات التي أمت دوراً خطيراً في مصائر فلسطين مسألة
الهجرة الصهيونية إليها خلال الحرب . فقد دفقت سيول المهاجرين اليهود
من أوروبا كائناً لاصطهاد النازي بهم في بداية الحرب ، ولم تستطع الهجرة
الشرعية أن تستوعب كافة المهاجرين ، فبدأت المظاهرات اليهودية إلى تدبير
الوسائل للهجرة الجماعية عبر الشريعة . يساعدها في فلسطين سكان القرى
المجاورة للحدود من اليهود . ومما يؤسف له أن كثيراً من العرب قد
ساهموا بقط في تسهيل نفوذ المهاجرين اليهود إلى فلسطين ، أعراهم بذلك
على الأقل الذهب اليهودي الذي كان يعود على العربي من إيواء المهاجرين
وإمدادهم .

ورغبة في استرقاء العرب ، وصيانة للعانون ، حاولت الحكومة
المتنبذة إيقاف سيل الهجرة غير الشرعية . وحدثت في ذلك حوادث كان
أهمها حادث الباحرة باتريا ، التي وصلت إلى ميناء حيفا وعينها حواي

٢٠٠٠ مهاجر ، فلما قررت السلطات المحلية عدم إنزالهم وأمرت الناحرة بالإبحار بهم إلى جزيرة « مورايتيس » ، سميت بالبحرة وهي لا تزال في المياه ، قوامت الحكومة الأمر الواقع بأن أرسلت إلى البر من بحا من حادث السف ، وكان عددهم لا يقل عن ١٥٠٠

وحدث في فبراير سنة ١٩٤٣ حادث الباحرة « ستروما » ، وكانت بحلة فوق طاقها بالمهاجرين ، وأصدت بقلب قرب الساحل التركي ، عرفت الحكومة التركية إيواء السفينة ، فلما خرجت إلى عرض البحر عرفت ركابها ، فلما نزلت أساء ذلك إلى اليهود في فلسطين ، ثارت ثائرتهم ، واعتبروا الحكومة إسرائيلية مسئولة عن الكارثة ، فدشطت المصالحات اليهودية في العمل ضد البريطانيين ، على الرغم من أن الوكالة اليهودية كانت صالمة من ناحية الشكليه — مع الحكومة البريطانية . وللمصالحات اليهودية في فلسطين قصة يلخصها لنا الأستاذ محمد رفعت فيقول :

« قد كانت لليهود قبل الحرب قوات مدربة للقتال ، أو لخطط الأمن في فلسطين ، فلما أعلنت الحرب انصمت هذه القوات إلى صفوف الحلفاء وبذلك ما انصموا ، فقد انحدروا من انصامهم ساراً أحفوا وراءه بيات إسرائيلية مبدية ، واهتبلوها فرصة للبرن على استملاء الأسلحة المختلفة ، وادخروا من السلاح والخبرة الحربية كميات هائلة طهر أثرها في أعقاب الحرب ، حتى الآن وفي غيرها من أنواع المصالحات التي كانت تقدمها لجنة الزعيم الدولية العالمية كانت نستغل وتستخدم له نداء اليهود ، وخاصة لعائدة العناصر التي رأوا أن تنقل سراً من أوروبا إلى فلسطين بعد الحرب للانخراط في سلك الحركة الإبراهيمية اليهودية التي بدأت في أعقاب الحرب

و قد أصبح لليهود بعد الحرب جيش سرى مدرب يعرف باسم
 « الهاجانا » ومعناها الدفاع . وقد استطاعوا أن يسلحوا أنفسهم بـ أناس
 لهم اشتراكهم في الحرب أن يحصلوا عليه من أنواع الأسلحة ، وبما
 صممه الإرهابيون في مصانع سرية خاصة . أو جموه نخله في الداخل
 والخارج ، ولهم في مختلف المستعمرات الزراعية ثلثي أشاؤها في فلسطين
 نحاسي ونحاس رودوها بمختلف الأسلحة والدخيرة استعداداً للكفاح في
 الوقت المناسب . وكانت الحكومة قد سمحت لتلك المستعمرات — في
 أثناء ثورة العرب — أن يتحدوا قوات بوليسية ، فسهل على اليهود
 تحويل تلك القوات البوليسية إلى وحدات حرسية .

« وظهرت شعبية إرهابية لم تعدها سياسة « الهاجانا المظلمة » فشأت
 جماعات أكثر جرأة وأشد عنفاً وقتلاً من جماعة « اشترن » . وهما اسم
 الطالب الشاب الذي تزعم الشحنة ، وقتل في أثناء مقاومته البوليس في
 بعض الحوادث . ومن أعضاء هذه الشحنة الشاب اليهودي اندان اعتسلا
 في القاهرة « لورد موين » الوزير الانجليزى في الشرق الأوسط وتأممه
 في يناير سنة ١٩٤٥ . ومنهم من حاول قتل المندوب السامى البريطانى
 في فلسطين ...

ونقول السيدة سيتون ولباز : في خلال عامى ١٩٤٥ — ١٩٤٦
 ازدادت هجمات الإرهابيين اليهود انبعاثت البكاري ، ودمرت
 السكك الحديدية ، وثبت الانغام في مراكز البوليس والنوك وعطلات
 السكك الحديدية ، وهوجمت معسكرات الاعتقال ، وأطلق سراح المهاجرين
 اليهود غير القانونيين ، ووصلت هذه الحملة الإرهابية ذروتها في بوبه
 حين دمرت الجسور على نهر الأردن ، ونسف فندق الملك داود في القدس

وكانت تشعله سكرتارية حكومة فلسطين ، ونشطت السلطات البريطانية في الحال للعمل لإقرار النظام والقانون في البلاد . وفي ٢٩ يولييه احتلت الوكالة اليهودية وقبضت على الزعماء اليهود الموجودين في فلسطين .

وقد أدلى المستر ألي في مجلس العموم البريطاني بيان قال فيه : —
« إن هناك دليلا على وجود علاقة وثيقة بين الهاجانا والوكالة اليهودية ،

• • •

ولا يستطيع الداحث في شؤون فلسطين خلال الحرب العالمية الثانية أن يعمل أمرين من الأهمية بمكان .

أما الأمر الأول فهو أن الهجرة اليهودية إلى فلسطين كانت قبل هذه الحرب أممية يهودية . يعمل على انجاحها أصحاب الكره لوطس القوي ، ومضطرب عليها ويؤيدها يهود العالم ذور العمود ، سواء أكان ذلك في أوروبا أو أمريكا فهي بذلك فكرة يهودية وكئي أما بعد وقوع الحرب وقرار اليهود من وجه الاصطهاد الناري ، ورفضهم خيار لا يفرغون إلى أين يذهبون ، فقد استند اليهود عظميا في دول الحلفاء كافة .

أما الأمر الثاني ، فهو أن الولايات المتحدة الأمريكية عندما انخركت في الحرب ، لم تلتزم أن أصبحت ميدة الموقف بين الحلفاء ، وتضاءلت إلى جانبها أهمية الامبراطورية البريطانية . ولما كانت الولايات المتحدة من البلاد التي أحرر فيها اليهود جاحا ومالا يكفلان لهم السيطرة على مصائر الأمور ، فإن عطف هؤلاء اليهود على إخوانهم في فلسطين ، وعلى قضية الوطن القومي ، قد كفل للقضية اليهودية نجاحا رسميا في الولايات المتحدة وأوقف الحكومة البريطانية أمام الأمر الواقع .

وعلى الرغم مما كانت تنفاه بريطانيا في فلسطين من مناوأة اليهود

للحكومة ، واعتداء العصابات اليهودية على أرواح البريطانيين في راحة النهار ، فإن الكونجرس الأمريكي أصدر في يناير سنة ١٩٤٤ قراراً بضرورة فتح باب الهجرة على مصراعيه ، والترحيب بتأسيس دولة يهودية في فلسطين. وفي يناير سنة ١٩٤٥ أصدر تصريحاً بأن الولايات المتحدة لن تنأى عن بدل مساعيها الودية واتخاذ الاجراءات السكينة مع فتح أبواب فلسطين لليهود دون أى قيد ، وأن يمدحوا الفرصة كاملة لاستعمار الاراضي حتى يتكون من فلسطين في نهاية كومنولث يهودى حر ديمقراطى .

ولم تستطع السياسة البريطانية أن تجابه أمريكا بعدم موافقتها على ما جاء في هذه التصريحات ، خصوصاً وأنها شععت بطلب من الرئيس ترومان إلى الحكومة البريطانية أن ترحص هجرة ١٠٠.٠٠٠ يهودى إلى فلسطين نهرياً لأزمة اليهود المشردين في أوروبا من ناحية ، واستئالة للرأى الدائم ليهودى ، الأمريكى من جهة أخرى .

أزاء ذلك صرح مستر بيصن ، وزير الخارجية في وزارة العمل البريطانية في تولت زمام الأمور بعد الحرب ، أن موضوع فلسطين قد أثار اهتماماً خاصاً في أمريكا وبريطانيا وفي الأملك البريطانية ، كما أثار اهتمام الدول العربية المجاورة ، ونحو تسعين مديوا من مسلمي الهند لذلك توجه الحكومة البريطانية الدعوة إلى الولايات المتحدة للتعاون معها في تكوين لجنة مشتركة لبحث الحالة في فلسطين من الوجاهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وتأثير هذه الحال في مسائل هجرة اليهود وإقامتهم في فلسطين ، ورفاهية السكان الحاليين .

ويتابع الأستاذ رفعت الحوادث فيقول :

• على أن مستر بينس لم يجرؤ على حظر الهجرة ، وأُسار في خطابه إلى استمرار قبول المهاجرين بصفة مؤقتة حتى تنقضي اللحنة المشتركة من تقديم تقريرها ، كما أشار إلى امكان تحويل الاقتدا بى فلسطين إلى وصاية وفقا لميثاق هيئة الأمم المتحدة .

• وكان إعلان اجتهاد هذه السياسة الجديدة سدا في إثارة النشاط السياسى بين العرب ، فعملوا على إعادة تكوين اللجنة العربية العليا في ديسمبر سنة ١٩٤٥ ، وكان أول آثارها أن أرسلت ردها على مذكرة الحكومة البريطانية وقد جاء فيها :

• إن للكلمة الأولى والاحيرة في قضية فلسطين ومصيرها هي للشعب العربى المصطفى الذى منزعط الحكومات العربية عليه .. والذى لايعترف بأية دول أجنبية أو أى شعب غريب بأى حق في تقرير مصيره ومصير بلاده .

• وفى مايو سنة ١٩٤٦ صدر تقرير اللجنة الانجليزية الأمريكية بعد تحقيقات وزيارات قامت بها اللجنة في أوروبا وبلاد الشرق الأوسط ، فجاء التقرير خلا جديداً فوق أحوال من انتقارير العديدة لسابقة التى وضعت على الرف ولم يعمل بها ..

• واستفنت الحكومة الانجليزية التقرير بما يستحق من الأغصاء والصمت ، بل أنها حاولت أن تعكس من جديد في نصيد تقرير التعميم الذى اقترحتة لجنة بيل سنة ١٩٣٧ ، وبدأت الحكومة الانجليزية تدعو اليها زعماء العرب واليهود للوقوف على آرائهم الهائية بشأن موضوع النزاع . فلما أعيثها الحيل معهم أعلى مستر بينس في فبراير سنة ١٩٤٧ أن يحادثاته مع لعرب والهيئة الصهيونية لم تأت نتيجة ، وأن المشكاه القائمة لا يمكن

حينما بالمفاوضة مع العريقيين ، كما أنه ليس لحكومة جلالة الملك ، تحت
دعائم الانتداب ، أن تعطى فلسطين للعرب أو لليهود أو أن تقسمها بينهما
ولم يبق إلا أن تعرض المشكلة للتحكيم أمام الأمم المتحدة .

• وقد دعت الجمعية العمومية للأمم المتحدة إلى اجتماع استثنائي في
سنة ١٩٤٧ وقرر تأليف لجنة محايدة لا تشترك فيها الدول الكبرى ،
وتألف من ١١ عضواً لتحرى حقائق موضوع المراع ...

• وقد حاولت الحكومات العربية المشتركة في هيئة الأمم أن تحصل
الجمعية على تقرير العداء الانتداب على فلسطين ، أو أن يكون استقلال
فلسطين من الأسس التي تقوم عليها أبحاث اللجنة فرفض مطالب ، ووصلت
الكتابة أن يكون الجانب حرية وغير مقيدة بالانجذبات معبة ..

• وقد تقدمت اللجنة بتمريضها إلى الجمعية العمومية لهيئة الأمم
المحدة التي عقدت في نيويورك سنة ١٩٤٧ ، وقد قررت الجمعية العمومية
في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ قبول المقترحات التي تقدمت بها أكثرية اللجنة
بأن تسم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية ، وأن يتكون من الدولتين
اتحاد اقتصادي ، وأن تترك مدينة القدس تحت وصاية دولة ، وانتخبت
الجمعية خمس دول للإشراف على تنفيذ التقسيم (بوليفيا ، وتشكوسلوفاكيا
واسرائيل ، ومانا ، والهند) .

• وأهم ما عنت أنظار العالم أثناء بحث المسألة موقف المدعوب الروسي
فقد كان المعروف أن روسيا الشيوعية لا تنصر ميلاً إلى جانب الصهيونيين
إذ كانت تهم الصهيونية بأنها أداة للاستعمار البريطاني ، ومادامت الشعوب
العربية تناوى الاستعمارين البريطانيين والفرنسي ، فقد كان المنزع
أن تكون روسيا إلى جانب العرب . . ولكن ما كادت المسألة تعرض

الدعر على الصهيونيين ووضح أمام الدول الى ناصرت قضيتهم انها اسادت الحكم وانتقد بر موافقتها على قرار التقسيم ، فأعلن مندوب الولايات المتحدة في مجلس الأمن أن حكومته لا تنفذ بتفصيل قرار التقسيم ، وقد راد في صلبه نظرية التقسيم مثل حركة اللجنة الخمسة التي ألفتها هيئة استميد القرار ، واضطارها الى النفاذ خارج فلسطين بعد أن راحت الإدارة البريطانية أن تستعملها إلا قليل انسحب القوات البريطانية من البلاد .

وكان كلما دنا موعد انتهاء الاتفاقات البريطانية استولى الخوف على اليهود مما عساه أن يحل بهم من تركوا وجها لوجه أمام العرب ، فركبوا رؤسهم وافتروا من الجرائم والآلام ضد العرب في دير ياسين وغيرها ما طاح اسمه اليهود في العالم كله ، فمسيحه ونهاره ، ولم يسع الدول العربية إزاء ذلك الطغيان إلا أن تستعد لتأديب الصهيونيين والاحد بيد العرب وكذلك ما كاد الحاكم لعام الانجليزى يعادر مينا حيفا في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ حتى أعلن اليهود من جهتهم قيام دولة اسرائيل ، وأطبقت على فلسطين من جهة أخرى جيوش الدول العربية من كل جانب . ومع أن حكومتى الولايات المتحدة وروسيا كلتاهما قد احتصنت الدولة المزعومة بمجرد ميلادها ، فإن الجيوش العربية - الجيش المصرى من الجنوب والجيش العربى الأردنى والجيش العراقى من الشرق - والجيشان السورى واللتانى من لشمال ولشمال الشرق - أحدثت رعبا ووجهنا يافا ونل أيب مقر اليهود . واستطاع الجيش المصرى في أيام معدودة أن يحتل عزه وير سع ، وتدمير كثير من المستعمرات اليهودية في الجنوب ، وجعن يواصل زحمة المضفر حتى بلغت قواته أسدود والمجدل ، ومرتعت

منه قوة ساعدت الجيش الأردني في منطقة أورشليم (بيت المقدس) ووادي
اللطرون ، وبلغت الجيوش العربية في النهاية اللد والرملة وكذلك
استطاعت القوات العراقية أن ترحب غربا حتى كادت تنتق مع أخواتها
المصرية والأردنية عند أبواب تل أبيب .

« ولما كاد السهم يصب الهدف ، تحرك مجلس الأمن لإنقاذ اليهود ،
وكادت جمرد أمريكا مع روسيا تنجح في تقرير المقومات ضد الدول
العربية لولم تقترح بريطانيا تقرير وقف القتال بين المتحاربين ، وتمييز
وسيط دوني يتم مع الجانبين هي وقف القتال مدة أربعة أسابيع يحاول
في أثناءها الوصول إلى اتفاق بين العرب واليهود ، فأعدت الهدنة في ٩ مايو
وعقب مسمى الوسيط الدولي حكومت برنادوت الأمير الـويدي في
التوفيق بين الطرفين المتحاربين

ولكن الهدنة جاءت يردأ وسلاما على اليهود ، إذ استطاعوا في أثناءها
أن يهتوا من رقابة هيئة الوساطة الدولية ، ويرودوا أنفسهم بمحتلب المؤن
والأسلحة من طائرات ودبابات ومدافع ، وآلاف من الشبان المادريين
على المال ، حتى إذا ما انتهى أحد الهدنة واستقرت الحرب
ظهر مبلغ ما أعاده يهود من الهدنة بما أمدوه من نوره ، لاني معاونة
الموات لمرمه خصب . بل في الحزم أيضا .

« وبعدد الوسيط تقرب حاسا سياسة انهمس ، وطب إطالة أمد الهدنة
فلم يستجب العرب إلى هدنة ، ومن ثم اجتمع مجلس الأمن وفرد وقف
لقتل وتم-يد المحاكمين توقيع المقومات عليهم في سبع الدول العربية
سوى قبول الهدنة لمره نشاية مصطرين عاصين .

« ولما كان وقف القتال في هذه المرة مصفقا وغير مفيد من معين ،

فان الوسيط الدولي ما يرح بعمل على تنفيذ قرار وقف القتال ، والوصول إلى قرار حاسم لمشكلة حتى اعتناله الارهابيون من اليهود وهو خارج مدينة القدس الجديدة في منطقة اليهود ، وكان ذلك يوم الجمعة ١٧ سبتمبر سنة ١٩٤٨ .

، ولم يكن دب الوسيط أنه حاسم لعرب ضد اليهود ، فانه في الحق سائر اليهود والمسلمين على قيام دولتهم ، وأعزى عن كثير من المحاولات التي ارتكبوها في أثناء الحروب ، ولكن الوسيط كان قد افترج في تقريره ترك القدس وجعلها مدينة دولية كما اقترح ضم منطقة لبق في الجنوب إلى العرب ، فاستحق بذلك ثقة اليهود وعذرهم . ولو أن انشأنا مثل هذا ارتكبه منه غير اليهود ضد شخصية عالمية تمثل هيئة عالمية كهيئة الأمم المتحدة لكان جرائمها القمع حتما والطرده من عداد الشعوب المتعدنية ، ولكن يبدو أن اليهود يمتحن من تطبيق القواعد العامة عليهم ، هم منتشرون في جميع بقاع العالم ، وبين أيدي كثير منهم حزائن المال ومما يجمعها ، والمال نصب الصناعة كما هو نصب الحرب ، وشح الحرب يبدو الآن محيلاً مفرحاً أمام الدول العربية الكبرى ، لذلك كان موقف الدول السلي أراء اعتبار الوسيط ، وأزاء قضية فلسطين كلها .

، فاكاد ينشر تقرير الكونت برنادوت قبل اجتماع الجمعية العمومية الأمم المتحدة بباريس في ٢١ سبتمبر سنة ١٩٤٨ حتى سارعت أمريكا وبريطانيا وفرنسا إلى تحييده عدايمه ، والتقرير يشير قيام دولة اسرائيل في المناطق التي يحتلها اليهود الآن ، على أن تكون اورشليم (بيت المقدس) مدينة دولية ، وكذلك تبقى حيفا واللد والرملة جميعها عدا متروحة . وافترج الوسيط أن تضم المناطق التي بأيدي العرب إلى شرق الاردن

وتؤلف منها دولة واحدة وطالب أن يعطى العرب جميع الصناعات
التي تكمل تأميمهم ضد التوسع الصهيوني وصد هجرتهم، وأن يرد اللاجئين
من العرب لذين شردهم اليهود إلى ديارهم .

وقد اظرت الجمعية العمومية في مشكلة فلسطين مخاوفها على صوء
تقرير برادوت وما تقدمت به الدول المتمدنة من الاقتراحات ، وبعد
نقاش طويل استمر ثلاثة أسابيع ، ابرر في لهية تأليف لجنة لتتفرق
بين العرب واليهود ، تؤلف من الولايات المتحدة وفرنسا وتركيا ، وتحل
بمن الوساطة الدولية ، وتعمل في مدى عام على تحويل وقف القتال بين
الطرفين الى هدنة دائمة يعقدها صلح دائم . وقد رأت الجمعية ، مع اتفاق
الخلاص بين الدول الكبرى بشأن هذه لمشكلة ، أن يترك للجنة حرية
الفصل في المسائل الإقليمية دون أى ارتباط سابق ، لا بقرار الجمعية
العمومية في سنة ١٩٤٧ ، ولا بمقررات برادوت ، وأن الامر الوحيد
الذى رأت الجمعية النص عليه هو تدوين مدينة القدس ، وإعانة اللاجئين
العرب وردهم إلى بلادهم .

واشرت اللجنة عملها ، كما كانت كل لجنة سابقة تنشر عملاً في جهود
دائمين على التأثير على المآلة وأعصائها ، والعرب يحاربون بسط صهيونهم
الذين دون أن يجدوا آراء صائبة .

وعما يؤسف له أن علاقة جيوش العربية بعضهم ببعض أيام القتال
قد سميت شيئاً من التوتر بين هذه الدول وإسرائيل فارة العرب عن
التكاتف على حل مشكلة فلسطين الى اللقاء ، وبخطة على عصم البعض
وكادت القطيعة وسوء الظن يحلان بين الوهم والواقع .

وفي عمرة هذه التجادل ، أعلن يهود قيام نواتهم ، إسرائيل ، في

الأراضي التي كانت تحت أيديهم ، واكتفى العرب بأن أطلقوا على الدولة الجديدة اسم « إسرائيل المزعومة » .

أما بقية فلسطين ، فقد خصصت للأسر الواقع من ناحية ، ولطامع دولة شرق الأردن من الناحية الأخرى . إذ لم يتردد الملك عبد الله من الحسين ملك شرق الأردن في أن يضم إلى ملكه المنطقة الواقعة غرب نهر الأردن ، التي نزل ما جيشه أثناء الحرب ، سلك المنطقة التي لم يستطع الجيش الأردني الاحتفاظ بها إلا على حساب الصعق الذي قام به الجيش المصري ، وأدعى أنها تكتنف طبعه بامتلاكه ، والمعالم الجغرافية لا تفرقه على ما ذهب إليه . وأيا كانت الحال ، « أن تملك شرق الأردن عد صحت هذه المنطقة إليها ، وعبرت اسمها فأصبحت ملكة الأردن ، وكثب على عرب فلسطين — في هذه المنطقة — أن تكون لهم جنسية جديدة وهي الجنسية الأردنية وقد أثارت هذه الحركة روية من المعارضة بين سكان هذه المنطقة ، ولكن الأحداث كانت تجري سراعاً ، والعالم يتفاه حرب باردة أشد هولاً من الحرب الباردة مما جعل عرجه هؤلاء الفلسطينيين الأحرار تذهب في واه .

أما المنطقة التي كانت تحتلها للجيش المصري فقد فرس على مصر . رغم إرادتها . أن تحتلها وأن تبقى مسئولة عنها إلى أن يعود مصيرها ، فأصبح قطاع غزة يدار إدارة عسكرية ، لأهل نعم وعبي مصر العرم ، في إدارتها .

وإذا كان لعالم أجمع قد وقع تحت تأثير انه عليه الصهيونية المصطنعة المستعسلة فأمر تقديره ليهود في إيواء المشردين منهم ، فأل مسك الأمم المتحدة بأراء نصيه فلسطين كان من آثاره أن المشكلة لم تعد مشكلة

المشردين من اليهود ، بل المشردين من العرب أصحاب البلاد الأصليين .

وعما يؤسف له كثيراً أن الدول المشتركة في هيئة الأمم لا تبدي على قضية المشردين العرب من العطف إلا بقدر ما تنسج له نصوص صحاحات الجرائد ، أما العطف الفعلي ، أما العمل الجدى للقضاء على هذه المبرلة البشرية . فقد أصبح منوطاً بالدول العربية وحدها لا بشاركتها في المسؤولية مشترك من أوائك الذين ملأوا العالم صحيحاً بالعطف على اليهود المشردين .

وقد طال أمد الهدنة الدائمة التي عرضتها هيئة الأمم . وهي تحاول أن يعقد بين العرب واليهود صلح هائى يترتب فيه العرب بقيام دولة لإسرائيل ، ولكن العرب وقفوا وقفة رجل واحد ، يرفضون الاعتراف بالدولة الدخيلة على أرضهم ، وبأن حضور المؤتمرات الإقليمية التي يمثل فيها اليهود دولتهم المزعومة .

وقد اتخذت جامعة الدول العربية من القرارات ما يمتشى مع الخلق العربى من إباء الصيم ، فقررت مقاطعة إسرائيل إقتصادياً ، ومصادرة السفن التى تحمل لها العتاد والعداء ، عما أقص مضجع اليهود فى فلسطين ومن يظاهروهم فى أنحاء العالم ، والدول العربية صامدة أمام الجميع لاتقبل أن تزحزح عن سياستها المرسومة قيد خطوة .

ونحن إذ نكشف هذه السطور (ديسمبر سنة ١٩٥٣) نحس ، أن جهوداً تبدل لدى محكمة الأردن لمقد صلح منعقد بينها وبين إسرائيل . ويقول ولاية الأمور فى الأردن أنهم لن يدخلوا فى مفاوضات هذا الصلح إلا إذا أقرتهم على ذلك جامعة الدول العربية . ونحن نتمنى من أعماق قلوبنا أن يظل موقف الأردن فى مستقبل الأيام على ما هو عليه اليوم

الفصل الثامن

بريطانيا في شرق الأردن

تعتبر ملكة شرق الأردن ، أو ملكة الأردن كما سميت حديثا ، وليده لطروف الطارئة بعد الحرب العالمية الاولى .

وقد سبق لنا أن أوضحنا الخلاف بين الشريف حسين والحكومة البريطانية بشأن الحدود الجغرافية التي كان الشريف حسين يصرح ملكة الجديد بعد الحرب . وكيف أنه كان يعتبر أن دولته الجديدة ستشرف على البحر الأبيض المتوسط من اسكندرية إلى العريش . وكيف أن الحكومة البريطانية - على لسان معلميها السير هيري مكماهون - قد بدت له أنها لا تستطيع أن تسلم به بأن هذا الساحل عرق بحت ، وكيف أنه لم يتده خلال أزمة الحكومة البريطانية وانضمامها بالحرب إلى ضروره مراجعتها فيما أبدته من رأى .

فما انتهت الحرب بانصار بريطانيا وحلفائهم ، وجاء وقت الحساب ، تمسكت الحكومة البريطانية بوجهة نظرها ، وحدث ، وعلى مدى الأيام ، ظهرت في الوجود د لمان ، ثم أسكن اليهود أرض فلسطين ، وابتدت البسة على خلق دونه إسرائيل ، ثم قصورت الأحداث وظهرت في الوجود تلك الدولة التي أسماها العرب أون الأمر (إسرائيل امزعومة) إلى آخر ما أوردناه في الفصل السابق .

ولا استطع أن نتحدث عن شرق الأردن دون أن نعرض للعلاقة التي كانت تربط الشريف حسين ببريطانيا .

قد استطاعت الدبلوماسية البريطانية أن تفرى الشريف حسين بالخروج على ولائه للدولة العثمانية ، ويقول المتحمسون له : إن الحكومة البريطانية لم تخرجه عن ولاء كان يدين به قبا وروحا ، وإنما استعلت فيه نوعة الخروج عن هذا الولاء .

فلما صار الشريف (حليفا محصيا) للحكومة البريطانية ، استنسل اساء فيصل وعبد الله في الوقوف إلى جانب حليفهم السكري ، وسار الجيش العربي بقيادةهما إلى حيث أراد له البريطانيون أن يسير ، وفتح على يد أحد الجيش — إلى جانب الجيش البريطاني — بلاد الشام ، واستقرت موجة أمّح حتى وصلت إلى دمشق . ولا يزال العرب يقولون إن الجيش العربي بأمره فيصل دخل قبل الجيش البريطاني بقيادة اللورد اللبي ، ويقول البريطانيون إن اللبي هو الذي دحما أولا .

وبحكم هذا الفتح . ظل العرب أهم سيصبحون أصحاب الأمر والهي في هذه الأرض المفتوحة على أيديهم ، إلا أن الظروف استمرت وقتئذ أن تقوم في هذه المنطقة إدارة عسكرية بريطانية ، ريثما يتم الاتفاق بين الحليفتين على توزيع الأسلاب .

ثم كانت قصة الانتداب ، واقتسام هذه المنطقة (التي شملت فيما بعد سورية ولسان وشرق الأردن وفلسطين) بين بريطانيا وفرنسا .

فلما تأملت الأمور بين فيصل وفرنسا في دمشق ، سار أخوه عبد الله على رأس جيش عربي قاصداً سورية لنصرة أخيه ، ووصل إلى مدينة القدس في أوائل سنة ١٩٢١ .

رأت بريطانيا أن الأمور في الشرق الأوسط توشك أن تتعرج ، وأن وصول عبد الله إلى سورية قد يحدث أزمة لا يعرف مصيرها . ورأت

في الوقت ذاته أن خطوة دبلوماسية موفقة قد تداعى على حل بحجة من المشاكل في وقت واحد .

فقد اتفقت فرنسا وبريطانيا على تعيد معاهدة سيكس — بيكو وأصبحت بريطانيا بذلك مكلفه بتوطيد أقدام حليفتها في سرورية ، وقيام حرب بين الفرنسيين والعرب ، كالحرب التي كان يحتمل أن تنشب إذا وصل عهد الله إلى سرورية ، أمر لا تقوم عاقبته

وقد اعتبرت بريطانيا أن آل الحسين يستحقون بها معاملة أحسن من المعاملة التي عولوا بها خلال الأرمه بهم وبين من السعدي ، إذ كانت أن تتخلى عنهم نهائياً . ولا علاج لحالة الفتق لمضى عهد آل الحسين ومن يلوذ بهم إلا بأن ترصى عهد الله من الحسين لعرض من العروض .

بما هو إلى ذلك أن الحكومة البريطانية كانت لها سياسة مرسومة بالنسبة لمستقبل فلسطين ، ومن مصحتها ، اعتماداً على السوابق الساريمية أن يفصل بينها وبين عرب العادية فاصل سياسي بقيام دولة على طرف الصحراء ، على عراق ملكة عمن التي قامت في هذا المكان في فجر التاريخ الإسلامي لتندأ من الدولة ابرومانية غائنة الرحمن من عرب العدية . مقابل مساعدة مادية .

لكل هذه الاعتبارات تشطت ايدلومانية البريطانية مستهدفة أن تتحقق هذه المصالح جميعاً .

انضم المستر تشرشل ، وكان وزيراً للمستعمرات البريطانية ، بالأمير عبد الله من الحسين وهو في القدس ، في طريقه إلى نصره أخيه فيصل في سورية ، وأعرأ بالعدول عن السير إلى الشام ، والبقاء حيث هو ،

على أن يكون حاكما لشرق الأردن تحت أشرف المندوب السامي البريطاني .

وما لا شك فيه أن عرصا كهذا لا يمكن وحده لأفغان الأمير عبد الله بأن يتخلل عن نصرته أحيه في سورية . ولذلك نستطيع أن نؤكد أن هذا العرص كان بصره وعد ووعد . أما الوعد فهو أن يتوج عبد الله في يوم من الأيام ملكا مستقلا على هذا الأقسام . أما الوعد فهو أن يعزم أن رحلته إلى سورية مع امرأة عمومة ، عا طر قد تودى به وأحيه إذا عشت عليهما بريطانيا وأطلقت بد فرسائل وساعدتها على التكيل بهما .

وما لا شك فيه كذلك أن العوامل النفسية قد لعبت دورها في قبول هذا العرص . فقد كان العرب في كل مكان ينددون بمذهب آل الحسين في سنة إذ تحلت عنهم بريطانيا بعد أن صحووا في سبيلها بكل مرتخص وعال . وفصلا عن ذلك فإن أخير قد صار أحدهما ملكا على سورية ، فلم لا يكون الآخر ملكا على دولة أشبه بالدولة السورية ، متى أن يكون لهما من وراء ذلك عروءة أقليمية قد يتطور على مدى الأيام فتصبح امبراطورية أو حلافة إسلامية لأن الحسين

قبل الأمير عبد الله ما عرصه عليه المسر تشرشل ، وأقام في الأرض إلى وعده بأن يصبح ملكه في المستمل العرب ، واتحدت عمان عاصمه . وقبل أن تحدث عن بحريات الأمور في شرق الأردن ، يجدر ما أن نسجل الملاحظات الآتية .

أولا لم يعرف عن رهن الأمير عبد الله أس ولايته على هذا الأقسام لا تعود أن يكون وليدة امهاته التقبضية به وبين رعايا بني وصته هذه لولايه ، ووعدته بأن يكون لها فيها دولة ، وأن يصبح عليها ملكا . وما يساعد على تحقيق هذه الوعود أن يكون على الدوام على

السياسات تام مع الحكومة البريطانية ، ممثلة في مندوبيها السامي في المنطقة .
ثانيا . أجلس عبد الله على شبه عرش وهو لا يملك وسائل الاتصال
على هذا الملك الجديد ، فكان المال البريطاني الوسيلة الوحيدة لتوفير
مظاهر الدولة . ومن هنا أصبحت للمندوب البريطاني صفة القم على
الدولة الجديدة ، وصار المرطعون البريطانيون ، في كل مرافق الدولة ،
مصدر السلطان الحقيقي .

وفي أبريل سنة ١٩٢٢ ، حولت الحكومة البريطانية السير هوبوت
سميرين المندوب السامي لفلسطين أن يدلي بالتصريح التالي في عمان : إن
حكومة صاحب الجلالة تنوي - بشرط موافقة عصبة الأمم - الاعتراف
بوجود دولة مستقلة في شرق الأردن تحت حكم سمو الأمير عبد الله ،
على أن تكون لها حكومة دستورية ، وأن توضع حكومة صاحب الجلالة
ملك بريطانيا في وضع يحقق تعهداتها الدولية فيما يخص عن طريق اتفاق
يعقد بين الفريقين .

وهكذا ظهرت دولة شرق الأردن إلى عالم الوجود .

وفي فبراير سنة ١٩٢٨ عقد الاتفاق المشار إليه في التصريح السابق .
وأهم ما جاء في هذه الاعاوية الأمور الآتية :

أولا : تعهد الأمير عبد الله بأن يسترشد بمصح صاحب الجلالة ملك
بريطانيا في كل المسائل الخاصة بعلاقات شرق الأردن الخارجية ، كما تعهد
بأن يتبع سياسة إدارية ومالية عن نحو يضمن الاستقرار وحسن التنظيم
للحكومة ومالياتها .

ثانيا : تعهد الأمير بأن يرفع في حكومه جلالة الملك قانون الميراثية
وقوانين الجنسية وقانون وراثة العرش والتمسديدلات التي تدخل على
القانون الاسامي للدولة (الدستور) .

ثالثا : تعهد الأمير بأن لا يجند أى قوات عسكرية أو يحتفظ بها في شرق الأردن ، دون موافقة الحكومة البريطانية .

رابعا - تعهدت الحكومة البريطانية ألا تفصح أية عهده (فيما عدا الاستشارات الأولية) في سبيل اشتراك شرق الأردن في مسائل الجمارك وما مائلها مع الدول العربية المجاورة لها التي قد ترعب في ذلك . وصياغة هذه الاتفاقية يقوم دليلها على مدى ما استمدته بريطانيا فيها من هود على شرق الأردن . وتطبيقها نصها وروحها يكفل بريطانيا في هذه الماطقة من المصالح ما لم يكن من المعقول أن يصعب لها انتداب مؤقت تستطيع عصبة الأمم أن توفقه أو تهيئه في أى وقت . فكأن بريطانيا قد استمدت بإقامة مؤقتة خاصة لعمود دولي سلطانا دائما لا سبيل إلى التدخل الدولي فيه .

وفيما بين سنتي ١٩٣٤ و ٣٨ عدلت الاتفاقية تعديلات توحى بإردباد انشقة بين الأمير والحكومة لبرصاية . إذ خول للأمير أن يحكم البلاد بواسطة ورائه دستورية مسئولة أمامه ، وأهم من ذلك أنه سمح للأمير تجنيد قوات عسكرية ولا احتفاظ بها ، كما منحه الحق في تعيين ممثلين فصيلين للبلاد في بعض الأقطار العربية المجاورة .

الحرب العالمية الثانية

كان الأمير حلال هذه الحرب عند حسن ظن حليفته بريطانيا ، وأصبحت البلاد مركزاً من مراكز التدريب الكبيرى ، ومحطة أمامية للاستطلاع بالنسبة للحلفاء في الشرق الأوسط ، ووجد الأمير جديدا جعله في ركاب حليفته توجهم حثا شات .

في أكتوبر ١٩٢٩، اعترفت حكومة شرق الأردن ألمانيا دولة معادية وتذكر السيدة بيتون ولير أنه حدث في يولية سنة ١٩٤٠ أن قال الأمير للريجاديير جلوب (جلوب اشاعه ذلك) : [ننا معشر العرب لنهجر دينا وأبنا لانحنو أصدقاءنا أنداء، ولن نعمل شيئا من ذلك الآن، ومهما حدث فإننا سنبقى أصدقاء لبريطانيا .

فما آذنت الحرب والعور للحلفاء بعد معركة العليلين، رأى الأمير أن أن يشرها فرصة سانحة للمحاربة بالاستقلال التام لسلاطه . وبعث إلى الحكومة البريطانية يطلب إليها إنهاء الازدواج وعقد معاهدة جديدة .

وقد أجابته الحكومة البريطانية بأنها — مع تقديرها التام للصداقة والمعونة التي يبدونها شرق الأردن حكومة وشعبا ، ورغبتها في أن يوضع شرق الأردن على قدم المساواة مع البلاد العربية الأخرى — فإنها لا تستطيع أن تدرأ مثل هذه المفاوضات أثناء الحرب . على أنها ستكون شديدة الرعاية في أن تعقد مع شرق الأردن معاهدة تكون أكثر تمشية مع الظروف الجديدة من تلك التي عقدت سنة ١٩٢٨ ، على أن تستمر العلاقات الرسمية بين البلدين في نفس الوقت على الأساس القائم هذا إلى أن يتحاول أن يحدد نصيرا يتماشى مع رغبات شعب شرق الأردن . وفي حلال ذلك كانت كفة الدول العربية قد اجتمعت على تأسيس جامعة الدول العربية ، واستقر شرق الأردن — على الرغم من أنه لم يستكن استقلاله بعد — في موقع بروكول الاسكندرية في ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥ وبذلك صار عضوا في الجامعة .

ولما رأى في موقف شرق الأردن من الجامعة العربية ودورها ، سوره في مساهمته .

وفي ٢٢ مارس سنة ١٩٤٦ اعترفت الحكومة البريطانية لشرق الأردن دولة مستقلة ، وبالأمر عهد الله ملكا عليها . ومنذ ذلك التاريخ أصبح لقبه الرسمي « صاحب الجلالة ملك شرق الأردن » ، وعقدت بين الطرفين معاهدة تحالف مدتها ٢٥ عاما ، نصت فيها على ضرورة التشاور بين الطرفين المتعاقدين تشاوراً تاماً صريحاً في شئون سياسة الخارجية التي قد تؤثر في مصالحهما المشتركة ، كما نص فيها على أن تقدم بريطانيا الخبراء والفنيين لمساعدة شرق الأردن .

وفي سنة ١٩٤٧ تقدم شرق الأردن طالبا الانضمام إلى هيئة الأمم المتحدة . وقد أيد طلبة تسعة من الأحد عشر عضواً الذين يكونون مجلس الأمن وعلى رأسهم بريطانيا . ولكن المدرب السوفيتي استعمل حق الفيتو على أساس أن الاتحاد السوفيتي ليست له علاقات دبلوماسية مع شرق الأردن ، وأنه يشك في وضعه المستقل .

وفي ١٥ مارس سنة ١٩٤٨ وقعت معاهدة تحالف جديدة بين الدولتين نص فيها على الدفاع المشترك في حالة الحرب ، وإشياء مجلس الدفاع المشترك البريطاني - الأردني ، كما نص على الاحتفاظ برحلات من سلاح الطيران الملكي البريطاني في عمان والممرك ، وعلى أن تستمر المعونة المالية البريطانية للملك عبد الله تمكينا له من تنفيذ تعهداته التي نصت عليها المعاهدة .

الملك عبد الله ومشروع سورية الكبرى

قبل أن تعرض لسوء الملك عبد الله بأراء هذا المشروع ، يجدر بنا أن نلقى ضوءاً على فكرة سورية الكبرى .

سبق القول أن الشريف حسين كان يهدف إلى تأسيس دولة عربية

كبرى تشمل الجزيرة العربية بأسرها ، وأن البريطانيين — رغبة منهم في كسب الحرب العالمية الأولى — أروا الأبر على ما يهدف إليه ، بمارق واحد ، وهم أنهم استقشوا الإقليم المطل على البحر الأبيض المتوسط لأن طروفه — في نظر البريطانيين — لا تسمح بأن يعتزل أقليما عربيا حالها ولما انتهت الحرب العالمية الأولى بانتصار الحلفاء ، توقع الشريف حسين أن الحكومة البريطانية ستأدى به ملكا على الجزيرة العربية ، إلا أن بريطانيا — وقد تحررت من الحرج الذي دفعها إلى الاتفاق مع الشريف حسين — رأت أن تستعرض الموقف في الجزيرة العربية في ضوء الحالة الواقعية في البلاد ، فأدركت أن للجزيرة العربية زعماء يرض في البداية هو عبد الله بن آل سعود ، كما رأت أن المساعدة بالشريف ملكا على الجزيرة العربية ستثير عليه وعينا هذا الزعم ، ثورة لا تعرف معها ، وقد تعرض فيها مصالح بريطانيا — وخاصة في الخليج الفارسي — لما لا ترصاه نسبة البريطانية ، بل الاقتصاد لبريطاني

ويؤازر الأستاذ الدكتور محمد ماضي ، في كتابه (أهميات الحديث في جزيرة العرب) الجزء الأول ، بن آل سعود والشريف حسين في ذلك الوقت فيقول .

« ثم وا ، بن سعود بن موفد العلم الإسلامي منه ، وموقفه من الشريف حسين ، رأى أن صلات الشريف بالمسلمين قد ساءت بعد أن جاهر بالعدوان بدولة خلافة وحاصرها مع العثمانيين وبعد أن عامل المعجاج المسلمين معاملة سيئة ، وشتط معهم في فرض الضرائب مع عدم العناء واللامرارة رحتهم وأهمهم ، وكذلك اختف معهم بشأن الساعات الطبية وغيرها . فكان ذلك سببا في عودة فخرس المصري في سنة ١٣٤٠ هجرية

— ١٩٢٢ م . وفي اشتداد الخلاف بينه وبين الحجاج اشود ، ثم بينه وبين الإنجليز من أجلهم .

وفي مقال هدارأي ابن سعود أن صلات العالم الإسلامي به حسنة بعد أن شرع يتوحد إلى المسلمين ويجعل الدول الإسلامية ، وبعد أن أخذ بشر دعاية واسعة النطاق في العالم الإسلامي ، متحدثاً عن أطوار الخلاف بينه وبين الشريف حسين ، ومتظاهراً من صنع الشريف للعجبيين عن أداء وصية الخلع . وأخيراً نظر ابن سعود إلى قوى الشريف العربية فوجد ما صمعه أمام إيمان الإخوان وتعضدهم لصخرة رعيهم ... ، استمرحت بريطانيا المارقب بمثل ما استمرعه ابن سعود ، ووصلت إلى السائح التي وصل إليها ، فأثرت أي لا بدع في تأييد صاحبها على منافسه فكان من نتائج ذلك أن أهمل آل الحسين عن الحجاز ثم تمحصت الأحداث ، ذلك عن اتصافهم ، وعلى رأسهم فيصل ، بالحركة العربية في شمال الجزيرة ، وقد سهل لميصل ذلك سبق اتصاله بالحركة العربية التي كانت تقاوم المرحلة التركية في أخريات القرن الماضي وأوائل القرن العشرين ومدت بريطانيا يد العون لأحداثها لتحل بهم بعد ذلك في شمال الجزيرة يناس المموز العرسي ، وهنجر عدة لبريطانيا وقتها تشاء .

وهكذا انقسمت الجزيرة العربية إلى معسكرين : معسكر الشمال ويتزعمه آل الدبير ، ومعسكر الوسط ويتزعمه آل سعود . أما الأراضي الواقعة على الخليج الفارسي فقد تدخلت بريطانيا في شئونها وأصبح لها فيها من النفوذ ما تضمنت به على مصالحها في الخليج الفارسي . أما الجنوب فقد كانت له قصة قائمة بذاتها ، إذ اهتمت بريطانيا بتأمين مواصلاتها باحتلال عدن ، وكانت تترصد الدوائر محاولة التدخل السافر في شئونها .

انصرف آل الحسين عن الملك الذي كانوا يحملون به ، وتقلصت دولتهم الكبرى فاصبحت مجرد أمكنة لهم في شمال الجزيرة ، وهنئذ أطلق مشروع سورية الكبرى رأسه في معترك الحياة السياسية .

كان الأتراك العثمانيون - في إدراجهم لهذا الأفليم - قد قسموه الى أربع ولايات : ولاية حلب وتشمل الأقليم الشمالي . جنوبي حلب طاروس وتشرف على البحر الأبيض المتوسط شمالي اللاذقية . وولاية لبنان وتمتد على ساحل البحر من اللاديه الى يافا ، وسجن القدس مستقل ويمتد كذلك على ساحل البحر من يافا الى جنوبي غزة ، وولاية سورية وتمتد في الداخل مشرفة على الصحراء من لثقي ، وعلى ولاية حلب من لثقي وعلى ولاية لبنان وسجن القدس من ارب وعى ولاية الحجاز من الجنوب وتشمل ولاية سورية مجموعة من الساجق هي حماة ودمشق وحوران ومعاين

فلما كانت الهبة العربية ، مك التي خرجت من الأسنة ونزكرت في دمشق ، اعتبر القائمون بالحركة هذه الولايات الأربع ولايات عربية وأنها تكون وحدة جغرافية ، وكان من أهدافهم أن تستقل هذه الأقاليم برمتها تحت راية عربية واحدة وتعرف باسم سورية الكبرى .

ولما انتقل نشاط آل الحسين الى شمالي الجزيرة العربية ، مك مشروع سورية الكبرى على نفس الأساس الجغرافي ، على الرغم من أن السمر هنري مكاهون سبق له أن مك آل الحسين الى أن أفليم الساحل لا يمكن اعتباره عربياً خالصاً . وقد نزعهم هذه الحركة الى بداية الأمر الأمير فيصل عندما كان يحاول أن يثبت عرشه في سورية . فلما اتت الأمور بينه وبين الفرنسيين الى اجلاته عن البلاد كان أخوه عبد الله قد ترجع على

عرش الأمانة في شرق الأردن ، فتبنى عبدالله المكره ، وصارت سورية الكبرى هدفا من أهدافه .

وعما لاشك فيه أن عبد الله لم يكن إطمع بنفسه ولنفسه في أن يكون له هذا الملك الشاسع . وأما كانت علاقته ببريطانيا من أهم ما أطمعه . ذلك أن بريطانيا كانت متدنة في فلسطين ، وهي بصدد اقتطاع جزء كبير منها لإنشاء دولة لإسرائيل ، وكانت متدنة في شرق الأردن وهي على أنهم صماء مع أميرها ، ولم يبق من سورية الكبرى إلا دولة سورية التي كانت خاصة للأنداب الفرنسي ، وهذه كانت بريطانيا تمنى أن يرول عنها هذا الأنداب وكانت في سبيل ذلك محاولات ، ولبان وله وضع خاص سواء أدخل في نطاق سورية لكبرى أم لم يدخل .

لكل هذه الاعتبارات ترى عبد الله إطمع في تحقيق المشروع على يديه حتى يكون سيد الشمال في الوقت الذي أصبح فيه ابن سعود والجزيرة وقد ساعده على هذا الطموح أن ملكة العراق يحكمها ملك هاشمي . ومن يدري لعل ظروف العرش العراقي أن نواتيه فيصبح ملكا على سورية الكبرى الحبيب ، بل على الشمال بأكمله ، بما فيه العراق ، فتكون له عندئذ دولة قوية يستطيع أن ينافسها دولة السعديين ، وقد اصطاح على تسمية هذا المشروع باسم مشروع الهلال الخصيب .

ويبدو لنا أن الأمير عبد الله ما كان ليذكر هذا التفكير ، ويخطو في سبيل تحقيقه خطوات ، إلا بحسن التعاطف بينه وبين أصدقائه البريطانيين . وآية ذلك أن بريطانيا اعترفت به ملكا على شرق الأردن بعد أن كان أميراً عليه لتزله البطالية بالعرش الجديد الكبير ، ولما عني هذا العرش حالها من نفوذ .

يقول الدكتور محمد ماضي :

« تحرك المجلس لبيان الأردن ، بأمر من سيده جلالة الملك عبد الله ، وأعلن في دورته الأولى سنة ١٩٤٦ على هيئة ميثاق وطني أن الشعب والحكومة يتمتعان ببطالان تحقيق الميثاق الوطني لتقديم الخصاص بأشياء دولة سورية الكبرى تحت عرش الهاشميين ، وكان لهذا العمل أثره السيء في محلب اللار والرواثر العربية ، فأثار السخط والارتياح وعدم الارتياح في سورية ولسان والمملكة العربية ومصر ، خصوصاً وقد أثير هذا الموضوع الموجب للخلاف في صفوف العرب في وقت حرج بالنسبة للعرب جميعاً ، أثير والعرب أشد مايكربون حاجة الى الوحدة وضم الصفوف والائتماء د على كل ما يوجب السنة وشير الخلاف . وتدخل مجلس جامعة الدول العربية حينما انعقد في القاهرة في نوفمبر سنة ١٩٤٦ في الأمر لفصل الخلاف الذي نشب بين سورية وشرق الأردن . . . فافترحت مصر أن تحال المسألة على لجنة ورراء الخارجية . وهذه فصالت في الموضوع وقررت انتمت بميثاق الجامعة الذي يوجب بمقتضى المادة الثامنة أن « يحترم كل دولة من الدول امشركة في الجامعة نظام الحكم القائم في دول الجامعة الأخرى ، وتعترفه حقاً من حقوق تلك الدول ، وتتعهد بالألا تقوم بعمل يرس الى تغيير ذلك النظام فيها ، وطلبت اللجنة الى الطرفين التكف عن إثارة الموضوع من جديد .

« ولكن الملك عبد الله لم يكف ولم يستمع لحكم مجلس الجامعة العربية . . . فأثار الموضوع من جديد ، وأداع بيانا عن مشروع سورية الكبرى ، على الصحف في أغسطس سنة ١٩٤٧ ، ثم عقب بإرسال كتاب في نفس الموضوع إل فعامة الرئيس شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية . . .

وفي ٢٨ أغسطس سنة ١٩٤٧ أدلى دولة جميل مردم بك رئيس الوزارة السورية للصيف بالتصريح التالي . لا يسع الحكومة السورية أمام هذا الاستعرازالجديد ألا أن تقرر اتحاد جميع لدابير اللازمة لمنع هذا الاحتيال على الوحدة العربية من خدمة أغراضه (أعراس الملك عبد الله) التوسيعية . وانه لا حظاً ان مشروع سورية الكبرى يشار دائماً في أوقات تتفق بشكل غريب والمتمرات الخرجة التي تحتازها الدول العربية . مما يدل دلالة راصحة على أن هذا المشروع وعرضه من دول أجنبية . وأنه لا يرى إلا إلى حل جو من الاستياء في الدول العربية في الوقت الذي هي في أشد الحاجة فيه إلى توثيق علاقاتها وصم صفوها . . . ان مشروع سورية الكبرى مشروع صهيوني لا يرى إلا إلى تيسير مشروع تقسم فلسطين وإنشاء دولة يهودية . . . وكان الواجب على الملك عبد الله أن يسمع على موالها فيحترم هذه الفترة الخرجة التي تحتازها الدول العربية في الوقت الذي سحقت فيه المأسأتان المصرية والمليطية أمام هيئة الأمم المتحدة ، وفي الوقت الذي توجد فيه الدول العربية في أشد الحاجة إلى الوحدة .

أما الكتاب الذي أرسله الملك عبد الله إلى فخامة رئيس الجمهورية السورية ، فقد حله إليه — بعد أن أديعت شواء على الصحف — الشريفي باشا رئيس ديوان الملك عبد الله إذ ذلك . فلما تسلم شكرى القوتلي الخطاب لم يعط عليه رداً كتابياً ، إنما اكتفى بالرد الشفوي حيث قال : « أتم خير مستقلين ونحس مستقلون ، فلماذا تريدون أن نحمولوا أعلالكم ؟ » وقال له أيضاً . « أي استفتاء تريدون ؟ لقد استفتى الشعب السوري أربع مرات فما احتار سوى النظام العالي نظاماً له . فادهبوا واستمتعوا أهل شرق الأردن ! »

وفي تقديرنا أن السياسة البريطانية أحدثت وقتذاك بأن اللعبة التي تلعبها قد اكشفت الخبي، منها . وأنها قد فتحت باب العداوة ولبعضها بين شرق الأردن وسورية على مصراعيه ، وقد أصبح من المناسب لها أن لا تدع رجلاً قريصة بين السوريين من الشهاب والسعوديين من الجنوب ، فإذا بالاحداث العربية تتمحور عن رياره الملك فاروق ملك مصر السابق لبلاد العرب واجتماعه بالملك عبد العزيز آل سعود في رصوى ، ثم اجتماعه بالملك العرب في اشخاص ومن بين هؤلاء عبد العزيز آل سعود وعبد الله ابن الحسين . وإذا بالملك عبد الله يرور الملك عبد العزيز في الرياض في أواخر شهر يونية سنة ١٩٤٨ ، وإذا بهما يصدران بيانا مشتركاً يعلنان فيه اهدافهما ، بصورة خاصة أيبعد الجامعة العربية فيها نقره أو يهيه ، مما هو د خل في ميثاق جامعة الدول العربيه وفي حدود مسئوليتهم ، ولاخص فيما يتعلق ، فلسطين .

ولكن الملك عبد الله لم يلبث أن عاودته شهوة التوسع . فلم يمتص على اجتماعه من السعود ستة شهور حتى كان دعائه قد جمعوا له جماعة من اللاجئين الفلسطينيين في أريحا على الحدود الفلسطينية الأردنية — برئاسة الشرح محمد علي الجري رئيس بلدية الخليل . اجتمع هؤلاء على هيئة مؤتمر نادى بالملك عبد الله ملكاً على شرق الأردن وفلسطين ومن الطريف أن بعض المؤتمرين اقترحوا أن يطلق على الدولة الجديدة اسم مملكة جنوب سورية وعلى أساس أن تكون هذه خطوة نحو تحقيق مشروع سورية الكبرى : العالم الذهبي في بحيلة الملك الطموح .

ويقتبس لنا الدكتور محمد ماضي تعليق مجلة أخبار اليوم على الاحداث فيما يلي :

« وما تقرر كذلك أن ينادى بالملك عبد الله ملكاً على فلسطين كلها

وليس على جزءها مكان مصر وسائر الدول العربية قد مدلت على أرض فلسطين دمها ومالها وجهودها وحياتها أعز أنانها لكي تكون فلسطين لقمة سائغة لثهوة أو المطامع ، وكانت فعل كل ما فعمناء انصاح فلسطين قاعدة انجليزية اسم عري ، ومستعمرة بريطانية تحت تاج عري ، ولتكون نقطة اللزوم ان سورية وغيرها لتعظم استقلالها . وهكذا تستعيد للبلاد العربية كلها ، وهي التي كانت تحارب بحرير فلسطين وشرق الأردن .

ولم يلبث مجلس الوراء الأردني أن شر ملاناً رسمياً في ٧ ديسمبر سنة ١٩٤٨ يقرب فيه ان مقررات مؤتمر أريحا تنفق مع أهداف حكومة الملك عبد الله ، وأن هذه الحكومة رحب بها ، وتسمى الى تحقيقها بالوسائل الدستورية والدولة . وأما استعدادها في الوقت المناسب

وفي ١٣ ديسمبر عرضت هذه المقررات على الهيئة التشريعية الأردنية عبرت الموافقة عليها بالإجماع . ثم رجع العراء الى جلالة الملك عبد الله فشكر لأعضاء المجلس والحكومة هذه الثقة وقال فهم قد حملتموني عبئاً ثقيلاً ، وأرجو الله أن يوفيني الى عافيه خير . الأمة العربية .

وعد كان لهذا التصرف أسوأ الأثر في جامعة الدول العربية ، وبذلك جهود لدى الملك عبد الله بأن يعدل عما سولته له نفسه من أجراء يخلق العرقه بين الدول العربية ، ويمكن للمستعمرين أن يطشوا بالعرب ، ولكن جلالاته ظل يراوع الوعود العربية التي قصدت إليه ، ويقوم بمناورات ترميها الى اصاع بمثل الدول العربية أنه ينزل في ذلك على أرادة العرب من سكان فلسطين .

وبعاني الدكتور محمد ماضي على مؤتمر أريحا فيقول :

« فالواقع أن انجلترا هي التي أوجت بمؤتمر أريحا ، وأنها هي التي

اختارت له الوقت المناسب بعد أن طنعت أن هذا الوقت الذي اختارته هو نفس الوقت الذي ستصدر فيه الأمم المتحدة قرارها بتأييد الاقتراح الانجليزي الذي يدعو في حل مشكلة فلسطين إلى الأخذ بتقرير الكونت برنادوت بعد مصرعه ، ذلكم التقرير الذي يقترح — طبقاً للوعبات البريطانية — ضم القسم العربي من فلسطين ، وبه مصفحة لنقب ، إلى الدولة الأردنية الهاشمية .

ثم يقتبس الدكتور ماضي من مقال للدكتور محمد عيسى في صحيفة أخبار اليوم فيقول :

« وانكاراً نعم على ليمين أن الدول العربية تعارض هذا أشد المعارضة ، لأنه ينطوي من ناحية على تعهد التمسيم وقيام دولة سرائين ، ولأنه يخشى من ناحية ثانية أن يكون خطوة من خطى تحقيق مشروع سوريا الكبرى لارتصه تلك الدول بحار . وحسنت اجتازاً أنها ناجحة ، نعم الأيد الأمريكى ، في سبيل الحصول على كثرة اثنين من أعضاء الجمعية العامة للأمم المتحدة تأييداً لإقتراحه الذي سنته معها الولايات المتحدة ، فأوجت دون ريب بمهلة مؤتمر أريحا ، حتى يحل الحكومات العربية بقرار الأمم المتحدة وبقرارات أريحا في وقت واحد ، فيمت هذا الازدواج في عصدها وتخصع للأمر الواقع في الخطيرة الدولية ، وفي الخطيرة الفلسطينية الداخلية لكن الاقتراح البريطاني لم يكتب له التوفيق في هيئة الأمم المتحدة ، إذ لم ينل كثرة اثنين امشروطه ، وكانت الاستعدادات قد تمت لأخراج مؤتمر أريحا وقراراته ، فبدأ وحده فريداً ، وكان مهلة مكشوفة اضطرت انكثراً معها إلى أن تعلن أنها لم تشجع جلالة الملك عبد الله عليها .

مملكة شرق الأردن تصبح مملكة الأردن

عندما أعلنت بريطانيا انتهاء انتدابها على فلسطين ، وحددت لذلك موعداً ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ، قررت الدول العربية ، ومن بينها شرق الأردن ، أن تسير جيوشها إلى أرض فلسطين إقازا للعرب مما يرادهم هلى أيدي اليهود بعد انتهاء الانتداب ، ولكى تحول دون قيام دولة لإسرائيل وقد صنعت الدول العربية فى أعراء اممك عبد الله على الوقوف الى جانب الدول العربية . وانتهت الجهود التى بذلت لدى جلالة بأن يملأه الدول العربية أن تكون الجيوش العربية التى تحارب على أرض فلسطين تحت أمرة جلالة .

وقد اشترك الجيش الأردنى فى هذه المعارك ، وليته ما اشترك انقد كانت الظروف تستلزم تنظيم الحركات العسكرية بين الجيش المصرى والجيش الأردنى ، فإذا ما الجيش الأردنى يعمل على عرفة التقدم المصرى نحو تن أسب ، ويتحلى من المواقع التى كان الجيش المصرى يعتمد على صموده فيها ، وبذلك حرم الجيش المصرى من كثير من المرات الاستراتيجية فلما انتهت الحطة الموصوعة تراجع الجيش المصرى ، كان الجيش الأردنى سبباً فى كثير من الخسائر التى لحقت بهذا الجيش . كل ذلك فضلاً عن تعذيب على السنة المشتددين بالقضية الفلسطينية من سوء تصرف سافر من الجيش والسلطات الأردنية ، فضلاً عن اتهام بحياة القضية العربية .

وبقول الأستاذ أحمد عبد الرحيم مصطفى ، الذى ترجم كتاب سينون ولير فى تدليل له ما يأتى :-

وفى عمرة تحاذل الدول العربية - فيما عدا مصر - أهل اليهود لإنشاء دولهم فى الاراضى التى كانت بأيديهم بالفعل . أما ما تبقى من فلسطين

فقد خضع للأمر الواقع . ودعت الدول العربية لتى لها جيوش في داخل فلسطين يدعها على اندفاع ابي تحتها . وخرج الملك عبد الله من هذه المنحة بنصيب الأسد . إذ أعيد ضم الشاطئ العربي لجزيرة الأردن ، وعيد اسم دولته فأصبحت المملكة الأردنية الهاشمية ..

إلى هذه الأحداث ، إلى خرج منها الملك عبد الله على إجماع الدول العربية ، و أثر المصلحة الخاصة على المصلحة العامة ، وعمل برأى أصدقائه من البريطانيين بدلا من أن يعمل بمشورته إخوانه من العرب ، إزاء كل ذلك ، لم يكن سرياً أن يحدد عليه لعدم العربي بأسره .

وفي عمرة شاملة من هذا الحقد ، أعيد الملك عبد الله ، وكان اغتياله صربية قاصدة للنفوذ البريطاني في الشرق الأوسط إزاء بريطانيا كانت تعتمد عليه — كعضو في الجامعة العربية — في حل المشاكل لهذه الجامعة ، كما أن بلاده كانت تعتبر مركزاً للنفوذ البريطاني في العالم العربي ، وعطية أمامية للدفاع عن قناة السويس إذا كتب للبريطانيين البقاء فيها .

صحيح أن ملكة الأردن ترتبط مع بريطانيا بمساعدة طويلة الأمد ، ولا سبيل إلى التحلل من قيودها ، وكلها لمصلحة بريطانيا . ولكن ليس العبرة بالمعاهدات المكتوبة ، وإنما العبرة بالروح التي تنفذها التعهدات التي تنص عليها المعاهدات .

ومحال أن نجد بريطانيا في أي عاهل يتولى عرش الأردن ما كانت تلقاه من جلالة الملك الراحل من أيمان عميق بأهمية الصداقة البريطانية ، واعتماد كامل على المعلومات البريطانية والمشورات البريطانية .

الفصل التاسع

بريطانيا في العراق

قبل أن نتحدث عن علاقة بريطانيا بالعراق في العصر الحديث ،
يجدر بنا أن نتعرض بصفة خاصة أمور في جغرافيته هذا القطر وتاريخه ،
توضيرا للمسرح الحوادث التي ستناولها بالشرح

• • •

من بين ما سيطرت عليه الدولة العثمانية ، وظلت مسيطرة عليه إلى
عام ١٩١٥ ، ولايات ثلاث هي بغداد والبصرة والموصل وهذه
ولايات الثلاث هي التي دخلت في نطاق الانتداب البريطاني للعراق ،
فكان العراق بذلك لم يكن — تحت راية الأتراك العثمانيين — وحدة في
نظام حكمه ، ولعل السبب في ذلك هو الاختلاف الواضح بين سكان هذه
الولايات الثلاثة في أصولهم وطوائفهم ، وطرق معيشتهم ، مصافا إلى ذلك
دعته رجال السبب العالي في ذلك من عدد الولايات ، مساحة في
الاطشال على ولاياتها الثلاث بحكمته ، وحسوبة دون قيام وإنسانياته
مخروج على الدولة العثمانية عهداً على عهده الألفتم انتهى بحكمته

أما قبل الفتح العثماني ، فكان هذا القسم الذي تحت الانتداب البريطاني
عند ربه عن أمسيين . أموي ، وهو الجزء الجنوبي من العراق الحالي ،
وجزيرة وهو الجزء شامي منه

أما ما فتح بحري للعراق وهو ما فتح ما رسي فكان في مصود
العربية الزاهرة بحراً برأساً ، أما في العصر الحديث فلهذا اسما فيه

مصالح لا يستهان بها ، فعلى لساحل الشرق لهذا الخليج تقع بلاد إيران ،
ومصلحة بريطانيا في التدخل في شئونها من الناحية السياسية والاقتصادية لا تخفى .
ذلك أن السياسة الدولية في القرن التاسع عشر كانت تقوم على المنافسة
الجنوبية بين بريطانيا وروسيا . ولما كانت روسيا تتاحم إيران من
الشمال . وتحاول التدخل في شؤنها من حين وآخر ، لذلك وجب على بريطانيا
أن تحاول التدخل في شئون إيران من الجنوب و غرب . وبذلك أصبحت
إيران معرضاً للنشأ من الدولتين العدويتين لبريطانيا وروسيا .
أما المصالح الاقتصادية فقد استطاعت بريطانيا أن تمنع مع إيران على
استخراج النفط من أراضيها وأن تأسست شركة النفط الإيرانية البريطانية
وتسلطت بريطانيا لحماية حصصها من هذاترول بالسيطرة على معاليد الملاحة
في الخليج الفارسي على الأقل .

أما على الساحل المقابل (لساحل العرب) فقد كانت
بريطانيا كذلك مصاح لا يستهان بها ، ومن جراء هذه المصالح ، وفي
أحرى القرن التاسع عشر ، إسمعت بريطانيا أن تتدخل مباشرة في
شئون الأمازيغ العرب أو فقه على الخليج ، وقد سبب لها ذلك هادي
ملك أماني وأجابه انتفاضة الزعماء التي كانت تعمد به بينه وحر
فكان اضطراب عجم العربيين المصدر هو لامبيا وهو لاه عم سره
سباسبه انتفاضة من يحكم وسطه على هذه لاه ثم التي عرفه فيما بعد
باسم محمدات العربيه .

وهذا وضع صدر ، ربيته بين نفوذ كبير في الخليج الفارسي .
وهو أخرج اسحري التوحيد تغراي . عينا عرابه ردي في أن تجه أنصار
بريطانيين إلى أعراق بعد أن حصرته بحرية .

وما كانت سياسة بريطانيا في هذه المنطقة تعتبر مكملة لسياستها في الهند ، وكان الاستحسان ضرورياً بينهما . فقد وكلت الحكومة البريطانية شؤون الخليج الفارسي من سياسة وقضائية ، إلى حكومة الهند ، وجعلتها من صميم اختصاصها .

وظلت الخاب كدث إلى أن قامت الثورة العربية ضد الأتراك العثمانيين خلال الحرب العالمية الأولى . ولما كان مركز الانهلال بين العرب والبريطانيين في القاهرة ، يديره السير هري مكماهون ، فقد لزم أن ينتقل مركز الثقل في سياسة بريطانيا في الخليج الفارسي والعراق من الهند إلى مصر وكان ذلك حوالي سنة ١٩١٧

ولم يقتصر مشاكل العراق على حدوده البحرية ، وأن مثل كل الحدود البرية كانت ولا تزال أكثر تعقداً . فالعراق لا يفصله عن حوضه من دون حدود طبيعية كالجبال والأنهار ، وإنما حدوده خطوط وهمية مودعة على الخرائط ، أما على الطبيعة فهي لا تبدو أن تكون خطوطاً من الأسلاك الشائكة ، محروسة أو غير محروسة ، وفقاً لظروف الأقليم ومشاكل الحدود فيه

ومن الأمور التي تجب ملاحظتها عند البحث في علاقة بريطانيا بالعراق أو علاقة الأسرة الهاشمية بمرش العراق ، الظروف التي كانت تحيط بحيران العراق وقت أن كان فيصل يسعى إلى الجلوس على العرش فيه في تركيا ، كانت المهمة الكالبة قد بلغت أوجها . بعد أن تحررت من ربه التحكم الأوروبي في مصيرها ، وبما لا شك فيه أن نهضة كالامهنة الكالبة في تركيا ، وانتقال مقر الحكومة من أوروبا إلى آسيا ، كان ذا أثر في نفسية الشعوب العربية . وبما لا شك به كذلك أن شمالي العراق كان

ولا يزال يختلف عن جوييه في كثير من وجوه . ومن مث كل شمال وجود الأكراد فيه . ومن خصيهم . هل يستعملون ، أم معون الحكومة المراق . ثم يصحون إلى الجمهورية التركية . وكل ذلك يؤخر بدوره في استئجاب الأمر للحكومة الجديدة في العراق .

وفي إيران ، جارة العراق من ناحية شرق ، كانت اسماة لروسية بريطانية من سمت أوجه ، وبدأ البريطانيون في التدخل في شئون إيران تدخلا يقضى هي اسلافه . فثار شعب على الحكومة المحلية ، وبصحت الحكومة البريطانية لئشاء أحد آخر سلالة ان قاجار ، الذين كانوا يحكمون إيران ، بالسفر إلى الخارج بخلصاً من الماش كل إلى أذربايجان ، الذي استطاع ان يوحد كله الجيش ، ويضع بوابة الإصلاح الحديث ، ويهدد الطريق لقيام دولة جديدة في إيران وتوزيع حصصها عليها .

وفي الجزيرة العربية ، جارة العراق من الجنوب العربي ، قامت الدولة السعودية ، قوية فتية ، يتولى الملك بها آل سعود ، الآداء القداسي للأسرة الهاشمية ، التي كان فيصل ، وهو فرع من أبنع فروعها ، يسهر بحظ وثيدة بحو هرش العراق الذي وسده له البريطانيون .

ولم تكن ثورات تركيا وإيران ونهضة الجزيرة العربية هي كل ما يتفاعل في الموقف السياسي في الشرق الإسلامي . فإن مصر قامت بثورتها الأولى ضد الاحتلال البريطاني ، وتعاقبت الثورة بحيث أُرست البريطانيون العمل على معالجة الأمر في حزم وروية . وكذلك ثارت الهند ثورتها ضد الاستعمار البريطاني فكان الشرق الإسلامي كان يغلي بالثورات التقدمية في كل مكان .

هذه هي أهم المظاهر التي أحاطت بظهور دولة العراق من الناحية

الدولية وهي جديرة بأن تجعل لجزرات الآشور في العراق طابعاً خاصاً
ولم تقتصر المؤثرات في هذه العراق على هذه الاعتبارات الدولية ،
بل كانت هناك مؤثرات داخلية لا يستهان بها ومن أهم هذه المؤثرات
مشكلة الأقليات .

لقد كان يكنى العراق من أمشاكل امد حلية أن ينقسم فيه بين
العرب إلى شعبة وسنة ، وأن يمسك كل فريق متعاليده رأساً ليد
عصاوته ومبادئه ، وأن يكفل لكل من الفريقين نصيبه خاصة في المجالس
البلدية والمقاعد التشريعية . ولكن جاءت الأعداء أن تشمل أرض العراق
مجموعة من الأقليات .

والأقباط رئيسان في العراق هما الآشوريون والآكراد . أما
اليهود والبهائيون والزيدون ، فثبت أقدمت لم يصب في تاريخ العراق
دوراً يذكر .

الآشوريون

عقدت السيدة سورت أرسكين في كتابها فيصل ميث العراق ، فصلاً
قصيراً عن الآشوريين قالت فيه :

ومن هم الآشوريون ؟ هل هم بقية شعب بابل ، أم فرقة من الفرق
للكاثوليكية المسيحية ، والذي يعطى على الظن أنهم الإنسان معاً .

لقد رأينا كيف يمكن جماعة عثت على أمرها أن تظل في أرضها بعد
ذوال سلطانها ، وإحياء ملكها ، ومن المؤكد أن هذه الجماعة التي تسكن
حوض الموصل وبالقرب من بنوى عاصم الآشوريين العابرة ، هي نسل
الآشوريين السابقين ، ويؤكد هذا الرأي الأستاذ ويغيرام في كتابه

(الآشوريون وجيرانهم) هم يتفقون في عاداتهم وعلماهم وملاح وجيرانهم مع الآشوريين السابقين ، فهم والحالة هذه نقابا دلت الشعب الجرجي انقضى ، وهم وأن كانوا من المسيحيين اليوم ، ولا يبعد أن يكونوا ما يزالون يعدون (آشود) رب الحرب وحامي الإمبراطورية القديمة الساسنة

، وتاريخ الآشوريين في الأجيال الماضية ، وبعد سقوط نبوي لعاصمة سنة ٦٠٧ قبل الميلاد لا يصطرب في كبير أمر ، وقد دخلت إليهم المسيحية بعد ٢٥٠ سنة من نشأتها ، وكانوا لا يزالون يعيشون في مواطن إمبراطوريتهم لعارة ، كدلت كان مصير نقاب الشعب الكاداني أو الدالي الذي كان يعيش على معربة منهم فقد اعدوا المسيحية مثلهم ، ولما كان الآشوريون شعباً نواها للاستقلال والحرية حتى في شئونه الدينية ، فقد راحوا يتهصلون عن الكنيسة الكاثوليكية ، ويعتصمون لأنفسهم كنيسة خاصة ، وبيرب هذا حالهم حتى العصر الحاضر ، فإن لم يطرر كاحصا هو رعيهم الذي والسياسي معا .

، وطن الآشوريون أعرايا عن الجماعات التي تعاقبت على حكم بلادهم وقد ساواتهم هذه الجماعات بالصف والطرف ، ولكمهم كانوا يتركون في أكثر الأحيان يعيشون على أسسهم ، وبمفرد عى المحافظة على نفق ليدهم وعقائدهم ، وكان أكثر ما رل بالآشوريين من الصف أيام تيمورلنك لما عرا لبلاد العربية وقد هربوا منه إلى الجبال وظلوا بها حتى قيام الحرب العالمية (الأولى)

، ويرغم ما كان يصيبهم من اضطهاد وعسف ، تمكن هذا الشعب من المحافظة على نفسه من الانحرام ، وظلوا قوما أشداء يعزون جيرانهم إذا وجدوا إلى ذلك سبيلا ...

و بعد اكثر الاصطدام بينهم ، انقسموا إلى شعبين ، ذهبوا إحداهم إلى
جنت فارس بسكنون فيها ، وعلى الدخول في بعض الجبل العرافيه ،
ولسكنهم م يعقدوا مزاياهم حصريه ، ملائمتهم لأزويهم حصريه ، حتى
أن من يراهم لأول مرة يحكم بأنهم من الآشوريين وإن كان لا يههم
وقد من الآشوريين يحفظون على انفسهم سرية في كائنهم وحوارهم .
و هم لا يراون يعيشون عشية مدود ، ويحفظون في ميوسهم عن
الأكرا . ولرعاة عندهم ورسه مستظم ، ماشه وحصان ، ويصار إلى
انتخاب الرعي أو الدفربرك من هذه الصانعة بشرط أن يكون عرب لأن
روح مطربك محرم عندهم

ولهذا اشتعلت براس الحرب لعائده الأولى ، ذهب الآشوريون
مترددين بادي الأمر ، ولسكنهم لما غلبوا بإعلان الترك للجهاد العام ،
اعزموا النزول إلى المعركة ومساعدة الحلفاء ، ومشي بعض رجال الدعاية
الروسية يحملونهم على حمل السلاح ، وبعدهم بوفرة الدخائر والأموال
وعبر ذلك ، وكان الترك قد وعدوهم بالإصلاح يوم إعلان الحرية ثم لم
يعوا بوعدهم ، مما حمل الآشوريين على الاعتقاد بأن مصائرهم لا تتم مع
مصائر الترك في سبب من الأسباب ، وأنهم إذا ساعدوا الحلفاء فقد
ينالون منهم ما لم ينالوه من أسبادهم لعارس ، فزعموا راية الثورة ونزلوا
إلى المعركة ، فلم يوفقوا في أول الأمر كل التوفيق بسبب الثورة الروسية
واقطاع المعونة عنهم من الروس ، وعدم تمكدهم من توحيد صفوفهم مع
البريطانيين في بغداد . ورح الترك يهاجمون معانقهم في الجبال الواقعة على
الحدود التركية العرافيه بشدة وعنف ، فلما رأى الآشوريون غاية الترك
في تطويقهم ، اعزموا مفادرة مواطنهم مهما كلفهم الأمر ، والقدرم إلى
المراق حيث ينتظرهم الجيش الإنجليزي .

وكان عمده شافا ، ومسيرهم في العراق في أرض تركيه أمراً صعباً
تحتويها الصحراء ، وكان مدرهم سبع الف درهم ثم قوس نصفهم إلى بغداد
وأرسلهم إلى بجليز في منازل خاصة ، وبصعوا لكل فرد منهم شطه جدي ،
وصل الحال كذلك مدة ثلاث سنوات حتى انتهت الحرب .

وكان مصير هؤلاء الأتوريين من الأمور انصهه القم بوهي الإيجين
إلى إيجاد حل لها ، وأسألوهم إلى الحكومة لداية تنظر في أمرهم ،
والعراق ، وإن كان غير كثير الاهتمام بشأنهم ، إلا أن الأتوريين لم ي
الحرب لتمامه ، ومعادرتهم مواطنهم بسنة ، حبه على العداية هم ولكن
سوء التناهم وعدم لآله كان أمراً واقعاً بين الشعبين .

وقد فكر بعض الأتوريين في أن تغطي لهم أرض على الحدود
التركية المرفقة بقيمرون بها ، وتؤسسون بها دولة خاصة بهم ، ولكن
هذا المشروع سقط من أساسه لصعوبة تطبيقه ، ولرفض الحكومة
التركية والعراقية له ، ولم يكن من الممكن إبعاد الأتوريين في المنازل التي
أرسلهم فيها إلى بجليز مدة الحرب ، فأرسل بعضهم إلى بلاد الكرد يعيشون
فيها ، ثم تجمع الخطة لاحتلاف الذهية بين الشعبين ، وراح جماعة
آخرون يعيشون عشة هادئة في أرض أعطيت لهم ، ساهن الحكومة
العراقية على الطن بأن المسألة الأتورية قد انتهت ، وأن الأتوريين سيعمل
عمالاً بشأها .

ولكن تدخس جمعية الأمم في الأمر أثار المسألة من جديد ، إذ
راح رجال الجمعية يقولون إن الأتوريين قوم ثائرون ، وأن الحق يقضي
بمردعهم إلى بلاد التركية ، وكانت مواطنهم فيها لا تزال بغير سكان ،
ولو أعطيت هذه الأرض للأتوريين لانتهى الأمر واستقر العدل في نصابه .

« أما نظريـرك الآشوريين (حارثيون) الذي شقـف في البحـر تحت
إشراف رئيس أساقفـه كاتـريري ، فعـد كان يريد الاستقلال لأمتـه وهو
استقلال كان من الصعب أن ترضى به العراق ، إذ لا يجوز قيام دولتين
مستعانتين في موطن واحد »

« وأيس إهتمام لعلم بالآشوريين ومصابـرهم يرجع إلى وجود هؤلاء
بين المسلمين ، من إن السب في ذلك يعود إلى النصيحة التي قام بها هؤلاء
أيام الحرب في سبيل الحلفاء ، ورسـد هذه النصيحة فقط ، كان العلم بطـر
إلهم نظرة عطف ورحمة .

الأكـراد

مد لغرب الرابع الهجري ، استوطن الأكـراد بعض أحياء امـام
الإسلام في عهد الدولة العباسية ، وأول مكان رلوا به أقدم جبالـة برطامـة
رثسهم حسـويه ، وقد تحدث عنهم الرحالة المسلمون فقال إن المهلب أحم
كأرا يدعون ٦٠٠٠٠ حصـه . أما دمشق فيقرر أن مديـنه شهر دور
كانت مديـنه عامـه يسكنها الأكـراد ، ويدكر المقدسي أن الأكـراد كانوا
فـائن استوطنت هذا الأقليم وعاشت على لزراعة ودعى العنـم وأنه كانت
هم فامة شايحه

وفي أقليم جباله ، انتهى الأكـراد ناحية العرب ، وأقاموا لأقـصهم
شه دولة عرفت في التاريخ الإسلامي باسم كردستان أي بلاد الأكـراد
ولم تقتصر إقامة الكرد على أقليم كردستان ، بل انتشروا في الشـمال
الشرقي من العالم الإسلامي المعروف وقتذاك ، فاستوطنوا كرهستان وسجستان
وعند دكرهم الرحالة ما ذكر مولو باسم مملكة « تونوكان » نسبة إلى مدنتيهم
الكبيرتين وتـذاك تونو وكان

والكرد شعب شجاع يحب الحرية ويتوق إليها، ولهم بمالدهم ولعنتهم ولم يؤخذ عنهم إلا الخلاف لدنهم من دعمتهم حول لإعامة ، ولولا هذه الخلافات لمتوالية بين دعمتهم لكان لهم في تاريخ لوسيط والارح الحديث شأن غير شأنهم اليوم .

والنقسم الجمراني الحديث ، أصبحت من احسن الاكادش فيه بين دول كبرى ثلاث : تركيا وإيران والعراق . وبدل لإحصاءات الحديث على أن ملوفا ودمع مليون مهم يسكنون في ارضى تركية ، ويسكن إيران ٧٠٠ ألف مهم ، يسكن العراق ٨٠٠ ألف

وفي العراق يقسم الأكراد شمال جبل عدرم وفي المنطقة الجنوبية الى تقع بين هر دجة ومطعة الحدود بين العراق وإيران

ولما كان هذا شعب الكردي يختلف عن الشعوب الثلاثة : التركي والإيراني والعراقي ، في اللهجة وعادات وبنية ليد ، فضلا عن أنه شعب لم يألف الصمم ولم يجمع للحكومة قويه حصروعا ناما في يوم من الأيام . فقد حاول الأكراد أن يتنعخوا في أحرمات الحرب الهلبية الأولى — مما فرده الرئيس وليس رئيس الولايات المتحدة — حتى الشعوب في تقرير مصيرها . فصاشرت جهود أكراد العراق وأكراد تركيا على المطالبة بإنشاء وطن قومي للأكراد . أما أكراد إيران ، بأنهم لم يندموا بنسب يذكر في هذه الحركة .

غير أن هذه الجهود الذي بذلها الأكراد كانت تدب في سبيلها أمور ثلاثة ، أهمها أن إنشاء مثل هذا الوطن دون أن يكون له مخرج على بحر من البحار يجعل الوطن الجديد غير مستوف لشروط الاستقلال ، كما يجعله خاضعا لجيرانه على ابدوام في السياسة والاقتصاد . هذا إذا صمم

جدلاً بأن تركيا من ناحية ، والعراق من الناحية الأخرى ، برصان
بقيام هذا الوطن .

أما العراق ، فكان لا يرعى محل أب يعقل عنه الوصول وهي
الولاية التي تسكنها عاصمة الكردية . وقد كان العراق وقتذاك منصوبه
إحتلال بريطاني لم يلبث أن أسس بائداب بريدي ، وفي كتي الخابن
كان العراق حاصراً يعود ابريدي في سببه الدولية على الأقل . وبذلك
وقعت الحكومة البريطانية عوقفا لا تحمد عليه بين مطالب أهل العراق
ومطالب الأكراد فكان من آثار ذلك أنها عثت مع مقررات مؤتمر
الصلح ، ووقعت شرع الأحداث .

أما تركيا ، فقد خرجت من الحرب العالمية الاولى كبيرة الجراح ،
وكانت سياسة الحلفاء تهرى على إصطاع كل ما يمكن اقتطاعه من ألاكها
كسراً لشوكتها . فلما عقدت معاهدة سيفر في ١٠ أغسطس سنة ١٩٢٠ ومن
فيها على أجابة مطالب الأكراد لمرافين والأتراك مع بعض التحدطات ،
حتى أنه كتب على معاهدة سيفر أن تقر في مدها . لظهور المهمة الكالية
في تركيا ، وبدأ قصى على آمال الأكراد في وطن مستقل .

ولما كانت بريطانيا تعمل دائماً على اجتذاب الأقليات محوها في البلاد
التي تسيطر عليها ، فقد أدلى المندوب السامي للعراق بتصريح للأكراد في
٦ مايو سنة ١٩٢١ قال فيه : إن المندوب السامي يصحح نص عيبه
الترتيبات الإدارية التي ينفى القيام بها من أجل مستقبل الأقاليم الكردية
في العراق ، وقد نعى إليه أن هالك غاوب من أن يقاسى الأكراد من
جراهم خصوصهم للحكومة الوطنية المنشأة في بغداد ، ومن أجل هذا السبب
وجدت بعض المطالبة بنظام استقلال ذاتي .

دوى نفس الوقت أعتقد أن رجاء الرأى لا كره مستهون تماماً
لثرواخذ الاقتصادية والصناعية تى ربط ماطهمم لشعب العراق ،
والنصائب لتي قد يتصمها نحصصه ، فى هذه الظروف يجب سمادته فى
أن يقف مصدر الإمكان على درجت الحقيقية للطائفة الكريه . وإذا
ما آثروا لهاء فى ص الحكومة العراقية ، إبه على إستعدادا لأن يوصى
بحس الدولة بحل على الاس الآتية

وقد قسم المندوب السامى بلاد الأكراد - الوقف ضمن الحدود
لعراقية - إلى أقسام ثلاثة الموصل ، وأربل ، والسليمانية

(أ) أما فى الموصل فتكون الإدارة لمنصرف بريطانى له رتب
بريطانيون يتدبرهم أكراد أو عرب يتكلمون لكردية، ويرصى عنهم
الأكراد . ويتبع هذا أقسم حكومة بغداد فى الشؤون المالية والاجتماعية
ويرسل ممثلين إلى الحمية الاستشارية . ويقوم المندوب السامى بإجراء
اتعميمات الإدارية الخاصة به .

(ب) أما فى أرس ، فيعمل المندوب السامى على تعيين موظفين
بريطانيين لإدارتها .

(ج) أما السليمانية فتعتبر متصرفية يحكمها منصرف يعاونه مجلس ،
ويعينه المندوب السامى ومعه مستشار بريطانى .

وواضح من هذه التعريف فى المعاملة أن الانتداب البريطانى قسم بلاد
الأكراد إلى ثلاث مراتب : أقربها إلى الاستقلال السليمانية ، ثم تاتى بعدها
الموصل . أما أربل فقد من عنها بكل شىء .

ومن العجيب أن أكراد الموصل وأربل قبلوا الوضع الجديد ، بينما

رفضته السلطانية ، واستهدفت إبقاء الحاكم السياسي البريطاني عليها مستمداً
سلطته من المتدوب الساسي .

وعندما دعيت البلاد لتفوق كبتها في اختيار الامير فيصل مدنا على
العراق ، امتنع لواء السلطانية عن التصويت في حين صوت أكراد الموصل
وأردل إلى جانب فيصل مع تحفطات طالموا فيها . يتحارب إجراءات تحقق
لهم الحكم الذاتي .

ولا يستطيع أن نودح للأكراد في العراق دون أن يذكر طرف من
سيرة رعيمهم الشيخ محمود . فهو شح من كبار شوخهم تعرف أمرته
يامم النورنجية وكانت تمتع في القرن التاسع عشر بعبود روجي وزمي
في السلطانية أيام الحكم التركي . وهذا شار شيخ خود على سلطات التركية
عام ١٩٠٨ ، وطن شترا عليها ، يترك عبوده تارة وببصوى على نفسه
تارة أخرى . حتى كانت الحرب العالمية الأولى ، فحصل البريطانيون على
استطيع أن يطلع لبلاده الاستقلال على إداره تركيه . وصم جماعه إلى
الجيش البريطاني اراحهم ، فضل على انسجام مع القوات البريطانية المحتلة
للعراق حتى كانت سنة ١٩١٩ وما طالب الأكراد برعاية الشيخ محمود بحق
تقريباً من مصر . ولم يفتش لمصالحه بطانين به الأكراد ، وأمر في وجه
البرطانيين ، صدر الأمر بعده مع أخيه 'شيخ عادر' ولم يكن من الذين
على الأكراد أن يفرطوا في عهدهم الروحي . هذه السهولة ، فتولت
إيطاليا بعودته وأخير 'شيخ عادر' الحكومة له بطانية مطالب أكراد
السياسية . وعام الشيخ محمود في وطنه في أكتوبر سنة ١٩٢٢ وعين
حائلاً على السببية . إلا أنه لم يمت أن يأمر مع أمهاتر بعبوده على
الحكومة العراقية ، فدادى نفسه بعد شهر واحد من عودته مدنا
على كردستان وتدعى المصادر البريطانية أن الأكراد يقسموا وودت إلى

متطرفين ومعتدلين، وأن الشيخ محمود كان يمثل المتطرفين سياسته التي لم يفرق عليها المعتدلون . وأيا كانت الحال ، فإن الحكومة البريطانية والعراقية لم تجداً بداً من إصدار تصريح مشترك يعترف بحقوق الأكراد في أرض العراق في أن يؤسسوا حكومة كردية بالتعاون مع حكومة العراق لم يرض الشيخ محمود عن هذا التصريح الذي لا يمدو في نظره أن يكون مجرد وعد مشروط . فقام بمهاجمة كركوك فتحركت القوات البريطانية وطردت قوته . إلا أن كركوك خُشب ، بل من السلبية أيضاً . وروعة من جانب حكومة عراق في تأليف حزب الأكراد ، فرد بحسن الولاء العراق في ١١ يونيو سنة ١٩٢٣ أن تكون للأكراد الامتيازات الآتية —

١ — عدم تعيين موصفين من العرب في مقاطعتهم

٢ — عدم فرض دية العربية عليهم

٣ — طعن الحقوق المدنية والدينية لهم

وبذلك أمكن أن يشترك الأكراد في الانتخابات عامه سنة ١٩٢٤ لم يقع شيخ محمود هذا الوضع المستقر وأه الحكومة واستطاع أن يستعيد السيادة خرجها به الجيش العراقية وهوات الانتداب ، وطلبت نظارده تارة وتسمية أخرى حتى كانت سنة ١٩٢٧ سحب الشيخ محمود من الأراضي العراقية يعيش في إيران ، إلا أنه بدل في سنة ١٩٣٠ محاولة للتدخل عسكرياً في شؤون العراق وانكمش بالفشل . أما عامة الأكراد بعد انسدادوا — في حذر — الحكومة العراقية . وبذلك أنهم يشتركون في انتخابات سنة ١٩٢٨ ثم يقدمون عدكهم إلى رئيس أولاء يسبحون فيها حكومة عراق وعودها ، ويطالبون بزيادة ميزانية التعليم والخدمات العامة ، واثباتها كمرتبة خاصة وقد أجدت

حكومة العراق هذه اصاب إلاما يختص بإدارة الكردية المستقلة .
ولما دارت المعارضات بين حكومة العراق والحكومة البريطانية اشترى
إليها الانتداب والاستعانة عنه معاهدة تحالف بين الدولتين حتى
الأكراد أن يعرّد العراقيون ، لتصرف في شئونهم ، وبمقتضى الجمعية
الأممية للإتداعات كمنهم مؤوّه الكفاح ، فصالت بأن تقدم الدولة الجديدة
صمات جديدة خاية الأقليات الجنسية والعربية والإندونيسية حماية كافية . فصدر
من بغداد في ٣٠ مايو سنة ١٩٣٢ تصريح حول معاملة الأقليات جاء فيه :
(المادة الرابعة) : كل المواطنين العراقيين متساوون أمام القانون ،
ويتمتعون بنفس الحقوق المدنية والسياسية دون تمييز بين الأجناس
واللغات والأديان ، وسوف يحصل لهم الانتخاب تمثيلا عادلا للأقليات
الجنسية واللغوية والدينية في العراق . ولا تعرض أية قيود على كامل حرية
المواطن العراقي في لتعاطب بأية لغة .
وفي ظل الحكومة الجديدة ، حدثت بعض لقلقل في بلاد الأكرا
زعامة ملا مصطفى الذي كان معتقلا في السليمانية منذ سنة ١٩٣١ ، ولكن
الحكومة العراقية كانت تسيطر على الموقف في كثير من الأحيان .
ورار ملا مصطفى مدينة بغداد في فبراير سنة ١٩٤٤ ، بصحبة مجموعة
من الزعماء البرزانيين ، وقدموا ولائهم للرش العراقي وفق شروط وافق
عليها الطرفان تحفظ للحكومة حينها . وتؤم الأكرا على مصالحهم القومية
وفي أغسطس سنة ١٩٤٥ ، ثار ملا مصطفى مرة جديدة في شمال
کردستان ولكنه لم يوفق ، فعرض الحدود مع بعض رجائه متجما إلى
کردستان الإيرانية حيث أمهد مقامه فيها .
ولا يهوتنا أن يذكر أن رجال الحكم في العراق لم تكن لهم في يوم
من الأيام حرية البطش بالأماق القومية الكردية لسبب :

الأول : ما عرف عن الأكراد من قوة الشكبة ، وما وجهتهم الطبيعية من بلاد لاسهل الوصول إليها . وآية ذلك أن المسافر — حتى ولو كان مسلحاً — لا يستطيع أن يدخل أرض الأكراد إلا في حماية رعيهم من رعاتهم ، مهما حدث صلتهم بالحكومة العراقية . لا بل إن حسن صلتهم بالحكومة العراقية تكون دافعاً من الأسباب التي توجب التسكؤ في السماح له بالدخول

الثاني : أن العراقي العربي منقسم إلى شعبة وسنة . وتكاد تتساوى الكفة بين العريقين . والأكراد من المسلمين السنيين ، وكذلك هم الذين يرجعون كفة لسنة على كفة للشيعة إذا كانوا على صفة طيبة بالمراجع العليا (وكلها سنية) لذلك يرى رلاء الأمور من السنيين يخرجون على أن لا يصحوا الأكراد إعصاءاً يخرجهم عن دائرة الاعتماد عليهم في الشؤون الانتحائية والبيانية

• • •

والآن . وقد انتهت من تصوير المرح الذي جرت عليه الحوادث ، نبدأ بالحديث عن مجريات الأمور في العراق .

• • •

وتصور السيدة سبتون ويلز ، في كتابها (بريطانيا والدول العربية) الموقف بين العراقي وبريطانيا على الوجه الآتي : —

« في الوقت الذي دخل فيه العراق في دائرة النفوذ البريطاني لم تكن لدى بريطانيا سياسة مقررة لهذه البقاع ، وهذا راجع إلى حد ما إلى وجود مدرستين للتفكير في بريطانيا فيما يختص بالشرفين الأدنى والأوسط والشؤون العربية . ولم يأخذ المندوب السامي البريطاني في مصر على عاتقه

مهمه علاقات الحكومة البريطانية بالشؤون العربية . وكانت سابقا تنح
حكومة الهند إلا من مارس سنة ١٩١٧

وكان مكتب الشؤون العربية انعاش في القاهرة ، والذي كان يش
وزارة الخارجية البريطانية ، ينظر إلى الأمور من زاوية البحر الأبيض
المتوسط ، ولم يكن يهتم بالهند إلا على طريق غير مباشر . ومن أجل هذا
أيدت الأسرة الحاكمة ، بصفتها أنسب أداة لتحقيق أهدافه . أما المدرسة
الإنجليزية الحديثة فقد كانت تنظر إلى السياسة العربية من زاوية الهند
والخليج لغارمي . ولهذا كانت تحصل أيد من السعود على تأييد الحسين
شريف مكة .

و قد أدت رغبة حكومة الهند عن إثارة العرب ضد الأتراك ، خوفا
من حدوث رد فعل في الهند ، إلى هذه الجنود العرب غير النظاميين في بلاد
العراق .

وهذا كانت مرااكر القومية العربية تقع خارج العراق ولكن
نمى الباربر من صباط فيصل كانوا من العربيين الذين بدروا في الجيش
التركي . ومع أنهم كانوا صباطا في جيش الشريف ، إلا أنهم كانوا ما من
عامي ١٩١٧ و ١٩١٨ جمعية تسمى « عهد العراق » هدفها ضمان استقلال
العراق . وقد يكرى من أهدافها أيضا تحقيق نوع من الانسحاب (سوريا .
و قد فقد أعضاء هذه الجمعية — من أمثال نوري السعيد وحميل المدقمي
وجعفر العسكري — مراكز عليا في دولة العراق الفتية

و قد احتلت لغوات لبريطانية العراق كجزء من الإمبراطورية
العثمانية ، فسقطت بغداد في ١١ مارس سنة ١٩١٧ . وصارت حكومة
عسكرية ، ولكن في المناطق التي كانت خارج نطاق العمليات الحربية ، قام

بالإدارة مستشارون مديون ، اختيروا من إدارة لحد السياحية
وكاوا يتمتعون السلطات العسكرية .

• بتاريخ ٢٩ مارس سنة ١٩١٧ ، صدرت وثيقة توضح أن حكومة
صاحب الجلالة ، وإيسعه حكومة الهند هي التي تقوم بإدارة أراضي
العدو المحتلة .

• وفي أكتوبر سنة ١٩١٨ نشرت مبادئ (ولس) الأربعة عشر
وأحدث بشكل وكما الاستقلال . وقد نصت المادة الثانية عشرة على
أن يضمن للموحيات التي كانت حاصصة للحكم التركي الأمن على حياتهم ،
وأن يسمح لهم بالمال ، دون إصرار بهم ، للتطور نحو الحكم الذاتي . .

• وكان من الصعب إلى حد كبير التعرف على دعوات لسكان الوطنيين
وذلك لانقسامهم ، فقاموا لا أمل في علاجه . وقد أدت سياسة التسوية
بعد حرب ١٨/١٤ تلك لسياسة التي نشأت عن الخط ، في معالجة معاهدات
الصلح ، وما ترتب على ذلك من حاجة الحكومة الإدارية إلى سياسة
صریحة ، وما أصاب العرب من حيرة لآمالهم بعد المسألة السورية . .
كل هذا أدى إلى إردبار الساحة على التعريط بين ، وتجاوز هذا بدوره إلى
إثارة الخواطر ضد بريطانيا .

• وفي أبريل سنة ١٩٢٠ ، نصت حكومة صاحب الجلالة الانتداب
على العراق بعدة تمهيلات ريمو ، وأعلن ذلك في العراق في ٣ مايو .

• ولكن في تلك الأثناء حركت اندواع الأهلية والدينية رجال
العشائر إلى عديم بالثورة وقد اقتضرت لثورة ابرسية على منطقة
أواسط الفرات وديار الآذني ، ولم يمتد إلى عشائر الصحراء ، عشائر
ديجله ، وانصهر نشاطها إلى حد كبير على حمة من الموظفين السياسيين

الذين بقوا في ماضيهم . ولم يحل اكتوبر حتى كانت الثورة قد قصى عليها إلى حد كبير ، وفي هذا الوقت بدأت وصل السير برسي كوكس باعتباره أول مندوب سام .

وبما كانت هذه الأحداث تجري في العراق ، كان الفرنسيون قد فرّوا في سوريه لإبعاد الأمير فيصل عن البلاد ، بعد أن اتهموه بتدبير المقاومة الوطنية للجيش الفرنسي . فاستقسم فيصل ، ورحل عن دمشق في ٢٨ يوله سنة ١٩٢٠ وسافر إلى إيطاليا ينظر تطور الأمور .

وبما كان فيصل مقبلا في إيطاليا ، كان العراقي يعنى بالثورة ، والأموال البريطانية والأرواح البريطانية ، في مصرعها في قبلى العراق ، بما أثار الرأى العام في بريطانيا ضد سياسة الإنفاق على الجيوش فيما وراء البحار بما كان سببا في مصاعبه لهرائب ، وحرمان الشعب من كثير من ضرورياته .

وهنا وجدوا السياسيون البريطانيون فرصة لإحالة هذين في وقت واحد ، اتصلت الحكومة البريطانية ، بفصل ، ورشحه ملكا للعراق ، في ذلك إرضاء للعرب وتحقيقا لشيء من آمانيهم ، وتعليلًا لنفقات الانتداب وما استنزاه من مال وعناء لقمع الاضطرابات

فيصل ملك العراق

قبل أن نتحدث عن فيصل ملك العراق ، يجدر بنا أن نشير إلى ملايشتين هامتين في تاريخ هذا الزعيم العربي .

أما الأولى فهي أنه ابن الشريف حسين ومبعوثه إلى أوروبا وبريطانيا للدفاع عن قضية العرب كما كان يراها الحسين . والعالم الإسلامى بين محبذ

وما قد لتصرفات آل الحسين في عصون الحرب العالمية الاولى ، وقد يكون الناقدون أكثر عدداً وأعظم قدراً من امجدير ، ولذلك أحاطت بالملك فيصل هذه السحابة . وتوافع أن آل الحسين لم تنج لهم الفرصة في يوم من الأيام للدفاع عن وجهه بصرهم ، ولعلمهم لو أتاحت لهم الفرصة لكان نصيبهم من المديح أكثر مما هو عليه ، ونصيبهم من النقد أقل مما هو عليه . يضاف إلى ذلك أن سلوك الملك عبد الله بإدارة الدول العربية في السنوات الأخيرة قد جلب عليه سخط العالم لعربي ، وما لاشت فيه أن ينص هذا السخط قد تمدها إلى ذكر أحبه فيصل .

أما ثانياً . فهي أن فيصل كان صديقاً حميلاً لـ لوكول لورنس وكان يشق في مشورته ويأخذ رأيه . وقد ساهم لورنس إلى العمل على ما فيه مصلحة بريطانيا ، سواء أكان ذلك سرورية أم بالعراق . وفي يقينا أن فيصل لم يكن خارجاً عن لوطى مرقى — سواء أكان ذلك الوطن الحجاز أم سورية أم العراق . ولم يكن حائلاً لفكسية العربية . وإنما كان رجلاً يعتقد أن صداقة البريطانيين كفيلة بأن تحقق أهدافه العربية . فكانت كل تصرفاته صدى لآمرس . لأول أن مما يستحق فائدة كبرى للعرب قد تتعرض لـ زوال إذا هو ترجع متأثراً بعدد أو ملامه ، والذي أن هذا الذي يستحقه معق عليه مع البريطانيين ، وأنه — لو خافهم — لتعرضت المصلحة العربية للموت .

أما مدى الانسجام بين موله الشخصية والمطالب القومية العربية ، فقد كان فيصل يرى الانسجام تماماً بينهما . ولا رجة لتعارض المصلحة بينه وبين عامة العرب .

ومن حيرة من كتبوا عن الملك فيصل في العراق انسيده أرسين وهي
بحاجة في تاريخ العرب أتاحت لها فرصة الاتصال بالملك والجلوس إليه
والتحدث معه في شتى الشؤون العربية عامة ، والعراقية خاصة .

وقد نشرت كتابها فيصل ملك العراق ، في سنة ١٩٣٤ وهو كتاب
لا يحلو من تقدير خاص لفيصل ، إلا أنه يحتوي على كثير مما لم يتيسر
لغيرها الحصول عليه .

تقول الكاتبة في الملك فيصل وصل إلى البصرة على ماحرة حربية
بريطانية ، فاستقبلها استقبالاً بنفسه شيء من المرح ، لم يطلق فيه الناس
للمواطنين أصوات ، وتعد ذلك بأن البصرة كانت ترعب في إداره مستقلة
عن العراق ، وأنها لم تكن ترجو في النظام الجديد خيراً كثيراً .

أما في بغداد ، فقد عادر الملك مكانه في القطار لاستقبال تهاى المدوب
السامي (السير برسي كوكس) وفائد الجيش العام ، وصهو الذين اجتمعوا
حول المحطة من مختلف الطبقات الشعبية بلامير ، ما رح يقدم الطويبا
بباسباه اخميل ، وقامته العاليه ، يستمرص حرس اشرف ، ثم اسلم على
رجالات العراق من رسميين وغير رسميين ، الذين أحد المدوب السامي
يقدمهم له .

وتقول في وصفها لأيامه الأولى في بغداد .

واحتملت به الحاجة اليهودية احتمالاً شائفاً في منزل الخاخام الأكبر ،
فتنصح فيصل كل لجاح في لتأثير على المجتمعين . ولما حظهم أشار إلى
صروره لتعام بين العرب واليهود ، الذين تربطهم بعضهم عنصرية واحدة
هي العصرية السامية ، كما أنه أشار إلى التأييد الذي بولاه به الإنجليز .
وكان يصرح ويؤكد بالأهلياب أنه مقيم على مبدأ المساواة في الحقوق

والواجبات بين الرعية ، على اختلاف مذاهبهم الدينية وتعدد نزعاتهم ،
ويروح يقول : نحن عرب قبل عيسى وموسى وعهد ،

وقى وصفا زبارة اهلك فيصل لعرب العمارات والمدليم في مضاربهم
تهم السيدة بأن تورد لنا نصاً من كتاب الأستاذ بريحاى إذ يقول : إن
الزعيمين لما يابعا فيصلا قالاه :

إننا ببعك لأن الإبحر قانون بك .

وقد دبر الإبحر ذلك ودرروا الحملة لهذا العرس ، لكن يسمع فيصل
بأن الإنجليز هم أرادوه على عرش ، وأنه يولاهم لا تمكن من الوصول إليه .
وقد طلق الميث هذه الكلمة بعد رحب ، وسمة عدة ، وأطلق
أظه إلى الانه جرتود ، السكرتير ، الشربة في رار المدبوس السام ،
وكامت في ركب اهلك ، وهو ينتم ابقامه ربيعة امبرى ثم هـ .

إن علائقي مع الإنجليز معروفة ، ولا أحد يشك بها ، وموفقى العرب
كذلك معروى ، إنما يجب عيباً أن تصلح شئوا بحس العرب ، ويجب
هليتنا وحدنا أن نخضع كل ما بيدنا من خلاف

وتحدث المؤلعه هـ يوم التوقيع تقول .

ويقان هذه المناسبة إن المستر نثرش أرقى في ذلك الحين يطلب أن
يعترف فيصل في خطبه لتوقيع بأن السلطة العليا في البلاد هي المعوصية
البريطانية .

بيد أن فيصلا أن ذكر شئ من هذا ، ثم اراح يشير ، ولا بإشارة
هامة ، إلى لسلطة العليا أو إلى الانتداب ، وإنما حصر كلامه بالمعاهدة
لتى ستعقد بين العراق وبريطانيا ، وتعهد بأن يراها ويدخلها في صلب
الاستور الذى سنسته المجلس الوطنى .

ومما يحد ليحصل أنه وقف هذه الوهبة من السياسة البريطانية على الرغم من أنه قبل عرشاً لم تثبت دعائمه . فقد كان المندوب السامي كل شيء في البلاد . صحيح أنه منذ نوفمبر سنة ١٩٢٠ تأسس مجلس دولة لإدارة الشؤون الداخلية ، على أن نمرود حكومة الانتداب بشئون الجيش والشؤون الخارجية . ومع ذلك فقد كان سلطان هذا المجلس صورياً لأنه مسئول أمام المندوب السامي لا أمام الشعب .

ومر عام كامل على هذه الأحداث ، كان العراق يضطرم فيه ثورة أشعلها مجتهدو الشيعة على الانتداب وأنصار الانتداب ، واطلق الخطباء في كل مكان ينددون بعهد الملك فيصل ويرمونه بأنه عطل سير البلاد نحو الحياة الدستورية ويستسلم لحكومة الانتداب . ويصالحون أن لا تعقد معاهدة مع بريطانيا إلا بعد صدور الدستور .

وحدثت من جراء ذلك أزمة بين الملك والمندوب السامي ، وطالب المندوب السامي باعتقال سبعة من الرعماة ، ولكن الملك قبض فقط ذلك وهو على سرير المرض ينتظر إجراء عملية جراحية له . فاعترض المندوب السامي بالأمر وقبض على الرعماة السبعة وذهبهم إلى جزيرة جيهام في خليج العجم ، وأعمل الباديين الوطنيين . وعطل جرائدهما واستنسل الجيش البريطاني في قمع الثورة التي اندلع لها في أنحاء العراق ، فكانت الاضطرابات الحربية البريطانية ترمى مواطني القسطنطينية بالمشورات فتبناها القبايل ، كل ذلك والملك طريق المراش على أثر العملية الجراحية التي أجريت له يوم أزمة اعتقاد السم .

ولما أبى الملك من المرض ، بدأ يعالج الموقف بين العراق وبريطانيا بشيء من الكياسة والحزم اللذين عدهما الأيام له . وقد لعب فيصل في

هذه الفترة دوراً تاريخياً للترقيين فيما بين العراقيين الذين يشتمون بوعى سياسى، والذين صاغوا منذ البداية نظام الانتخاب ، وتطلعون الى دفع الى بين الاستقلال وبين الدولة صاحبة الانتخاب التي كانت تريد أن تضمن على صداقة العهد الجديد لها .

وقد أسفرت هذه الجهود عن عقد هذه صداقة بين بريطانيا والعراق وكانت بية البريطانيين قد بينت من قبل على أن لا تكون المعاهدة إلهاءاً لنظام الانتخاب . في ١٧ نوفمبر سنة ١٩٢١ أدلى المستر فيشر في مجلس عصبة الأمم بالتصريح التالي :

« يجب أن يكون معروفاً أن المعاهدة المقترحة تهدف إلى تنظيم العلاقات بين حكومتها صاحب الجلالة كدولة صاحبة السيادة ، وحكومة العراق العربية . ولا يقصد من المعاهدة أن تكون بديلاً لنظام الانتخاب الذي سوف يظل الوثيقة نائمة المعمول إلى تحدد التمهيدات التي تعهدت بها حكومة صاحب الجلالة أمام العصبة .

أدرك هذا التصريح موجة من الاستياء بين العراقيين ، وشيخ أمثـل فيصـل لمعالجة الموقف للتوفيق بين أمان العراق وإتمام الانتخاب ، وتمسكت لبريطانيين به ، فم تر بريطانيا بدأ من أن تصدر في ٢ سبتمبر سنة ١٩٢٢ تصريحاً جديداً على لسان اللورد مارمور أمام عصبة الأمم جاء فيه :

« انه لم يعد فرى أنه من العمى اتخاذ شكل الانتخاب حتى من أجل تنظيم تمرداتنا أراء . لعصبة . فإن فكرة الانتخاب ليست مستباعدة لدى أهل العراق الذين يعتبرونها نوعاً من الوصاية لا يتشبه مع الحقائق كما هي عليه اليوم ، ومع القدر الكبير من الاستقلال الذي حصلت عليه دولة العراق بالفعل ،

وفي ظل هذا التصريح، أمكن وضع مشروع معاهدة صداقة في أكتوبر سنة ١٩٢٢ ظل موضوع الأحد والرد في الدوائر العراقية، وألحق به في أبريل سنة ١٩٢٣ بروتوكول ينص على أن المعاهدة سوف تذهب إلى قبول العراق عضواً في العصبة، وبذلك أمكن للجمعية التأسيسية أن ترمم المعاهدة مع إعلان احتجاجها.

ثم توالى التسويات، في صورة معاهدات أو تعديلات، في مارس سنة ١٩٢٤ وفبراير سنة ١٩٢٦ وديسمبر ١٩٢٧.

غير أن هذه المعاهدة الأخيرة لم يوافق عليها العراق ما احتوته من شرط يتعلق بقبول العراق في عصبة الأمم إذ جاء فيها، بشرط أن يجري الأمور على ما يرام في فترة الانتقال، وأن تستمر النسبة الحالية للتقدم،

وفي عام لسيبرجارت فلايتون، المدبوب أسامى وقتذاك، بالعمل على تعديل هذه الصيغة، فأقنع حكومته بالاستعناء عن هذا النص، وأبلغ الملك فيصل نجاح مساعده، وبذلك نهأت الظروف لعقد معاهدة جديدة.

وفي ٣٠ يولييه سنة ١٩٣٠ أقرت المله هذه الجديدة بنى نص فيها على الحرية الكاملة في التعاقد، والمساواة والاستقلال بين الطرفين المتعاقدين، وجمعت مدة المعاهدة ٢٥ سنة من بدء تنفيذها الذي جعل رهناً بقبول العراق عضواً في عصبة الأمم.

وفي مقابل الروول على رعات العراقيين فيما يخص بابها الانتداب وفول العراق عضواً في عصبة الأمم، ألحق بالمعاهدة ملحق عسكري يحتوي على مسعة بنود تضمن تأمين القوات البريطانية البرية والبحرية والجوية في الأراضي العراقية، وتجعل بتقدير أعدادها رهناً برعة الحكومة البريطانية، وتلتزم العراق القيام بجميع تسهيلات الممكنة لهذه القوات.

وأن يقوم حرس عراقي - على هيئة الحكومة البريطانية - بحراسة
الموانع الجوية ، كما نص على توحيد التدريب العسكري بين قوات
البريطانية والعراقية ، وأن يكون للجيوش البريطانية حرية المرور في
الأراضي العراقية واستعمال وسائل النقل المرمقة كما يؤذن للسفن
البريطانية الحربية في «رمادة» شط العرب بشرط إعلان جلالة ملك
العراق قبل هذه الزيارات .»

ورغبة من جانب البريطانيين في وضع المساعدة موضع التنفيذ ،
واستجابة لرغبت العراق في عضوية عصبة الأمم ، أرسلت الحكومة
البريطانية إلى العصبة مذكرة تركز فيها دحون العراق العصبة دون قيد
أو شرط .

فما أوجعت بريطانيا خوفاً من أنه لا قبل هذه التركة . نظراً لما
أبداه بعض الأعضاء من ملاحظات ، فادرت بتكليف المندوب السامي
لسير هرسيس مهم من بأن يدلي بالهرج لتألي أمام اللجنة الدائمة
للأمم في ١٩ يونيو سنة ١٩٣١ ، أن حكومة صاحب الجلالة اتقدر
مسؤوليتها في تركية لسمح للعراق بدخول العصبة وهذا في رأها السبيل
انفرد على الوحيد لإنهاء الاندثار وإذا فلت أن العراق غير جدير بالثقة
التي وصفت فيه ، فإن المسئولة الأدبية في هذه الحالة تقع على عاتق
حكومة صاحب الجلالة ،

عندئذ أصبح قبول لعراق في العصبة أمراً مفصلاً ، وفي ٢٨ يناير
سنة ١٩٣٢ وافق المجلس على قبول العراق في العصبة ولكنه اشترط عليه
أن يتعهد بصلح حقوق الأقليات . وإقامة القضاء والقانون الدولي .

وفي ٣٠ مايو سنة ١٩٣٢ وقع لعراق التمهيد المطروب وصار عضواً

في عصبة الأمم وراثت صفة المدبوب السامي البريطاني وأصبح يمثل
بريطانيا في العراق هو السفير البريطاني

من المعاهدة البريطانية العراقية إلى قيام الحرب العالمية الثانية

صار العراق دولة مستقلة ذات سيادة ، يحكمه ملك انتخبه الشعب
بأغلبية ستة وسبعين في المئة من الأصوات ، وتدير شؤنه وزارة مسئولة
دستورية

غير أن قيام الأحزاب السياسية في العراق لم يكن وليد التطورات
الدستورية أو الاختلاف في وجهات النظر من الناحية الدستورية ، وإنما
كان صدى للاختلاف في العمل بين جيلين من أبناء البلاد : الجيل القديم
الذي رى في لاسباه وتعدي ببلال نظام تركي في السياسة والإدارة ،
والجيل الحديث الذي ، في عتوه ومعارفه في ضوء العمية الحديثة ،
المأثرة بأساليب الحكم لديمقراطية ، ووسائل المداخلة الحزبية كما تعرفها
الدول العربية في اسطلم الدستورية .

بصاف إن ذلك أن الأحداث السياسية في العراق في هذه الفترة لا يصح
أن تدرس مرادى ، بل إن كثيراً من أحداث الدور العربية المجاورة قد
أثرت في سلوك الزعماء العراقيين ، كما أن اليهود الشخصي الكبير لزعماء
قد أثر بدوره في مخربات الأمور ، بينما مآثر هذا اليهود ذاته مدأ وجوراً
بحسب صلة الزعماء بدار لسمارة البريطانية ، ومن بين هؤلاء من كان
ولا يزال يعتقد في إحلاص أن مصلحة العراق تتحقق بحسن التعاون بين
الحكومتين البريطانية والعراقية .

ومن أروع ما سميت به العراق في هذه الفترة الإغواء الذي بدأ على
الملك فيصل ، واعتلاء صحته تحت ضغط العمل المواصل ، وقد توفي

جلائه في سويسرا عام ١٩٣٣ . أم خنمه علي لعرش ، الملك د عاري ، .
فكان لا يزال يافعاً تفقه التجربة والمران ، وذلك انحطت معرة العرش
لعراق في ميدان السكك مع اتحل محلها الأحزاب السياسية ، ورعاؤها من
ذكرها أو صافهم ، فتأثرت السياسة الحزبية بمؤثرات لا تمت إلى الحرية
الصحيحة بأكثر مما تمت إلى شخصيات الرعام .

وقد أصبحت هذه الحما من لفتق أدم الجيش العراقي فرصة التدخل
في شؤون الحكم ، فإذا بالجنرال بكر صدق يترغم انقلاباً في أكتوبر ١٩٣٦
ويرغم وزارة الجنرال ياسين الهاشمي على الاستقالة بعد أن يهدده بصرب
بعداد من الجو . وقد حل العرف ، وفر كثير من رعاها العراق ، وسيطر
الجيش على البلاد . ولم يمس على هذه الحركة عشرة شهور حتى اعتيل بكر
صدق في أغسطس سنة ١٩٣٧ وبألفت ورده جيل المدعي ، فاستمرت
في الحكم إلى ديسمبر سنة ١٩٣٨ حيث استطاع وردي السعيد أن يسيطر
وأن يؤلف الوزارة الجديدة .

ولا يعود لنا أن نمرر أن هذه الفترة نقطة المصيرية من تاريخ العراق
السياسي كانت صما فترة القلق العالمي من جراء تصرفات محور روما -
برلين . في خلال هذه الأعوام نشطت النازية في ألمانيا والعاشية في إيطاليا
وتعمدت إيطاليا الحفاء باحتلال الحبشة ، وأشاع لمحور في أنحاء العالم نوعاً
من الدهر وحوف الحرب مقرونة بدعايات مشيرة ، حص العالم لعرف ،
ومن بينه العراقي ، بالكثير منها .

وقد كانت هذه نعيمها الفترة التي طالبت فيها مصر بتحديد مركزها
بإزاء الاحتلال البريطاني . ونطمت الأمور بينا وبين بريطانيا في معاهدة
سنة ١٩٣٦ ، كما كانت فترة الثورة العربية الكبرى في فلسطين .

فأيا اضطرت الأمور في العراق بما يحيف البريطانيين على مصالحهم
فلا سبيل لاستقرار الأمور إلا بأن يتولى الوزارة رجل تعتقد بريطانيا
أنه يؤمن بمصداقتها ، ذلك هو اسماعيل المحجوب بوري السعيد .

وفي ٤ أبريل سنة ١٩٣٩ قتل الملك غازي في حادث سيارة ، وانتقل
العرش إلى ولده فيصل الثاني ، وهو حبش قاصر في الرابعة من عمره ،
فأشبه بالعرش مجلس وصاية على رأسه الأمير عبد الإله ، وهوشاب باي
علموه في كلبه (مكتوريا) الإنجليزية بالاسكندرية فأوجس العراقيون
— من ذوي الميول الخورية — من وصايته ، وسعوا إليه كثيرا بما
كان يحدث . فلم يأت في مصلحه بريطانيا

العراق والحرب العالمية الثانية

أعلنت الحرب العالمية الثانية والثوري أي تمردع لسلطان في العراق
انتفاش بوري السعيد وحربه من يعتقدون بقومهم أن مصير بلادهم يربط
أشده لا تماض بمصير بريطانيا ، وأما الخير كل الخير في أن تعاون العراق
علما وقالوا مع الحلفاء . وفتح رجال الجيش ، وقد أحدثهم المنحجية
العربية العراقية ، واعتقدوا أن هذه هي حيز العرص للحلاص من سيطرة
بريطانيا ، وقد أسهوتهم كما استهوت عامة الشعب ، من الشعوب العربية
والإسلامية ، الدعية في كان بلناتحور روما رلين ، واسطة أعوانه
بين حين وآخر ، ونواسطه ادبائع على الدوام

كان بوري السعيد على رأس الوزارة العراقية ، فقرررت الحكومة
قطع علاقاتها مع ألمانيا . وفي الحال ترح عن البلاد كل الألمان الذين
كانوا يقيمون ، واسكن رجال الجيش لم تعجهم هذه العجلة في التصرف

في مصائر بلادهم ، فاستقالت الوزارة ، وبألفت وراثة جديدة برئاسة رشيد عالي الكيلاني . ودخل هذه الوزارة نوري السعيد ووزير الخارجية لها تمت الوزارة بقطع العلاقات مع إيطاليا ، تدخل الجيش ، فاستقال نوري السعيد ، وظل رشيد عالي الكيلاني بها بين أماني الجيش ومطالب الحل ، وآخر أخيراً أن يخرج إلى جانب الجيش ، فاستقال في يناير ١٩٤٦ وفي هذه الأثناء كانت حرب فلسطين ودخل رجال المحور بعضهم وقسمهم إلى سورية ولبنان ، وظل لشرق لعربي أن الحرب قادمة على أرضها التي يتمها ، حرب ، وهي إمام العلماء وانصار المحور . وهكذا والسلم الأحداث في العراق مراراً

في أبريل سنة ١٩٤٦ قامت على أكشاف الجيش حركة ينزعها رشيد عالي الكيلاني ، ولإيقار البلاد بما يراه على يد الوصي على العرش ورجاله ، فأجليت الوزارة عنه من الحكم ، وألف رشيد عالي الكيلاني حكومة الدفاع الوطني ، من رجال الجيش ، ثم طلع الوصي على العرش فخرج نوري السعيد ونقية الورداء في شرق الأردن وسورية

وحيل للكيلاني أن الأمر بينه وبين بريطانيا لا يبدو أن يؤكد لها رعيته وانتمائه اتحاداً على المهادنة البريطانية العراقية وتمهيداً إلا أن بريطانيا ، وهي تخاصم معركة موت أو حياة ، انطوت إلى موقف ظرة تختلف من هذه كل الاحتمالات ، فهذا رجل ثائر على العرش ، قام بانقلاب عسكري قد يعرض النصر الذي يتمتع به الخلفاء للخطر ، بذلك لم تلتك الحكومة البريطانية في العمل . فأنزات في الحان قوات بريطانية وهدية في الحصة فهاج هائج العراقيين ، وطعنوا أن بريطانيا عتلة بلادهم من جديد . ورفضت الحكومة إراا جود آخر . وإستولى الجيش العراقي على مطار الحباية القريب من بغداد ، وهو المركز الرئيسي للقوات الجوية

إلا أنه لم يخصص واحد على هذه الأحداث حتى كان البريطانيون قد استطاعوا القضاء على حركة الكيلاني، وفر الكيلاني ومن معه بدورهم إلى إيران، فعاد الوصي على العرش إلى بغداد.

تألفت الوزارة الجديدة برئاسة جمال المدفعي، وطورد أنصار الكيلاني في كل مكان، وسرت موجة من الاعتقالات في كاه، أنحاء العراق، وقطعت العلاقات الدبلوماسية مع إيطاليا. وفي ٧ يناير سنة ١٩٤٢ أصدرت المحكمة العسكرية حكماً بإعدام رشيد عالي الكيلاني وستة من رفاقه كما حكمت بالسجن على عدد كبير من معاونيه في حركته ولكن الحكم لم يمد في رشيد الكيلاني، إذ فر من إيران إلى تركيا، ومما أدى إلى ألاميا ومنها إلى المملكة العربية السعودية حيث استقر.

وتناوت على العراق خلال السنوات الست التالية مجموعة من الوزارات، كانت كلها مطبوعة بالربعة في التعاون مع بريطانيا على ما فيه مصلحة العراق، وخاصة تصديق المعاهدة العراقية البريطانية.

وفي ١٦ يناير سنة ١٩٤٨ وقع صالح جبر رئيس وزراء العراق مع المسترئيس وزير الخارجية البريطاني معاهدة لا تخرج في أسسها عن المعاهدة السابقة، وإن كانت قد أرالت منها بعض القيود التي تمس سيادة العراق.

على أن هذه المعاهدة لم رفق في نظر الشعب العراقي، فسارت المظاهرات تجوب شوارع بغداد وكبريات مدن العراق بالاحتجاج على المعاهدة، فقرر مجلس الوزراء، ووافق الوصي، على وقف اجراءات التصديق على أساس أنها لا تحقق آماني الشعب.

واستقالت وزارة صالح جبر وحلقتها وزارة محمد الصدر، بإدائها

تعلن أن مجلس لورداء العراق قرر رفض المعاهدة لأنها لا تؤمن
صداقة انجليزية — عراقية وثيقة ، ولا تحقق أهداف العراق الوطنية .

وقبل أن نعلم هذا الفصل نجد أن الشعب في العراق لا يوافق
في العراق ، بشأن ما يراه وبين بريطانيا من علاقات . استأثرت نظر
خارجي لا يستهان به ، حيث أن جامعة الدول العربية قد قامت في سنة
١٩٤٤ وأحسن العراق ، كما أحسب أنه الدول العربية ، التي لم يهد
وحيدة في معادلتها للعلاقات بين دول الاستمرار ، وعلى رأسها ، العراق ،
والدول العربية التي استهدفت في الماضي هذا الاستمرار .

وأما ما كان في أن شرح دور العراق في الأمم المتحدة
الدول العربية في مكانه من العلاقات

ولم تترك هذه أخرى هي : هيئة الأمم المتحدة ، والتي
مع أحواض الدول العربية في هذه الهيئة ، ونصب هذه الهيئة من أن
تكون لها ثمة موحدة دحل الهيئة ، ورفضها وجمع أوجه أمهات رخصتها
في هذا المعترك الدولي .

• • •

وقد كان من نتائج سياسات الدول العربية في الجامعة العربية ، ومكانتها
في هيئة الأمم المتحدة أن أصبحت الدول العربية مكانة مرموقة في
الميدان الدولي

وأخيراً ، وافقنا على أن العراق ، الذي كانت تتعامل معه برعاية
على أساس أنه وحدة قائمة بذاتها ، يعبر اليوم على صفة الدول العربية
نوحيد الجيوش العربية ، وتراجع لآراء موضح نظر اليوم

الفصل العاشر

بريطانيا في الخليج الفارسي

في مئتين وأربعين عاماً ، وهو يعرف الذي تفوقت فيه البحرية
البريطانية ، حارب البحارة البريطانيين شعوب عذاب سحار — شرقاً
وعرباً — يتجهون على لم تعالين راء لديهم في كل مكان ، ولم تلت
البحرية البريطانية أن أصبحت سيده الموهب في المحيط ، ومن بينها المحيط
الهندي ، نظراً إلى أن رئيسي بحوث الأقصى وما يتخذه من خبرات
وكانت متاهة لشرق الأقصى في طريقهم إلى أوروبا ، تتحد أمد
طريقهم طريق سحر الأحمر حتى الحرم (السويس) ثم بالطريق البري
إلى موزي ، مصر على البحر الأبيض المتوسط ، وطريق الخليج الفارسي
إلى البصرة أو الكويت ، ثم بالطريق البري عبر الصحراء إلى موزي
سورية على البحر الأبيض المتوسط كذلك

وكان من أهم هذه المنتجات السلع التي تحملها شركة الهند الشرقية إلى
أوروبا ، وكانت هذه الشركة مشمولة — لأسباب عدة — بحماية الحكومة
البريطانية ، بذلك عيبت هذه الحكومة تأمين نقل السلع في البحار ،
والحرص عليها من أن يسطو عليها لقراصنة .

يضاف إلى ذلك أن تجارة الرقيق كانت مقشرة كل الانتشار في
الجنوب العربي من آسيا وشرق أفريقيا ، وكانت الحكومة البريطانية
تعمل جاهدة على محاربه الاتجار بالرقيق ، إنقاذاً للإنسانية المعذبة ،

وأهم من كل ذلك أن خليج العربى نصفه مداه وطبيعته قاعه ،
 تربة صالحة لإنتاج القطن الذى كثر مصادره فى هذا الخليج
 ثم راد هذا لأهمامى مستهل من لعشرين مائة كشف مباح
 بترول فى لندن الواقعة على مصاف الخليج ، وساس الدول الامم
 فى محاولة احتكاره .

سلك هذه الأسباب مجتمعة . بحث عناية بريطانيا الى مياه الخليج
 العربى وسد باب الوفاة على شاطئيه . أما شواطئه لشرقيه فكانت من
 صميم الاملاك له ربه . وهذه التدخل لبريطاني فى شئون فارس قصة
 قديمة قدم سمرقند فضلا عما . أما شواطئه لعمانية ، فقد كانت الخلة
 السياسية والاقتصادية ولعمريه بها على على لبريطانيين التدخل فى
 شئرها على الوجه الذى ستأوله فى الكلام على

وفعل أن تحدث عن إمارات الخليج العربى ، أو تسمى المشيخات ،
 بغير ما أن تشير إلى ان السياسة لبريطانية التى ترمى إلى سيطرة على
 هذه الامارات ودرست على أن تحرى على ويرة واحد . وفى فترات
 متتالية مع مراعاة لطروف بحرية لكل أماره أو مشيخة . واتهماد
 الفرصة للتدخل فى شئرها . وترجع هذه المحاولات كلها إلى أحزاب القرن
 الثامن عشر ،

وقد جدت بريطانيا — فى سنوات الأخيرة — إلى أن تجمع من
 هذه الامارات أو المشيخات كلها وحدة سياسية تنمو تحت كنفها . وفى
 ذلك يقول الدكتور محمود حمى (فى جريدة الاهرام بتاريخ ١٢٠ / ١٠ / ٥٤)
 . . . وقد بد من جانب الانجليز خلال الأشهر الأخيرة نشاط إزاء
 تلك المحميات (يقصد بحميات عدن) والمشيخات (يقصد أمارات الخليج)

محاوّل به تطبيق الطريقة الى التي «أحد» مستعمراتها في أفريقيا ، وهي
طريقة الجمع في اتحادات تضم أكثر من ألف من ذلك الأفريق ، كما حدث
«دولة شرق إفريقيا وشرق السودان»

ولا شك أن الهدف الذي تدور إليه السياسة البريطانية من
هذه الاتحادات الجديدة هو ذات هدف من الاتحادات السابقة ، أي
تطبيق تلك الأنظمة المتداورة حول شدة من «الاستعمار» حتى
لا يفلت واحد منها ، فلو شكك في نجاحه ، وحتى فله ، وحدد
«استراتيجية» فيها «طريق» المتواصلة ، و«نظم» هو «ملاحظة»
وتدعيم «اقتصاداتها» على أنها «كثرة» و«وحدة»

«وإلى» فرغت «إيجار» من «الاستعمار» الاستعماري من «الاول»
الإفريقية ، أو حدثت «أرض» رغبة «المعارضة» «التي لا تزال»
تقوم في وجهها ، «فيها» «أدب» و«جسم» «لاد» «الغنية» «والعربية» «محاوّل»
نظام «نظام» «ما طرقت» «مستعمرات» الإفريقية ، «فاعتدت» على «التراب»
«التي» «ممتدة» «حدوده» ، «و«مع» «الاستعمار» «الذي» «في» «شع» «بني»
«نفسه» «هم» «عن» «طريق» «ما» «سديه» «نظم» «و«إعداد» «من» «أفريقي» «وما» «نفس»
«السلطان» «عرصا» ، «أهم» «نظام» «أشهر» «تعب» «كثير» «حسب» «نظام»

وكذلك «تحت» «نظام» «إلى» «شروع» «سواء» «شرق» «غرب» «و«مستط»
«وعمل» «وما» «لها» «من» «مشجعات» «أربعين» «و«نريد» «تحت» «ور» «أفريقي» «و«
«الأخرين» «بالانصواء» «تحت» «راية» «والإعداد» «التي» «بين» «نفس» «وأعطي»
«الط» «أن» «الشيوع» «العرب» «لن» «يموا» «نظام» «عن» «السلطان» «بني» «ول»
«يعوا» «في» «المصيدة» .

«وليس» «لأعداء» «من» «عرص» «في» «الحالي» «إلا» «طريق» «شبه» «ج» «نفس» «أفريقي»

بسياح من التحصينات وهزها عن انعام كله عزلا ، وتحكم عن طريق هذا
الزل في مصائرهما تحكما .

ويبدو واضحاً في كلمة الدكتور محمود عري أنه نظر إلى المشكلة من
النحية العربية ، مكتملاً بتشخيص الحالة على أنها عربية بحث

وهو يعلم أن المشكلة وجهها آخر أكثر دولية من الوجهة العربية
لحدث . فإن مصاح بريطانيا في مياه الخليج فارسي لا تقتصر على تطويق
الجزيرة العربية ، بل بحريات السياسة في إيران ، وانقاص بين روسيا
وبريطانيا حول الحدود لها ، كان من الأسباب التي دفعت ببريطانيا إلى
لتشبهت سياستها في لسيطرة على مياه الخليج الفارسي .

وقد جاء في دائرة المعارف البريطانية في مادة « الخليج الفارسي » ،
ما ترجمته

« إن مصالح بريطانيا الخاصة ، سواء أكانت استراتيجية أم سياسية
أم تجارية ، لم تنكر في يوم من الأيام ، وهي تتصل اتصالاً وثيقاً برحاء
الحد ، وتأمين مواصلاتها مع العالم الخارجي ، وعدونها الداخلي .

« وقد وضعت السياسة البريطانية في التصريح الذي ألقاه اللورد
لاسداون في مجلس اللوردات في سنة ١٩٠٣ حيث قال : « أن قيام قاعدة
بحرية أو ميناء حصين في الخليج الفارسي على يد أية دولة أخرى يجب
أن يعتبر تهديداً خطيراً للمصالح البريطانية . ويجب أن يقاوم بكل الوسائل
التي تملكها . »

« وقد تأكد ذلك بالتصريح الذي بعث به السير إدوارد جراي في
سنة ١٩٠٧ في رسالة موجهة إلى السفير البريطاني في طهران (عاصمة
اروسيا القيصرية) حيث قال : « إن حكومة جلالة الملك ستبذل قصارى

جهداً للحفاظ على الحالة القائمة في الخليج الفارسي ، والحفاظ على المصالح التجارية البريطانية ، على أنها — في تمهيداً هذه السياسة — لا ترعب في أن تقع في وجه أية تجارة مشروعة لأية دولة أخرى . .

وما يدل على تشاك المصالح البريطانية بين الخليج الفارسي والامراتورية البريطانية في الهند ، أن الإدارة السياسية الخاصة بالخليج كانت تمتد إلى حكومة الهند ، وأن المقيم البريطاني في الخليج ، سواء أقام على ساحل إيران أم على الساحل العربي ، يستمد سلطانه من حكومة الهند . وظلت الأمور تجري على هذا السبيل حتى كانت الحرب العالمية الأولى ، فكانت احمية البريطانية على العراق جزءاً من مهام الهند ، ثم دخلت العراق في دائرة السياسة العربية التي كانت تدار من القاهرة ، ثم انتدبت بريطانيا على العراق ، وعندئذ فقط آلت أمور العراق بالذات إلى السلطات البريطانية في القاهرة بدلاً من حكومة الهند

أما شئون الخليج الفارسي والامارات والمشيخات الواقعة عليه ، فظلت في يد حكومة الهند ، ولذلك يجد أن معاهدة ٤ فبراير سنة ١٩٣٩ ، وهي أهم معاهدة عقدت مع عمان ، أبرمت بين الحكومة البريطانية وحكومة الهند من جانب ، وبين مشيخه عمان من الجانب الآخر .

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية ، استقل شبه القارة الهندية الباكستانية ، وانسحبت الحكومة البريطانية من البلاد ، وتقلت شئون الخليج الفارسي إلى إدارة الشؤون العربية بالسفارة البريطانية بالقاهرة .

• • •

وسنحدث فيما يلي عن أهم معالم العلاقات بين بريطانيا وهد

المشيخات ، مرتبة ترتيباً جغرافياً . وسدأ عمان ، قطر ، والبحرين ،
فالكويت .

عمان

من إحدى المشيخات العربية ، على الساحل الجنوبي الشرقي للجزيرة
العربية ، وتشرف على مدخل الخليج الفارسي ، وتسمى مياهها الإيمحية
بخليج عمان ، كما تشرف من الجنوب على بحر العرب . ويبلغ عدد سكانها
نصف مليون ، وعاصمة المشيخة الآن مسقط . وكانت قبل ذلك رستاق .
ومن أهم منتجات البلاد الملح ، يصدر إلى الخارج مقابل الآرد والاس
والقمح والحرير . وتوشك البلاد أن تصب دوراً هاماً في عالم التترول .

ويعتبر موقع « مسقط » من المواقع الاستراتيجية التي لعبت دوراً
هاماً في مقدرات هذا الخليج منذ آخر التاريخ . وتاريخها الحديث مليء
بالأحداث الهامة ، إذ كانت في القرنين السابع عشر والثامن عشر محط
أنظار الدول الاستعمارية لأن مع كل التفوق البحري في المحيط الهندي

ويقرن تاريخ عمان الحديث بمعة الورد البريطاني في المحيط الهندي .
والخليج الفارسي . وقبل أن نتحدث عن الورد البريطاني في عمان ، يجدر
بنا أن نقرر أن مجريات سياسة العالمية كانت تتحكم في مصائر الأمور في
الخليج الفارسي جملة . وفي مدينته مسقط خاصة . كما أن أهمية السعودية
التي ظهرت في قلب الجزيرة العربية كانت ذات أثر فعال في مصائر الأمور
في هذه البلاد

وتتجسأ قصة الورد البريطاني في مسقط ، ثم في عمان ، فيما يلي .

حدث في سنة ١٧٩٢ أن آلت الرعامة في مسقط إلى زعيم من رعما .

قبيلة أنى سعيد ، هو السيد سلطان بن أحمد بن سعيد ، بعد أن عمت البلاد اضطرابات عداوت عشر سنوات مد أن تولى مؤسس العائلة الحاكمة الإمام أحمد بن سعيد . ولم يلبث السيد سلطان أن أحصع منافسيه المحليين من أخوته وأبناء عمومته . فقامت سلطانه إلى بلاد عمان بأكلها . وراى يعود أنه استطاع أن يتغلب على والى « بندر عداس » الذى لم تكن ترضه بالحكومة العارسية ، صاحبة المياه ، إلا ما يؤديه لها من ضريبة فى كل عام ، شل السيد سلطان بن أحمد عظه فى أداء هذه انضريبة وصدور له فرمان شاهى بذلك ، وبدأ أصبح السيد سلطان صاحب حول وطول ، يحكم فى الملاحة فى الخليج الفارسى من شاطئيه العربى والمارسى .

وكأنه شركة الهند الشرقية ترقب فى نقطة مائة ما يجرى من أحداث فى الخليج . وقد علمت عن اليقين لصدافة السيد سلطان للحكومة الفرنسية ، كما علمت أن مائليون قد بعث إليه برسالة من مصر يبيئه فيها دفعه لمصر ، ويعرض عليه حاية محمده التى تقصد إلى السويس ، وقد أرفق بمائليون نكته هه رسالة إلى المواطن بنو الهندى (وكان قد استجار بمائليون من عسف انبريطايين بالهند) يشره فيها بأن اخلة الفرنسية لن تلبث أن تأخذ طريقها إلى الهند لتحيصها من يبر الانبريطانيين .

وهه علمت الحكومة البريطانية كذلك بما بين آل سعود وبين السيد سلطان من نزاع ، إذ كانت للسعوديين فى عمان مأرب كبرى من الناجتين الدينية والسياسية . وقد كثرت معانفتهم لرعاء القذلل الخارجيين على السيد سلطان ، كما كثرت عاداتهم على أطراف عمان يريدون عرجا بحريا على الخليج الفارسى .

أدركت بريطانيا كل ذلك ، كما أدركت أن السيد سلطان كان رجلاً واسع الحيلة ، عظيم النموذ ، فسلكت معه سبيل الملاينة .

في سنة ١٧٩٨ تقدمت إليه شركة الهند الشرقية تطلب إنشاء وكالة تجارية لها في بندر عباس ، فوافق السيد على ذلك ، ولكنه اشترط أن لا يكون من وراء ذلك أي تدخل للشركة في شئون مسقط ، ودافع السماح بإقامة وكالة سياسية في بلاده ، إلا أن السياسة البريطانية لم تقف مكتوفة الأيدي أمام رعيته ، إذ استدرجته إلى أن قبل تعيين وكيل الشركة الهند الشرقية في مسقط ، ثم لم تلت أن جعلت من هذا الوكيل التجاري مقبلاً بريطانياً سياسياً . وكان ذلك عام ١٨٠٠

ويقول الكولونيل ميري ، في كتابه « الأمصار والقبائل في الخليج العربي » ، أن السيد سلطان هو الذي طلب منه — أمام المحادثات الخاصة بهذه الاتفاقية — أن ترسل له شركة الهند الشرقية صاعداً يقيم في مسقط ليكون مستشاراً له . أما تعيين المقيم السياسي في مسقط ، فيدسبها الكولونيل ميري إلى أن الحكومة البريطانية اكتشفت أن السيد سلطان طل على صداقته للعربيين بعد الاتفاقية ، فهددته بأن تحرمه من الاتجار مع سواحل الهند . فبادر هو إلى مصالحة البريطانيين ، وفل تعيين مقيم سياسي في مسقط .

وفي سنة ١٨٠٤ قتل السيد سلطان أثناء قيامه بعمارة بحرية في الخليج العربي . وبعد منازعات شتى بين الطامعين في الإمارة ، نودي بولديه : سالم وسعيد ، أحدهما يشتركان في حكم البلاد ، على أن كفة سعيد في الحكم لم تلبث أن رجعت لأسباب عدة ، فأصبحت له الكلمة العليا في البلاد . وقد شرع سعيد ، منذ بداية حكمه ، أن البريطانيين لا يطمشون إلى

ولائه ، كما شعر أن الوهابيين لن يهادنوه طويلا ، سيما وأن أمارته على دمسق قد كانت وليده اعتياله بدر من سيف حليمهم .

وكان لأحداث أوروبا أثر فعال في تصرفات سعيد ، ذلك أنه قد جهزته بمسارات باليون في القارة الأوروبية ، فطرح في أن يبيد علاقات عمان برسا إلى ما كانت عليه قبل ، فعصاه أيام السيد سلطان ، ولذلك أودع إلى المقيم الفرنسي في جرائر (موراييس) من يعارضه في عهد معاهدة بين فرنسا وعمان ، فرجحت فرنسا بذلك وعقدت المعاهدة في منتصف سنة ١٨٠٧ ثم عرفت المعاهدة بأخرى في سنة ١٨٠٨ ، ورل بمسقط أول فصل لفرنسا .

وقد سببت هذه الأحداث انسحاب المقيم البريطاني في مسقط ، ويقول الكونويل مبين : « إن حكومة الهند احتاجت إلى خدماته والانهاع بحمرته في تدبير شئون بريطانيا في الخليج ، فاستدعته إلى كالكتا ليكون إلى جانب الحكومة المركزية . على أن هذا المقيم قد عاد إلى مياه الخليج الفرنسي بعد ذلك . فليل مع إحدى الحملات التي شنتها بريطانيا على القراصنة العرب » .

ولم تخلص سنوات فلانل على حثف سعيد مع فرنسا حتى اشتد ضغط الوهابيين على عمان ، واضطرت أمور سعيد ، ولم يستطع الفرنسيون أن يكونوا عند حسن ظنه بهم ، فلم يجد بدا من أن يمد يده لبريطانيا مستجيبرا من الوهابيين ، ولكن بريطانيا لم تستجب لطلبه ، واكتفت بأن عززت قواتها في الخليج حتى تكون على مقربة من مسرح الحوادث .

ولم تلبث الظروف أن تطورت في صالح سعيد ، فهدو في الأمير سعود وحلعه ابنه عبد الله . وقد رسم لنفسه سياسة تقوم على مهادة عمان ،

للعرع نحرب التي شها عليه . محمد على الكبير ، في غير هوادة .

واردادت حوادث القرصنة في الخليج ، وادتت منه إلى حايح عمان وبحر العرب . وسط القراصنة (وهم من بني حولة حلفاء الوهابيين) حتى كثير من السفن البريطانية والعثمانية على السواء ، فكان ذلك مدعاة للتقرب بين السيد سعيد والبريطانيين معاومة هذا الخطر الدائم لتجرهما .

وفي سنة ١٨٢٢ عقدت مريضايا مع السيد سعيد اتفاقية لمع تجارة الرقيق في مياه الخليج الفارسي وعلى شاطئيه . وكان السبب في إثارة مشكلة الانحجار بالرقيق أن حكام (زرنار) كانوا من أبناء عمومة السيد سعيد . ينقسمون جميعا إلى آل بوسعيد . وكان الرقيق يسجل من داخل العمارة الإفريقية إلى زرنار حيث يحمل في سفن عثمانية إلى مسقط ويبيع في أسواقها وكانت يحتراهم وقتذاك منع تجارة الرقيق ، فنهض به في شواطئ الخليج ، لابل على ظهر السفن ، وقد انتهلت لنفسها حتى تقتش السفن العربية في عرض البحر تعيدا لهذه لياسة التي بوجتها بعقد هذه الاتفاقية .

فرع السيد سعيد من كثير من مشاكلة ، فهاهم الوهابيون قد دحرم الجيش المصري ورفقهم في التصراء المريه ، وهاهم بريطانيا قد أصبحت حليفة مساعدة بعد أن كانت عدوه مهدة ، وهاهم تو حولة وقد علا مهم الخليج . وهاهم عم ان وقد دامت له الساعة واستتمت له الأمور فيها . واعتزم السيد سعيد أن يؤدي مريضة الحج ، شملتة بارجة بريطانية إلى جدة ، واستقله في المياه حاكمه الحجارة من قبل الأراك ، وكتمة من الجيش المصري ، واحتق به في أرض الحرمين حفاوة كبرى ، على الرغم من أنه من الخوارج .

وفي سنة ١٨٣٢ رغبت الولايات المتحدة الأمريكية في عقد معاهدة مع

السيد سعيد تؤمن بها مصالحها التجارية في شرقي أفريقيا والخليج اعارضى وطلب سعيد أن تتعهد الولايات المتحدة أن تمنحه من العتاد الحربي والمعدة العسكرية ما يصمن له سعيد مأربه ، سواء في أفريقية أو في عمان ، وبدو أن المندوب الأمريكي لم يشأ أن يورط بلاده في مثل هذه المعامرة ، وإذا ما عقم البريطاني ، وقد رامت إليه أساء المفاوضات ، يعرض على سعيد عقد معاهدة من هذا الصل مع الحكومة البريطانية ، إلا أن هذه المعاهدة لم تعقد إلا في سنة ١٨٣٩ عند ما تهيأت لها الظروف ، تنوي (المذكرة فكتوريا) عرش الامبراطورية البريانية ، وفهام السيد سعيد بالهيئة متوليا العرش ، فكان عقد المعاهدة بمثابة رد على هذه الجمالة .

وفي ظل الصداقة بين بريطانيا والسيد سعيد ، تدخلت بريطانيا عند ما هدت نية محمد علي الكبير لغزو عمان مقابل فصل بريطانيا العام بالقاهرة محمداً علياً وأمهه أو الحكومة البريطانية أن تسمح له بالماضي هذه المعامرة وبعد شهر فلائل اتحد بالمرشون من الإجراءات التوسعية ضد محمد علي ما فصى باسحاب ابنه ابراهيم من سورية وسحب قواته من الجزيرة العربية عام ١٨٤٠ ، وفي سنة ١٨٤٤ أوفدت الحكومة العربية مندوباً من قبلها إلى عمان ، لعقد معاهدة تجارية مع السيد سعيد ، على غرار المعاهدتين الأمريكية والبريطانية ، فشاورد سعيد الحكومة البريطانية في هذا الشأن ، ورفع المعاهدة بناء على هذه المشورة

وفي سنة ١٨٥٦ تولى السيد سعيد على ظهر سفينة بريطانية كانت تقله من مسقط إلى شرقي أفريقيا ، وقد خلفه في الإمارة ابنه تويني . وكان قد أوصاه بأن يسلك مع الحكومة البريطانية مسلكه .

وفي عهد أمارة السيد تويني بن سعيد . وفي سنة ١٨٦٢ صدر بيان مشترك من بريطانيا وفرنسا يصمن استقلال مسقط ، وصدر هذا البيان

في ذلك العام بلغت النظر إلى الدور الذي كانت تلعبه الشؤون الروسية في
مصارف الخلاج العارضي ، حيث أن حرب اقرب انتهت سنة ١٨٥٦ ، فكانوا
حلف بين بريطانيا وفرنسا تمكن به رسوم "ثالث من أن يدعوا على
قيصر روسيا ، اسكندر الثاني في حدة السياسة ، مما توجهت روسيا إلى
الندم في شؤون إيران ، هزعت بريطانيا وفرنسا إلى دعم سياسة موحدة
بينهم لإزاء هذا الخضر ، وقد انخرطت بريطانيا هذه الفرصة وأضمت فرنسا
إلى هذا السبيل ، حتى ردت على اسكندر الثاني في حركاته حول
البحر — إلى جانب بريطانيا — في الخليج الفارسي ، لم يستطع روسيا
أن يحسن أوضاعه في الشرق ، وبذلك استعادت بريطانيا أن
تقطع على فرنسا طريق الهند من الشرق

وفي خلال عامين ، كانت بريطانيا استطاعت أن تحصل من السيد
أبي سعيد ميرزا على رضايتها في هذا الخط ، إلى غير الزلازل

وفي سنة ١٨٨٦ تولى عرش بلاد فارس ، نادر شاه ، وقد شهدت
عهد بريطانيا في سنة ١٨٥٦ معاهدة صداقة مع إيران ، في ذلك من رسوم
حراكه لإلا بعد موافقة بريطانيا عام

وفي عام ١٩٠٠ في وفاة الأمان مع الجانب الإيراني آخر عهد
لا يؤجر ولا مع وزير إيران على أي جزء من تلك كانت إذا نهكوه
البريطانية .

وحدث في سنة ١٨٩٨ أن همت فرنسا إلى ما في مع الأمير علي شاه
عنه في مسقط رأسه في الهند ، نشر سنة ١٩٠٠م ، ثم ركد بعد ذلك الحكومة
البريطانية حتى ثارت ثارتها ، ومنعت الأمير من توقيع الاتفاق ، وأرسلت
بعض سفير الأسطول البريطاني إلى ميناء مسقط لإجبار الأمير على "الرد"

على رعايتها ونذرت بريدنيا — في هذا التصرف — بأن تمنح نهرسية
تسمح لنفسها له بحرية أن يرفع أمر الفرح من نهرها من تحتيتش الأسم طول
الريضة لها ، بعيدا للاموات الدولية الحرة مع بحره الرقي
وفي سنة ١٩٠٥ منح الأمير شركة ، بصدية حتى صيد الأسماك في
الخليج .

وفي سنة ١٩١٣ وفي السيد بعض وحنه على الإمارة أنه بهودس
قبيل ، ولكن الفائل لم تلت أن شقت عصا القضاة على الأمير وكانت
حروف الحرب العامة لأولى تقطع من ريطيا أن تدخل في الحال ،
فأدت القوات البريطانية وحديثة من عمان ، ووضعت الأمور في
سماها ، واستمرت محنة للبلاد حتى سنة ١٩٢١

وفي سنة ١٩٢٣ وقع أمر من تعهد بحكومة البريطانية أن لا يقوم
بالبحث عن النفط أو إستغلاله دون إستشارة المقيم البريطاني .

وفي فبراير سنة ١٩٢٩ أبرمت آخر معاهدة بين الحكومة البريطانية
وحكومة الهند من جانب ، وأمارة عمان من الجانب الآخر ، ومدة هذه
المعاهدة ١٢ سنة ، وقد أصبحت الأمارة بمنتهى هذه المعاهدة حرة في
معرض الرسوم الحركية ، مقابل أنها تعهدت بأن تعامل بريطانيا معاملة
الدولة الأكثر رعاية .

قطر

قطر شبه جزيرة دقة من جزيرة العرب ، واقع بين عمان والاحساء
وسبلغ مساحة قطر حوالي أربعة آلاف ميل مربع ، وسكانها من القبائل
المنحصرة لا يعدون بأكثر من خمسة وعشرين ألفاً ، وما سوى ذلك من
القبائل الرحل التي لا يسهل حصر عددها .

وقد ارسلت فاته بالحكومة البريطانية بمعاذير في سنة ١٨٢٠ و ٣٥ على عرار المعاهدات التي عقدت مع هيئة استيحات نورية في الخاضع. وفي سنة ١٨٦٧ طمع شيخ البحرين في شبه جزيرة مصر، وولدت بين البريطانيين مفاوضات. فحدثت بريطانيا في الكويت، واتحدت من هذه الاضطرابات دريعة بعيد كل من قطر والبحرين في جزيرة. واضطرت كلا من البريطانيين أن يعمد إلى دفع إلى المقيم البريطاني في الخليج الفارسي كل مائة من هذه المدن وألتمت شيخ قطر أن يعرف سبب هذه البحرين مقابل أنها حددت مدى حرية البحرين في التدخل في شؤون قطر.

وأراد شيخ قطر خلاص من هذه المقود، وهو فرصة لتدمير الآوارك جنهم هي الاحياء تحت أمرة مدحت باشا. وأعلن حصروا للدونة بعتية. فعينه هذه راية على قطر وأسمت في يدوحة (وهي المأوى للبحري لقصر) مرسى للسفن ومحطة للحم وكرات من هذه الحدود غير أن الحكومة البريطانية لم تعترف بالاستقلال التركي ولكنها تركها معترفه حتى عقدت اتفاقية سنة ١٩١٣ بين تركيا وبريطانيا، تمت الاتفاقية التي ماركت بالحكومة التركية عن كل حدودها في مصر.

وفي سنة ١٩١٦ وقع انشيج معاهدة مع بريطانيا عهد بها بأن لا يكون له علاقة مع رطل. أية دولة أخرى، أو أن يستقبل بمنى هذه الدول دون موافقة الحكومة البريطانية، وكذلك عهد بأن لا يبيع أو يؤجر أو يتصرف في أي جزء من أرضه لدولة أخرى أو رعايا دولة أخرى.

وظلت قطر مع مواردها المحدودة بحماية جيش على المعونة البريطانية إلى أن اكتشفت فيها صامح لترويل التي تسيطر شركة سكوت في سنة ١٩٣٥ لهذه العناية باسم شركة ترويل قصر، وهي من الشركات التي

تسير في ركب شركة بتروال العراق ، وبدأت في استخراج البترول سنة ١٩٣٨ ثم توقفت في سنة ١٩٤٣ لطروف الحرب ، ثم عادت إلى استئناف نشاطها في سنة ١٩٤٦ .

وقد دلت نتائج الاستطلاع على أن مستعمل البترول في قطر أعظم بكثير مما كان يتوقعه الخبراء .

ومن الملاحظ فيه أنه لو لا الاستعمار الذي أدى هذا إلى انحصار ثروات قطر واكتشاف البترول ، كان مصيرها لا يصلح إلا للمحاكمة العربية السعودية .

البحرين

تقع في الخليج على بعد مائة ميل من خليج فارس ، في الجزء على ساحل بين قطر وراية . وأكبر مدنها جربة ، مساحتها جربة وثمانية مائة ميل مربع ، ثلاثين ميلاً وعشراً منها غابة ، ونصف جزيرة أخرى كور في مصيف . مع مساحتها جربة بحرين حول ٢٠ ألف فدان ، ثلثها يزرع من القمح ، مع مساحة جربة وعدد من الأبراج ، وأخرى من البحار الخشنة .

و من ضمن تاريخ البحرين في أم كانت تحت حكم أمراء من العرب ، دونوا يحكموها حتى أوائل القرن التاسع عشر ، فاستولى عليها البرتغاليون سنة ١٥٢١ ، وبعث البرتغاليون إلى علماء علمها ، فشاء بعد سنة ١٦٢٢ ، وطردوا من يحكموها حتى سنة ١٧٨٣ حيث استولى عليها عرب الأحلية من قبائل القويبة بعد أن عمروا إليها من قبل العرب ، ثم هاجم البحرين بعد ذلك أمير مسقط فاستولى عليها ، لولاه بين فردوا الأوير

عها ، ولكمهم استولوا عليها ولم يخرجوا منها إلا عام ١٨١٠
والأمرة لى تحكم البحرين اليوم أسرة سنية ، فى حين أن الشعب
بصمه سنى والصنف الآخر شيعى المذهب

وقد ظهرت البحرين فى عام العصر الحديث بعد عقد معاهدة لصدقة بين
آن حليمه والبريطانيين سنة ١٨٢٠ ، تلك المعاهدة الى تعهد بها شيخ
البحرين بأن يمنع بيع السلع الناجمة عن القرصه ، ولعند إيواء القراصنة
فى مياه البحرين ، وأن يعيد ، للأسرى اليهود الذين وقعوا فى أبدي
القرصنة عن ذلك . وواضح أن هذه المعاهدة كانت إحدى خطوات
المعاهدات التى أمرتها الحكومة البريطانية لحساب حكومة الهند لتأمين
لتجارة الهندية فى الخليج الفارسى

وفى سنة ١٨٣٩ طالت مصر بحر البحرين على أنها جزء من أملاك
الوهاسين الذين هجرت مصر عليهم حربا فى قلب الجزيرة العربية ،
وبدلت فى سبيل ذلك محاولات .

وفى سنة ١٨٤٠ ادعى إيران ملكيه بحر البحرين على أنها من
الأملاك السابقة للحكومة العارسية

وفى سنة ١٨٤٧ حاولت الحكومة لتركية أن اثبتت هودها فى البحرين
على أنها جزيرة مدحمة بالجزيرة العربية التى كانت وفشت تحت الحكم التركى ،
ولكن الحكومة البريطانية وقفت يرداء هذه المحاولات كلها وفقه المدافع
عن مصالح الجزر واستقلالها

وظنت الحكومة لبريطانية ربط بينها وبين شيخ البحرين بالمعاهدات
فعمدت معه سنة ١٨٦١ معاهدة ألزمتها بها أن يحرص كل ما يقع له من
المشاكل على المقيم البريطانى .

وفى سنة ١٨٨٠ ألزم شيخ البحرين بأن يمنع هو وحلفاءؤه عن
الدخول فى معاولات أو عقد معاهدات مع أية دولة غير بريطانية
وفى سنة ١٨٩٢ ألزم الشيخ بأن لا يسمح بإقامة وكلاء لأية دولة

أجنبية أخرى في داخل أرضه ، وأن لا ينزل أو يرفع أو يبيع أرضاً إلا للحكومة البريطانية .

وفي سنة ١٩٠٠ أنشئت في البحرين وكالة بريطانية تابعة للمقيم السياسي البريطاني في الخليج الفارسي .

وفي سنة ١٩١٢ منح الشيخ الحكومة البريطانية أرضاً أنشئت عليها محطة لتلغراف ولاسلكي .

وفي سنة ١٩١٤ تعهد الشيخ بأن لا يمنع امتيازات للحث عن البترول في بلاده دون موافقة الحكومة البريطانية .

وفي سنة ١٩٢٥ استخدمت البحرين مستشاراً بريطانياً لمساعد في تنظيم الإدارة ، ويكون بمثابة حلقة اتصال بحية بين الشيخ والمقيم البريطاني الذي يمثل الحكومة البريطانية رسمياً في كل الشؤون الخاصة بالمعاملات وعقودها رسمياً .

• • •

وقد تمت جرر لتحرير في القرن العشرين دوراً لم يكن يحظر بالذات أن نلخصه ، ذلك أن الجرر كانت حتى أوائل القرن العشرين غير ذات أهمية في محيط السياسة الدولية . فقد كانت في يوم من الأيام مأوى للقراصنة وهامد أجلاؤها ، لم يبق لها من أهمية إلا صفاء مياهها ، ونقاء اللؤلؤ الذي يستخرج من بحارها .

إلا أنه حدث أن اكتشف البترول في أرض البحرين . فقد حصلت الحكومة البريطانية في سنة ١٩٢٥ على تصريح من شيخ البحرين بالتفقيب عن البترول بعد أن رجح جيولوجياً وجودها ، وفي سنة ١٩٢٧ انتقل هذا التصريح إلى يد شركة نفول للخليج وهي شركة أمريكية ، وفي سنة ١٩٣٦ باعت لشركة الجديدة الامتياز إلى شركة ستاندرد أويل وكان من نصيبها العثور على البترول واستثمار مصادره . وفي سنة ١٩٣٦ أصبحت

شركة تول البحرين مناصفة بين شركتي ستاندارد كاليغوريا ونكاس
وقد لارم ظهور البترول وإستغلاله حوط في صناعة صيد اللؤلؤ
وهو كان محصول اللؤلؤ في سنة ١٩٢٦ بقدر مئليون من الجنيهات فبدأ به
يحتل في لسنوات صناعة للبحر العالمية اثنىة إلى ٥٠ ألف جنيه فقط
والمسبب في ذلك ما طرأ على الحياة العامة في البحرين من تغير
لحاف بعد اكتشاف مراع البترول إزدهار صناعته . ما لارم ذلك من
إجهااد جسمي وعصبي إلى لصاعات البترولية التي بحسب من التنظيم
أكثر مما تتطلب الإجهاد جسمي

الكويت

لكويت منطقة محدودة لمساحه واسعة في الشمال الغربي من الخليج
العربي ، ولاريد مساحتها ١٩٥٠ ملام . وعاصمتها الكويت
وهي واسعة على حدس صغير تقع في مدخله جريد . جفت مرأ الكويت
مياه أطيب صالحا لإيواء السفن

ولا يتجاوز تاريخ الكويت الحديث مئتي سنة ، أسستها قبائل العنوب
بعد أن برحت من جريد العرب في أوائل القرن الثامن عشر
ومن الموامل التي ساعدت على توسع الكويت مهاجرة العرب لصرة بين
سني ١٧٧٦ و١٧٩٠ أصبحت دوائر لحاربة الاجتية أن تنقل إليها
فأصبحت المساء الذي مر منه لبساتع في طريقها إلى بغداد وحلب ودمشق
والامانة ولما دوى لعنوب على البحرين . شاركها الكويت في
بحارة السلافة العرسه ، فساعدتها ديث على التبو . وعادت إليها الوكالة
تجارية الابحاربية من البصرة عام ١٧٩٢ على أثر خلاف وقع بينها وبين
السلطات التركية

وفي سنة ١٨٠٥ تعرضت الكويت لخطر الوهابيين ، وتجمع المعادير لبريطانية على أن شجع الكويت خلت من الحكومة البريطانية حمايته من هذا الخطر وانسحب لم تستجب لإيمه .

ولم تنكسر رطة الكويت للدولة العثمانية قوية ، على الرغم من استمرار شيخها في أداء الحراج لها حتى سنة ١٩٢٩

وبعداً تاريخ الكويت السياسي بأواخر القرن التاسع عشر ، عندما دار البحث حول إنشاء الخطوط الحديدية عبر أملاك الدولة العثمانية ، وأريد لخط حديد يمتد من بغداد إلى طهبي عدى ، الكويت وعندئذ قدمت الحكومة البريطانية إلى ما كانت ترى إليه حكومة الأستانة من وضع اميناء تحت كنفها ، مما يحدد السياسة البريطانية التي رسمت للحايض المعادير ، وأزمنت الحكومة البريطانية الدخل السائر لوقف هذه الحركة .

وكان من حسن حظ السياسة البريطانية ، أو من حسن اتقارها للعمرى ، أن وقع خلاف بين أفراد أسرة الإمارة ، واستجد فريق منهم بالدولة العثمانية فالتجأ الفريق الآخر إلى المقيم البريطاني في الخليج ، ولما أرادت الدولة العثمانية أن تزعج المشيخة من اعتصام ابدي لاذا بالإبحير ، أرسلت الحكومة البريطانية ، ارجة حربية هدت بها الأتراك ولما تراجع الأتراك ، رآها البريطانيون فرصة سانحة لعدم معاهدة مع شجع الكويت ، الشيخ مبارك ، على إبرام المعاهدات التي عقدتها مع إمارات الخليج الأخرى ، تعهد بها الشيخ مبارك أن لا يتناول عر جزء من ممتلكاته ، وأن لا يبيع أو يرعى أى جزء من أرضه لحكومة أو رعاية أية دولة أخرى دون موافقة بريطانيا ، أن لا يعمل ولا يملك لدول الأجنبية إلا بعد الحصول على موافقة بريطانيا كذلك ، وكان ذلك في شهر سنة ١٨٩٩ .

وفي سنة ١٩٠٠ وقع الشيخ مبارك تعهداً للحكومة البريطانية بمع
إدخال السلاح إلى الكويت .

وكان الشيخ مبارك قد أوى إليه أسرة ابن سعود ، واتفق معهم
على أن يرسل حملة إلى أواسط الجزيرة العربية لخدمة القضية السعودية
لحرك ذلك الأتراك إلى العمل ضده ، وفي ديسمبر سنة ١٩٠١ قدمت سفينة
تركية إلى النجف مبارك لإمداداً بأن يقبل حامية تركية ، وإلا أنهد إلى
الاستثناء ، فرد الشيخ ردأ فيه بل كؤومواربة واتصل بالحكومة البريطانية
يطلب حمايتها وأجهته بريطانيا إلى ما طلب . وأوقعت قوات ابن الرشيد
التي كانت على وشك أن تعزو اركويت بالاشتراك مع الأتراك .

وفي سنة ١٩٠٤ عينت بريطانيا مقبلاً سياسياً في الكويت .

وفي سنة ١٩١١ تعهد الشيخ مبارك بأن لا يمنح امتيازات لصيد
الؤلؤ أو الاسفنج دون استشاره المقيم وموافقة .

وفي سنة ١٩١٣ تعهد الشيخ بأن لا يمنح أية امتيازات للبحث عن
لترول دون استشارة المقيم وموافقة كذلك .

وعند ما أعلنت الحرب لعالمية الأولى ، وانتهت ظروف السياسة
البريطانية أن تجرد حملة عسكرية على الأتراك في العراق ، رأت بريطانيا
أن تأمن سلوك الكويت بإزاء هذه الحركة ، فأرسل المقيم السياسي في الخليج
العمري إلى الشيخ مبارك بتاريخ ٣ نوفمبر سنة ١٩١٤ صماناً لإزاء أي
هجوم يشنه الانجليز على الأتراك بقصد الاستيلاء على البصرة . وأعلن
المقيم في هذه الرسالة أن الحكومة البريطانية تقر وتعترف بأرب مشيخة
الكويت بملكه مستقلة تحت الحماية البريطانية . وعلى أثر ذلك اتخذ
البريطانيون الكويت مركزاً أساسياً لتدبير حملتهم ضد الأتراك .

على أن الأمر لم يستتب للبريطانيين في الكويت خلال الحرب كما كانوا يأملون ، ذلك أن الشيخ مبارك وفي سنة ١٩١٥ وحنقه ابن جابر الذي توفي بعد عامين وألّت أمشيخة سنة ١٩١٧ إلى أمه السلطان سالم .

ولم يكن موقف الشيخ سالم وديا مع البريطانيين ، ولهذا عرضت بريطانيا الحصار على الكويت من فبراير سنة ١٩١٨ حتى إعلان الهدنة الترسية ، على أن الحكومة البريطانية لم تتحل عن حمايتها للكويت أما هذا الحصار فقد حدث في سنة ١٩١٩ أن ساءت العلاقات بين الشيخ سالم والسعوديين وكانوا ويمتد نفوذ سامية في بلاد عرب ، وقام لسعوديون بمحنة الكويت ولكن الطائرات البريطانية ردهم على أعقابهم

وفي سنة ١٩٢١ وفي الشيخ سالم وحنقه على إمارة الكويت الشيخ أحمد آل جابر لصاح وفي أوائل أيام حكمه حددت الحدود بينه وبين المملكة العربية السعودية وتركزت بينهما منطقة حياد كملت أن لا يجمع بين الطرفين مصادمات على أن ذلك لم يكن جامعة المصالح في الرابع بين الدولتين ومن حدثت بينهما مصادمات فيما بين سنة ١٩٢٧ و ١٩٢٨ وأكتمها بعد هي أحد الطرفين نتيجة حاسمة نظر إلى سجل البريطانيين بعد أن أصبحوا أصحاب مصالح حقيقية في الكويت ما اكتشاف منافع البترول فيها ، ذلك الاكتشاف الذي فب نظام الحياة اليومية في الكويت .

في سنة ١٩٣٤ منحت حكومة الكويت امتياز لبحث عن البترول واستعملته لشركة بترول الكويت وبملكها ويديرها شركتان : شركة البترول الانجليزية لا يراثة وشركة صاحب الخليج (شركة بترول الخليج بعد ذلك) وقد بدأت أعمال التنقيب في سنة ١٩٣٦ فأُسفرت عن وجود كميات كبيرة منه ، وبعد أوقف العمل في سنة ١٩٤٢ لأسباب عسكرية انتصتها

ظروف الحرب العالمية الثانية ثم استؤنف العمل بعد سنوات ثلاث ، فإذا بالسكيت لنفى مسحرج من لبترون تقوى كل تقدير وترايد بسببه طمرت بالكوييت إلى الصف الأول من بين بيماغ لنى تنح البترون .

وفى سنة ١٩٤٦ كان محصول البترون ٨٠٠ ألف طن . فظفر فى سنة ١٩٤٩ إلى أكثر من ١٢ مليون طن ، وكان فى سنة ١٩٥٢ أكثر من ٣٧ مليون .

وفى سنة ١٩٥٢ بلغ إنتاج لكوييت أكثر من إنتاج لعراق والمملكة العربية السعودية . فانتج العراق ٢٨ مليون والمملكة العربية السعودية ٤١ مليون ، أما السكوييت فانتج ٤٣ مليون .

وبعد بلغ دخل الحكومة من حصتها فى البترون ٥٠ مليوناً من الجنيئات فى سنة ١٨٥٢ ومن المنتظر أن تسعر الخماسة من سنة ١٩٥٢ عن إيراد للدولة قدره ٥٨ مليون خلاف ما يحدد فى بنك المحلفا لحساب الكوييت من العوائد . وهى سلج لخلايين فى كل عام .

أما اثر هذه الزيادة فى الكوييت وأهلها ، فبمقدوره ان يراى كوكس فى مقال بحثه إلى ج. يده اما لشتر جاردىز الإنجليزية عقب رحبه قام بها فى الكوييت ، بنفقه عن محبة والده ، لسان حان البهنة الكوييتية بمصر ، عدد ببار سنة ١٩٥٤ .

وهناك احتمالات لا حصر لها من لتاحية العمرانية فى الكوييت وهى فى الواقع به سعيد ، خاصة وأن حاكمها الحالى سمو الشيخ عبد الله السام الصباح قد بدأ فى صارى جهده فى رفع مستوى الكوييت النقصاى والاجتماعى والعمرى ، حيث أنه يصرف معظم دخله من النفط ، ويبلغ حوالى ثلاثين ألفاً من الجنيئات فى اليوم (من المنتظر أن يكون الإيراد

اليومى الآن حصة أمثال هذا الرقم) لرفاهية شعبه ورفع مستوى بلاده
لقد ساعد في بناء مستشفى من أحدث وأحسن المستشفيات في الشرق
الأوسط .

والأمراض منتشرة في الكويت وخاصة مرضى التدرن الذي يفاقم
ألمه حوالى ٩٠ ٪ من سكان الكويت . وأخيراً أعلنت حكومة الكويت
على هذه الأمراض أو مظهرها بإشياء المستشفيات والمعدات لمعالجة المرضى
والذى لاحظته أو أعظم تغير طرأ على الكويت هو ازدياد نسبة
التعليم فيها . وربما تكون أعظم من هذا إقبال الصبات على التعليم ...

كانت التنجيد إلى عهد قريب رديئة للغاية ، كما هي الحال في أى بلد
في أفريقيا أو آسيا . ولكن الأثر الذى تركه خبراء المستشفيات الانجليزية
في تحسين الحالة الصحية شيء يستحق الذكر . وبأنى المرضى إلى الكويت
من كل حذب وحسب ، من الخليج الفارسي ومن الجزيرة العربية ومن
العراق .

هكذا نشرت شهرة المستشفى الأميرى الذى بنى في عهد أمير الكويت
الحالى . ورأيت كثيراً من المرضى قادمين للعلاج من بلدان أتوا من
لصحراء ، وصيادى السمك من لقرى الساحلية ، وتجار أعبياء ، وأصحاب
دكاكين . وعمال ، وحتى الأمراء ، ومنظرهم مجتمعين جميعاً في قناء المستشفى
حقاً مظهر جيد في نوعه ، غريب في شكله . ٥ . ١ .

وينذل أمير الكويت جهداً مشكوراً في نشر التعليم في بلاده ،
لربما نأتمنه بأن التعليم هو الخطوة الأولى نحو المعرفة ، والمعرفة هي الخطوة
الأولى نحو الحياة الحرة الكريمة .

وقد بلغت مبرايية إدارة المعارف في سنة ١٩٥٢ أكثر من ٢٧ مليون روبية (أكثر من مليونين من الجنيئات) على شعب لا يريد عدده عن سبعين ألفا بين أطفال ورجال وشيوخ .

ولقد عيّنت مشيخة الكويت بإبعاد البعثات من شباب البلاد لتلقي العلم والتخصص فيها بحقاجه البلاد في نهضتها الجديدة . وكان نصيب مصر من هذه البعثات أولى نصيب ، إذ بلغت مبرايية بعثة لكويت فيها ٦٥٢,٥٤٢ روبية في سنة ١٩٥٢ . عليها البعثة في انجلترا ومبراييتها ٤٨٦,٩١٨ ، ثم تأتي بعد ذلك البعثة في العراق ٢٣,٢٠٤ ثم لبنان ٢١,٣٧٤ ثم الولايات المتحدة الأمريكية ١٢,٣٢٨

من بريطانيا والمملكة العربية السعودية

كتب صديقنا ورئيسنا الأستاذ الدكتور محمد عبد الله ماضي في هذا
الموضوع كتاباً قيماً أسماه :

الهضبات الحديثة في جزيرة العرب

الجزء الأول

في المملكة العربية السعودية

ولما كان هذا الكتاب القيم لا يترك ريباً في مسرته ، فقد رأينا أن
لا نكتفي في هذا الموضوع اعتمداً على ما كتبه الرميل نضدي

التميم

وكذلك كتب الأستاذ الدكتور محمد عبد الله ماضي في هذا الموضوع
كتاباً قيماً أسماه

الهضبات الحديثة في جزيرة العرب

الجزء الثاني

في مملكة اليمن اليمينية

ولما كانت أصول هذا الكتاب ، على ما ذكر ، قد سبقت لطبعه ،
والكتاب اليوم وشيك الصدور ، فقد رأينا كذلك أن لا نكتفي
في هذا الموضوع .

الفصل الحادي عشر

إيران بين بريطانيا وروسيا

ترجع هذه التدخل الروسي من ناحية ، ولرصد من ناحية أخرى ، في شؤون إيران إلى أواخر القرن الثامن عشر

ولهذا كان ، ولا يزال ، الموقع الجغرافي أثر لا يستهان به في المنافسة بين الدولتين لاستتعي بينهما ، فأيران تقص من ناحية التبان بالأملاك الروسية في آسيا ، بينما تدمج من الشرق أفغانستان وبلخستان ، ومن وردهما هند ، ألمع دة في اتح البريطانى منذ حين

وكان ، نظراً لحشي على أمر طوريتها في الهند من أن يكون إيهب لخطر لروسي ، تقدر ما كانت تحشى لخطر الروسى ، وخاصة عندما تكشفته هذه الدليول الشرقية بتفسير الخطة لهم نسبة على مصر

وكان البلاط فتح على سنة (١٧٩٨ - ١٨٣٤) عمرها للمفاوضات الدبلوماسية بين الدول الأوروبية الثلاث : روسيا وبريطانيا وفرنسا ، وهذا كان بحريات لسياسة الأوروب أثراً بالغاً في مقدرات إيران

فبينما كان نابليون حفر داهماً في أوروبا ، دعت بريطانيا في أن تخدمش على مصائر أمر طوريتها في الهند أن تهم إلى جانبها شاه إيران ، لذلك دعت بريطانيا صديقاتها لمثلها في إيران بأن يعمل على عقد معاهدة تجارية مع الشاه في سنة ١٨٠٠ ، ولكن هذه المعاهدة لم تعد

وعندما سار باليون حمله على مصر ، كانت من بين ما كلفته به حكومة الإدارة في فرنسا شق قناة السويس واوصول إلى الهند بحراً ، فلما

أول مجلس الهزيمة بالفرنسيين في المياه المصرية ، وأفضل مشروعهم البحري لاحتلال الهند ، عاد نابليون ، وقد صار امراطوراً ، يمسك في عرواهد يراً ، ورأى من مصلحة المشروع أن يهوى مع شاه إيران وقتئذ ، فكانت الشاه في ذلك . وتدل عدوة الألعاط التي وردت في المكاتبات التي تبودلت بينهما على مدى ما كان يلقه كل من الطرفين على الآخر . فقد أراد نابليون أن يستغل الارض الإيرانية . والجيش الإيراني ، في تسير الحملة البرية على الهند ، وأراد الشاه أن يستمتع بالمعونة العسكرية الفرنسية في محاربة الروس لإخراجهم من إقليم جورجيا . وقد عقدت بين الطرفين معاهدة سنة ١٨٠٧ ولكنها ثمر ثمرتها المطلوبة

ذلك أنه بينما كان الشاه يمسك في الاستجابة للعرض الفرنسي ، كانت مصائر الحرب في أوروبا قد انتهت إلى صلح تست ، ذلك الصلح الذي تحالفت فيه روسيا وفرنسا ضد إنجلترا تحالفاً هجومياً ضد إنجلترا . وهندئذ تفرغت الجيوش الروسية لإيران . فلم ير لشاه بدأ من عقد معاهدة مع بريطانيا لدرء الخطر الروسي ، وبذلك قبل الشاه في سنة ١٨١٤ أن يتحالفت مع بريطانيا عسكرياً . بعد أن رفض منذ سنوات أن يتحالفت معها تجارياً .

وبحكم هذه المعاهدة ، بدأت بريطانيا في التدخل في شئون إيران ، وبخاصة العسكرية منها ، فأوفدت لجنة لإعادة تنظيم الجيش الإيراني . وعملت على تقوية مركز الشاه السياسي في بلاده ، وتأمين عرشه من منافسة القبائل الطامعة فيه .

وفي ضوء هذه المعاهدة ، فكر الشاه أن يسترد من روسيا ما ضاع منها إليها من الأقاليم التي كانت تحت حكم إيران ، وخاصة إقليم جورجيا . ووقعت بينه وبين الروس حروب خرج منها الشاه مهزوماً ، وخرجت

منها روسيا باعترافه اسم إقليم جورجيا وأرمينيا إلى روسيا ، كما اعترف
الشا بهو بحكمة الرعايا الروس المقيمين بإيران أمام المحاكم الروسية ، ولم
يصرف في المعاهدة على ما يقابل ذلك من حق إيران في بحكمة رعاياها
المقيمين بالروسيا ، فكانت هذه المعاهدة أول اعتراف رسمي من جانب
إيران بامتيازات الأجانب في بلادها . وقد انتهزت الدول الأوروبية
فرصة سانحة امتثال من الشاه حقوقا بمائلة لرعاياها ، وفعلوا عن ذلك ، فإن
هذه المعاهدة دعمت نفوذ الروس في إيران ، وأزعجت البريطانيين ،
وفتحت باب المنافسة بين الدولتين للاستثماريتين ، ومن مظاهر هذه المنافسة
الحادة ، وانعدام الثقة ، أن بريطانيا وروسيا لم يجدتا بدا في سنة ١٨٣٤ .
من إصدار تصريح مشترك نصان - استقلال إيران

واختلص لمجريات الأمور في إيران يستطيع أن يستنج في إيران
السياسة الروسية كانت سياسة هجوم ، سيما اقتضت السياسة البريطانية
على رد الهجوم .

يرتفع لنفوذ الروسي في إيران ، انتشرت موجة العداء للبريطانيين
فلما خلا عرش إيران بوفاء فتح على شاه ، كان المرد الأكبر للمناداة
بعبده محمد شاه (١٨٣٥ - ١٨٤٨) عدوه للسياسة البريطانية .

وقد استغل محمد شاه عمره بمحاولة ضم أفغانستان إلى مملكته ، فعلا
دبت بأها كانت من صميم أملاك الدولة في عهد الأسرة الصفوية ،
ووقعت الحرب بين إيران وأفغانستان ، فخرجت كفة الشاه في الحرب ،
وحشدت بريطانيا أن يكتسح الشاه بلاد أفغانستان ، وأكملها ، ويشرف
على حدود الهند الشمالية الغربية ، فدرت بريطانيا أن ناب الهند قد
يصبح عدوهم معنوحا على مصراعيه . لا لإيران وحدها ، بل لخليتها
الروسية كذلك . وعندئذ قد يقضى على الإمبراطورية البريطانية في الهند

بدلت هزعت بريطانيا إلى الوساطة بين إيران وأفغانستان في سنة ١٨٣٧
 لإنهاء الحرب فأوقف لقتال ، وبذلك ظلت أفغانستان حائلا بين إيران
 والهند من ناحية ، وبين روسيا والهند من الناحية الأخرى .

وفي عهد ناصر الدين شاه (١٨٤٨ - ١٨٩٦) وقعت حرب اقرم ،
 ووقعت بريطانيا إلى جانب تركيا ضد روسيا في البحر الأسود ، فانهزمت
 الروسية فرصة سانحة ، وأوعزت إلى شاه إيران بأن تطرد مواجبة له
 لاستعادة أفغانستان ومحميا إلى منكم ، سيج وأن الظروف اعيدت تساهل
 على ذلك ، إذ أن رجاء القمائل يتسرعون للعرش ، ولم تكتف روسيا
 بذلك بل أوعزت للشاه أن يمدد بمصاحبه ، اخذ منها فيعمل على إنارة
 لقمائل اعدية ، وخاصة قمائل لشين العري ، وعرضها على حلق طاعة
 البريطانيين ، وامدادها باستعداد بلازم

سارت الجيوش الإيرانية إلى آه استن ، وطهرت بوادر الثورة في
 الهند ، ولم تقتصر على قتل الحدود الشمالية الغربية ، بل امتدت في كل أنحاء
 الهندية الشمالية ، وما لا شك فيه أن الجور في الهند نفسها كل مبعثا لمثل هذه
 الثورة ، إذ لا يعقل أن يمدد قدام أولا وأخرا إلى الجهود الإيرانية
 التي بدأت في هذا السبيل سيما وأن فوزي الهند لا يعفون على الجهود
 الإيرانية أهمية كبرى في تأريخهم لهذه الثورة . وإعناهم على رأى واحد
 من أن عوامل الانتعاش على السياسة البريطانية كانت بخلاف تحت أما
 الأحداث الدوية ، وخاصة حرب المم ، وشن الهند عاصمة بريطانيا
 يرداء الدبلوماسية الروسية في إيران . بعد كل من شأنهم أنهم شدت أزر
 الثوار في الهند ، أولئك الذين كانوا كما قد - لأسباب محلية

أما الأمر الذي أروع البريطانيين في الهند فعلا فهو سير الجيوش
 الإيرانية عبر أفغانستان ووقوفها تحتها للهند من شمال العري

وقد أردت بريطانيا أن تفت في عهد الشاه ، وأن تثبت له أن حلفه مع الروسيا لن يمتيه شيئا أمام الحرية البريطانية ، فأرسلت بوارجها إلى مياه الخليج الفارسي فاحتلت مياه بوشير ، وأسرت بحافظ المدينة وأرسلته إلى الهند ، وأرسلته في موسكو حارس ، وحجسه عن الناس . وأشاعت بأن الأسير ما هو إلا شاه إيران مداه . وذلك استردت بريطانيا هبتها في نفس الوقت الذي استطاعت أن تحمد فيه الثورة الخلية في البلاد .

وقد توسط المسلمون الثالث بين بريطانيا ، فبعد منهما صلاح فارس في سنة ١٨٦٧ ومدة العلاقات بينهما في المحسن ، مما أزعج الروس وجعلهم يعيدون على أطراف إيران ، وبشؤون عنها المتعجب . وقد عني الشاه ناصر الدين ، وخصوصا في أحرى أيامه ، بأن يعرج بلاده من عالم القرون الوسطى الذي كانت تعيش فيه ، إلى عالم العصر الحديث ، فعمل على تنظيم جيشه على الأساليب الأوروبية ، واستقدم لذلك بعثات عسكرية من مختلف الجنسيات ، وفتح البرطانيين امتداد الخطوط السعوية عبر البلاد في سنة ١٨٧٤ ، كما فتح الباب لبصاف الأوربية . فتأسس في سنة ١٨٨٩ المكتب الأعلى للآلة المطورية ، ثم تأسس في سنة ١٨٩٠ بنك الخصم الروسي كما منح الروس امتياز مصادف الأسماك في بحر قزوين .

وهذا كان من آثار الحروب التي اشتدت فيها ناصر الدين . والبعثات التي اقتضتها أهمه البلاد من إبعاد البعثات ، واستقدام الخبراء ، وتنظيم الجيش ، ولقيام بالمشروعات العمرانية ، مصافا إلى ذلك مرافقه الشخصي وخاصة في رحلاته التي قام بها في أوروبا في أحرى أيامه ، (وقد كان الشاه ناصر الدين أول شاه لإيران سافر إلى الخارج) كان من آثار كل

ذلك أن تأثرت عالية البلاد ، فاضطر الشاه إلى عقد القروض من روسيا وبريطانيا ، وبذلك فتح الباب أمام التدخل الأوربي في شئون الدولة . وما أشبه قصة لشاه ناصر الدين في إيران بقصة الخديوي إسماعيل في مصر فنقد كل كلاهما يتوق لأن يرى بلاده في مصاف الدول لأوربية حصاره مسار كل منهما في ركب الجديد ، غير مبال بالمآل من أي يهي .

وفي سنة ١٨٩٦ مات الشاه ناصر الدين . اعتلاه شاب توصى من المطالبين بالدستور . وبلاحظ أن هذه الفترة هي بعينها الفترة التي كان فيها شباب تركيا يكافح من أجل الدستور .

وحل محله على العرش مظفر الدين شاه (١٨٩٦ — ١٩٠٦) وكان رجلا صميغا مريضا . وقد ورث تركه متفئة بالتدخل الأجنبي ، وكادت البلاد أن تفقد استقلالها في عهده ، وقد فقد مروسيا الجديدة من بريطانيا وروسيا ، وطالبت كلاهما بامتيازات مقابل هذه الديون ، سبها وأن لقرصن الروسي كان نصيبان لإبراد الجدارك .

ولما مدت روسيا بالهزيمة في الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤/٥) كانت هذه الهزيمة مدعاة لتعمل العودة الروسية في إيران . فبدأ الإيرانيون يطالبون الشاه بالحياة لسببة ، حتى تستمع لقوى الشعبيه أن تقف في وجه المطالب الروسية ، وتعمل على إصلاح ما عهد من شئون الحكم ، وبادرت إنجلترا إلى تأييد هذه الحركة بكاتبه بالروسيا ، فاضطر الشاه لمسخ بلاده الدستور

وفي أواخر سنة ١٩٠٦ ، توفي لشاه مظفر الدين بعد قيام الحياة اليابانية بشهور ثلاثة ، وحل محله محمد علي شاه (١٩٠٦/١٩٠٩) . وفي عهده أفتح العودة الروسية في إبعاد صدر لشاه ضد الحياة النيابية ، ولكن

الشعب ثار في وجه الشاه ، فاعتصم في قصره بحماية قومه القوزاق الإيرانية وصاحباها من الروس ، فانضمت الى الثائرين قري البخاري . وكان النفوذ فيها للضباط البريطانيين ، واقترحت العاصمة على الشاه ، ان يمر إلى السفارة الروسية . فكان ذلك بمثابة نازل عن العرش .

وافقد كان للأحداث الأوربية ثمرأ واصحا في تقرير مصير إيران في سنة الأيام ، ذلك أن ألمانيا كانت قد بدأت في مودة يدور الأوربية وتعويق جهودها الاستعمارية لحسابها ، فعقدت مودعا مع روسيا . ثم عقدت بعد ذلك مع بريطانيا لاتفاق لودي لتقسيم نفوذ في شمال القارة الآفريقية . فاقبى على هذه الحفدين أن أصبحت بريطانيا في حالة هذه مع روسيا . وعندما انعقدت الحكومتان الروسية و امريكية على اقتسام النفوذ بينهما في إيران ، فأمر بهما في سنة ١٩٠٧ اتفاق على أن يكون النفوذ في شمال إيران للروس وفي جنوبها لبريطانيين . على أن تكون المنطقة الجنوبية العربية ، لودعه على الخشخ لعارسى . منطقة حيداد وظل الاتفاق بين الحكومتين سرا ، مما أعل أنه اتفاق بين الدولتين لعدم التدخل في شئون إيران .

على أن هذا الاتفاق ، وإن أحتى لعمدة لسافر بين اندوسين في سياسهما الآسيوية ، لم يخصص على المقاصد لودونية بين نه ولتين في بلاد الشاه . فعد كانت هذه طبعه الأمور في لسواب المكره من مهن عشيرين اعطاف مودة بين اندور الأوربية على اقتسام لنفوذ في العام الإسلامى ، ومقاصد دودونية بين هذه اندور في كل مكان حتى لقد كان هناك اسمهم لندونه من دول الاسفار في امكان اندى يشعبه وقعا على محاحه في سدعيم نفوذ دوائه . أو لعصاء على نفوذ اندولة امباسه لها بالمؤامرات

ولم تدخل إيران من وطأة هذه الامامية إلا في سنة ١٩١٨ عند ما أعلنت الحكومة السوفيتية ، التي حلت محل حكومة القياصرة بعد الثورة الروسية الكبرى ، نفسها خيم الاتفاقات والمعاهدات التي عقدت مع الحكومة لقصرية . ونشر عن لاهم الاتفاقات السرية التي كانت معقودة بين القياصرة وهذه الدول .

في الحرب العالمية الأولى

بدأت الحرب العالمية الأولى وأرد ما تمكنه في معسكرين . معسكر الحلفاء ، وشمل برطانيا ، وفرنسا ، وروسيا ، وفرنسا ، ومعسكر دول الوسط . وكان يشمل ألمانيا وروسيا وتركيا ، وبذلك كتب عن برطانيا والروسيا أن يناق سياستهما وفقاً ما . وظلت الحان كذلك إلى أن اندلعت نار الثورة الشيوعية في روسيا ، وقضى على الحكومة القيصريّة فيها ، فخرجت روسيا الشيوعية من نطاق الحلفاء .

وقد أثرت إيران هذه الأحداث ، في مستقبل الحرب ، بتأسيقت السياسات الروسية والبريطانية في إيران ، وإدخولت مصلحتهما على ضروره اكتساح إيران رغم أنها توصلت إلى مواءمتهما من ناحية الشرق .

سارت الجيوش الروسية إلى إيران فاحتلت سرخس ودهليز من أمهات مدن الشمال ، وفي الوقت ذاته هاجم الأسطول البريطاني ميناء نوشير على الخليج لغرضي وأرسل به جنوداً لاحتلال إيران من الجنوب . وظلت الخليجتان تحتكما في مصائر الأمور في إيران حتى قامت الثورة الشيوعية فانسحبت الجنود الروسية من البلاد ، وبادرت برطانيا إلى تسيير جيودها

لاحتلال البلاد التي أحلها الروس ، وسيطرت بريطانيا على البلاد
سيطرة كاملة ، على الرغم من المتاعب التي كانت تثيرها القبائل الإيرانية
واعتمدت روسيا الشيوعية منذ البداية في إيران ضد بريطانيا ، وقد
أفلحت هذه الدعاية إلى حد كبير ، وخاصة بعد أن ترامت الأنباء في أنحاء
البلاد بالهزائم التي كان الألمان يربطونها في الميدان الأوربي العربي بمرسا
وحليتها بريطانيا .

واضطرت أحوال الحكومة الإيرانية بالضغط البريطاني الواقعي
من ناحية ، والدعاية الواسعة النطاق التي كان الروس يبذلونها من الناحية
الأخرى ، واستيقظت في البلاد روح قومية لم تلت أن أطلعت برجال
الحكم المواليين لبريطانيا ، وصيرت في البلاد موجة من التجديد والبحث .
بما أعلنت مبادئه ولسن ، ومهاجن بفرز المنصر ، طن الإيرانيين
أهم قلب فبريسين أو أدنى من تحقيق آمالهم باستقلال بلادهم
استقلالاً تاماً وذهب وذهب إلى باريس لحضور مؤتمر الصلح ، ولكن
بريطانيا أودعت في أقصاء هذا الوفد عن المؤتمر ، كما فعلت بكافة الوفود
المطالبة بحقوق بلادها سواء سواء .

وقبل أن نستعرض في سرد الأحداث التي توالى في إيران ، يجدر بنا
أن ننظر نظرة عامة على المسرح السياسي الدولي بعد الحرب العالمية الأولى
مقتصرين على ما كان له أثر من هذه الأحداث في الشرق عامة ، وفي
إيران خاصة .

١ — قد كان الانقلاب الذي حدث في روسيا ، من القيصيرية إلى
الشيوعية ، ذا أثر بالغ في الشرق . فإن روسيا السوفيتية أعادت الصرافة
في السياسة الاستعمارية التي كانت لب السياسة القيصيرية ، بل لقد رأى

الروس في عهدهم الجديد أن يقفوا بجانب الشعوب الشرقية المملوكة على أمرها لمقاومة الرأسمالية والاستعمار ، إذ أنهم كانوا يعتقدون أن تحقيق النظام الشيوعي ودوامه يستلزم تحول هذا النظام كافة أنحاء المعمورة . وقد قرر الشيوعيون أن يبدؤوا بمحاربة الرأسمالية في الشرق دون العرب لسببين الأول أن الشرق كان مستمرا للغرب لحساب الرأسمالية ، ورفع الروح المعنوية في الشرق به مقاومه ونحطيم للاستعمار ، ومن ثم تحطيم للرأسمالية ، والثاني أن أسس الرأسمالية في الشرق غير واسعة بمقدار وسوحها في الغرب الذي تمت فيه الرأسمالية أوج عظمتها في كسب حركة التصنيع ، وبدت كان العمل في الشرق أصعب وأعظم ثمرة من العمل في الغرب .

٢ — ركز الحلفاء كثيرا من جيوشهم في الشرق خلال الحرب ، وقد استلزم ذلك أن يصرف كثير من نفقات الحرب في الشرق ، فتوسع بذلك نطاق الكسب للطبقات الفقيرة ، فتدوقت لدى الرفاهية المحدودة لأول مرة ، غير أن سمه العدس التي أوجدتها الحرب لم تدم طويلا فقد أعنتها الآزمات الاقتصادية ، فصب الماء من أيدي هذه لطقة فعمرتها روح القنعة والتبرم بالأوضاع الاجتماعية ، وعندئذ تقدمت لسياسة الشيوعية خطوة إلى الأمام اعتمادا منها بأب التربة صالحة للتطعيم للشيوعية بين هذه الأوساط . دعاه قوامها تنبيه الطبقات لكادحة إلى حقوقها ومن أمثلة ذلك ما جاء في الشرة التي أصدرها الشيوعيون في سنة ١٩٢٠ مـ بسببه بوجه الدعوة إلى عقد مؤتمر من ممثلي الشعوب الشرقية ، وقد جاء في هذه الشرة العبارات الآتية موجهة إلى إيران .

يا ملاحى إيران وعملها : إن حكومة طهران القاجارية مستعبدية

قد اختلسوا أموالكم واستولوا قرونا عديدة . إن الأرض التي جعلتها
الشريعة ملكا مشاعا بينكم قد انتقلت شيئا فشيئا إلى حوزة خدم حكومة
طهران ، الذين يفعلون ما يحلو لهم فيثقلون كاهلكم بالضرائب كما يشاءون
وقد باعوا لبلاد الرأسمالية الإنجليزية قبل عام ، بعد أن أصبحت الأرض
بحال لم تعد تصلح معه للاستثمار

٣- كانت السنوات التي تلت الحرب العالمية الأولى سنوات يقطعة
عامة في الشرق ، ففي تركيا كانت النهضة الكالينية ، وقد استطاع الكاليون
أن يردوا كبد البريطانيين في أعماقهم ، وأن يحلقوا من شتات الأتراك قوة
باهضة لم تلبث الدول الأوروبية ، وعلى رأسها بريطانيا أن اعترفت بها .
وفي مصر كانت ثورة سنة ١٩١٩ ، وقد تمكن المصريون فيها أن يسمعوا
صوتهم للعالم أجمع بأن بقاء الاحتلال البريطاني ، أو الحماية البريطانية
في مصر أمر لا يقبله الشعب المصري بعقليته الجديدة . وفي شمال الجزيرة
العربية كانت فكرة المروبة قد أفرحت ، وآمن المترددون بأن لا أمل في
بقاء الملاد في حوزة الإمبراطورية العثمانية . وأن حق تمرير المصير قد
حوطهم أن يقولوا كل منهم في مستقبل بلادهم ، بينما كان آل الحشيين
يستجزون البريطانيين وعودهم خلال الحرب ، وقد اندلعت نار الثورة
في سورية والعراق تطالب بالانفصال التام وجهلاء العاصيين . وفي قلب
الجزيرة العربية كان أسد الجزيرة ، عبد العزيز آل سعود يبني ملكه الجديد
على أنقاض البعث البريطاني . وفي الهند اندلعت نار الثورة ضد
البريطانيين تقول لهم : أخرجوا من بلادنا . فكان الشرق مأكله قد
سرت فيه روح جديدة . يتطلب كل قطر من أقطاره أن يشمل مكانه
الذي يستحقه .

وفي ضوء هذه الهبة التي شمت الشرق بأكله ، لم تتحلف إيران عن السير في ركب هذه الموجة العامة فصلا عن أن ظروف البلاد الخاصة كانت تنادى بالعمل الجدي المثمر

في سنة ١٩١٩ عينت الحكومة البريطانية السير رسي كوكس ، من حمراء وزارة الخارجية البريطانية في شئون هذا القضاة (الخليج العارسي وإيران والمراة) ممثلا لها في طم ان ، ولم يلبث أن استمال رجال الحكومة إليه ، وعقد معهم معاهدة تضمن لبريطانيا السيطرة على الإدارة والجيش في إيران ، على ارفع من أن السد الأول منها يمس على اعتراف الحكومة لبريطانية باستقلال إيران لنام ، وقد لاقت هذه المعاهدة إعراضا في الخارج والداخل أما في الخارج فقد رأت كل من روسيا وأمريكا أن في هذا الاتفاق مغارة من جانب بريطانيا للأمراد بالسود في إيران ، والحيولة دون مصاح غيرها من الدول : الأصدقاء والاعداء على السواء أما في الداخل ، فقد كان الرأي العام الإيراني قد أفاق من عهقه الماضية ، ولم يعد يستسبح أمثال هذه الألاعيب رفض المجلس الباني المعاهدة وأرفع الوزارة على تقديم إمتثالها ، وعمرت الحكومات المتعاقبة عن الحصول على موافقة المجلس على المعاهدة وفي هذه الاثناء ، ظهر على مسرح السياسة الإيرانية ، رصاحان ،

وحبر ما تقدم به للحديث عن رصاحان أن العرب لمصا ما كتبه عنه لكاتب الأمريكي وليم هاس في كتابه إيران ، الذي صدر عن جامعة كولومبيا سنة ١٩٤٦

رضا خان وإصلاحاته

نشأ رضا خان من عائلة قديمة ، عربية في فارسيتها ، في مقاطعة مارندران . التحق شابا بفرقة القوزاق الإيرانية ، وبعد أحرار من الدجاج ماسمى به القيادة العسكرية ، ومنه إلى القيادة العليا للبلاد . ولم يكن في ذلك إلا مثلاً واحداً من أمثلة النجاح السريع غير المتوقع التي حدثت في كثير من الأمم ، كبيرها وصغيرها . في الفترة التي أعقبت الحرب الأولى ، وأمثال هذا النجاح الذي يتكاد يكون خيالياً لمن يدره في الشرق عاصم في حرب . وما الفهم من أن تروى في آف لبه وليه عن ظهره رجل من عامة الشعب بين يوم وليلة إلى مصاف الودراء العظام . إلا خيالا كثيراً ما تؤيده الأحداث ، وليس معنى ذلك أن رضا خان قد صعد عليه الخط بزعامة من حليلة عظيم . أو نعوذ به من ساحر عديم . فيه كون مستغله دون أن يوصى به أحد أحداً . ودون أنه يكون له ما يعتمد عليه إلا خالص مواهبه . ولو حاولوا أن تنقصي سيره الأولى لما وجدوا إلى ذلك سبيلاً ، فالسادة التي يعتمد عليها في ذلك غير مسلمة ... ونهراً لندرة المادة التي يمكن الاعتماد عليها في الحكم على شخصه رى أن شهادة صابط بريطاني في هذا شأن قد تكون لها أهميتها قال عنه (فور رايت) : —

د في مستهل عام ١٩١٩ ، بينما كنا معسكرين في مدينة نوزين ، دارنا صابطان من فرقة القوزاق الإيرانية . كان أحدهما روسياً هو الكولوبيل سلفنسكي من أصدقائي المقربين ومعه صابط من أحسن من رأيت من الصباط الإيرانيين رجافة . وقد قدم لي باسم الما جور رضا خان ، وكان مظهره يرم عن الطواء على نفسه ، وقد خيل إلي أنه صجر محديتنا ، ولكن هذا

اعظم لم يلبث أن تغير إلى القيص عند ما عرضت عليها أن يجولا معي في معسكر القل الميكايكي ، ولقد انشفت شخصية هذا الصابط الإراني من خلال علاقة أصبحت ، فصار يوجه إلى السؤال تلو السؤال لمدة زادت عن ساعة ، وقد كنت مقتطعا بالإجابة على أسئلته ، إذ بدا لي بوصوح أنه رجل عسكري موهوب . إذ كانت كل أسئلته في تصميم ، وقد أدهشني سرعته في استيعاب المعلومات الدقيقة لموضوعه .

ولقد كانت الظروف مهيأة لظهور صداحان على مسرح السياسة الإيرانية . على أن هذه الظروف بدتها لايجوزها أن مانع من مؤهلاته ومواهبه ، إذ يجب علينا أن نذكر قول جوته : « لقد ما تقفرت العرص بالموهبات » . وندعو أهمية التزاوج من العرص والموهبات في ميدان السياسة أكثر مما ندعو في أي ميدان آخر . قد يقال في كل إصلاح أو تجديد سياسي أن العرصه ورت الرجل ، وأن ضرورات الموقف هي التي أجبته ، ونفسه في هذه الحال في سيره صداحان ، غير أن قدرته بخلافه على انتهاز عرص في الموقف المناسب لا يمكن تجاهلها .

لقد لجأ نورييه بيون في الرشوة على نطاق واسع لموضع مع هذه سنة ١٩٣٩ موضع التمهيد ، فقد سحروا في عطائهم لثلاثة من وزراء . من بينهم رئيس الوزارة ، ولكن المعاهدة «مفتقر إلى مواهبه الرئيس ، وإذا كان رئيس الوزراء ونورييه قد تردد في عرض الأمر على المجلس ، فإن نسب الأهم في ذلك أنه رتب شعرا أن الرئيس لا يمكن سمع كبرياء قوي وإدرات وحسن تكفيل لرئيس إرامها .

أما لكه أحمد غيرمكن يتابع بحال في إرامها ، إذ انها كانت مروع عنه إلى الأبد أنقال الحكم . وفي الوقت المناسب تولى دمام الأمور

وطني من رجال الدين هو السيد حياء الدين ، وسرعان ما التجأ إلى
فرقة القوزاق يلتمس منها العون .

لم يتردد رضا خان في تلبية النداء ، فصار إلى طهران على رأس
لصمه آلاف ، وألقى القمص على رجال الحكم وألغت الموروث الجديدة
وكان رضا خان فيها وزيراً للبحرية ، وحدث في فبراير سنة ١٩٢١ ،
وكان أول ما أعطته له الحكومة هو إلغاء البعثة الأولى

و بعد حمله آيا ، ۲۶ مرد رسه ۱۹۷۱ ، مادر المحسن ليلى الى
النقيب على عهد ابيه - روسيه . و بها العاصم لآية -

أولاً لا بد من العلم بأن

ثانياً اعترضت حكومة لروسيا سوفيتية 'لغناء' جميع لاهوتيين
أرمن من إرني وحكومة 'الوفا' 'المصرية'، وقد تضمنه ذلك من اعترض
عن الأوامر لإزالة أي كاتدرائية أرمنية، وأنه لن يرضى إلا بشايات
ثالثاً - استنكار محاولات في مدخل دول الأوربية للفصل على
استقلال إيران وغيرها من الدول الإسلامية

وإذا استعادت الروما لحدده لشعب الإيراني في حالة وقوع أي اعتداء جني على ديار

حامسا . سأل الروميا لإيران عن كل ديونها ، وعن ملك الخصم
الرومي وكافة فروعه في إيران .

سادس - تسليم جميع الخطوط التلغرافية والمواقي التي أقامها في إيران والتي كانت تديرها الروسية

سابعاً: يعرض الروميا لإيران أن تنشئ لنفسها أسطولا في بحر

قرويس ، بشرط أن لا تقابل إيران في يوم من الأيام عن هذا الأسطول
لطرف ثالث ، أو تضعه تحت تصرف قوة أجنبية .

ثامناً : تدارس الروسا عن الإرساليات الأرثوذكسية الروسية ،
بما في ذلك مبانيها ومؤسساتها .

• • •

ومن سمريات : لقد رآه رضا خان لم يست أن يبين أن صياء الدين
يؤمن بصروحه التعاون مع بريطانيا ، وقد تصح هذا الأمر عند ما أراد
رضا خان أن يعد بظم الجيش ، فإن صياء الدين تشبث بأن يستد ذلك
التنظيم إلى إمته بريطانيا ، سيما أن رضا خان على أن يكون الإمبراطور
أمر جيشهم بأنفسهم دون دعم أجنبي . وقد استنى على هذا الخلاف أن
سقطت وزارة صياء الدين .

وطلعت إيران تعاني الأزمات الثورية ، ثم واحدة إثر الأخرى ،
ولكن مصب وزير الحربية وسردار الجيش من على اسدوام تحتضاه
ارضا خان ، ثم كان يدركه الشاه من محبة الشعب له و بحاف الفساد
حوله ، ثم كان شهر أكتوبر سنة ١٩٢٤ م كشف رضا خان مؤامره
تدبر لاعتقاده ، يدبرها أحد رؤساء الوزراء السابقين ، هوام السلطة ،
فقبض على المتآمرين ، وأرغم رضا خان شاه على أن يبعد إليه بمألف
الوزارة ، محفظاً فيها لواءه المركزي وزير الحربية وزير الجيش ،
وذكر في رضا خان بأن طلب إلى هوام السلطة أن تعادر البلاد فوراً
بدلاً من محاكته ، فشد رحاله إلى أوروبا ، وما لبث الشاه أنه عاد
إلى البلاد إلى أوروبا كذلك ، دون أن يحدد مدة إقامته بعيداً عن مملكته ،
وسلك صار رضا خان الرجل الذي تطلع إليه البلاد .

على أن لطريق الذي سلكه رضا خان إلى عرش بلاده لم يكن طريقاً

معروشا ، نورود والياحين . فقد أخصع غير واحد من الثورات قسبية صده ، وقاوم غير واحد من موجات الرحمة ، وأسكت أكثر من لسان من الألسنة التي كانت تنعى الأمره العنصرية .

وأخيرا وافق المجلس بأغلبية ٨٥ ص ٥٠ أصوات على اقتراح مجمع الشاه أحمد ، وقامه رعايا وصحب على عاش لسلامة حق تجمع الجمعية العمومية التشريعية . وحدثت من شباب فهمه دستوراه كثيرة حول الملكية وحرية ، وأهمها أن الملك من ثلثين الاجتهادية والديمقراطية . وصارت الأمية واحدة من بركة ، فانتهى بين الأصول في كل من برأ وإراد في التمسك بدمه . وقد ذلك كله في المبدأ برصد على شاه على ١٩٢٥ ، على أن يكون الملك وراثيا في نسله من الذكور .

ومن طرأ على ميراثه على مصباح لاده في الداخل والخارج ،

أما في الداخل فقد استطاع أن يأتى بمجالات في سبيل رفع مستوى الشعب والجنش على السواء ، يقول بالحدوث لو ماولنا هذا الموضوع ، فصلاحه به خارج من تصاد محشا

أما في الخارج ، فقد طرأت سياسة منه المحافظة على سلامة بلاده من تدخل البريطانيين في شئونها ، إن لم يكن بالطريق السامى لدور ، وبالاستناد الى المصالح البريطانية في شركة التنوير الانجليزية الايرانية . فلقد شعرت بريطانيا بصدى بدته على ظهور بلاده من العوذ الأجبي عندما قرر إلغاء الامتيازات الأجنبية في سنة ١٩٢٨ وظلت بريطانيا

أرف موقعه من شركة البترول حتى كانت سنة ١٩٣٢، وبدا به يلقي الامتياز
الممنوح للشركة اعتمادا على إحصاء الشركة تعديلاتها

ونرجع قصة البترول في إيران الى سنة ١٩٠١ عندما منح الشاه
مطهر الدين شركة دارسي اعتبارا بالبحث عن البترول في أنحاء إيران
فيما عدا المقاطعات الشمالية (التي كانت وقتها خاصة للعود الرومي)
ولم تصادف الشركة نجاحا في مستهل حياتها ، وكادت أن تغلق أبوابها
حتى كانت سنة ١٩٠٨ حينما انتقل البترول في د مسند سليمان ، وبدأ
الاستخراج في سنة ١٩١١ عندما أشتت معامل لتكرير في عدن ودمت
إليها الأنايب من مسند سليمان

وطأت الشركة تستغل آبار البترول ، وحصه الحكومة من هذا
الاستغلال تكاد لا تذكر ، والبرامات الشركة بإزاء الحكومة الإيرانية
لا تنفذ ، وعدان ومسند سليمان ومن بعدهم هيدر تكاد تكون مدنا
برطانية ، حتى كان عهد رضاخان . فاداه به يدعي الامتياز في سنة ١٩٣٢
ككار كريا . ويدعو الشركة إلى عقد ائتلاف جديد مع الحكومة

ورفعت بريطانيا الأمر إلى عصبة الأمم ، وحاوت أن تصنع الأمر
مصلحة دولية ، وأجأت إيران إلى الخسائر واقع بين إيران وشركة
خصوصية ، وأنه لا وجه لسدح الحكومة البريطانية ، وأفلحت إيران
في جعل عصبة الأمم تتجنى عن نظر المسألة . فاصطرت الشركة إلى عقد
لائحة جديد مع الحكومة ، ووعيت فيه مصلحة البلاد المادية والأدبية

أما إنتاج البترول في إيران فقد كان في سنة ١٩٣٨ ٧٧٠ وربع مليون
برميل سوريا أو ما يعادل ٤ ٪ من بترول العالم (كان إنتاج الولايات
المتحدة في هذه السنة ٦١ ٪ من بترول العالم) وفي سنة ١٩٤٤ كانت آبار

المتروك تعدى معامل التكرير في عدان بحوالي ٢٨٤٠٠٠ برميل يومياً (بدلاً من ٢١١ في سنة ١٩٢٨) ثم ارتفع الرقم إلى ٣٥٠٠٠ في سنة ١٩٤٥

وفي سنة ١٩٣٧ انتخبت إيران عضواً غير دائم في مجلس عصبة الأمم وفي نفس العام وقع اعاقى لعدم الاعتراف بـ إيران و العراق وتركيب وأفغانستان سمي بميثاق سعد آباد إلى اسم القصر الذي كان يقيم فيه الشتاء بقرب طهران ، فكان مظهراً من مظاهر النعاصم والكافال بين هذه الدول اشرقيها ، على الرغم من عدم جدوى هذا الاعاقى من الناحية المادية

في الحرب العالمية لثاية

أعلنت إيران جياها بمثل ما فعلت في الحرب العالمية الأولى. ولكن ظروف الحرب لم تسمح لدول المحاربة بأن تحترم هذا الحياد ، ولم تلتك إيران أن أصبحت في هذه الحرب ، كما كانت في الحرب الأولى ، ميداناً من ميادين القتال .

يتحدث ولیم عباس في كتابه « إيران ، من هذه المرحلة فيقول

« لو ترك لإيران نظرياً أن تختار لنفسها موقفاً مداته خلال هذه الحرب لفضت مصدتها الخاصة بأن تكون مع العالمين ، وسبيل ذلك أن تتحد نفسها طريقاً وسطاً ، دعاء عواطفها إلى أنه يحين الوقت لدى يرجع منه إلتصاف فريق على فريق . ولكن مسلك إيران لم يكن إلا مسلك عاهلها . أما الرأي العام الخفي فـ يكن ثمت احتمالاً لوجوده ، لخميرة الشعب لم تكن تعنيهم السياسة الخارجية ، ل لم يكونوا أهلاً لهم ، أما بين المعديين فقد انقسم الرأي إلى فريقين ، ومن المؤكد أن فرنسا قد نالت عطف

الكثيرين ، ولربما جاوز هذا لعطف دائرة الشباب الذي تنفقوا في روسيا
أما أولئك الذين صقلت عقولهم صقلا سياسيا ، فقد ارتفعت رطبانيا
بهم مكاتبهم القديمة التي عمت عليها أحداث الدهر الجديد .

ولكن الأوراقاطمة (في موقف إيران) كانت من انتماء من الألمان
والروس . فان مركز ألمانيا في إيران كان يردار همه كل اردات سياسة
قوة ، فان لاديين قد جموا بين الدخيل الاقتصادي والدعاية السياسية لتأيد
مركزهم في إيران ، عش ما فعلوا في كل مكان . فإن سياسة لافساد حماي
قد مكنت لألمانيي الناربه أن يفتح إيران من لملات التجاوبه عالم
تستطيع أن تفتح يدبها راعيت وفي تصديق إيران ، تات ألمانيا المكانه
الأولى . ولم يلبث لمهندسون واحتراف الألمان أن انعدم . وفي
لتجارة الخارجه كانت ألمانيا في مقدمه الذين التي تتجرع إيران (كانت
أرهم لتجارة مع ألمانيا أرهم ، أثبت ما كانت عنه مع كل من روسيا
والولايات المتحدة) وكان كل ألماني يرسل الى إيران يوقل
له أن يكون داعية للذهابه . كما كان التوسع الاقتصادي مقرونا على
الدوام بوسائل انتاعه . ولم يكن زيادة كل من عون شارك رئيس
مطهرت شباب ساري والدكتور شاحت استثناء . من هذه القاعده ولم
يستطع الشاه الا أن تنهره ائزايا المالية والاقتصادية التي دحما الداري
البلاد . فصلا عن لكياية والاهتمام بالدين كانت سببها هذه الدولة
لكبرى لإيران دون أن يسمح عن ذلك أي مأرب سياسي . وكان من
رأى الشاه أن يتابع في طلب المساعدة والتعاون ، أي الدارل التي لا يحنى
على إيران من حططها السياسي ، كعربا وغيرها من الدول الصغيرة .
وبذلك كانت ألمانيا النازيه ، وهه حمت بين القوة المادية والهدد عن أن
يكون لها في إيران مطمح ، الدولة الشريكة النافعة التي يرحب بالتعاون

معها ، على الرغم من أنه كان واضحاً لديه أن السياسة الخماعية في الحكم والإدارة لا تتواءم مع المبادئ الديمقراطية . وفي أحرار أيام الشاه اتحدت أساليب الحكم الألماني والإيطالي مثلاً تحتدى في الإدارة الإبراهيمية ومن أمثله ذلك صبح التعليم بالصيغة العسكرية وإنشاء إدارة خاصة للإرشاد القومي .

على أن أهم ما اجتنب الشاه نحو السياسة الألمانية المربيه بعداء التعصبي صدر روسيا الشعبية . وإذا كان ثمة عجز أساسي تدرج عنه سياسة الشاه الخارجية ، فهو جرعه من المشبعة وانتشار الهداية لها في بلاده (ويعتد الكاتب هنا أساليب قبح الهداية الشيوعية وه صادرة لمؤمنين بارالمالين على نشرها) وليس من أهين علينا أن نمرر أن أي مدى كانت مخاوف الشاه في غلبا ، ولكن الإنسان يستطعم أن يدر في سهولة ويسر أن ألمانيا النازية كانت بالنسبة إليه همة مماوية ، ملل من مخوفه ، وأنه لم يكن يعتيه أن يتعرف ماهية الشيوعية أو خطتها لإصعاع العالم واستعداده . . . بذلك كان واضحاً عندما أعدت الحرب بين روسيا والمغرب - أي أي فريق سيهوى فزاده

أما الخلقاء ، فلم يكن لهم بد من أن يسلكوا طريق الهدى يسلكوه فقد حدثوا لإبراهيم لأربعة أسباب . أولاً أن يطعنوا في الاستمرار في أعداد روسيا بما تحتاجه عبر إيران ، - أن طريق الخليج الفارسي ومنه إلى اقوفار مسخر قروير كان الطريق الآمن نسبياً من عارات لعراضات الألمانية ، والثاني أن الموقف في الشرق الأدنى والشرق الأوسط كان يتطلب العمل الحاسم السريع ، فإدام الألمان يعتبرون من لقوة والقوات الألمانية الإيطالية تهدد مصر ، ولاسطول الياباني يحتمل ظهوره في مياه

الخليج الفارسي ، فقد لزم أن تتحد كافة الاحتياطات المدفوعة من جانب
الحلفاء ، ومن بين هذه الاحتياطات المحافظة على التزول ومعه ، وذلك
هو السبب لثالث الذي جعل احتلال إيران أمراً لا مفر منه ولا حاجة
بنا إلى لقول أن الحرب كانت لتنتهي في صالح الحلفاء بعد إبرام التزول
الآيراني فقد كان حتماً على الحلفاء حماة مصالح سريول ومصالحه من
عارة الجيوش المعونة برا وبحراً فضلاً عن حماة مصالحه ودواعي في
إيران هو عملاء الألمان ، وكان من المحتمل أن يقوموا بنسف المؤسسات
استرولية وذاك كانت هذه المحاولة لم تحدث ، كان ذلك لا يحصل بحراسة
التي أحدثت بها هذه المؤسسات من جود ترافعة وإيران على أنه
يتمثل أن يكون الألمان قد عمروا هذه بحوزة سد احرا ، من ما عمروا
من أنابيب خطوط الحديدية عبر إيران في العمل أن كان للألمان
وفندق وميناء نصر سره وذلك امرراً أن يتركوا هذه المؤسسات على
حاليها من إصلاحه رجاء أن تصبح في أيديهم أرواح مع ذك فتمه بعدو
على كل تقدير وأحر هذه الأسباب نشاط لعملاء الألمان في إيران ،
من مظهرهم ، التي أحدثت حتى بوحدة كانت معروفة للاريطانيين ،
ولكن كان من الصعب وفند أن تقوم هذه المطالب دون الأساس المعقود
السيادة في إيران .

ولم تضع سياسة المساواة الى جرت علما الديمراطيات ، ولا امبار
فردا في أن تبث في نفس الشاه روح الثقة في عدالة قضية الهند ، كما
أن مركزه في الحرب في صيف سنة ١٩٤١ لم يكن ما يشجع الشاه على
أن يرتبط بمصيره معبر الروس والبريطانيين بدس طلبة اليه إحراج
علاء الألمان من بلاده

ولذلك دخلت جيوش الحلفاء ارض إيران في أغسطس سنة ١٩٤١

فاحتل الروس انجمن واحترل لير طانيو ، الجنوب . وكان حصول شاه
لما طالب لحدت . أو عدله . نجح هذا الاحتلال لا تمنى مع طبعته إن كان
يمتدد علما رحيصا عم وهدد حذته عنه . وورقضا أنه نجح في إزعام
حصه على مده . و أن مصيرت الموقعة منه وبين سخط الاحتلال
كانت كعدله أن صوح في نفس المصير ، ولو أنه تشتت بحقوقه لاهارب
منه أسر . ولعلل بيت المصير أشد رجحا من مصيره هو ، بعد كان
مصيره بيت بحريات المده ، معما ، ثم كم الهسي . بعد أسير سلاط في
نفس الأدي الى سسنة أن حنصا منها ، ولقد شهد بهبه بهار طود
لشاه مع لري به . أو م سيطع أن سكي ، أن هذا الاحتلال ما كان لا
شراؤها اد فوس . كان سؤول انه حال الملاد في أسى الأمل
والناس .

دعت لجيش امجد . أرض دري من لشير والجنوب ، وم كن
للحكومة الإيرانية . بعد برون نشه عن عرشه لانه ومعدده سلاط .
مناصر من أن رب على مطالب الحف . وان شعاون معهم مر عمة . في
سبتمبر سنة ١٩٤١ أعيد الحرب الى ألمانيا ، فمض على من لم من
عملاء ألمانيا ، وفي يناير سنة ١٩٤٢ عودت معاهدة بين روسيا وبريطانيا
من جانب ، وديون من الجانب الآخر ، قسمت اعتمادها ليران إلى مطلق
معود كما حدث في سنة ١٩٠٧ فارتق واحد ، وهو أن المعاهدة الجديدة
نصت صراحة على استقلال إيران استقلال تاما عر مقصوص ، وقد جاء
للتصريح البريطاني الأمريكي الروسي في ديسمبر سنة ١٩٤٤ مؤيدا لهذا
الاستقلال ، وراذ عليه أن مصاح ليران الاقتصادية ستلي بعد الحرب
عناية خاصة من الحلفاء ، وأنه لن يورد دولة ما بعد نه قب ، اقتصادية معها
وتعليق على هذا الموقف يقول ولیم هاس :

ولم تكن المشاكل الاقتصادية هي كل ما واجه حكومة الشاه الشاب ،

فقد كانت إلى جانبها مصفاة مشاكل أخلية ، تنصل اتصالها غير مباشر ، بالاحتلال فإن مرأى الجهاد الأجاب على أرض الوطن الأيراني قد صفت مصاصفات شتى ، مشتم في ذلك مثل استقالة رضا شاه ، إن من الأمور العتاقة الكامنة في لادكتاتورية أنها تنقز إلى سدة الاستمرار التي تغير الملكيات الوردانية والديمقراطيات ، وإما ما أهدر الدكانو ، بأن السدول يميل تطبعته إلى التحول إلى أقصى لانحاء المصدا ، إلى انموصى والعصا بالنظام واقدر طمرت نوادر انموصى في طول البلاد وعرضها فاعجل نظام الجيش ، وردأت القضاة في الشعب متسبعة بما حباه أو اتعنه أو هرنه من سلاح وهرصت الطرقات العامة للكثير ، لا ستهب ، راعتدى في كثير من الأحيان على قواص الخلاء ، أنهم ، وأصصت اللار في أمس الحاجة إلى رحل دى مكانه مرموه ومرمحه رفاة ، وتوافرت هذه الصفات في المرحوم محمد علي ، وحى لدى عينه «شاه الشاب رئيساً نوواره ، كما كانت البلاد كذلك في شديد الحاجة إلى حكمه واعيه من سواد الشعب الأيراني حتى يمكن إعادة النظام ، في نصاه . اهـ

وانتهرت روسيا هذه الفرصة — فرصة حلقها مع الديمقراطية فشررت الدعاية الشيوعية على نطاق واسع ، وكملت الدعاية الشيوعيين المحبين بمهايتها ، فتحدت لموصى التي عمت البلاد مع ادعائه الشيوعية ، فل سواد الشعب إلى المادى المتطورة .

ومكدا ارتتت في إيران شاه شاب مغلوب على أمره أمام الامر الواقع ، ورئيس وررة بحث بعمل على إقادة ما يمكن إنقاذه . وشعب يرم بهذا الاحتلال الأجنبي ، بهرت غالبية الدعاية الشيوعية ، والكل في ليل مظلم لا يعرف له نهار .

وانتهت الحرب العالمية الثانية باندحار ألمانيا النازية ، وبذلك قضى على

الاشتراكية . وذهب اشوعه رجلاً واحداً لديموقراطية ، كلاهما تريد أن تسيطر على مدبر الأمور العالم أجمع ولم تفت روسا وبريطانيا ، وكانا إلى عهد حرب جدهن متساويين . إن ثاويات كل منهما الأخرى

وفي إيران وجدت كرهه الله به البروسيه على كفة السياسة لبريطانية وجهان كان ما كان عليه الخاب في أن يوم من الأيام ، وقد يعزى إلى ذلك همه لبروس في ثمر دعائهم في بروس بعد ما يرى لا غنى في اخاهير الإلار به لافقية لشوعه في ذاتها أم البريطانيين هو يصح في أيديهم ما ينبغي به الشعب الإيراني أو شوي به رجال الحكم منهم

وكانت لأحزاب السياسة قد تم ذلك عام بسبق به مثل في تاريخ البلاد . وجرى ذلك إلى سائر الدول أن روح الكتب إلى عام ، بلاد أيام حكم ربه شاء كانت قد حفرت لغيره . وبيت لأفكاره ، ولكن لم يجد به وسيلة للشعس في حال الحرم الذي أحبت به الحكومه . وجرى وقتئذ ثم حارب الحرب وهو الشعب . ووجدوا من سكت من ص الأحكام العرفية ، فيها انتهت الحرب تمصت اخاهير لصداء . أما الشعب الذي فهو أن الدعاية الروسية كانت قد ألهمت حماس اخاهير بكادحة وتآلف في ككتها حرب بوده أو حرب اخاهير ، وكاد - بحس تنظيمه وإحكام سياسته - أن تكون أحسن الوحيدة التي يمكن أن يطبق عليها اسم حرب ، وكان ظهور الحرب بهذا التنظيم مدعاة لظهور المنظمات الحربية الأخرى . فنها حرب مردم (الشعب) وهو حرب معتدل يصم دجالاً من مد في الصناعة والتجارة ، والحرب المالي (الأمة) وهو حرب وجس منهم نباله لبريطانيين ، والحزب الديموقراطي الذي يترجمه قوام السلطنة ، وإلى جانب هذه الأحزاب الثلاثة مجموعة من النقابات المهنية .

كالمعلمين والمحامين والمهندسين وأصحاب الصاعات . يضاف إلى ذلك منظمة ثان نسائتان

هنا أطلق سراح الأفلام بعد انتهاء الحرب، وقعت البلاد في سلسلة من المعارك القلبية عن صفحات الجرائد التي تنطق بألسنة هؤلاء الأحراب والمضطهدات . وصلت المعركة قلبية حسب طولال عامين، حتى ثاب من الأحداث الخارجية ما نقل المعركة من الصحف إلى البرلمان، ومن مجرد الكلام إلى حميم العمل .

فقد اندلعت الحرب الباردة بين الشيوعية والديمقراطية . وظهرت في اشد حركة أزعجت البريطانيين وأرغمهم أن يقلقوا الأمر الواقع بأن يوافقوا على استغلال اهد عن التناح البريطاني، ووقع الحزماء لديمقراطيين في شر أعمالهم في كوريا . إذ دعموا بالأمم المتحدة إلى أن تقرر تجريد جيش دول للحرب في كوريا، ونوات البراشي على هذا الجيش لدولى كل ذلك أنز في عمليه اسماهير في إيه ان . فامت من نسيطرة البريطانية التي كانت تحشدها في كل حين قد تددت . وأن الامراطورية البريطانية تسيير نحو الهوية

وضربت في إيران دعوات شعبيه وأخرى ملكية رجعية
بأنه الله الكاشاني زعيم من زعماء الدين لا يشق له غبار، ولكنه
ادفع في تيار السياسة حتى استقر به المقام رئيساً لمجلس النواب .
ولدكتور محمد مصدق من خيرة رجال القوم قد اجتذبت السياسة
إلى جانبها فصار زعيماً سياسياً .

والجنرال داز مارا رئيس هيئة أركان الحرب، وكان موضع ثقة

الأميرة أشرف شقيقة الشاه ، راه انحرف من صفوف الجيش إلى صفوف السياسيين .

والجنرال زهندي من رجال الجيش المخلص للشاه يتزعم حركته منسكيا للدفاع عن مصالح الشاه ضد لهجات المنواله التي توجه إليه

يضاف إلى ذلك أن الشعب الإيراني في ذاته لا تفرقه سمعة انحصار ما يربط لشعوب المسيحية من صلات ، خاصة وأن المد الإسلامي لا يزال مهيمنه في البلاد لا تفرقه مواصلة عليه ، وبغضلا عن ذلك فإن بعض القبائل لا تزال عن بداورها تأثر غير ما تأثر له الشعوب العريقة في القومية ومن أمثلة ذلك أن قبيلة تشقاي وهي إلى أسطول شيراز متأثر للدكتور مصدق وتؤمن به بأكثر مما تؤمن بالحكومة أو بالشاه ، بينما تأثر للشاه قبيلة بختياري ، التي تستوطن بواحي عتدان ، وخاصة بعد أن تروح من الأمراء الملوكة ثريا إحدى بنات هذه القبيلة .

وما علمت هذه العوامل كلها ، فأثرت في مصير إيران خلال السنوات الفيلة الماضية ، فتوالت عليها الأحداث .

ومن أهم الأحداث مطالبة الروس بميلادته ولاية في شمال إيران وقد أشاع هذا المطلب الدعر في الروس الإيرانيين ، إذ كانت هذه المحاولة كهيبة بأن تنبه المعجبين بالروسية إلى أن معبودتهم لا تختلف في مطامعها عن بريطانيا ، غير أن ادعاء الروس عن هذا المطلب بأنه مجرد رد على ما تسعى إليه بريطانيا وأمريكا من الاستيلاء المطلق على حقول البترول ومعامل لتكرير ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد مرت موجة من العداء لروسيا في أممات المدن الإيرانية وعندما عرص أمر المعاهدة على

البرلمان في أواخر سنة ١٩٤٧ قرر المجلس رفض الاعاقية واحداً بقراراً
تجتمع الحكومة من إبرام أي اتفاق مع أية دولة أجنبية بشأن التبرول.
واستقالت وزارة فوام المطلقة ، صاحبة الاعاقية في البرلمان ، بحث
صعظ الرأي العام . وكان ذلك في ديسمبر سنة ١٩٤٧ ، ونوالى سموه
الوزارات كما تنسقط أوراق الحرب ، ودرأت سمعة الشاه الذي هل
أنه تأثر لمصلحته بريطانيا — بدهور في نظر الجماهير

وصارت قضية تبرول مثير الجدل لدى حتى وطبقة إلى درجة أن
المشاهدة ، مكثرت نقده ، بعض ، لتعنت به كل من تأثر الصوالح شركة
التبرول الاجبرية لا ، به ، سواء أكان محمياً أم سلباً أم مجرد
رأسى . وقد اهتم بعض الصحف ، كما اهتم بعض رجال القلم ، بأهم
المطعون به ، فإلا ، بدون إصلاح الاجتماعي أو الزراعى مجرد صرف
الأذهان عن مشكلة التبرول .

أما الشركة ، فقد أدرك أن تحريضها على رفض المعاهدة الروسية
الأيروية بشأن التبرول قد عار عيباً على الملوك ، رد ، فلا أن يقتصر
قرار البرلمان على رفض الاعاقية ، أفلت الزعماء بعضى المجلس بجمع
الحكومة من إبرام أي اتفاق بشأن التبرول ، وهذا يمس الشركة
في الصميم .

وفي يوم ٤ مايو سنة ١٩٤٩ ، سما كان الشاه يشهد حفلة رياضية
في جامعة طهران ، حاول أحد الشيوعيين اغتياله ، ولكن الشاه نجح من
هذه المحاربة ، إلا أن الحادث أزعج الشاه إلى درجة جعلته يحاول أن
يصلح من سيرته في الحكم ، وأن يتشلى مع معتنق ما بعد الحرب . فقرر
أن يبيع أملاكه إلى صهار الملاك على أن يسددوا الثمن على أجال طويلة .

ثم تنازل عن كثير من مخصصاته . وأدى اهتماما كلياً بالأصلاح الزراعى إلا أنه كان لا يستطيع أن يتعد كل ما أراد الحاجة البلاد إلى الماء . وقد سافر في سبيل الحصول على عرض إلى أمريكا ، ولكنه لم ينجح في عقد القرض .

عاد لثبته إلى بلاده ، ثم استدعى الجنرال رازمارا لتأليف الوزارة . ويقول أنه لم يعم ذلك إلا بتأثير شفيعته عليه . وقد أرادت أن تكون مهديت الوزارة مدرجين يؤمن على مصالح الناجح .

فكر دوزمارا في إعادة الطرق في بعضه السورول الأيجيرية الأيرانية ، مؤملاً أن يكون للبلاد من وراء التعديين مصداً لثبات لدى تحتاج إليه في رفع مستوى المعيشة ، والقيام بالأصلاح الزراعى الذى يهدى به الشاه . وقد رأى أن يمد لذلك بشر الدعاية صداهديه السورول وصالة الحصة التي تؤوب إلى البلاد منها

غير أن الدكتور محمد مصدق يهدى تأميم السورول بدلاً من تعديل الاتفاقية ، وألف من أعضاء البرلمان لجنة للظفر في التأميم .

واشتدت الدعاية ضد تعديل الاتفاقية ، وحشد صاحب فكرة التعديل وفي يوم ٧ يونيو سنة ١٩٥١ اعتدى عضو من جماعة « قد ثيان إسلام » على الجنرال (رازمارا) فأرداه قتيلاً . وبحسبة ١٥ يونيو قرر مجلس النواب تأميم السورول .

أما لثبته فقد كلف حسين علاء وزير البلاط تأليف الوزارة الجديدة فألفها من عناصر رجعية . معروفة بميلها نحو القصر والبرطانيين وفي عمرة بالغة من احسان ، فقرر مجلس النواب تعيين الدكتور مصدق رئيساً للوزارة ، فم يسمع لثبته إلا أن يوفق على ذلك .

وأدركت شركة التزوي أنه تم بين أممها أمن في وضع الأمور وحسب
 ترصاه ، فقررت ترجيل موقوفها من عدد . وفي الوقت معاصر التسكرير
 عن العمل ، أصيبت البلاد برد وعل افتقار مادي اسمعه حضور مصدق
 فألوا عليه أنصاره ، وفيما بين يوم وليلة نُقِيَ مصدق نفسه هذه لآثامات
 يرش بها بالاطل . ووردت الأمور بعداً بعداً انتحبت وتجنس لرمائه
 محال أمامي ، وهو من حموم مصدق ، عند اضطار مصدق أن يقدم
 استقالته في ١٦ أكتوبر سنة ١٩٥٢ وعين انشاء فوام سبطه رئيساً
 للوزارة .

وعلى الرغم من هذه مرات مدانيه التي قبل بها من لشه على أساس
 أنه من ارجع من أسباب الترحيلين ، فإن الدكتور كادب أن تستقر بين
 يسه ، لا أن لا يصح على 'المجلس' ، يمنحه سلطات استثنائية لتمكين
 من السيطرة على الموقف بإعلان الأحكام العرفية . وهذا أعيد ، ونحن
 إلى أن الأحكام العرفية وهذه السلطات الاستثنائية قد تستعمل صدم
 ولذلك قرر المجلس هدم الثقة بالوزارة ، فاستمات ، واحتل فوام السبطه
 عن أعين الشعب بحافة أن يمتد به .

استدعى انشاء الدكتور مصدق لرمائه لوزارة ، واسحب المجلس
 آية الله الكاشاني رئيسه ، وتعاهد الرعيان على سير دفع الأمور
 بما فيه مصلحة الشعب .

إلا أن الدكتور مصدق طلب إلى المجلس أن يمنحه سلطات استثنائية
 لتطهير الجيش وتعبد الإصلاح الزراعي ، وقد رضى آية الله كاشاني
 عن المطلب الأول واعتصم على المطلب الثاني ، لأنه يمس الآوقاف

الاسلامية ، وكانت مساحتها ترقى على ربح مساحة الارض المتروكة ، وكان كاشاني أحد كبار اشراف عليها . وحاول كاشاني أن يثبى مصدى عن مشروع الإصلاح الزراعى ، ولكنه أصر على رأيه . وبذلك اختلف الزعماء .

وفى أثناء ذلك سكتش الرجعيون وضباط الجيش المتصولين حول شاه . فلما فرصت الشركات الأمريكية والآنجليزية حصارا اقتصاديا حول بيرون الذى سول مصدى أن يبعده فى الآسواق . لستمى تحصله على إصلاح الحال ، ورفضت كل دول شراء بيرون . مما دفعها الى اروسيا الى أن مصدى يتوقع إفلاس عيه . إلا أن اروسيا لم تكونوا بحاجة عاجلة الى بيرون . فضلا عن أنهم كانوا غير متعدين لحرب عادية . فلكه إذا أرمت لأمور سيم ورس الانجليز والاسبانيك .

أما كم مصدى يحب سعة الصانعة الاقتصادية ، وفارمت فيه . سلطات الاستثنائية على الاسم . ففهمه إلى خمسين بطلب اعداد القدرة ولكن أعاليه الخمس كانت قد انقصت من حوله . وحشى على جيران مؤمرات قصر وبلاتيريه ، فاستصم بدر البرون حذر الاعمال .

وأصدر لشاء مرسوم ما يافيه الدكتور مصدى من رئاسة الوزارة . وسكنه اعترى مرسوم غير دستورى ، وألغى قبض على حامله وأعلن راديو طهران باسم الدكتور مصدى أن الحكومة كشفت عن مؤامرة انقلاب مسلحة ، عنها الإطاحه بحكومة الشاه .

إزاء مخرج الموقف ، أدرك الشاه مدى الخطر الذى يشعر من لهده نه فى العاصمة ، فاستمع طائفة وسفيرين لعدده ومعهم الامم اطودة ثريا ومها ذهبا إلى إيطاليا .

وهربت لشاه على هذا الوجه قومت الروح الممنونة لدى الجماهير ،
فاشتد هياجهم وقاموا بتعظيم تمانين رضا شاه وهتفوا بحياة الجمهورية
وفي صباح ليوم التالي ، وصل إلى طهران السفير الأمريكي ، فقابل
الدكتور مصدق ، وأخبره أن الحكومة الأمريكية غير مستعدة بدرجة
الموقف في إيران و سرير مواقفهم أو رفضها للاعلانات إلا إذا أكد لها
الدكتور مصدق عدم تعاونهم مع الحرب السارية (بوده) .

ولما كانت مقاييس الحركة الشعبية قد آلت إلى أبدى حد الحرب ،
وكان أصداءهم اندثر فاموا بالمظاهرات والتخريب وهدوا الجمهورية ،
فقد رأى الدكتور مصدق أن يحرم أمره منهم ، فمرر كسج جرح الامراء
وتريث في إعلان حلع لشاه وإعلان الجمهورية فكان تصرفه هذا ممثلا
في انصراف أنصار الحركة عنه .

وفي صباح ١٩ نوفمبر قدمت إلى طهران مظاهرات كبرى من القوم ،
ومعها بعض رجال قبيلة مختاري ، فلما دخلوا المدينة انضم إليهم شرطتها ،
وسار الجمع فاصدا بيت الدكتور مصدق يريدون دميره وحمل رجاله
الاحتيازي الجنرال راهري على أكتفهم وهم يهتفون بسقوط مصدق .

عاد الشاه إلى طهران ، وألقى القبض على مصدق ، وأعلنت الأحكام
العرفية ، وبولى الوزارة الجبران راهندي ، وأعيدت العلاقات الدبلوماسية
بين بريطانيا وإيران ، وأحيل الدكتور مصدق إلى المحكمة العسكرية
الخاصة .

وعندما طاب إليه رئيس المحكمة أن يذكر اسمه طر جالسا في مكانه
وأجاب بحدة قائلا محمد مصدق ، مسلم شيعي ، رئيس الوزارة الإيرانية .

إنني هنا تدخل من السياسة الأجنبية ، وهذا لا يعني أيها الجنرال إلا أنك
من أشياخ هذه السياسة . إن العالم كله ينتظر حكمكم . ولا تحمونا بلادكم ،
ولا تتيحوا لأحد فرصة القول : إن بعض الصباط الإبراهيميين هزموا حصم
بريطانيا . هدموا وركبوا الأجانب بدلا من أن تكافوا شيئا صعبا
طاعتنا في السن مثل .

وفي خلال دفاعه عن نفسه ، ألقى مصدق بحر تمثالي رصاصا وحدا و نشاء
الحالي . ثم ألقى وفان : إني أعني أمام رصاصه الذي أطال عهد
المرور ٢٢ عاما . وألقى أمامك يا جلالة الشاه مع أنك عرلتي بمرسوم
وأعدت البريطانيين إلى إيران

و بعد محاكمة طاب أمدها ، حكم على الدكتور مصدق بالسجن ثلاث
سنوات .

ومن إن مكتب هذه الكلمة ، قد ودها الأسماء . بأن البريطانيين
والأسيكان يعمدون بداءة واحدة على إعادة العمل في معادن التفكير في
عبدان أما الروس فليهم يعمدون من إيران اليوم وفيه المته حادترنص

الفصل الثاني عشر

أفغانستان

بين روسيا وبريطانيا

قل أن يعلن استقلال شبه القارة الهندية الباكستانية ، كانت بريطانيا تملك الهند ، وتحرص عليها غاية الحرص . وقد دارت سياسها الآسيوية خلال مائتين وخمسين سنة حول هذا المحور . وسنتمرض في هذا الفصل لتاريخ أفغانستان في هذه الفترة . التي نعتبر منتهية في سنة ١٩٤٧ بقبام دولتي الباكستان والهند .

• • •

إذا كانت إيران قد قاست الأمرين من موقعها الجغرافي بين الأرض الروسية من الشمال والعمود البريطاني من الجنوب والعرب . فإن أفغانستان قاست أمر مما قاسته إيران ، فهي واقعة جغرافياً بين الأرض الروسية من الشمال ، والأرض البريطانية (ولبس العمود لبريطاني) من الشرق ، حيث تتاحم الهند ، والجنوب الغربي حيث تتاحم بلوخرستان .

ومد أن آلمت الهند إلى بريطانيا ، ولاد الأفغان محور اهتمامها . وذلك للاعتبارات الآتية —

أولاً . يسكن بلاد الأفغان شعب مسلم متعصب لا يزال على العطره . وقوام الحياة الاجتماعية فيها بدور على اسظام القبل ، مما يجعل الاستقرار أمراً بعيد الاحتمال . فلا عس أن طبيعة البلاد جبلية ، يسهل على أهلها العزو والاستعداد للعزو . بينما يشق عى من يحاول إحصاعها أن يسلك الطرق الوعرة ، وانست له بها ساعة عهد

ثانياً يمكن الشبان العربي من الهند شتم قبلى مسلم متعصب لا يزال على العطرة شأبه في ذلك شأن الأفغان أنفسهم وقد استعصى على البريطانيين زمناً طويلاً إخضاع هذا الشعب للنظام ، وتثقل قبائل لسانان بين أفغانستان ومقاطعة الحدود الشمالية الغربية للتجارة أو الإقامة ، دون أن تستطيع الحكومة البريطانية السيطرة عليها ويخشى الانحياز على الدوام أن تتحالف القبائل الأفغانية وبنين اليابان على غزو الهند من الشمال الغربي ، سيما وأن أفغانستان ساعدت في احتلال الهند أيام السلطان محمود غزنوي ولا تزال الحملات التي شنها محمود غزنوي على الهند ، والسهولة إلى فتحها البلاد ، وملاسه قياد المسلمين بالهند لهذا الفاتح المسلم لا تزال هذه شجراً يحيف الحكومة البريطانية ، ويفس من منجمها في سياستها لمقاطعة الحدود الشمالية الغربية .

ثالثاً : يعتقد البريطانيون أن لروسيا مطلقاً في الهند لا يمكن تحقيقه إلا باجتياز أفغانستان ، كما يعتقدون أن الأفغان إن لم يرجعوا تمكن الروس من عبور بلادهم والدخول إلى الهند ، فإنهم يرجحون بأن يروا من وراء ظهورهم دولة قوية هي روسيا تمدهم بالمعونة المادية والعسكرية إذا فكروا في اتحام الهند على البريطانيين ، وبذلك ترى البريطانيين يرمون الحركات الانفصالية في وجيل ، ويعملون جاهدين على أن يكونوا على ونام مع ولاء لأمور في أفغانستان ، اللهم إلا إذا بدا من هؤلاء عمل جدي يزعم البريطانيين ، فإنهم عمدت يلعنوا إلى رص سلطانهم بالقوة .

رابع . فتساور الحكومة البريطانية . بين الغيبة والغيبة ، فكرة احتلال أفغانستان ، ولكنهم يحشون أن يكون ذلك مدعاة لحرب ماهرة

يقيم بين روسيا ، ولذلك تراهم يركبون رؤوسهم مادة . ويجنحون إلى السلم قارة أخرى .

• • •

بدأ تاريخ أمة تبتان الحديث سنة ١٨٤٧ باستيلاء أحمد خان على قندهار . وقد أدرك هو وحلفاؤه ما للبلاد من أهمية استراتيجية يوفونها بين أملاك روسيا وأحمد ، فكانوا يسامرون تارة مع روسيا وأخرى مع حكومة الهند ، حتى كانت سنة ١٨٣٨ وكان على عرش الأمانه في أفغانستان ، دست محمد قانع بالروسين رغبة في إبرام معاهدة بين البلدين ، فثارت ثورة البريطانيين ، وأرسلوا حملة عسكرية إلى أفغانستان ما دعت أن سيصيرت على الموقف ، وقبض على (دست محمد) وأرسل إلى الهند حيث أُلقي به في عيذاب السجون .

ومنذ ذلك الحين وبريطانيا وجملة من اعدائهم عرو رومى لاستعمرتها في الهند ، لذلك صممت على احتلال أفغانستان بعد إقصاء أميرها . ولكن الأمور لم تسب للبريطانيين ، فقد اعتيل قائد جيش الاحتلال وصعوه من صباه في سنة ١٨٤١ واستعصى على البريطانيين أن يسيطروا على الموقف . فانسحبت الحامية البريطانية من (كابل) ولكنها لم يقدر لها الوصول إلى الهند ، إذ اعتسكت على مكره أميرها في المهادرة الجدية ، بحيث لم يتج منها إلا فرد واحد ، ورات الحكومة البريطانية أن يتنعم أنفسهم . فأرسلت حملتين بحريتين أحسن بحير ، واحتلت (كابل) في ١٦ سبتمبر سنة ١٨٤٢ .

ولجأ البريطانيون إلى الدبلوماسية ، فبدأهم يعيدون (دست محمد) إلى عرش الأمانه على أن يكون مواليا للبريطانيين ، ولقد كان عند حسن ظنهم

به ، فظل على عرش الإمارة إلى أن توفي سنة ١٨٦٣ بعد أن بويع لابنه الثالث شير علي بالإمارة .

وفي سنة ١٨٧٨ تأمر شير علي مع الروس ، ودفع مبالغته بمئة بريطانية ، فاحتلت بريطانيا أفغانستان مرة جديدة .

خرج شير علي إلى الحج حيث توفي سنة ١٨٧٩ ، وفي مايو من هذا العام وقعت بريطانيا مع أفغانستان معاهدة جديدة ، وفيها اعترفت بريطانيا ببعثت خان ، ابن شير علي ، أميراً على البلاد ، مقابل أن يكون لبريطانيا مئتمن سلمي يقم في كابل ، وأن تعديل الحدود بين الهند وأفغانستان إضافة لمر حيدر (لمدخل الرئيسي لهند) في الممتلكات البريطانية باعده وكان ذلك في مايو سنة ١٨٧٩ .

ولم يمض شهر أو ثمانية على هذا الاتفاق حتى أعيل المعتمد البريطاني هو وحاشيته ، فأرغمت الحكومة البريطانية يعزوب خان على إخلاء عرش الإمارة ، ونصب مكانه عبد الرحمن خان حميد دست محمد في يوليو سنة ١٨٨٠ وفي عهده خرج عليه عمه أيوب خان واحتش قندهار ولكن عبد الرحمن خان ، قزنده بريطانيا ، أوقع به هزيمة فر على أثرها إلى إيران ، وبذلك استتب الأمر للأمير للأمر به وقد هاضم بريطانيا ثم هذا التأيد بأن تعهد الأمير بأن يترك للبريطانيين تدير سياسة البلاد الخارجية .

وفي أول أكتوبر سنة ١٩٠١ توفي عبد الرحمن خان ، وبودي بانه حبيب الله خان أميراً على البلاد ، وقد استطاع البريطانيون أن يحصلوا منه ١٩٠٥ على توكيد للمعهد الذي وضعه والده ترك سياسة الخارجية للبريطانيين ، وفي مقابل ذلك قبل البريطانيون أن يلقب نفسه ملكاً .

في الحرب العالمية الأولى

ولما اندلعت نار الحرب العالمية الأولى ، أوفد الألمان بعثة إلى

أفغانستان تدعو الأمير للسماحة في تحرير الهند من الاستعمار البريطاني ،
ولكن الأمير رفض ما عرض عنه ، وطرد البعث من حصرته ، وعمل
على أن لا يقع على الحدود اعدية الأفغانية ماوشات .

وفي ٢٠ فبراير سنة ١٩١٩ اعتلى حبيب الله ، فتحرك إليه الثالث
أمان الله ، وكان حاكما على كابل ، وسحب إليه الجيش واستولى على العرش .
وقد واجه أمان الله في مسنن حكمة دومة كبرى ، إذ أنهم نصر الله
حار بأنه المدبر لثؤامره ، أسهب بأعمال والده حبيب الله ، إلا أن
نصر الله حين كان ذا حظوة عند رجال الجيش وعباد الدين ، ولذا حوكم
وقضى بسجنه وحبس في سجن ، قامت دومة المصارف ، وأهاجوا الشعب
على من الله ، حيث اصعد في إنذاره نفسه بدسه بين أخاهير بإعلان
الجهاد ضد بريطانيا .

وكان لزاما على الحكومة البريطانية أن تتحرك في أفغانستان ،
في وقت لم تكن فيه مسعدة لموجتها ، في وجود الهند ، الذين تعتمد عليهم
بريطانيا في حروبها مع الأفغان كانوا الأبرار حارح الهند ، وفصل عن
ذلك فإن الامانة عادي كان قد أعلن في الهند سياسة العصيان المدني ، فعدت
الاضطرابات ، فقيم لسحب ، أقرب أقاليم الهند من أفغانستان ، وهو إلى
ذلك إقليم بلوشستان ، وخاصة في بعضه يعرف - عالية عظمى وقد
أرسل رعاء السحاب إلى أمان الله يدعو له لغدوم في الهند لتحريرها .
ولكن حسن الخط جعل حاكم السحاب البريطاني يحصع التوجه المتحدة قبل
وصول الملائكة الأفغانية إلى عمر حدر بأسرع واحد ، وعندئذ جرد
البرية بيون حملتهم على أفغانستان ، وعلى الرغم من براعة الأفغان
وشجاعتهم ، فإن الجيش الهندي لم يهتدي لم يست أن تقصر عليهم بفصل
معدات الحربية الحديثة ، وعقدت بين الطرفين ماهدة دارلندي التي

اعترفت به ربه يا باستقلال أفع سنه . على الرغم من أن البريطانيين كانوا يستطيعون إغلاء ما يريدون من شروط . ولكن الدبلوماسية البريطانية أثرت أن تحترف استقلال الملا . على أن يبدأ فيما الأحوال وقتاً ، استرخ به بريطانيا من معارضة المشاكا . كالمعادية عن طريق القوة .

لم يكن أمان به يأمن البريطانيين . ولذلك هم يعيد معاهدة مع روسيا . إلا أن الظروف لم تساعد على ذلك . بل أن الروس كانوا قد شكلوا بالأفارة الإسلامية في محلي نيا خا أمم هاو لاس من عاده إلى الحرب إلى أفع سنال . وذلك فصع عنه حسن لافان بالروس . ورجحت كفه لمرته بين من حيث لا يحبون . واستنقاعه أن يحسوا على مواجهة الميث أمان الله على س دس . ثيل لسان والمفصل بين الروس

إلا أن أمان الله لم يثبت من مصرية - عظامه روس . بعد الحسن بالروس . وكانوا بعد إعلان لشوعية يرحلون إلا صار بالروس كسوية اتوحيه مكانهم الجديدة لها على أنه من الليه عيصرة . وتأثير اوجيه الرهني . ورعده في إرغاج البريطانيين . عهد أمان الله عشاق عدم اعتداء مع روسيا . ثم عهد بذلك مع الروس مع ربه . وتركيب اعرفا فيما بالاستقلال انكاس لافان سنال

وبحدث السير (دس سبكنس) عن حاكمه د أمان الله . في كتاب الاسلام اليوم . يقول

« ولقد كان أمان الله مؤثراً لفرص إصلاح مح أوامه على دولته انتجته . ولكنه لم يذهب الصبر وسعه الحجة . وبعد كان يـ ر القابون امدن مدى صاعه حير تركي البعض شيء لدى رعاده الرجعيين . وقد

قال عماد الدين فيه كلهم وهي أنه غير شرعي ، وفصلا عن ذلك فقد أهمل في إصلاح حال جيشه ذي الرواب الضئيلة ، فلما اندلعت الثورة في عام ١٩٢٤ في دحيت ، تمزق كل جيشه وفشت كاول أبوابها للثوار ، ولم يستطع إحداد ثورته إلا بالمساعدة في الإلحاق على نجد جيش من ريجان الهبائي التي لم تشترك في ثورته التي طال أمرها عاماً

وفي عام ١٩٢٧ وم دامن الله ، برحمة الكبرى ، فاستعمل في كل بلد أحسن استعمال ، وخاصة في جندرا حيث كان موضع الاحترام والتقدير وبعد أن أُنكس طوره ، ثورته من صيد على مصطفي كمال وعي لالوت فيه أنه تأثر كثيراً بأهله السكاليه ، كما تأثر بالاصلاحات التي أدهب رضا شاه في إيران وملاحد أن الدولتين ركباً وإيران ، كانتا قد صرحتا الحجاب ، مما اعتاد سكانهما على الاحتلام بالآلورين .

وفي خلال رحلة أدن الله ، التي استغرقت سبعة شهور ، كان عماد الدين يشيرون مشاعر شعب نصرأب علوه علم النفس من أن المديكة قد طالت بأورما ، فوجه الوجه وهو راد ال اسم لا أب عند عودتها إلى كابون - شهرت سفرة في إحدى الأدب ، ولم يكن أمم الله يهدر هذه الرواية حينها ، لذلك راء بعض مدة خدمته الإجمالية في الجيش ويحتمل على الألف بين القسعين في كابون ، بل والدين ، وروين أسواقهم ، انباء الملاس كدرسة ولصحات .

بعد ما تشرده سرب ، في مقاطعة كرهستان ، لودعه شمالي العاصمة ، ثرافاق ، أصبح اسمه حديث انه المعروف بماجاسقا (أسلقام) ولمعد رخص الجيش أن يحارب ولستك نازل أمان الله عن عرش وهر إلى قندهار بالسر ، ثم أحد خبره إلى الهند ، وانتهى به المطاف إلى

الإقامة بإيطاليا ، وبذلك احتضنت سره أمام الله بأن أوقع ولاده تحت
 يد أفاق موحيد الله ، ولو أنه أحسن معدنه جيشه ، وسار في إصلاحه
 وده ، لكان إلى اليوم ملكاً على أفعاس . ولكنه أقام الدليل على
 صحة المثل القاري : المعجزة من الشيطان .

وفي فبراير سنة ١٩٢٩ تقرر إسلاء الموصية البريطانية في كابل بعد
 أن أمصرها الثوار جديد ، وداراً ، وقد هباً أدت إليه مرسيس همفريس
 سفير البريطاني في كابل ، وسلاح الجوى البريطاني على ملائمتها في إنقاذ
 ٥٨٠ من جنود متباينة دون تحية واحدة ، إذ تمت عملية الإنقاذ
 خلال ٤ ساعات في ثلاث مكسوكات متباعدة ، ولا توجد لها أراض
 صالحة لنزول الطائرات .

• • •

كانه : نادر حسن ، الذي قاد الجيش الألماني ضد الإخيار في حرمهم
 الأخيرة مرهف ، يستأشق في مدينة (مس) عندهما مع توفيق ولاده في قصة
 اجده ، ثم يردد في المحاضرة تحيته وأهله إلى ولاده عن طريق
 الطل ، ويوصل إلى مدينة تشاورا في مقاطعة شمال الغرب ، ومن عندها
 متدي طريق لقوافل إلى نهستان عبر نهر جيزر في فبراير سنة ١٩٢٩
 واستطاع أن يجمع هناك وريثي التي سكنها الأقيم ، ولم يلد
 أن أصبح سيد الموقف ، وجمع جوده كابل حيث يودي به مسكا
 على سداد ، وقد مضى على ما جاسما وأعدم رميا برصاص ، وصاحبة
 من كل قبيلة .

وقد عني نادر شاه بإعادة منبارات رجاء الدين إلى ما كانت عليه ،
 كما ألقى للمواهب المدنية والصور ، لارجعته منه ولكن تمشياً مع عقلية

السمير المحفوظ على التقاليد ، وقد طبعت سياسته ، خارجية بطابع الصدفة مع البريطانيين .

وقد اعتنق نادر شاه في موثر سنة ١٩٣٣ بعد أن حصد بلاده حصوات نحو الاستمرار ، على الرغم من أنه لم يكن يملك مثلاً ، مما يعده في هذه البلاد عامه الاستمرار .

و يودى دانه زاهر شاه ملكاً على الآفان ، وقد سهر حكمة يومه حكومة دسوريه برأسها عمه هاشم خان .

وعلى أقدام نكاي عن نرجاريا ، روسا وروسا ، كما طلت كل مهمه مع من أقدام نرجاريا ، واول السب في دلا . أن البلاد في رسم بست مظلمه كما هي الخ في إيران ، حيث البيروني الذي لا يستغنى عنه .

وعند ما أهدت الحرب العامة ثمة ، أعنت أقدام الجياد ، ولم يكن لدى الخفاء ما يدعو إلى اكتساح البلاد ، كما حدث في إيران ، وقد اقتضى هذا الجياد أن تطل معوصيات المحور في كابل مفتوحة .

إلا أن وجود حوائى ماتين من رجان الامعان الآفان و لايطالين في كابل كان ينطوى على احتيا من بعض هؤلاء ضد الخفاء ، ولذلك قررت الحكومة الآفانية بحضه الخفاء دسوماسيا ، بإعداد هؤلاء من البلاد قدسهم السلطات الرهانية في الهند ، حيث أوسدوا إلى مختلف امتهلات

انفصال ثلث عشر

بريطانيا في الهند

آلت الهند إلى الحكومة البريطانية ، ميراثا من شركة الهند الشرقية ، وأصبحت جزءاً من الإمبراطورية ، بل كما يقول المؤرخون ، حارت الهند ألغى درة في التاج البريطاني . وظل حكم البريطانيين للهند يتطور حتى قسمت الهند إدارياً إلى مجموعتين :

المجموعة الأولى : أقاليم كان البريطانيون يحكمونها حكماً مباشراً ، فكل إقليم منها حكم بريطاني ، يستمد سلطته من نائب الملك الذي كان يقيم في كلكتا ، ثم انتقل منها إلى دلهي الجديدة .

والمجموعة الثانية : ولايات رلت الحكومة البريطانية عن حكمها لأمرائها شبه مستقلين ، ونظمت صلاتها هؤلاء على أحد الوجهين الآتيين :
١ - أمراء كانوا يستمدون سلطتهم من نائب الملك رأساً ، وعدددهم ٢٢ أميراً ، ومن أهم أمراءهم حيدر آباد السكي .

ب - وبلى ذلك مئات من الإمارات أقل من هذه شأناً ، كان معظم أمرائها يستمدون سلطتهم من الحاكم العام للمقاطعة المتاحة

وكان أمراء هذه الإمارات - نوعياً - يتمتعون بسلطة أوتوقراطية وقد يركن البعض منهم إلى استشارة شعبة من آي وآخر ، عن طريق مجلس يعينه الأمير ، يسمى مجلس "شوري

واستقرت الأمور للحكومة الهند البريطانية . حيث استتاعت السياسة البريطانية أن تستغل الظروف المحلية ، أو لعبارة أصح ، توسع الهوة بين قسمي الهند الرئيسيين . الهندوس والمسلمين .

استهل البريطانيون سياستهم في الهند باضطهاد المسلمين ، إذ أنهم كانوا سادة البلاد ، الذين سطروا المقاومة التي انتهت بثورة سنة ١٨٥٧ ، وهم الذين نشروا الدعاية الحارة ضد الاحتلال البريطاني للبلاد ، فصلاص أن المسلمين كانوا ينظرون إليهم منذ البداية ، نظرتهم إلى معنعي حقوقهم المشروعة في حكم البلاد .

وفرح الهندوس بتعذيب المستعمر لأعدائهم القدامى ، وعدوا هذا انتقاما أنزلته آلهتهم المقدسة بالمسلمين . جراء ما لحقهم منهم في المصاصي من أذى وعصيان ، هملوا للمستعمر ، ورحلوا بحكمه ، متوهمين أنه أضع وطأة وقسوة من حكم المسلمين بي وعظمهم

ولم يكن لبريطانيون حاجة مدحة لإدراك ما العداوة بين المسلمين والهندوس ، فالعداوة بين الفريقين ترجع إلى عقب عداوية من التاريخ ، إلا أنهم انهروا فرضه هذا العداء التاريخي المستحكم ، فوسعوا طوره بين الفريقين ، باحتضان الهندوس مرة ، والمسلمين أخرى ، وبإقرار قواعد التفرقة بينهم ، تحت ستار من حرية الاعتقادات الدينية .

وطلت الحال كذلك نصف قرن من الزمان ، والهندوس قائلون على الاستسلام للبريطانيين .

وكان من حسن طبع الهندوس في هذه المرحلة أن المسلمين وقد قاطعوا المستعمرين في كل شيء ، لم يمدوا أي المدارس التي أنشأوها ، بما أكلس عليها الهندوس . وذلك رجحت كراهة الهندوس على كلمة المسلمين في العلم . وأصبحت وظائف الحكومة التي فيهم - وهي كل ما يسمع المستعمر لأهل الهند أن يشعروا ، وفقاً على الهندوس دون المسلمين .

يضاف إلى ذلك أن الهندوس وجمهور عاداتهم إلى ناحية الصحية في

ميدان أجسامهم ، لم يشعروا أن أقيسوا على ممارسة الألعاب الرياضية ، وأقبل بعضهم - مرأى - على تناول اللحم والأطعمة المغذية ، مع ما في ذلك من مخالفة لتعاليم الهندوسية ، يطعمون بذلك في أن يرفعوا إلى مستوى المسلمين الجسد.

أما في ميدان المال والأعمال ، فقد ساعدت الظروف الهندوس ، ذلك أن المسلمين كانت قد انحطت حسابهم المالية بعد ثورة سنة ١٨٥٧ التي صدر فيها نريطانيون كثير من ممتلكاتهم وأوقافهم ، واشتدت حاجتهم إلى المال ، فلهذا أبواب هندوس هندوس ، فلم يلبث هؤلاء أن تمروها مرص ، فأرصوهم ما يشاءون ، ثقة بهم بأنهم سيحجرون عن الوفاء ، وبذلك يؤوب الثقة الباقية من ممتلكاتهم إلى هندوس ، وقد تحققت نظرية هندوس ، فانبقت أهلال المسلمين لآسهم ، حتى لم يبق للمسلمين سوى خمسة في المائة من عامة الأملاك ، الهند .

وعند الهند مصادر ، وسكنها كانت وقفاً على الهندوس ، ولم يدخل المسلمون هذا ميدان لنسب الأول أنه لم يكن لهم أموال يستفيدون بها لإنشاء مصارف ، والثاني أن لعمليات المصرفية تنهوى على التعامل ، ربما ، وهو ما يحرمه الإسلام .

وحلاصة القول أن هذه الماحة أسفرت عن تعوق كامل للهندوس ، وهزيمة ماحقة للمسلمين ، في كافة ميادين الحياة .

وبما طال الزمن عسى المسلمين ، وفتحت أعينهم على ما أحمره الهندوس من أصر عليهم في كل ميدان ، تحوّل نظرهم إلى ملاحقة الهندوس في ركب العلم ، فأقبلوا على المدارس ، وارتفع مستوى التعليم بينهم . وتبعاً لذلك انتشر التعليم بين أبنائهم نعايتين الهندوس والمسلمين ،

تبه الوعي القومي ، وعاد من تحتها مجموعة من شباب الهند ادين تفقوا ثقافتهم في الجامعات البريطانية ، وشهدوا بأنفسهم ، خلال إقامتهم بالهند البريطانية ، أن البريطانى لا يعدو أن يكون سائراً على عتبات ، يحطى ، ونصف ، بعد أن كانوا قد صعدوا في بلاده على سدنه . وكان ذلك نواة لانتعاش من برزنى لعام المستعمر على طريقة الاستعمارية ، فدعته التي تديرها بريطانيا سيااسة الهند .

وما لبث الشباب المنصف ، ربه بريده ، وندى مكتنه ومعرفة ، بالله الإلهية من أن ضنع على تحريات الأمور الدستورية في بريطانيا وعندها من الدول التي أحدثت بالأساليب الدستورية الحديثة ، ما لبث هذا شباب أن سكن ، وهذا ظهرت الحركات الاجتماعية ، التي تهدف إلى تحسين حال الهند من النواحي السياسية والاقتصادية ، فأنشأت الجمعيات الإصلاحية في بومباي وكالكته ومدراس ، وطفت المظاهرات الشعبية في شوارع المدن الكبرى صاحبة بالاحتجاج على تقييد حرية الصحافة الباشئة .

وقد أسمرت هذه البهجة عن تأسيس المؤتمر الوطني ، عام ١٨٨٥ ، وقد يستمر الإنسان لأول وهلة عندما يعلم أن المؤتمر الهندي قد شق طريقه إلى الوجود بمثل خمس رجل إبحليرى هو المستر ، إلن هيوم ، من موظفي حكومة أحد المتقاعدين ، وترداد دهشته عندما يعلم أن اللورد دوفريس ، نائب الملك في الهند وقتذاك ، هو الذى اشكر الفكرة ، ولكن الدهشة لا تلبث أن تزول عندما يدرك الإنسان أن ترحيب الحكومة بإشياء هذه الهيئة ، بل اشكار الحكومة للفكرة ، قصد به أن تكون هيئة المؤتمر بمثابة صمام أمن ، وأن تكون جلساته معرصاً لتبين قبه الحكومة المواقف لها من المطرفين عليها .

وقد كانت مبادئه هيته عشق وحدة وطنية ، وتوكيد روابط الاتحاد بين العرب والهند ، والعمل على إصلاح ما أعوج أو قسده من الأحوال .

وقد كانت تصرفات المؤتمر حلالاً لسواها الأول بعض الصروف التي لا تست إنشاء - لا تصوى عن عدم الحكومة ، وكان كراشو عديم اليرضا بين يحضرون جناسه ، كما كانت القرارات تصوى على عدم على الولاء للحكومة البريطانية .

ومن أهم ما عني به المؤتمر ، منح أن يصل إليه بطوى على نبي . من محاضراته للحكومة ، موافقة إراء . تشل الباني . كانت حكومة الهند البريطانية تعمل على الشعب بالتشيل أسياني في المجالس لبلده وغيرها عن طريق الانتخاب . فلما كانت سنة ١٨٨٣ أمر امودد ريمون نائب الملك أن تكون عضوية المجالس البلدية بالانتخاب ، وتحدد المؤتمر بعد سنوات نجاح هذه التجربة مقياساً للمطالبة بالتشيل الانتخابي ، وزاد على ذلك ، فطالب بعض السلفيين التشريعية والتعديبه .

وكان هوذا المؤتمر يتصاعف يوماً ووماً ، وأصبح حضور جلساته من علام الامتياز بين الطبقات المتمدنة وأصحاب النمود .

وفي سنة ١٩٠٨ اجتمعت كلمة اميف من كبار المفكرين المسلمين على تأليف هيئة مستقلة عن المؤتمر الهندي ، تسهر على مصالح المسلمين ، لصفة كونهم أقلية ، في دولة عالمية سكانها من أعداثهم في الدين .

وقد نادى بهذه الحركة لأول مرة السير السيد أحمد خان ، منشي جامعة عتيكرة الإسلامية ، وكان قسماً من أصحاب الفكر الإسلامي بالهند وكان إلى جانب ذلك على حملة طيبة بالبريطانيين . ولذلك أطلقت الألسنة

بالقول بأن تأسيس الرابطة الإسلامية كان وليد رغبة البريطانيين المحليين ، الذين انتهروها فرصة لمحاكمة المبادئ التي يتنادى بها المؤتمر الهندي ، بعد أن سبى البريطانيون أن أضيّة التي ساعدوا على تأسيسها لم تعد سائلة الفياد .

وقد تصارعت الآراء في تقدير هذه الحركة ، فمريق يقول إن الحركة سليمة في ذاتها ، على اعتبار أن المسلمين أقليم لا يستهان بها ، وسط كثرة لا يؤمن عدوها . ومن واجب المسلمين أن يسهروا على مستقبلهم ، وأن يؤمنوا أنفسهم ضد الظروف ، سيما وأن المسلمين يكونون أ كثرية في شمال الهند ، وخاصة في لشباج العرق . هو فرض أن آل الحكم في الهند إلى اهرود ، وحكم الشمال حكام من الهندوس ، تلقى المسلمين على أيديهم كل عصب وإرهاق أما إذا وسعت هوة الخلاف لسياسي بين المسلمين والهندوس وأجرى استفتاء بين السكان ، لكان لشباج من نصيب حكام من المسلمين .

أما مريق لأخر من المعسكرين ، فعزى أن حركة المسلمين ، المشكلة في سبب الرابطة الإسلامية ، حركة أممالية ، وأن المسلمين الذين ادوا بها حارجون على فكرة الهند الموحدة ، مارفون من الوطنية الهندية . ويردون على ذلك فينهمون أنصار الرابطة الإسلامية بأهم مدسبون لخدمة السياسة الاستعمارية لبريطانية .

في حرب العالمية لأوى

وم يكبد لثناص أن يشتر بين هيئة المؤتمر الهندي الوطني ومدبته التكرير . ولرابطة الإسلامية الوليدة ، حتى اشتعلت نار الحرب العالمية الأولى ، واضطرت بريطانيا أن توجه إلى الهند ، كما توجهت إلى بقية

المستعمرات ، طائلة تعيد مئات الآلاف ، من الملايين من الجنود ، لشدة
أزرها فيما دخلت فيه من معركة حياة أو موت .

وكانت دولة الخلافة الإسلامية - تركية - قد انحازت الى الجانب
المعادي لبريطانيا ، وهذا وفق الرأى العام الإسلامى فى الهند وقعة
جديده ضد البريطانيين ، فاضع المسنون عن الاندماج فى سرى الجيوش
المحاربة لواء مهم أن يحاربوا الأتراك المسلمين .

لم تغف السياسة البريطانية موقف المهرم أمام هذه الوضعية ، من
عملت على أن يقف المسلمون العرب يحاربون المسلمين الأتراك ، وذلك
أن شجعت أميرالبحار (الشريف حسين بن على) على أن يحوص الحرب
فى جانب بريطانيا وحلفائها ، بما مساعدات مالية جريئة ، ووعد أكيد
أن يكون له بعد الحرب حكم الجزء العربى من فرنسا ، كما أن يحارب العرب
فى الجوار إلى جبل طوروس فى شيا

وعندئذ استطاع لبريطانيون أن يقوموا بسى الهندى من تحارب
الحرب إلى جانبهم ، وقد سبوا العادتهم الكثير من أو عود إذا ما انتهت
الحرب لصالحهم ، وسبقت استطلاعات بريطانيا أن تجد من بسى الهند
ما شاءت ، وتخلصت من مأرق كانت وشك سياسى فيه أن بسى
فى الشرق على أن الحرب العالمية الأولى كانت حجارة روية فى نفسه
لوعى اقوى فى شعوب الشرق ، إذا سمعت على أثرها روح البصيرة
بحق تقرير المصير ، اندمجت فى مصر على أثرها ثورة سنة ١٩١٩ ، كما
اندمجت على أثرها حركة فى اد ، لم تكن من طائفة سحيد موقفا من
الأمبراطورية البريطانية .

وفى هذه المرحلة من تاريخ الهند ظهر ديم'ثا ساسى ، على مسرح
السياسة الهندية .

كان عاندى رجلا يؤمن فى حياته بالحقائق الروحانية ، ولم يكن يسمح للمؤمنين بالديوية . تأثير فى حياته هذا ، وكانت سياسته تعتمد على المحبة ، وعدم العنف ، والسعى وراء الحقيقة والعدل . وقد حاول تغيير هذه الأسس فى الحياة السياسية

فى حياته السياسية فى جنوب أفريقيا . حيث جوع فى نطاق سياسة المقاومة السلبية فى كندا حتى حصول المواثيق الهورية . المهاجرين إلى جنوب أفريقيا . على حقوقهم لدانية ، مما قاد إلى اعتد ، لم يثبت أن هم إلى صفوف الآوى فى حرب المؤتمر الهدى اعمار على سمعه التى أحرزها فى أفريقيا .

ولم تترك رايته العسقية أن عطلت شجائب اهور عطلت طويته . ولم يكن عريضا أن يظهر فى اعتد رعيم ينادى بالروحانية ، وسط عالم طغت عليه المادية .

انتهر عاندى أوب وعنه احتملت فيها السياسة البريطانية مع الألمان الوطنية (كانت الحكومة قد أصدرت مشروع رولات الذى يحور لها حق اعتقال الأشخاص وسحبهم وبقيهم ، دون محاكمة لمجرد الاشتباه فى مذهبهم فى أعمال العنف) فتادى بالإصرار العام ، وأطلق على الإصرار لفظة (هارتاب) ومعهاها يوم الحزن ، وكان عاندى يؤمل أن تكون الحركة بعيدة كل البعد عن العنف ، ولكن يوم الحزن أسفر عن غير ما كان يتوقعه ، ذلك أن الجماهير لا يعمل كسج حماحها فى مثل هذه الأحوال ، ولم يستطع البوليس صرا على تخرج الموقف ، وكان من نتائج ذلك أن حدثت بين لمرتين مصادمات أخرجت الحركة عما وضع لها من برنامج . وعندئذ أدرك عاندى أن حركته المثالية كان يجب أن يستقها نوع من رياضة الشعب على أسلوب الحركات المثالية ، ولذلك لم يبدأ من أن يسحب .

وعلى نيسف به أن الحركة السبية التي هي في غاندي كانت لها
أثر في دولة . وخاصة في السحب ، حيث أن أثره من الإبحار في
البريطانيون جود جوركا يخلق ر ، نفس ٣٧٩ وخرج ١٢٠٠
وفي هذه الفترة ، كان "الريفيون" في أمواشريف طمحل على كاري
في سنة . وكانت هذه الشروط رده عمود ، ثم تم استموا في سنة ،
وفي عهد لمؤتمر عصبي في حياطة - وفي سنة ١٩٢٠ شارك مسلمين
في سوردوم ، وفي سنة راجه روبرج في سنة ردي هذه المدة
مع الريفيديين في سياسهم . ثم في كل من عمل مثا
الحكومة الريفيديه أس رده . كما كانت في موني الحكة
الوطنيين أن استموا من مصه . وحسب في سنة
الحكومة من ليلاب . وفتح في سنة "موس أمم الحكة"
وقودت الصانع الريفيديه . كما كانت في سنة
ثم بإجرائها للمجاس المحلية .

عبر أن هذه الحركة لم تمت أن خرجت دورها في سنة ،
وتمت في سنة ، ووقع تشوب في أماكن كثيرة ، وفي سنة السبعة
البريطانية على غاندي ، وقد تم تمجده في سنة ١٩٢٢

وتمر محاكمة غاندي في باربعاً من الأهمية مكان ، إن كان
مرصع لـ ، لا عرام من عاصيه ، ولم يكن في الألف خلاف شأن
الوفاع وانهم . إنما كان خلاف شأن غاندي ، بعد أن لخص الغاصي
التهم لموجهة في غاندي . وأتت تعرف أن يلاك عرف بالحق
ست سنوات ثم أقل . إنما أهمت به .

قال غاندي : "إنك تكرمي أعظم إكرام حينما تصمي في صف
الوطى بلاك ، وتكرمي بها حينما تصمي لغوته ."

فأصدر ناصي الحكم ، ثم عين عليه قائلاً : ول أن يعيظ أحد بمقتدار
اعتباطي هذا ما أعرف أن الحكومة قد جعلت الحكم ،

وبعد عامين مرس عادي في تحه مرس حظيرا ، وأجريت له
عملية جراحية داخل السجن ، فانتهت الحكومة فرصة وأمرت بإخراجه
من السجن عفا

مخرج يواجهه حالة تختلف عما كانت عليه في دور قبل - حته ، فقد
أهزت المه ومة نسليه ، وكانت الخلافة الإسلامية في ترك و نص
عليها مصطفى كان ، ودار ست من المسلمين في انجمنه ، وفتح
رغاه المؤتمر ، وعي رأسهم موصلاي هرو (واند جواهر لال نهرو)
عن سياسته عدم التعاون إلى قيامه مكافحه الحكومة عن طريق ترشيح
أعضاء المؤتمر في الاتحادات النسبية والجاناس الاستشرية ، وفي ذلك
يقول عادي : ودول أن مواهب احمد قد جدت في كافة طرق
في تشهير والتشديد .

إزاء ذلك م ير عادي بدأ من أن يبحث إلى غيره جديده انتمد بها
عن السياسة ، وركز جهوده في تريب وجمت أنظر بين المسلمين
والهندوس وفي عشرين صا المبروس وروج الأبال ليدوية .
وهذه ذمت هذه الم نه سياسة ثلاث سوات ونصف

إلا أن ظروف لم نلت أن اجند عادي مرة جديدة ميدان
السياسة ، في سنة ١٩٢٩ دعت حكومة لير بضديه إلى عقد مؤتمر متحد
فيه شئون اهد في صوة الطوائف الحريثة ، ولم يمت المؤتمر أن فشل ،
فأعلى تادي - ادي كان ، ثب المحدث قد دعاه لاشراك في مباحثات
المؤتمر - سياسة العصيان المدني ، وعي من المصطلحات بتي أديها عادي
على عر السياسة اخذه وبريد والعصيان المدني ، عن دعاه لتعاون ،

في أنه يدعو إلى عدم إطاعة الأوامر والخروج على العواصم ومن شأن هذه السياسة الواقعية نفسه أن تدفع الحكومة فتقتصر على المعصاة

وما أن بدأت سياسة العصيان المذوق في الصعيد - حتى عصت السجون بالمعتقلين من رجال وساء - واحتلت أحوال التجارية في البلاد وبأثرت مالية الحكومة واشتد ضغط على رجال الأمن ، وأصبحت الإدارة الحكومية تنوء بحملها الجديد من المسئولية ، ويرى انريقاتيون خرجوا عما يحيط بهم من مشكلات إلا الانسحاب إلى عابدي ، طالس ذلك أنه أن الوقت الحرة ، وأن - ما هو إلى سن ممدود - وحيداً عن الهدى ، وهو وص الحكومة انريقاتية في مؤخر وأما سنة ١٩٣٢ .

ع - عابدي من انجرا في سنة ١٩٣٢ ، بعد أن فشل المؤتمر ، فألبي القمص عليه عجز وصوله ، وعقدت الحكومة دورتين مؤتمر « أدلة المدة » ، انتهت بصدور كتيب أبيص لخصت فيه ما دار في الدورات الثلاثة .

وفي ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٣٥ صدر قانون الهدى الجديد . ومن أهم ما جاء فيه أنه منح الحكم الإداري لولاة الهدى ، أن أنه صار لكل ولاية أن تنوئ شؤون حكم نفسها ، بمنع عن طريق الاستجاب ، في عاين بيان وزارة مسئولة أمام هذا المجلس ، على أنه يكون لحاكم الولاية انريقاتية - بصفه عدم تنفيذ قرارات إذا كانت تمس لأفليات ، كما أن له سلطة التصرف من تلقاء نفسه - بعيداً عن سطحي ولا . والبرلمان ، في الأخوان انط . أنه حتى تمس سلامه لبلاد .

• • •

وفي شهر ابريل سنة ١٩٣٧ أجريت لاستجالات العامة بالهدى ، عاشرت عن فور المؤتمر الهدى في ست ولايات فوراً بوجهه لأليف

الواردة ، بها أحرر أعظمه سنة في ثلاث أحرى أمانى ولا يبق لسحاب
والسند فقد أحررت براقة الإسلاميه الأساسه المتقدمة

أما الأمراء الهندية ، ذلك الى عكها أمراء محبون يتمعون بسطة ،
أنه في سنة غير محدودة فكان هم في هذه حركة شأن لا يسهان به

كان أصرح سنة ١٩٣٥ بمون أن ذوات الهندية مدح الولايات
إدراية ، ولكن أمانة السبع إلى حرب المؤنة قد أصر مصحح للأمراء
الذين كانوا اندا كون ، في سنة الاستقلال في سنة ١٩٣٥ ، وذلك
برم يباشرون وثيقة سنة ١٩٣٥ حروف بحرف على أسى أمهر الهند ،
في سنة سنة الهندية في حكم إند انهم على الوجه الذي عاون ،
دو مدح من الحكومات الإسلامية

كان من أهداف تصريح سنة ١٩٣٥ أن يتكفل في دلي برلمان
مركزي وحكومة كرية ، إلى أن يكون الامراء مدون في هذا
لهمان ، فحين حرب المؤنة أصبح هذا أداة لبرلمانين في كيف
الحكم المركزي ومن رعاياه وحرب الخرب أن يجب منو الامارات
من بين أفراد الشعب اقتصادا حرا ، حتى لا يكون الامراء عليهم سيطرة ،
كما طالب بتخفيض عدد

وفي نفس الوقت ، طاست السلطة الإسلامية ، التي تمثل ما لا يقل
عن ثمانين مليوناً من سكان الهند ، منه سيد محمد علي جناح ، أن لا
يكون الهيئة الجديدة معرضاً لاعتك الاعداء بهرون الاقضية ، وهذا
ظهرت للبيان فكرة والباكستان ،

وكانت هذه الخلافات الدستورية صدى للرأى الدم بالهند إذ
كانت تكتف الهند ، في ذلك الوقت موجبات من موجات تفكر موجة

تأييدها عالية هندوسية ، وأقضية إسلامية ، يقول باهند الموحدة ، ويرى إلى استئصال الهند عن التوح الربطاني كوحدة ، تحتوي الهندوس والمسلمين على سواء ، والأمراء وعامة الشعب على سواء ، وموجة تأييدها عالية إسلامية ، ولما نذكرها أنه أقضية هندوسية ، وترى إلى تقسيم الهند إلى دوائير إحداهما إسلامية والأخرى هندوسية ولكل من الفريقين وجهة نظر :

أما وجهة نظر الخطابين بالهند الموحدة ، فواضح لا يحتاج إلى . هؤلاء قوم تجمعهم رابطة انوطى ، ويسرى قلوبهم لتصلع إلى ما آت إلى الأمور في كنف المعتمد الاجنبي ، وهم سخطعون إلى دولة موحدة قوية تستطيع أن تتواءم مكاتبة ، موحدة ، بين ام العالم . ويمثل هذا لرأى - رأى الهند الموحدة - حرب المؤتمر ، الذى يترعنه من الناحية سياسة السديف جواهر لال نهرو ، يضاهره رعيم إسلامى له مكاتبة ، هو مولانا أبو الكلام آزاد . ويقف المهاتما غاندى موقف الرعيم الروحى الهند الحزب ، وإن كان يدور في كثير من أقواله وأفعاله رعيم الهند بشقيها ، ويبادى ، بين آن وآخر ، بضرورة روال القوارى بين المسلمين والهندوس ويمضى على الهندوس عداوتهم المسلمين وإنما لهم

أما وجهة نظر الفريق الثانى فتلخص في أن الهندوس يكونون في الهند أعليه ، وخاصة إذا استندوا إلى المنشودين ، الذين يعتبرونهم من الناحية السياسة من أممهم ، أما من الناحية الدينية فلا يعترفون لهم بأى حق من الحقوق ، حتى حوزة دراسة لطقوس الدينية ، الخاصة بالديانة التى يتبعونها إليها من الناحية لسياسية ، فإذا ما استغمت الهند على أساس هند موحدة استند الهندوس بالامر ، مع " بحقوق المسلمين ، تنقما بحق

الغالبية ، واتخذوا لنا داليم على أيدي المسلمين من مهانة . أيام أن كانت الكلمة لعليا لمسلمين ، قبل أن يدم الهند الاستعمار البريطاني .

ويمثل هذا الرأي حرب الرابطة الإسلامية ، الذي كان يترعاه المعمور له أسيد محمد علي جناح ، وظهره أعلام المسلمين في الهند كافة .
وعما يؤسف به أن الدعاية لحرب المؤتمر ، أوسع نطاقاً وأدى بوجهها من الدعاية للرابطة الإسلامية ، لاسيما وأن المظهر يكون عادة في جانب حرب المؤتمر . لم يدرسوا مشكل الهند عن قرب ، وأن فكرة لرابطة الإسلامية تبدو لأول وهلة فكرة عسالية .

على أن فكرة الرابطة الإسلامية لم تكن وليدة ظروف المفاوضة مع البريطانيين ، بل أنها فكرة أتت من ذلك بكثير ، وبدأت في أدهان الفلاسفة من المسلمين . قبل أن يبدو شبح استقلال الهند في الأفق .

كانت الساعة ثمانية بعد الظهر من يوم الجمعة ٢٩ يناير سنة ١٩٣٧ عند ما استهل المعمور له السيد محمد إقبال ، نشاط الهند الإسلامية ووليسوفها العظم . حديثه عن الهند الإسلامية ، التي سمعته أول من سمعها دنا كستان ،

عرعن فسيوف الهند تحت كل سياسة والاقتصاديه ودينيه والعصرية والتاريخية ، ثم عرعن للجهود الحرة التي بذلها المسلمون المستعبرون لتحرير من التحكم الهندوسي في مصير شعوبهم بألف الاستكافة أو الخنوع . ثم عرعن لسياس اليوميه التي نشبت بين المسلمين والهندوس في كل بلد مغرب فيه "مسألة انذوية بينهما ، ثم خرج من كل ذلك بفرجة واحدة هي أنه لا مندوحة للمسلمين من أن يستقروا عن غيرهم من سكان الهند ، حتى يمكن — في كنف هذا الاستقلال — أن يردوا من شأهم وأن يسهروا على مصالحهم

على أن أتق السيد محمد إقبال كان يحسم الانساع ، قال لي يؤمن أن الهندوس سوف يقاومون الفكرة بكل ما أوتوا من قوة ، لأنهم يسهرون على مصباح الهند الموحدة . بل لأنهم يحشون عقبة ، شاءت الدولة الإسلامية الحديثة ، في الموقع الجغرافي الذي نشأ فيه . هو أن المسلمين احتادوا العنوب دون الشمال ، لما تعرض الهندوس على قيام هذه الدولة . أما إنشاء دولة إسلامية في الشمال ، وفي الشمال العربي على الأحرص ، فيستلزم على ضرورة هذه الدولة مجموعة من الدول الإسلامية . أفغانستان في شمال العرب . وهي البلاد التي جاء منها استيطان محمود غزنوي مؤسس أول دولة إسلامية عامرة بالهند وإيران الإسلامية في عرب بلوچستان (إحدى مقاطعات باكستان) وهما مهد صلاب دينيه ونعائيه لا يستمن بها . وأحدى ما يحشاه الهندوس ، أن تقوم بين الدولة الإسلامية الناشئة « طغمة » ، زعمائها في وسط آسيا وعربها ، صلاب تهدد الهند والهندوسية بالاكساح في أي وقت من الأوقات

في الحرب العالمية الثانية

على أن الحرب العالمية الثانية قد اندلعت ببرامجها بعدد من هذا العقل ومصره انيريطايون دس ، حركات السياسة والعسكرية بالهند من جانب المؤتمر والرافضة الإسلامية على السود . فرصت الأحكام العرفية في كل مكان . وجند الهود ونجرب في صفوف البريطانيين ضد المحور في كل ميدان . ولكن صفوف الحرب الأخيرة ، أفسدت الهند . كانت تحتل من ظروف الحرب التي سبقتها . ومن ثم يظهر الاختلاف بين الحربين ما يأتي : —

أولاً - كانت اليابان في حرب سنة ١٩٤١ طرفاً يارراً لعب دوراً

خطيراً في الشرق الأقصى ضد بريطانيا وأمريكا . ولما كانت العلاقات
لسياسة بين مملكة اليابان وبعض أقطاب الهند قد تفتت فيما قبل الحرب
على أن يسلك المود خلال الحرب مملكتا لايطوري على المولاء التام
بريطانيا . ومشاطرها معديرها ، فقد عانت بريطانيا من هذه الباحية
مقاع لم تستطع لتعب أعياها ، إلا شق الأهم . خاصة عند تقدمت
المتوحات اليابانية إلى جرد الهند الشرقية ، وامتدت إلى ورما وهددت
سهايه .

ثانياً : عندما كانت البروسيا لا تزال تمارب في جسد دول المحور ،
كانت الهند مهددة بانتشار لشموعية فيها ، كثر للعداية الشيوعية فيها من
الحرب ، تلك السعاية إلى أقل عليها اليهود رجاء التحصن بما هم فيه من
شقاء . فلما انتورت البروسيا إلى جانب الحلفاء بعد ذلك ، وجد
الشيوعيون في الهند متسعاً عن مبادئهم ، ولم تستطع الحكومة البريطانية
أن تسكح من جماعهم فاردادت الأفكار الشيوعية ، يوعا .

ثالثاً : كانت الوطنية الهندية — كما آيب — قد تطورت فيما بين
الحربين العالميتين . ولم يكن من السهل على الحكومة البريطانية أن تسب
بأمال الهند اللامعة التي لعتها في الحرب لسابقة ، خاصة وأن حرب المؤتمر
كان يطالب بشم الانضمام . وأسرفت بريطانيا في إرضائهم ، رعية منها في
كسب الحرب بأي ثمن كان .

وما كادت الحرب أن تصع أوزارها ، ولا وهت الهند عن فكرة
أسيها ، تطالب بالاستقلال . وظهر حرب المؤتمر يطلب هنداً موحده . سيما
ظهرت الرابطة الإسلامية تطلب هنداً مقسمة إلى هندوستان ويا كسين .
وصلت الحكومة البريطانية رابع بعض الوقت ، ولكنها اضطرت في
النهاية إلى إجابة حسب الخنود في الاستقلال ، وظهرت في عالم الدول

الجديدة دولتان : هندوستان ، وباكستان . وذلك في ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٧

ويسمى أن يكون ملحوظ أن مشروع التسميم الجديد ، لا يشمل الهند كلها ، وإنما يشمل ما كان يعرف باسم الهند البريطانية ، وهي الولايات التي كانت حاضمة بحكم لبريطاني المباشر . أما أمارات الهند ، وكان يحكمها أمراء محليون ، يدينون بالولاء للحكومة البريطانية ، فقد تركتها بريطانيا من قصد ، حرة عازبين الانضمام إلى إحدى الدولتين الجديدتين ، أو الاحتفاظ باستقلالها ، والارتباط ببريطانيا معاهدة إن هي أرادت ذلك وباكستان ، في صورتها الجديدة ، تشمل منطقتين منفصلتين إحداهما عن الأخرى ، تقع الأولى في شمال الهند الغربي ، وتقع الثانية في شمالها الشرقي .

وتألف الأولى من ولاية لشواب ، بعد أن قسمت إلى جراين : شرقي وأعطي للحكومة الهند ، وغربي وأعطى لباكستان ، والسند ، والحدود الشمالية الغربية ، وبلوچستان . أما إماره كشمير ، المتاخمة لولايتي لشواب والحدود ، فقد كان من المتطراصين بها إلى باكستان . إذ أن غالبية سكانها من المسلمين ، ولكن أميرها الهندومي قد آنر الانضمام إلى هندوستان ، خلق بذلك مشكلة معقدة . فهندوستان تفتت بكشمير اعتماداً على إرادة أميرها الذي يمثل في نظرها الصوت الرسمي لإماره . وتعمل على إحصاع لشعب لإرادة الأمير . أما الشعب فقد نزح على أميره بعد هذا القرار المجحف بحق الشعب في تقرير مصيره . وتدفقت سيول المهاجرين من مقاطعة الحدود ومن لشواب ، من ومن أفغانستان ، لئلا يصر الشعب المسلمون على أمره ، ووقعت الحكومتان الجديدتان : هندوستان وباكستان ، أمام مشكلة تمسك فيها كل فريق بوجهة نظره ، وتعقدت الأمور

ورفع الأمر إلى مجلس الأمن الدولي ، ولم يبت فيه حتى الآن ، على الرغم من عرض الأمر مرات متكررة على هذه الهيئة الدولية .

ويشكر الباكستان العربية على هذا الوجه ، تكون قد تحققت فكرة دعم الفكر المسلمين ، ولكن إلى حد ، فقد كانوا يتوقون إلى انضمام السجود بأكملها ، ولكن وجود عالية محدودة من الهدوس في الجزء الشرقي من هذه الولايات ، سهل على الفتحين بالتقسيم أمرهما إلى هندوستان . يضاف إلى ذلك أن كشمير ، وهي أمانة إسلامية سكاتها ، قد كانت في انضمام من أهم الأقاليم التي تنضم إلى لدولة الجديدة ، وقد رمروا لها في اسم دولتهم بحرف لكاف ، بإدخال الأمور تتطور ، وتخصي أدوم أربعة وهذه الإمارة لا تزال من الفجاج التي لا تستطيع دولة الباكستان أن تضمها إليها كما كانت أمل .

أما باكستان شرقية ، فتألف من الجزء الشرقي من إقليم سعاله ، ومن مقاطعة آسام ، فقد رزى هذا القسم أن شرف المنعاه يحمل بأعلنة إسلامية دون عربة ، على عيسى ، مثل ما فعلت السجود ، إلى قسمين ، قسم شرقي يتبع الباكستان ، وقسم غربي يتبع هندوستان . أما مدينة كلكتا عاصمة إقليم ، فقد كانت من نصيب دولة هندوسين ، ولذا كانت انحد المسلمون مدينة دكا — حيث لا يسهل السكان من مسلمين — عاصمة لدولة باكستان شرقية

وكأن من بعد أن أماره حيدر آباد سيكون من نصيب باكستان ، إلا أن آلت بعد مائة من سياسية إلى حكومة هندوستان ، على الرغم من أن أميرها المسمى حيدر صاحب السمو حيدر ، كان هوام مع حكومة باكستان ، إلا أن هذه الدولة من هندوس (أثر لانضمام إلى هندوستان

وزرى من المناسب ، في هذا المقام ، أن يوازن بين قصتي كشمير
وحيدر آباد .

في كشمير شعب إسلامي يحكمه أمير هندوسي ، وكانت كلمة الأمير
ورغبته في الانضمام إلى هندوستان ، حافزاً للحكومة الهندوستانية
للتمسك بالإمارة .

أما في حيدر آباد ، فقد اعتمدت حكومة الهندوستان على إرادة
الشعب في الانضمام إليها ، وبادرت باحتلال الإمارة على الرغم من إرادة
أميرها ، وأوقعت حكومة الباكستان أمام الأمر الواقع .

الأمر يجدر بنا أن نقرر الأمور الجغرافية ، في مشكلة حيدر
آباد ، كانت في صالح حكومة الهندوستان . إذن أن إمارة حيدر آباد
واقعة جغرافياً وسط أملاك دولة الهندوستان . وانضمامها إلى الباكستان
يجمعها مكونة ، لا من رقمين منفصلين من الأرض خشب ، بل من ثلاث
رقع ، وهو ما يزيد مسئوليات الحكومة المركزية . وانضمامها إلى هندوستان
يجمعها بين جزء وإيلة من أرض الوطن لا يفصلها عنها ديار

أما في كشمير ، فالأمر على خلاف ذلك . فإن إمارة كشمير تتحطم
دولة الباكستان من ناحية ، ودولة هندوستان من الناحية الأخرى ،
وبذلك يكون ضمها إلى أي دولتين - من ناحية الجغرافية - أمراً ميسوراً
وقد كان من نتائج هذا الموقع الجغرافي أن سقطت سيول المصنوع للدفاع
عن كشمير من ناحية ، بينما سقطت جيوش دولة هندوستان الرسمية من
الناحية الأخرى ، أي هذه الإمارة - شديدة أهمية - من الناحية
الأخرى .

وكانت دولة الباكستان - سكويماً الحين - أكر دولة إسلامية

في اشرق كنه ، ان أن ظهرت في عام الوجود دولة اسلامية جديدة كبرى
هي دولة بنو ساسا .

ولاشك أن قيام دولة الباكستان قد أصاب قوه جديدة هائلة الى
ما يمكن أن يكون للعالم الإسلامي من شأن في المستقبل . وهذه هي دولة
أندونيسيا . صفات نهضة الإسلامية قوة جديدة ، برجو أن لا تقل
أهمية عن دولة الباكستان .

ومع ذلك كله ، فلا ينبغي لنا أن نغفل عما يكثف دولة الباكستان
من متاعب ومخاوف ، « مصا طاري » قد يربط مع رمن ، وبعضها
أصيل لابد أن يبي على الأيام

وأول هذه المخاوف — ولعلها أهمها — انقسام الدولة إلى شطرين
أحدهما في أقصى اشرق ، والآخر في أقصى الغرب ، وتغصن بينهما
مساحة كبيرة من أرض هندوستان ، وهو وضع تترتب عليه مشكلات
كثيرة ، من اقتصادية وعسكرية .

وفي تقديرنا أن الحكومة البريطانية لم تكن محصلة ثانية للباكستان
يوم أنب أمرت تقسيم على هذا الوجه ، فقد عمدت إلى تمزيق شمل
باكستان ، وجمعت منها نصف الدولة شرق ، والنصف الآخر غرب ،
وجمعت على هذه الدولة الناشئة عمر أرضي . كان في استطاعتها أن تهينه
لها بوحدة بينها ، وذلك على تقسيم ما درته من أمر هندوستان ،
إلى أحرجها من حصة التقسيم ، دولة متناهكة الاجراء .

فيذا قل ، إن بومع السكان هو الذي قضى بهذا الموضع ، وردنا على
ذلك أنه كان أمام الحكومة البريطانية عرج من هذه الآرمة ، هو إجراء
عمالية ببادل السكان في المنطقة التي تعتبر ممراً بين جرد أي دولة لباكستان

ووصلا عن ذلك ، فإن الحكومة الهندية لم تكن مخلصه في تنفيذ التقسيم ، ولو أحصلت لموت أمر تدارك السكان بين الدولتين ، فلأن تعدد التسميم ، وبذلك نكون قد نقادب انجبار على حداثه ، وهي انق كانت لابد من حدمها . إذ أعد تقسيم قبل تدوير السكان .

على أن العلاقات بين الدولتين تهمو حيا وتكدر أحدا ، والى رأى بين رعمه الدولتين ، انه في كثير من الأحيان تومات عصبية ، بعضها على يرجع إلى ماضي العلاقات بين الهندوس والمسلمين ، وما حتمه التاريخ من مراره في إحساس كل فريق نحو الفريق الآخر ، وبعضه يرجع إلى محاولات أجدهم أمريكية وبريطانية — للدخول في شئون الدولتين تمكيناً للحيثيتين الاجنبيتين من الاطمنان على الاتقع أى الدولتين : الهند أو الباكستان ، في أيدى دعاة الكوعية الواقعة على الأبواب .

على أننا نلح في الأحبار الأخيرة أن ولاية الأمور في الدولتين ، قد اتجهوا إلى تصفية المشاكل المعلقة بينهما ، وإلا لرجو أن يتم ذلك في وقت قريب ، حتى تنقوا كل من الدولتين المكابة للثلاثة شعب له تاريخ عريق في السياسة والأمن والاقتصاد والثقافة ولعمري .

وأخرا حوا افتنا به الآننا . أن الحكومة الأمريكية تعمل جاهدة على تكوين حلف بين تركيا وباكستان ، قد نصم إليه إيران وأفغانستان لإنشاء خط دفاع ضد الشيوعية في قلب اسيا . وقد بدأت الحكومة الأمريكية بأن عرصت على باكستان عوما عسكريا واقتصاديا ، ثم لوحث لها بأن تعقد حلفا عسكريا ، أو اقتصاديا ، مع تركيا خلال هذه الأيام . وقد أزعج هذا المسلك حكومة الهند ، وهدد البانديت ترو بأنه يعتبر هذه الخطوة الأمريكية تدخلا سافرا في شئون شبه القارة الهندية غالبا كستانية ، ومن شأنه أن يخلق جو عداوة بين الدولتين .

فصل رابع عشر

هولند في أندونيسيا

يترك لفظ أندونيسيا من كثيرين ، أندوي ، ومعناها الهند ، ونيسيا ، ومعناها جرر ، ومعنى الكلمة مأخوذاً جزراً الهند ، وقد سميت بذلك لأحد سببين أولهما مجاورتها لمهند ، وثانيهما اتحاد كثير من سكان الهند لها واستيطانها .

ويطلق عليها الجغرافيون الأوربيون اسم « أرخبيل الملايو » نسبة إلى شبه جزيرة الملايو المناحمة لهذه الجزر ، وهو الذي يقسمه كلاً لها من حيث المنظر الجغرافية والجيولوجية . ولا يهتصها عنها إلا بوعار ، منفذ .

وقد أطلق عليها العرب قديماً اسم « جاوه » نسبة إلى أهم هذه الجزر ، كما كانوا يصفون على سكانها اسم « الجاويين » .

أما المستعمرون الهولنديون ، فيطلقون عليها اسم « الهند الهولندية » ، وقع هذه المجموعة من الجزر على جاني خط الاستواء ، بين خطي عرض ٢٠ شمالاً و ٢٠ جنوباً إلا أن تضاريس الأرضية ، وارتفاع غالبية سطحها كثيراً عن سطح البحر ، قد مبرها بخوضه ساح وشوع الخصائص ولما كانت البلاد بركانية التربة ، عذيرة الأمطار ، وقد تميزت بحصب تربة ووفرة محصول ، وحيث انما صير نظامه ، كما أن باطن الأرض على سعاد ، وتجارها عليه ، التوت والذات .

وكانت أندونيسيا تصدر منتجاتها الزراعية والمعدنية إلى كافة أنحاء

لعالم بما يزيد على وارداتها ، وبذلك كان يجب أن يكون الميزان التجاري
في صالحها ، إلا أن الحكومة الهولندية كانت تحتكر التجارة ، فكانت
العائدة تعود على المستعمرين دون أهل البلاد .

أما في الوقت الحاضر ، فإن الجمهورية الهولندية تمارس العلاقات
الاقتصادية الخارجية ، بعد أن حلا عنها ما كان مصروما عليها من حصار
بحري كانت فرضه هولانده على الرغم من عهد الأمم المتحدة . غير أن
البلاد قد تعرضت خلال الحرب العالمية إلى إغلاف نفسه كبرى من أشجار
الغلات ، ولا تزال الجمهورية تكافح في سبيل إعادة بناء البلاد الاقتصادي
حتى تستطيع أن تتواءم مع الاقتصاد الجديد بها بين الدول .

نكية الاستثمار

في شهر يونيو سنة ١٩٩٦ دخلت أول سفينة هولندية ميناء بنام ،
بحرية جوه ، ولما أتم مراسم وصولها تسكن وأقيم لهم أنه ما قصد
إلهم إلا تبادل لشعارة . وصرهان ما تأسست شركة اخذت هولندية .
وكن مبدؤها احتكار الغلات والبلاد الأراضي .

ومرور الأيام اتت تعود الشركة وتعمل في جميع موانئ البلاد بعدد
اتصالات خاصة بين شركة وبين البنوك والأمراء بمفاسين ولما اشتم
مساعد الشركة ، قامت بسط سخطها على البلاد ، فعلمت المركب
التجارية إلى من حرب استغانت لشركة بها بحصره لبلاد وطلت
تعيين عليها حدود حتى تم ما أردت

وقد اجتبت شركة لها مركز في سام . وعين لها وكيل مخصص بقيم
بالمدينه سر على مصاخرها ، ويستمددها انباء من شركه ، كما يستمد

بعوده السياسي والأرضي من الحكومة الهولندية . وسرعان ما تمت هزيمة الشركة بقلب الحاكم العام . .

وفي عام ١٦١٠ أسست شركة آل مصالح، غير كفاءة التحقيق ، وذلك بسبب ضغط ملصق سام ونظمه بعوده ، ولذلك قررت الشركة الانتقال مركزها الرئيسي إلى جاكرتا . وانفباء وعقدت الشركة مع سلطانها اتفاقاً مدفع بمقتضاه قدراً معيном من المال في كل عام مقابل إقامتها وعارسها التجارة على نطاق واسع . وعند ذلك الحين بدأت الشركة تنشي كثيرأ من المستودعات التي كانت في حقيقة أمرها فلاحا

ولما اتسعت أعمال لشركة ، وهدد بها من الأذى العداوة وانفهاء وأرادوا الكيد لها ، وأصبحت شركة عاجزة عن حماية مراكمتها ، لجأت إلى الحكومة الهولندية ، وطلبت إليها حماية الشركة باندرس في شئون حكومات جزيرة جاوه التي لم يستطع سلطانها كبح جماح رعاياه .

وفي سنة ١٨٠٠ قامت الحكومة الهولندية باحتلال هذه الجزيرة تلبية لنداء الشركة . وتجهيزاً للهدف الاستعماري الذي لايس إنشاءها . وعند ذلك الحين أصبحت جزيرة جاوه في حوزة الحكومة الهولندية .

وفي سنة ١٨١١ رلت قوات بريطانية بالجزيرة بقيادة ستافورد رافر ودخلوا مدينة « تناب » وانزعوا السلطان من يد هولنديين ، وظلوا بها حتى عام ١٨١٦ وفي هذا العام انعمت الحكومتان البريطانية والهولندية على حكم الرابع منهما تحديد الاحتصاص وتوزيع مناطق النفوذ ، فجلا البريطانيون عن جزيرة جاوه إلى شبه جزيرة الملايو . وروا عيما . و ملقاء اندى كان الهولنديون قد انزعوه قبل ذلك من البرتغاليين ، وبذلك تمت الصفقة على ما يري كل من الفريقين . وهولندا

لحيا مصححة في عردة تعودها إلى الجريرة لعنة حمرته . و يجتزا قد
استبدلت بها ميناء يكفلها السيطرة على المرور من هضق ومقاها مصاح
الشرق الأقصى .

وكانت الطبقة العليا من أهل البلاد تسيطر على اقتصادها من تجارة
وملاحة ، فلما استتب الأمر لهم ولديين انصرفوا عن هذه الطبقة وكوّنوا
طبقة جديدة من أوساط الناس بدس ونوا اليه من معهم . جراً وراء
المصالح الشخصية وأمامهم ، وحما في الحال من انصفة بعض من الأشراف
التي ناصبها المحتلون العداء .

لم يطق السادة هذه الأوضاع الجديدة ، فصرخوا إلى عامة الناس .
واستثارهم فثاروا ضد الهولنديين . واستمرت الحرب في جزيرة جاوه
زهاء خمس سنوات (١٨٢٥ - ٣٠) وانتهت بخاتمة يبدى لها جبين
إنسانيته حجلأ عما فعله الهولنديون . فإبهم أرسلوا إلى الأمير
ديونججاو الذي كان يدير هذه الحرب صدم . فطاسين إليه عقد
صالح بين الطرفين ، فذهب الأمير إلى مكان الاجتماع . ورأى
الهولنديون قوة شكمتهم ، فقصوا عنه . فذهب الأمير إلى أصول إدريه
في انحروب ، وبعثوا به إلى أمبي حيث أقام حتى أدركته ميته
سنة ١٨٥٥ .

أما في جزيرة سومطرة . بعد استنطاق الهولنديون احتلال مصر
الساحل ، وعلى الدين محمود شاه ، في مدينة كونارا جا ، ولكر روح
المقدومة في الجزيرة لم تنفع .

وطلت ثورات بدلع ضد الهولنديين تارة وتهدأ أخرى . والحكومة
الهولندية تن بما تكلفها هذه الثورات من ثمن باهظ حتى كاد مستحيل

القرن العشرين فانتهت انقاومه المنظمة ، وسقطت في سنة ١٩٠٤ آخر مقاطعة مستعمرة في الهندسيا في أيدي المسلمين .

و قد فعلت هوسده تأسوسيا ما فعلته ، بطانيا بالهند ، إذ قسمت البلاد إلى مجموعتين ، أحدهما تحت الحكم الهولندي المباشر ، والأخرى تحت حكم أمر ، محليين رايمون بأنور من اعظم الهولندي ، وقد حرم على هؤلاء الأمراء الذين أحسن عليهم أمر ، سلاطين ، الاتصال السياسي بأمة دولة أخرى ، كما انحصرت سيادتهم على البر دون البحر ، على أن لا يمتد سلطانهم إلى البحريين من أوربيين وأسيوبيين الذين تستجدهم اشركات الهولندية ، وقد اشرف هؤلاء السلاطين بالعلم الهولندي عما هم وتعدوا أن يفقدوا الحكومة الهولندية — دون مقابل — أي جزء من الأرض محتاج إليها في مشروعاتهم .

ولجأت هولادة في سياسة هذه المستعمرة إلى القمع والإرهاب والكتبت ، وانحدت من تعميم روى كانه تشهير ، وسيلة لقمته البلاد وطغت أن الأمر قد يستتب ، مخرج جيل أو أجيل من شباب المفتون عن دينه ، المعتمد على فهم قوميته ، ولكن حساب الاستعمار قد أخطأ .

فقد ساء تصعق الهولندي من الشباب الوطني إلى الخطر المحدق بسلامتهم على ما انه تصعق البريطاني في عهد أدهان المشعنين وقد سست في سنة ١٩٠٨ جمعية رومى أو روموى أى حركة العصاة ، وفي سنة ١٩١١ تأسست والثركة التجارية الإسلامية ، على عوالت بعد ذلك انما إلى حرب إسلامى باسم ، شركت إسلام ، وتأسست في سنة ١٩١٢ ، والجمعية الحميدية ، كما تأسس في نفس سنة والحرب وصى ،

والحرب الوطني فقه نشه من عض الوجوه قصة حرب المؤتمر في

الهند ، فقد تألف هذا الحزب بتوجيه من رجل هولندي من رجال
الاستعمار هو دوس وكر وكان حاكماً على مقام بحرية جاوه بمش ماألف
حزب المؤتمر في الهند بتوجيه امستر هيوم نرجاني بمعية أن يكون اهتمام
أمن للحركات الوطنية . فلما نظرت الحرب في آرائه ومطالبه ، وصحبه
الاستعمار ، صب جام عصبه عليه في ادوسسا أن ت الحكومة لعقاب
يرعاه الحرب ومن بهم دوس وكر وضمهم من السلاسل وضمت
الحكومة أم أحدثت الحركة الوطنية مع الحرب الوطني إلا أن الحركة
التحررية الإسلامية ماأنت أن تحولت في سنة ١٩١٣ إلى حزب سياسي
باسم «شركت إسلام» برئاسة الحاج عمر سعيد شكو أميدو ، وضم إلى
الحزب كثير من المسلمين المتحمسين فاشتد أمر الحرب ، وانتشرت فروعه
في أنحاء البلاد

في الحرب المالية لأولى

بدأت بعد ذلك على نار الحرب المالية لأولى ، وكادت هولندية
تذهب صحتها ، وأت أن من الخير لها أن عاون التعاون مع الأحرار
المالية في ادوسسا بالاستجابة إلى بعض المطالب الوطنية واصلت
موسده لئلا الرخمة وعوداً وندى عقدتها على انتهاء الحرب . ثم أدمت
مادى . وليس الأربعة عشر ، ومن سها حتى برر مصر ، فاشتد ساعد
الوطنيين ، وعقدوا مؤمراً في سنة ١٩١٨ وتقدموا للحكومة الهوسدية
بمطالبهم ، وقد أصاب هذه المطالب في أندونيسيا ما أصاب مطالب الوطنيين
وحاصة مسلمين في كل مكان ، وكادت روسا قد طرحت عنها رداء
القيصرية ولست ثوب الشيوعية وسبع كثير من شباب البلاد في تارها
وفي سنة ١٩٢٢ عمده ، اندوسيا حركة وعدم التعاون ، ثم هاقم

الأمر فأدى إلى الإضراب والاضطرابات وما جاءت سنة ١٩٣٦ إلا
وكالات الثورة قد عمت كل البلاد ، إلا أن الحكومة الهندية استطاعت
أن تسيطر على الموقف بمعاونة الدول الأوروبية ، وخاصة فرنسا وبريطانيا ،
بما هي من مصلحة في استتباب الأمن في هذه الباحة من لعالم ، وفيها
المستعمرات لبريطانية والفرنسية .

وفي سنة ١٩٣٨ اجتمعت تلك الأحزاب على أليف حزب واحد
قوى هو الحزب الوطني الأندونيسي زعمه الدكتور سوكارنو ، وقد
عقدت له الرعاية لما كان معروفًا عنه من تطرف في سياسة عدم التعاون
لم تنزدد هو يده في القصر على سوكارنو ورملائه من قادة الحرب
ثم حظرت الاجتماعات له معه ، وشددت الرقابة على صحف ، وامتلأت
العاه الجديدة (سيريا أندونيسيا) بالمسلمين السيئيين ومهم الزعيم محمد
حقي وشهير .

عندئذ رأى بعض الزعماء المعتدلين أن يعملوا على ، إنقاذ ما يمكن
إنقاذه ، ، وانضم إليهم من زعماء اللاتيون ، أتى سوكارنو ، رئيس
الحزب الإسلامي الأندونيسي .

ومضت الفترة فيما بين الحربين وهزئته تحكم أندونيسيا حكمًا مظلمًا ،
إلا أن الأندونيسيين أدركوا أن الكبح السياسي لا يفي ثمره إلا إذا
دعمه رقي على واقتصادى آمن لشعب بذلك وخاصة عندما عاد الدكتور
محمد حقي ، من أوروبا عام ١٩٣٦ ونشر ضرورة تحرير الشعب الأندونيسي
من عبودية رؤوس الأموال الأجنبية .

في سنة ١٩٣٦ تأسس حزب أندونيسيا راياء العمل على ما يرفع
شأن البلاد من المواحي الزراعية والصناعية والتجارية .

ومن شعب هذا الحزب (ركن ثاني) وبرامجها الإصلاح الزراعي بالدفاع عن حقوق الفلاحين ضد القرويين الجائرة ، ومنع تأجير الأراضي للشركات قهرا ، ورفع مستوى الفلاحين تعليمهم طرق الزراعة الحديثة ، وكيفية إبادة الحشرات ، وإنشاء مكاتب لسكون واسطة مدعومة بتصريف المحاصيل .

ويعمل الحزب الاشتراكي الأندونيسي على رفع مستوى المعيشة بين الفلاحين ، وتحديد ساعات العمل ، وعدم حد أدنى للأجور

أما في الميدان الاقتصادي فقد انضم الأندونيسيون ميدان الصناعة ، وأدخلوا آلات النسيج الميكانيكية ، واشتقوا مصقل المعادن والجواهر وعرضوا في الأسواق وهي أعمال كان يفردها الهولنديون وانضموا للملاحة فأسسوا شركة الملاحة وسجلوه للجمعية الهولندية ، وقامت هذه الشركة بنقل الحجاج إلى البلاد المقدسة إلى جانب الأعمال التجارية البحرية الكثيرة التي قامت بها . وتأسست كذلك شركة البترول الهولندية في هذه الأعراس وأسس الأندونيسيون البنك الأندونيسي الوطني ونشأ المسلمون الأندونيسيون . وأقبل الأهالي على التعامل معهم دون السوء الهولندية .

وقد قامت الصحافة فيما بين الحربين كثيرا من الشعب ، ولقطة اشبهه توجب عليها أن تسير ركب التحدي في حواء البلاد . الدفاع عن كيائها السياسي بإراء الاستعمار والقوانين الصارمة في صدرها الحكومة الاستعمارية بين آن وآخر تعتبر ميمها ملقده على رؤوس لصحفيين

وإفلا من أيدي الرافعة الضخمة حذرت الصحافة على نعمة جريئة كانت خير مدرسة رعب فيها لأفكار قومية بدأت الجرح في نشر

المقاتلات عن عظمة الإسلام وحسن تعانیه وترجم لأشهر رجال الفكر المسلمين ، وما ملوا من عهد ونهضة لرفع لوائه . وكانت تنادي بالآخوة الإسلامية بين من تعبدوا تعبدًا دينيًا ومن تعلموا تعلمًا علميًا ، نهيًا تحميها لمبدأ التعاون في الإسلام ، وبذلك ألفت الحركة القومية ثوبًا إسلاميًا كاملاً وخاصة عندما غنت الصحافة بنشر آباء العالم الإسلامي

في الحرب العالمية الثانية

اندلعت نار الحرب العالمية الثانية ودخلت اليابان الحرب إلى جانب محور روما — برلين ، وفاجأت الحلفاء بالأعمال المدوانية في المحيط الهادئ . وكان من أهم هذه الأعمال احتلال أرخبيل الملايو بما في ذلك أندونيسيا .

وقد قررت الحكومة الهولندية من ليلاد من احتلالها ، وسافر ممثلو الاستعمار إلى لندن حيث انضموا إلى الحكومة الهولندية المؤقتة التي أقيمت في لندن في مايو سنة ١٩٤٠ بعد اكتمال الاحتلال الهولندي

وكان اليابانيون يشعرون في هذه الجرد فكرة أن الاحتلال الياباني ضرورة مؤقتة وأهم مادحوا هذه البلاد إلا لتحريرها من نير الاستعمار الأجنبي تحقيقاً لمبدأ « آسيا الآسيويين » إلا أنهم في تصرفاتهم العملية لم يكونوا أهل قسوة على أهل البلاد وعطاسة في ممانعتهم من المنضمين الكوريين أنفسهم . وقد قامت في ذلك ألب البلاد قد نهضت فيما بين الحربين نهضة عظيمة ، وبعطت بقعة كبيرة . لاسهل مما أن يشتكينوا لهذا النوع الجديد من الاستعمار .

طالب الرعمه ، جواب الاحتلال بإعلان استقلال أندونيسيا ، فصرح الجنرال كويبر رئيس الحكومة اليابانية أمام البرلمان الياباني في ٦ سبتمبر

سنة ١٩٤٤ موفقة الحكومة على استقلال أندونيسيا . ولكنهم ما علموا في تنفيذ ذلك فالتفت الهولنديون الأفرقيين وعانى اليابانيون كثيراً في الاحباط ما تلاهم .

وفي بين يوم وليلة أُلقيت قنبلة درية على « هيروشيا » وأخرى على « نجاراكي » من بلاد اليابان ، فاستسلمت ليابان للحكام . وكان من بين ما فرضه الحلفاء على اليابان من شروط ألا يسلموا أندونيسيا لالوطنيين ، وأن يحتفظوا بها حتى يتمرر مصيرها . إلا أن الوضع في أندونيسيا كان لا يساعد على تنفيذ ما أراده الحلفاء ، إذ أن الروح المعنوية ارتفعت بين الوطنيين في حين أنها انحطت لدى المستعمرين .

نادى الزعماء لعقد اجتماع في ميدان (سمير) أكبر مادين . جاكرتا ، في يوم ١٧ أغسطس سنة ١٩٤٥ لإعلان استقلال البلاد . وحاولت القوات اليابانية بمعداتها الثقيلة أن تمنع الاجتماع ، ولكن الشباب الوطني الثائر اقتحم عليهم الميدان وهو يمتلئ « مردبكا » ومعهاها احرية ولاستقلال . وحرق على ااحوج الصغيرة الرعبان . أحمد سوكونو ودمحمد حتة . وقام سوكونو خطبا فقال —

« باسم الشعب الأندونيسي نعلن — أنا وحدي — استقلال أندونيسيا ، وعلى الرغم من أن تصرف همير الزعماء ، ومن ورائها الأمة بأكملها ، كان تصرفا متوقعا ، وأن مصلحة الديموقراطية كانت نظوى وقتئذ على التسليم بالأمر الواقع ، واستهوا شعب عظيم كالشعب الأندونيسي نحو الديموقراطية ، إضاداً له عن التأثير بالشيوعيه ، فإن دوره لاستعمار الأولى في العالم — وهي بريطانيا — لم تفعل الأمر الواقع ، ونصت معها وجندت جهودها للوقوف في وجه الحركة الاستقلالية في البلاد

والواقع أن الحكومة البريطانية — من وجهة نظرها — لم يكن أمامها إلا أن تفعل ذلك ، بين موقع أسويسيا الجبلية كـ ، بين هذا التصرف بإيها تجاوز مستعجلة من أهم المستعمرات البريطانية شأنا ، تلك هي شبه جزيرة الملايو ، معن البريطانيين في الشرق الأقصى ، ولحلفاء الأخيرة من سلسلة المواصلات الأماطورية ، ومركز إيواء السفن البريطانية الكبرى وإصلاحها في نحو من لعائم ، واستقلال أسويسيا يؤدي إلى عديم حركه استقلالية في الملايو ، خاصة وأن سكان الهند من المسلمين ، ويحدون من أصول متشابهة

يضاف إلى ذلك أن بريطانيا كانت تتوقع أحداثا في الهند ، وحاج الحركة الاستقلالية في أسويسيا يمرى بالإسراع في المطالبة بالاستقلال في الهند ، على حين أن كنت الحركة في أسويسيا قد تؤثر في الروح المعنوية في الهند فتزجل المطالبة باستقلالها وفي ما

ومثل الهند في ذلك مثل سيلان وربما سلسلة للبريطانيين ، وعش الهند العنيفة بالسمة للبريطانيين أما الولايات المتحدة ، الأمر بكمه فكأنه تسير في ركاب الدول لاستعمارية حثفتها في الحرب — وهي في ذلك مسهرة لا مخيرة .

وهذا عن كل ذلك في بريطانيا كانت نحب أن تقول الأمور في أسويسيا إلى هولنديه اعطامة الضعيفة بدلا من أن تؤمن إلى أيدي الشباب الوطني الهندي لأنهم بريطاني عظمي نوايته شئون البلاد لكل هذه الأسباب . يرى الحكومة البريطانية تعمل حاضده على أشان حركة الاستقلال في أسويسيا .

أعلن لاستقلال في ١٧ أغسطس سنة ١٩٤٥ كما — كـ ٢٦

ستقمر تحركت من ميناء سافوره (شبه جزيرة الملايو) قوات هندية تحت أمرة البريطانيين إلى أندونيسيا بحجة تحرير ليبان من سلاحهم وتسلط الأمرى ، وقد صرح قائد الحملة للندوب وكالة روتو بأن الحملة لاشأى بها بشئون البلاد السياسية ولم سكد القوات ابريطانية برل في جزيرة جاوه ، حتى مكشفت ما حثى من الأمر ، لا انصح أن العرض الأساسى من الحملة هو تمكين لقوات اهلندية من دخول البلاد .

هاج هائج الوطنى ، واعتبرت روتو أن تصرفهم عدائيا لها ، وهددت بصرب مدينة سورابايا ، ثابته المدس الأندونيسية ، تقابل الأسطول اذالم يسم الأندونيسيون أساحتهم وبتروكوا فهولنديين حرية انمول لم يفس اوطنيون الإندو ، فحاولت سورابايا ان يجمعهم ، ولم تكدت ريطانيا أن أصبحت سده الموهف ، سار والهند

وفى هذه الأثناء احتج الرغمة في الهند ، واعتصم القائد الأنظم محمد على جناح على استخدام اليهود في قمع حركة قوم بها اندو سيما المسماة لتحرير بها من رغبة لاستمر ، وصدر لهم هديون اسحب لقوات الهندية من أندونيسيا ، وذلك في فبراير سنة ١٩٤٦ .

وأبهرت لفصية الأندونيسية من هذه الأكمة المتحدة ، أندرها رئيس الوفد الأوكراى رسالة تكتب بها من مجلس الأمن في ٢٢ يناير سنة ١٩٤٦ على أساس أن ما يحدث في اندونى ما يخلق حالة خطر السلم والأمن العالمى ولكن هذا المجهودم يشر اذ مكثت دول الحلفاء في المجلس ، وأعلن رئيس المجلس ، وكان مندوب استراليا ، لعل رب المداخلة .

وهي الرعم من ذلك ، فقد مارست جمهورية الشعبية أعمالها وبحلها وطبة الأندونيسيين في تأييد الحكومة المسقمة ، و زدهرت للبلاد سرعه لم يكن تنوهم خيرة المحتسب انفسهم .

ووقعت الأمم الإسلامية كافة في صفوف الجمهورية الجديدة ، وصدّرت
الى الاعتراف بها على عيب الأمم المتحدة ودعاة الاستعمار

وأثيرت القضية مرة أخرى أمام مجلس الأمن في ٣٠ يوليو سنة
١٩٤٧ ، أنارتها هذه المرة الهند بالاشتراك مع استراليا ، فقرر المجلس
ادخال القضية في مواد البحث ، وتشكيل لجنة لتسوية الخلاف بطرق ودية
كاستعادة تسوية الخلاف بتدو في أول الأمر مقبولة ، إذ أن
لهولنديين جردوا حصة عسكرية جديدة في ديسمبر سنة ١٩٤٨ ولكن
الهند تدخلت في الأمر وهددت - وتتمراً أسبوعاً في ٣٠ يناير سنة ١٩٤٩
تناول المسألة ، لأندونيسية بالبحث ، ووصل الى القرارات الآتية .

١ — إطلاق مراح المعتقلين من وحان الحكومة الجمهورية والزعيم
الجمهوريين على الفور .

٢ — إعادة منصات الحكومة الجمهورية ، أكملها في المناطق التي كانت
في حوزة في ١٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨

٣ — تسليم السيادة نهائية على أندونيسيا كلها إلى أيدي الشعب
الأندونيسي قبل أول يناير سنة ١٩٥٠

• • •

وكان لقرارات هذا المؤتمر تأثير واضح في لقرار الذي أصدره
مجلس الأمن ، وقد عين مندوبين باسم هيئة الأمم لأندونيسيا لحل المشكلة
وأخيراً تحضرت مهمة اللجنة ، وحضرت التسوية في ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٤٩
حيث سلحت السلطة الهولندية حق السيادة على البلاد إلى أهلها .

محتويات الكتاب

فاتحة الكتاب	١ - ٢	١٠
شكر وتقدير	٣ - ٤	١٠
مقدمة العالم الإسلامي قلب وجناحان	٥ - ٦	١٠

الباب الأول

الفصل الأول	١٠ - ١١	١٩
الدولة العثمانية بين الشرق والغرب	١٢	١٩
الدولة العثمانية والشرق الإسلامي	١٣	١٩
بين الخليفة العثماني ومسيحي الهند	١٤	١٩
ترك العثماني وحرب الاتحاد والترقي	١٥	١٩
إمداد الحركة العسكرية إلى أملاك الدولة	١٦	١٩
الجمعية الماسونية	١٧	١٩

الفصل الثاني :

ترك الحديثة	٢٨ - ٢٩	٤١
الجمهورية التركية والخلافة	٣٠	٤١
رأي الأستاذ لأ كبير شيخ امراض	٣١	٤١
الهند والخلافة	٣٢	٤١
الجمهورية التركية وشرق تركيا	٣٣	٤١

الباب الثاني

المصنفات

الفصل الأول :

- ٥٤ ٤٢ لمحنة أمكره في العلم الإسلامي ✓
 ٤٢ العروبة ✓
 ٤٧ الإسلام
 ٥٠ لشرد العرب في مصطنع التاريخ

الفصل الثاني :

- ١١٢ - ٥٥ دعاء الإصلاح
 ٥٧ محمد بن عبد الوهاب
 ٦٣ محمد علي الكبير ✓
 ٦٧ السيد جمال الدين الأفغاني ✓
 ٧٢ السيد أحمد سال في الهند والشح محمد عمده في مصر
 ٧٧ مدحت الشافعي ركباً وحيداً ابن باشا في تونس
 -٨٥ سيد الرحمن سكوأكي ✓
 ٨٩ عبد الله بن عبد الوهاب
 ٩٤ الأمير شكيب أرسلان
 ٩٨ محمد إقبال
 ١٠٣ حسن البنا وجماعة الإخوان المسلمين ✓

الباب الثالث

الاصحاحات

الفصل الأول :

١١٣ - ١٢٣	الهجرة ، الاستعمار ، الاحتلال
١١٣	الهجرة
١١٨	الاستعمار
١٢١	الاحتلال
١٢٢	الانتداب

الفصل الثاني :

١٢٤ - ١٣٢	بريطانيا والشرق الأقصى
-----------	------------------------

الفصل الثالث :

/ ١٣٣ - ١٤٥	الشرق لعرى والمواضلات الإمبراطورية
١٣٣	في القرون الوسطى
١٣٩	في العصور الحديثة

الفصل الرابع :

/ ١٤٦ - ١٥٨	الدفاع عن الشرق الأوسط
١٤٦	في القرن التاسع عشر
١٤٨	في الحرب العالمية الأولى
١٥٠	في إيطاليا
١٥٢	في ألمانيا

المحتويات

١٥٥	في الحرب العالمية الثانية
١٥٦	أحداث عالمية
١٥٨	بين الديمقراطية والشيوعية
	قسم / الفصل الخامس :
١٦٠ - ١٧٠	الاستعمار الأمريكي في الشرق الأوسط
١٦٢	في الحرب العالمية الأولى
١٦٥	في الحرب العالمية الثانية
	قسم / الفصل السادس :
١٧١ - ٢٠١	فرنسا في سورية ولبنان
١٧١	في تصور الوسطى
١٧٢	في العصر الحديث
١٧٥	في الحرب العالمية الأولى
١٧٦	تدبير العودة البريحية
١٩١	في الحرب العالمية الثانية
٢٧٠ - ٢٠٢	قسم / الفصل السابع :
٢٠٢	بريطانيا في فلسطين
٢٠٧	قصة الوطن لقوى اليهود
٢١٣	المرحلة الأولى بين بريطانيا والعرب
٢٢٢	المرحلة الثانية بين - إيطاليا واليهود
٢٣٣	المرحلة الثالثة - صك الانتداب
٢٣٨	المرحلة الرابعة - الانتداب

المصادر

- ٢٢٩ الحجة
٢٤٤ اذعان .. بكبة الارض
..... فلسطين في ظل الانتداب
٢٤٦ حجة الاولى : من ١٩٢٣ إلى الحرب الثانية
٢٥٦ المرحلة لثالثه : في الحرب العالمية الثانية

الفصل الثامن :

- ٢٧١ بريطانيا في شرق الاردن
٢٧٦ في الحرب العالمية الثانية
٢٧٨ الملك عبد الله ومشروع سيوره الكبرى
٢٨٨ شرق الاردن تصبح مملكة الاردنية الهاشمية

الفصل التاسع :

- ٢٩٤ - ٣٢١ ربط نيا في العراق
٢٩٤ الاشوريون
٢٩٨ الأكراد
٣٠٨ فيصل ملك العراق
٣١٦ من المعاهدة إلى قيام الحرب العالمية الثانية
٣١٨ العراق والحرب العالمية الثانية

(الفصل العاشر :

- ٣٢٧ بريطانيا في الخليج العربي
٣٢٧ عم
٣٢٤ د

المحتويات

٣٣٦

البحرين

٣٣٩

للكويت

الفصل الحادى عشر :

٣٧٩ — ٣٤٧

ايران بين بريطانيا وروسيا

٣٥٤

في الحرب العالمية الأولى

٣٥٩

رضا خان واصلاحياته

٣٦٥

في الحرب العالمية الثانية

الفصل الثانى عشر :

٣٨٨ — ٣٨٠

افغانستان بين روسيا وبريطانيا

٣٨٣

في الحرب لعالمية الأولى

الفصل الثالث عشر :

٤٠٩ — ٣٨٩

بريطانيا في الهند

٤٩٤

في الحرب العالمية الأولى

٤٠٣

في الحرب العالمية الثانية

الفصل الرابع عشر :

٤٢٣ — ٤١٠

هولندا في أندونيسيا

٤١١

سكية الاستعمار

٤١٥

في الحرب العالمية الأولى

٤١٩

في الحرب العالمية الثانية

الخرائط

- ١ دول الشرق الأفرافى
- ٢ الدول العربفة : فج بين البحر الأبيض ،
وخبفج لفرسى
- ٣ — فلسطين العربفة ، وإسرائفل « العربفة »
- ٤ — إمارات الخبفج العربفى وإفران وأفغانستان .
- ٥ شه افقرة لمفدبه الفكففة
- ٦ . أفدوفففا .

مور. لاسلاميه في شمال اديري وما يقارب من امور اديريه











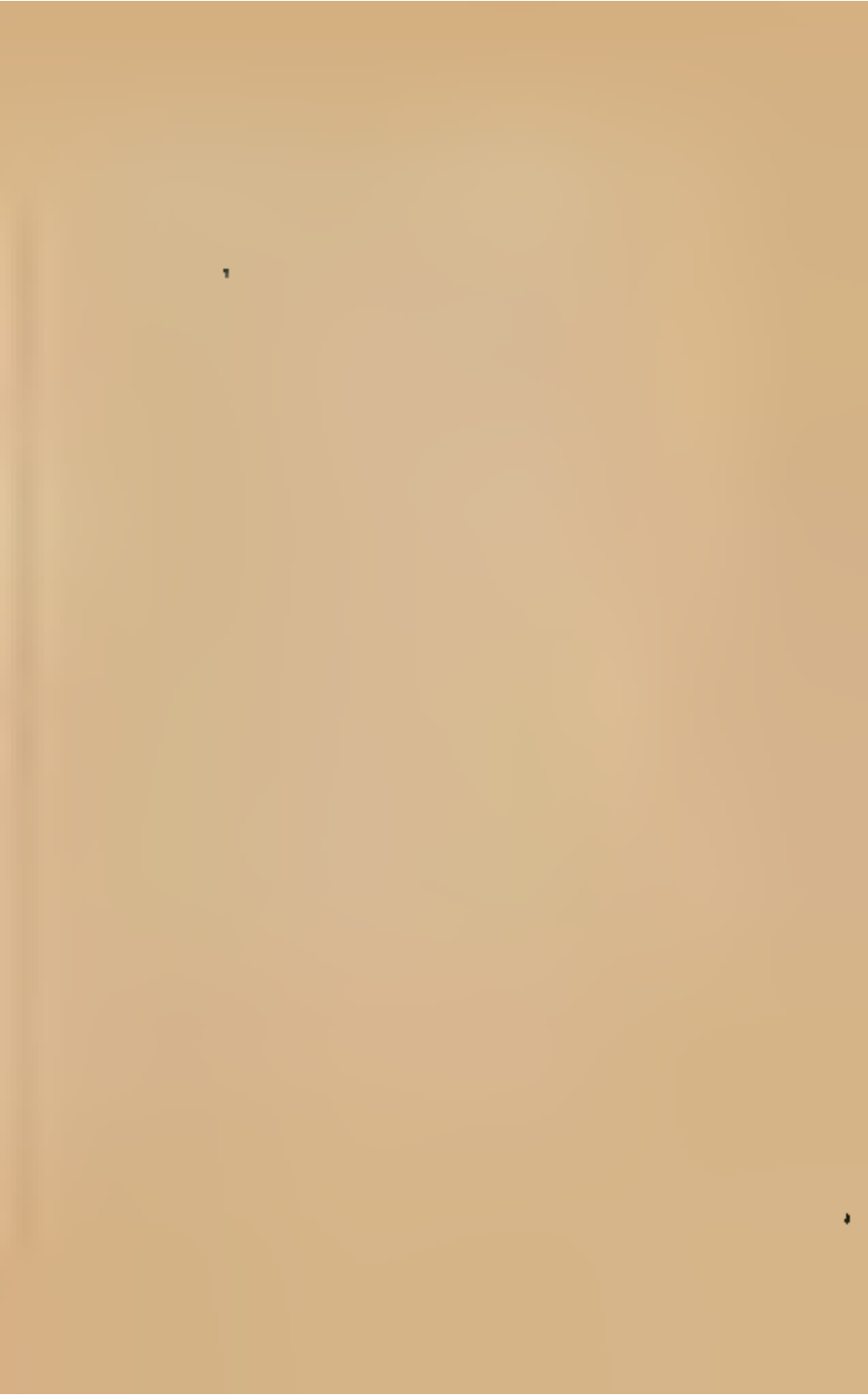
شبه القارة الهندية بالكتابة

ليان

تجزئة باكستان إلى شرقية وغربية

والعوارق بين موفى حيدر آباد وكشمير





بحر لیبی

خط الماری

مط دوسرا

خط الماری





استدراك

نعذر المؤلف . كما نعذر دار النيل للطباعة . عن وقوع أخطاء .
يسر على القارىء الكريم تدارك الكثير منها .
أما الأخطاء الهامة ، فقد رأينا تصويبها فيما بين .

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٧	٣	(أول السطر)	أتقدم
٧	٥	غير	حي
٢٢	٨	تظهر	لم تظهر
٦٠	٩	ويتمسكوا	ويتمسكون
٨٠	٨	يؤلف	يؤلف
٨٩	١٥	فتقاده	وتقاده
١١٥	١	١٩٢٠	١٥٢٠
١٤٥	٧	الدعاية	الدعاة
٢٢٠	٢٢	الاسلام	الاسلاب
٢٤٥	٢٠	مخمين	محميين
٢٤٨	٤	وللسيحيين	وواحد للسيحيين
٢٧٣	١٥ و ١٣	العبادة	اسادية
٢٧٥	١٢	فيما يخص	(ائده)
٢٨٤	٢٠	أعلالكم	أعلالكم
٣٣٠	٧	يعارضه	يفاوضه
٣٣٩	٧	(أول السطر)	انصراف عن صد اللؤؤ ومافيه
٣٦٠	١٦	١٩٢٩	١٩١٩
٣٦٩	٣	تحليا	تحليا

دار النجل للطباعة







32101 058347376